

السيرة النبوية

لابن هشام

"المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٨ هـ"

محمد حسين بن الخطيب

علق عليها، وخرج أحاديثها، وصنع فهارسها

أستاذ دكتور

عمر عبد السلام تدمري

أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية

الجزء الرابع

الناشر

دار الكتاب العربي

الطبعة الثالثة

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

دار الكتاب العربي

فردان - بناية بنك بيبلوس - الطابق الثامن تلفون: ٨٠٠٨٣٢/٨٠٠٨١١/٨٠٥٤٧٨

تيليفاكس ٨٦١١٧٨ تلكس: ٤٠١٣٩ L.E. كتاب برقيا: الكتاب ص. ب: ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

السيرة النبوية



بسم الله الرحمن الرحيم

عُمرة القضاء[1]

في ذي القعدة سنة سبع

قال ابن إسحاق: فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر، أقام بها شهري ربيع وجُمادَيَيْن ورجباً وشعبان [وشهر] رمضان وشوّالاً، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه ﷺ. ثم خرج في ذي العقدة في الشهر الذي صدّه فيه المشركون معتمراً عُمرة القضاء، مكان عُمرته التي صدّوه عنها.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عُوَيف بن الأضبط الدّيلي.

ويقال لها عُمرة القَصَاص[2]، لأنهم صدّوا رسول الله ﷺ في ذي القعدة

---

(١) انظر عنها في: المغازي للواقدي ٢/٧٣١ ـ ٧٤١، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٢٠ ـ ١٢٣، والمحبّر لابن حبيب ١١٥، والمغازي لعروة ٢٠١ ـ ٢٠٣، وتاريخ الطبري ٣/٢٣ ـ ٢٦، وأنساب الأشراف ١/٣٥٣ رقم ٧٣٩، وتاريخ خليفة ٨٦، والبدء والتاريخ ٤/٢٢٨، والكامل في التاريخ ٢/٢٢٧، ٢٢٨، وصحيح البخاري ٥/٨٤ ـ ٨٦، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون الأثر ٢/١٤٨، ١٤٩، وسيرة ابن كثير ٣/٤٢٨ ـ ٤٤٥، وعيون التواريخ ١/٢٧٢ ـ ٢٧٤، ومرآة الجنان ١/١١، والروض الأنف ٤/٧٦ ـ ٧٨.

(٢) عُمرة القَصَاص: وهذا الاسم أَوْلى بها لقوله تعالى: ﴿ الشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِالشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ وهذه الآية فيها نزلت، فهذا الاسم أَوْلى بها، وسُمّيت عُمرة القَضاء. لأنّ النبيّ ﷺ قاضى قريشاً عليها، لا لأنه قضى العُمرة التي صُدّ عن البيت فيها، فإنها لم تك فسدت بصدّهم عن البيت، بل كانت عُمرة تامّة متقبَّلَة، حتى إنهم حين حلقوا رءوسهم بالحِلّ احتملها الريح، فألقتها في الحرم، فهي معدودة في عُمَر النبيّ ـ ﷺ ـ وهي أربع: =

في الشهر الحرام من سنة ستّ، فاقتصّ رسول الله منهم، فدخل مكة في ذي القعدة، في الشهر الحرام الذي صدّوه فيه، من سنة سبع.

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: فأنزل الله في ذلك: ﴿وَٱلْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾[1].

قال ابن إسحاق: وخرج معه المسلمون ممن كان صُدّ معه في عُمرته تلك، وهي سنة سبع، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه، وتحدّثت قريش بينها أنّ محمداً وأصحابه في عُسرة وجَهْد وشدّة.

قال ابن إسحاق: فحدّثني من لا أتّهم، عن ابن عباس، قال: صفّوا له

= عُمرة الحُدَيبية. وعُمرة القضاء، وعُمرة الجعْرانة، والعُمرة التي قرنها مع حجّه في حجّة الوداع فهو أصحّ القولين أنه كان قارناً في تلك الحجّة وكانت إحدى عُمَره عليه السلام في شوّال كذلك. روى عُروة عن عائشة وأكثر الروايات أنّهنّ كنّ كلّهنّ في ذي القعدة إلّا التي قرن مع حجّه، كذلك روى الزُّهْريّ، وانفرد مَعْمَر عن الزُّهْريّ بأنه عليه السّلام كان قارناً، وأنّ عُمَره كُنّ أربعاً بعُمرة القران.

وأما حجّاته عليه السلام فقد روى التِّرْمذيّ أنه حجّ ثلاث حجات ثنتين بمكة، وواحدة بالمدينة وهي حجّة الوداع، ولا ينبغي أن يضاف إليه في الحقيقة إلّا حجّة الوداع، وإن كان حجّ من الناس إذا كان بمكة كما روى الترمذي، فلم يكن ذلك الحجّ على سُنّة الحجّ، وكماله، لأنه كان مغلوباً على أمره وكان الحجّ منقولاً عن وقته، كما تقدّم في أول الكتاب، فقد ذكر أنهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشمسية، ويؤخّرونه في كل سنة أحد عشر يوماً، هذا هو الذي منع النبيّ - ﷺ - أن يحجّ من المدينة، حتى كانت مكة دار إسلام، وقد كان أراد أن يحجّ مَقْفَلَه من تَبُوك، وذلك بإثر فتح مكة بيسير، ثم ذكر أنّ بقايا المشتركين يحجّون، ويطوفون عُراة فأخّر الحجّ، حتى نبذ إلى كلّ ذي عهد عهده، وذلك في السنة التاسعة، ثم حجّ في السنة العاشرة بعد امّحاء رسوم الشِرك، وانحسام سير الجاهلية، ولذلك قال في حجّة الوداع: «إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض».

والعُمرة واجبة في قول أكثر العلماء، وهو قول ابن عمر وابن عباس، وقال الشعبيّ: ليست بواجبة، وذكر عنه أنه كان يقرئها: ﴿وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةُ لِلَّهِ﴾ بالرفع - أي رفع لفظ العُمرة على جعل ﴿وَٱلْعُمْرَةُ لِلَّهِ﴾ كلاماً مستأنفاً لا يعطفها على الحجّ، وقال عطاء: هي واجبة إلّا على أهل مكة، ويكره مالك أن يعتمر الرجل في العام مراراً، وهو قول الحسن وابن سيرين، وجمهور العلماء على الإباحة في ذلك، وهو قول عليّ وابن عباس وعائشة والقاسم بن محمد. قالوا: يعتمر الرجل في العام ما شاء. (الروض الأنف ٤/٧٦، ٧٧).

(١) سورة البقرة - الآية ١٩٤.

عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه؛ فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطبع[1] بردائه، وأخرج عضُدَه اليمنى، ثم قال: «رحِم امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوّة»[2]، ثم استلم الركن، وخرج يهرول[3] ويُهرول أصحابه معه، حتى إذا واراه البيت منهم، واستلم الركن اليماني، مشى حتى يستلم الركن الأسود، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف، ومشى سائرها. فكان ابن عباس يقول: كان الناس يظنّون أنها ليست عليهم. وذلك أنّ رسول الله ﷺ إنّما صنعها لهذا الحيّ من قريش للذي بَلَغه عنهم، حتى إذا حجّ حجّة الوداع فلزِمها، فمضت السُّنَّةُ بها.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر: أنّ رسول الله ﷺ حين دخل مكة في تلك العُمرة دخلها وعبد الله بن رَواحة آخذ بخطام[4] ناقته يقول:

خلّوا بني الكفّار عن سبيلهْ	خلُّوا فكلّ الخير في رسولهْ
يا ربِّ إنّي مؤمن بقيلِهْ[5]	أعرف حقَّ الله في قبولهْ
نحن قتلناكم على تأويلهْ	كما قتلناكم على تنزيلهْ[6]
ضرْباً يُزيل الهامَ عن مَقِيلهْ	ويُذْهِلُ الخليلَ عن خليلهْ[7]

---

(١) اضطبع: أدخل الرداء تحت إبطه الأيمن وغطّى به الأيسر.

(٢) روى البخاري في كتاب المغازي ٥/٨٦ باب عمرة القضاء، عن طريق أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما قدِم النبيّ ﷺ لعامه الذي استأمن قال: «ارمُلوا»، ليُرِي المشركين قوّتهم، والمشركون من قبل تعيقعان

(٣) يهرول: من الهرولة وهي فوق المشي ودون الجري.

(٤) الخطام: حبل تُقاد به الناقة.

(٥) قِيله: قوله.

(٦) ويُروى: اليوم نضربكم على تأويله بسكون الباء، وهو جائز في الضرورة نحو قول امرىء القيس:

فاليوم أشربْ غير مستقب

ولا يبعد أن يكون جائزاً في الكلام إذا اتّصل بضمير الجمع، فقد رُوِي عن ابن عمرو أنه كان يقرأ «يأمرْكم وينصرْكم». (الروض الأنف ٤/٧٧).

(٧) انظر القول بألفاظ مختلفة وترتيب مختلف للأبيات في: الطبقات الكبرى ٢/١٢١، وتاريخ الطبري ٣/٢٤، والمغازي لعروة ٢٠٢، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون التواريخ =

قال ابن هشام: «نحن قتلناكم على تأويله» إلى آخر الأبيات، لعمّار بن ياسر في غير هذا اليوم[1]، والدليل على ذلك أنّ ابن رَواحة إنّما أراد المشركين، والمشركون لم يقرّوا بالتنزيل، وإنّما يُقتل على التأويل من أقرّ بالتنزيل.

زواج الرسول بميمونة: قال ابن إسحاق: وحدّثني أبان بن صالح، وعبد الله بن أبي نَجِيح، عن عطاء بن أبي رباح، ومجاهد أبي الحَجّاج، عن ابن عباس: أنّ رسول الله ﷺ تزوّج ميمونة بنت الحارث[2] في سفره ذلك وهو حرام، وكان الذي زوّجه إياها العباس بن عبد المطلب[3].

قال ابن هشام: وكانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل، وكانت أم الفضل تحت العباس، فجعلت أم الفضل أمرها إلى العباس[4]، فزوّجها رسول الله ﷺ بمكة، وأصدقها عن رسول الله ﷺ أربعمائة درهم.

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً، فأتاه حُوَيطب بن عبد العُزَّى بن أبي قيس بن عبدودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل، في نَفَر من قريش، في اليوم الثالث، وكانت قريش قد وكّلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة؛ فقالوا له: إنه قد انقضى أجلك، فاخرج عنّا؛ فقال النبيّ ﷺ: «وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهُركم، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه». قالوا: لا حاجة لنا في طعامك، فاخرج عنّا. فخرج رسول الله ﷺ، وخَلّف أبا رافع مولاه على ميمونة، حتى أتاه بها بسَرِف[5]، فبنى بها رسول الله ﷺ

= ١/٢٧٣، وعيون الأثر ٢/١٤٩، والكامل في التاريخ ٢/٢٢٧، والمغازي للواقدي ٢/٧٣٦، ديوان ابن رواحة ١٠٠.

(١) قالهما يوم صفّين، وهو اليوم الذي قُتل فيه عمار، قتله أبو الغادية الفَزاريّ وابن جزء اشتركا فيه. (الروض الأنف ٤/٧٧).

(٢) وأمّها: هند بنت عَوف الكِنانية. (الروض الأنف ٤/٧٧).

(٣) الطبقات لابن سعد ٢/١٢٢، المغازي لعروة ٢٠١، تاريخ الطبري ٣/٢٥، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٤) المغازي لعروة ٢٠١.

(٥) مكان قرب التنعيم وبسَرف كانت وفاتها رضي الله عنها حين ماتت، وذلك سنة ثلاثٍ وستّين، =

هنالك، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذي الحجَّة[1].

ما جاء من القرآن في عُمرة القضية: قال ابن هشام: فأنزل الله عزّ وجلّ عليه، فيما حدّثني أبو عبيدة: ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسولَهُ الرُّؤْيا بالحَقِّ، لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا، فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ فَتْحاً قَرِيباً**﴾[2] يعنى خيبر.

= وقيل سنة ستّ وستين، وصلّى عليها ابن عباس، ويزيد بن الأصمّ: وكلاهما ابن أُخت لها، ويقال: فيها نزلت ﴿ وامرأة مؤمنة إنْ وَهَبَتْ نفسَها للنبيِّ ﴾ في أحد الأقوال، وذلك أنّ الخاطب جاءها، وهي على بعيرها، فقالت: البعير وما عليه لرسول الله ﷺ. واختلف الناس في تزويجه إياها أكان مُحرِّماً أم حلالاً، فروى ابن عباس أنه تزوّجها مُحرِماً، واحتجّ به أهل العراق في تجويز نكاح المُحْرِم، وخالفهم أهل الحجاز، واحتجّوا بنهيه عليه السلام عن أن يَنكح المُحْرِم أو يُنكِح، وزاد بعضهم فيه: أو يخطب من رواية مالك، وعارضوا حديث ابن عباس بحديث يزيد بن الأصمّ أنّ النبيّ ﷺ تزوّج ميمونة وهو حلال، وخرّج الدارقطني والترمذيّ أيضاً من طريق أبي رافع أنّ النبيّ ﷺ تزوّج ميمونة، وهو حلال. وروى الدارقُطني من طريقٍ ضعيف عن أبي هريرة أنه تزوّجها وهو مُحرِم كرواية ابن عباس. وفي مُسند البزّار من حديث مسروق وعائشة رضي الله عنها، قالت: تزوّج رسول الله ﷺ ـ وهو مُحرم، وإنْ لم تُذكر في هذا الحديث ميمونة،فنكاحها أرادت،وهو حديث غريب، وخرّج البخاري حديث ابن عباس، ولم يعلّله هو، ولا غيره، وروى عن سعيد بن المسيّب أنه قال: غلط ابن عباس أو قال وهم، ما تزوّجها النبيّ ﷺ إلاّ وهو حلال، ولما أجمعوا عن ابن عباس أنّ النبيّ ﷺ ـ تزوّجها مُحرِماً، ولم ينقل عنه أحد من المحدّثين غير ذلك استغربت استغراباً شديداً ما رواه الدارقطني في السُنَن من طريق أبي الأسود يتيم عُروة، ومن طريق مطر الورّاق عن عِكرمة، عن ابن عباس أنّ النبيّ ﷺ تزوّج ميمونة، وهو حلال، فهذه الرواية عنه موافقة لرواية غيره، فقف عليها، فإنّها غريبة عن ابن عباس، وهناك مَن يتأوّل قول ابن عباس: تزوّجها مُحرِماً، أي: في الشهر الحرام، وفي البلد الحرام، وذلك أنّ ابن عباس رجل عربيّ فصيح، فتكلّم بكلام العرب، ولم يُرد الإحرام بالحجّ، وقد قال الشاعر:

قتلوا ابن عفّان الخليفة مُحرِماً ... ودعا فلم أرَ مثله مخذولا

وذلك أنّ قتله كان في أيام التشريق، والله أعلم أراد ذلك ابن عباس، أو لا.. (الروض الأنف ٤/٧٧، ٧٨).

(١) تاريخ الطبري ٤/٢٥.

(٢) سورة الفتح ـ الآية ٢٧.

ذكر غزوة مُؤْتَة[1]
في جُمادى الأولى سنة ثمانٍ، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رَواحة

قال ابن إسحاق: فأقام بها بقيّة ذي الحجّة، وولّى تلك الحجّة المشركون، والمحرّم وصفراً وشهري ربيع، وبعث في جُمادى الأولى بعْثَه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن الزُبير، عن عُروة بن الزُبير، قال: بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مُؤتةفي جُمادى الأولى سنة ثمانٍ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال: «إنْ أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإنْ

---

(١) وهي مهموزة الواو، وهي قرية من أرض البلقاء. من الشام، وأما الموتة بلا همزة، فضرب من الجنون. وفي الحديث أنّ النبيّ - ﷺ - كان يقول في صلاته: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همْزه ونفْخه ونَفْثه» وفسّره راوي الحديث، فقال: نَفْثه: الشِعر، ونفْخه: الكِبْر، وهمْزه: الموتة. (الروض الأنف ٤/٧٨).

وانظر عن الغزوة في: صحيح البخاري ٥/٨٦ - ٨٨، والمغازي لعروة ٢٠٤ - ٢٠٦، الدرر لابن عبد البرّ ٢٢٢، جوامع السيرة ٢٢٠، الطبقات الكبرى ٢/ ١٢٨ - ١٣٠، المغازي للواقدي ٢/٧٥٥ - ٧٦٩، المحبّر ١٢٣، تاريخ الطبري ٣/٣٦ - ٤٢، البدء والتاريخ ٤/٢٣٠ - ٢٣٢، تاريخ خليفة ٨٦، ٨٧، المعرفة والتاريخ ٣/٢٥٨، ٢٥٩، الكامل في التاريخ ٢/٢٣٤ - ٢٣٨، نهاية الأرب ١٧/٢٧٧ - ٢٨٣، تاريخ الإسلام (المغازي)، عيون الأثر ٢/١٥٣ - ١٥٦، مرآة الجنان ١/١١ - ١٥، سيرة ابن كثير ٣/٤٥٥ - ٤٩٣، عيون التواريخ ١/٢٧٩ - ٢٨٥، وتاريخ اليعقوبي ٢/٦٥.

أصيب جعفر فعبد الله بن رَواحة على الناس».

فتجهّز الناس ثم تهيّئوا للخروج، وهم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم ودّع الناس أمراء رسول الله وسلّموا عليهم. فلما ودّع عبد الله بن رَواحة من أمراء رسول الله ﷺ بكى؛ فقالوا: ما يُبكيك يا بن رَواحة؟ فقال: أما واللّٰهِ ما بي حبّ الدنيا ولا صَبَابة بكم، ولكنّي سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عزّ وجلّ، يذكر فيها النّار ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً﴾[1]، فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود؛ فقال المسلمون: صَحِبكُم اللّٰهُ ودفع عنكم، وردّكم إلينا صالحين؛ فقال عبد الله بن رَواحة:

لكنّني أسأل الرحمن مغفرةً ... وضربةً ذاتَ فَرْغٍ تقْذِف الزَّبَدا[2]

أو طعنةً بيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهزةً[3] ... بحَرْبةٍ تُنْفِذُ الأحشاءَ والكَبِدا

حتّى يقال إذا مرُّوا على جَدَثي[4] ... أرشده الله[5] من غازٍ وقد رَشَدا[6]

قال ابن إسحاق: ثم إنّ القوم تهيّئوا للخروج، فأتى عبد الله بن رَواحة رسول الله ﷺ فودّعه، ثم قال:

فثبّتَ اللّٰهُ ما آتاك من حُسْنٍ ... تثبيت موسى ونصْراً كالّذي نُصِرُوا

إنّي تفرَّسْت فيك الخيرَ نافلة ... واللّٰهُ يعلمُ أنّي ثابتُ البصر

أنت الرسول فمن يُحْرَم نوافِلهُ ... والوجْهَ منه فقد أزرى به القَدَرُ[7]

---

(١) سورة مريم ـ الآية ٧١.

(٢) الفَرْغ: السَّعَة. والزبد: في الأصل الرغوة، ويراد هنا شدّة تدفّق الدم.

(٣) المُجْهِزة: التي تُجْهِز عليه، أي تُسرع في قتله.

(٤) الجدث: القبر.

(٥) في تاريخ الطبري ٣/٣٧ «أرشدك الله». وفي تاريخ الإسلام (المغازي) «يا أرشد الله».

(٦) انظر الأبيات في: تاريخ الطبري ٣/٣٧، والمغازي لعروة ٢٠٤، ٢٠٥، والبداية والنهاية ٤/٢٤٢، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون التواريخ ١/٢٧٩، ٢٨٠، وعيون الأثر ٢/١٥٣، والكامل في التاريخ ٢/٢٣٥، ومجمع الزوائد ٦/١٥٧، ونهاية الأرب ١٧/٢٧٨ (وفيه بيت واحد) وكذا في طبقات ابن سعد ٢/١٢٨، وديوان ابن رواحة ٨٨.

(٧) انظر الأبيات مع اختلاف الألفاظ في: ديوان ابن رواحة ٩٤، والمغازي لعروة ٢٠٥، والبداية والنهاية ٤/٢٤٢، وتاريخ الإسلام (المغازي)، ومجمع الزوائد ٦/١٥٨.

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العِلم بالشِعر هذه الأبيات:

أنت الرسول فمن يُحرَمْ نَوَافلَهُ ... والوجْهَ منه فقد أزرى به القدرُ

فثبّت اللَّهُ ما آتاك من حَسنٍ ... في المرسَلين ونصْراً كالذي نُصِروا

إنّي تفرَّسْت فيك الخيرَ نافلةً ... فراسةً خالفتُ فيك الذي نظروا

يعني المشركين؛ وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: ثم خرج القوم، وخرج رسول الله ﷺ، حتى إذا ودّعهم وانصرف عنهم، قال عبد الله بن رَواحة:

خَلَفَ السّلامُ على امرىءٍ ودّعْتُهُ ... في النَّخْل خيرَ مُشَيِّع وخليلِ

ثم مضوا حتى نزلوا مَعَان[1]، من أرض الشام، فبلغ الناسَ أنّ هِرَقْل قد نزل مآب، من أرض البلقاء، في مائة ألف من الروم، وانضمّ إليهم من لخْم وجذام والقَيْن وبهراء وبَليّ مئة ألف منهم، عليهم رجل من بَليّ ثم أحد إراشة يقال له: مالك بن زافلة. فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على مَعان ليلتين يفكّرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ، فنخبره بعدد عدوّنا، فإمّا أنْ يمدّنا بالرجال، وإمّا أن يأمرنا بأمره، فنمضي له.

قال: فشجّع الناس عبدُ الله بن رَواحة، وقال: يا قوم، والله إنّ التي تكرهون، للتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة ولا كثرة. ما نقاتلهم إلاّ بهذا الدّين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحُسْنَيَيْن إمّا ظهور وإمّا شهادة. قال: فقال الناس: قد والله صدق ابن رَواحة. فمضى الناس؛ فقال عبد الله بن رَواحة في محبسهم ذلك:

جَلَبْنا الخيلَ من أجإ وفرع[2] ... تُغَرُّ من الحشيش لها العُكُوم[3]

---

(١) مَعان: مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء. (معجم البلدان ١٥٣/٥).

(٢) في تاريخ الطبري ٣٨/٣ «من آجم قُرْح».

(٣) أجأ: أحد جبلي طيء والجبل الآخر سُلمى. وفرع: مكان بأجأ. تُغَر: تُطْعم مرة بعد أُخرى. =

حَذَوْناها من الصَّوّان سِبْتاً[1] أزَلَّ كـأن صفحَتَـه أديم

أقـامت ليلتين على مَعَانٍ فأعْقِبَ بعد فَترَتها جُمُوم[2]

فَـرُحْنا والجيـادُ مُسوّمـاتٌ تَنَفَّسُ في مَناخرها السُّمومُ

فــلا وأبي مــآبَ لتــأتِيَنَّهــا وإنْ كـانت بهـا عَـرَبٌ ورومُ

فعبّــأنــا أعنّتهــا فجـاءتْ عوابِسَ والغُبارُ لها بَريم[3]

بذي لَجَبٍ كأنّ البَيْضَ فيه إذا بَـرَزَتْ قوانِسُهـا النجـومُ[4]

فـراضِيَةِ المعيشـةِ طَلَّقَتْهـا أسِنَّتُهـا فتَنْكِـح أو تَئيمُ[5]

= والعُكُوم: جمع عُكم وهو الجبّ.

(١) أي حَذَوناهـا نعالاً من حـديد جعله سِبْتـاً لهـا، مجـازاً. وصـوّان من الصـوْن، أي: يصـون حوافرها، أو أخفافها، إنْ أراد الإبل، فهو فعال من الصوْن، فقد كانوا يحذونها السـريح وهـو جلد يصون أخفافها، وأظهر من هذا أن يكون أراد بالصوّان يبس الأرض، أي لا سبْت لـه إلاّ ذلك، ووزنه فعلان من قولهم: نخلة خاوية أي يابسة، وأنشد أبو علي:

قد أوبيت كل ماء فهي صاوية

ويشهد لمعنى الصوّان هنا قول النابغة الذبياني:

برى وقْع الصوان حدّ نسورها

وعين الفعـل في صوان ولامـه واو، وأدخـل صـاحب العين في الصـاد والـواو واليـاء هـذا اللفظ، فقـال: صوى يصـوي: إذا يبس، ونخلة صاويـة، ولو كـان مما لامـه يـاء، لقيـل في صوّان صيّان، كما قيل طيّان وريّان، ولكن لما انقلبت الواو ياء من أجل الكسـرة ظنّ الحرف من ذوات الياء. (الروض الأنف ٤/٧٩، ٨٠).

(٢) مَعـان: بفتح الميم، وهـو اسم موضـع، وذكره البكـري بضم الميم، وقال: هـو اسم جبل، والمعان أيضاً: حيث تُحبس الخيل والركـاب، ويجتمع النـاس، ويجوز أن يكـون مَن أمعنت للنـظر، أو من الماء المَعِين، فيكـون وزنه فعـالاً، ويجوز أن يكـون من العون، فيكـون وزنه مفعلاً، وقد جنّس المعري بهذه الكلمة، فقال:

مَـعـان مـن أحـبّـتـنـا مـعـان تـجـيـب الـصـاهـلات بـهـا الـقـيـان

و(الروض الأنف ٤/٧٩).

والفترة: السكون. الجُمُوم: اجتماع القوّة.

(٣) البريم في الأصل: الخيط المفتول الذي فيه لونان مختلطان، يريد أنّ لون الخيل اختلط بلون التراب.

(٤) بـذي لجب: أي بجيش ذي لَجَب. واللجب اختـلاط الأصـوات. البَيْض: مـا يـوضـع على الرأس من الحديد ليحميه. والقوانس: أعالي البَيض.

(٥) تئيم: تبقى دون زوج.

والأبيات في تاريخ الطبري ٣/٣٨.

قال ابن هشام: «ويُروى: جلبنا الخيل من آجام قُرْح»، وقوله: «فعبّأنا أعنتها» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: ثم مضى الناس، فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حُدّث عن زيد بن أرقم، قال: كنت يتيماً لعبد الله بن رَواحة في حجْره، فخرج بي في سفره ذلك مُرْدفي على حقيبة رَحله، فو الله إنه لَيسير ليلة إذ سمعته وهو يُنشد أبياته هذه:

إذا أدَّيْتني وحملْتِ رحْلي ... مسيرةَ أربعٍ بعد الحِساء[1]
فشأنُكِ أنعُمٌ وخـلاكِ ذَمٌّ ... ولا أرجِعْ إلى أهلي ورائي
وجاء المسلمون وغادَروني ... بأرض الشام مُشْتَهيَ الثَّواءِ
وردَّكِ كلُّ ذي نَسَبٍ قريبٍ ... إلى الرحمنِ مُنقطِعُ الإخاء
هنالك لا أُبالي طَلْعَ بَعْلٍ[2] ... ولا نخْلٍ أُسافِلُها رِواءِ[3]

فلما سمعتهنّ منه بكيت. قال: فخفقني بـالدِّرَّة، وقال: ما عليك يا لُكَع[4] أن يرزقني الله شهادةً وترجع بين شُعبتي الرحْل!.

قال: ثم قال عبد الله بن رَواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز:

يا زيدَ زيدَ اليَعْمُلات الذُّبَّلِ[5] ... تطاوَلَ الليلُ هُدِيتَ فانزِلِ[6]

لقاء الروم وحلفائهم: قال ابن إسحاق: فمضى الناس، حتى إذا كانوا بتخوم[7] البَلْقاء لقيتهم جموع هِرَقْل، من الروم والعرب، بقرية من قُرى البَلقاء

---

(١) الحِساء: جمع حسى: ماء يختفي في الرمل حتى يجد مكاناً صلباً فيستقر.

(٢) البعل: من يشرب بعروقه من الزرع دون ريّ.

(٣) الأبيات في تاريخ الطبري ٣/٣٨، ٣٩، والكامل في التاريخ ٢/٢٣٥، ٢٣٦، ومنها ثلاثة أبيات في عيون الأثر ٢/١٥٤، وأربعة أبيات في المغازي للواقدي ٢/٧٥٩، والبيت الأول في مجمع الزوائد ٩/١٥٨، وكلها في عيون التواريخ ١/٢٨١.

(٤) اللُّكَع: اللئيم أو الأحمق.

(٥) اليَعْمُلات: النوق السريعة. والذُّبَّل: التي أهزلها السير.

(٦) تاريخ الطبري ٣/٣٩.

(٧) التخوم: الحدود الفاصلة بين البلاد.

يقال لها مَشَارِف[1]، ثم دنا العدوّ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤتة، فالتقى الناس عندها، فتعبأ لها المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُذْرة، يقال له: قُطبة بن قَتادة، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عُباية بن مالك.

قال ابن هشام: ويقال عُبادة بن مالك.

مقتل زيد بن حارثة: قال ابن إسحاق: ثم التقى الناس واقتتلوا، فقاتل زيدبن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط[2] في رماح القوم[3].

مقتل جعفر: ثم أخذها جعفر فقاتل بها، حتى إذا ألحمه[4] القتال اقتحم[5] عن فرس له شقراء، فعقرها[6]، ثم قاتل القوم حتى قُتل. فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر في الإسلام.

وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُبير، عن أبيه عبّاد، قال: حدّثني أبي الذي أرضعني وكان أحد بني مُرّة بن عوف، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال: والله لكأنّي أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل[7] وهو يقول:

---

(1) انظر معجم البلدان ٥/١٣١ و٢٢٠.
(2) شاط: توزع.
(3) تاريخ الطبري ٣/٣٩.
(4) ألحمه: وقع فيه فلم يجد له مخرجاً.
(5) اقتحم عن فرسه: رمى نفسه من عليها.
(6) عقرها: ضرب قوائمها بسيفه. ولم يُعب ذلك عليه. فدلّ على جوازه مخافة أن يأخذها العدوّ، فيقاتل عليها المسلمين، فلم يدخل هذا في باب النهي عن تعذيب البهائم، وقتلها عبثاً. غير أنّ أبا داود خرّج هذا الحديث فقال: حدّثنا النُفَيلي قال: حدثنا محمد بن مَسلمة، عن محمد بن إسحاق، عن ابن عبّاد، عن أبيه عبّاد بن عبد الله بن الزُبير، قال: حدّثني: أبي الذي أرضعني، وهو أحد بني مُرّة بن عوف، وكان في تلك الغزاة غزاة مؤتة، قال: والله لكأنّي انظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، ثم قاتل القوم حتى قتل.
قال: أبو داود: وليس هذا الحديث بالقويّ، وقد جاء فيه نهي كثير عن أصحاب النبيّ ﷺ. (الروض الأنف ٤/٨٠).
(7) سنن أبي داود ٣/٢٩ (٢٥٧٣) كتاب الجهاد باب في الدابة تعرقب في الحرب. وهو في فتح=

يـاحبَّـذا الجَنَّـة واقتـرابهـا طيِّبـةً وبـارداً شـرابُهـا
والرومُ رومٌ قد دنا عذابُها كـافـرةٌ بعيـدةٌ أنسـابُهـا
عليَّ إذْ لاقيتُها ضرابُها[1]

قال ابن هشام: وحدَّثني من أثق به من أهل العلم: أنَّ جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقُطعت، فأخذه بشماله فقُطعت، فاحتضنه بعضُدَيه حتى قُتل رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء[2].

= الباري لابن حجر ٧/٥١١، والطبقات لابن سعد ١/٣٧، وحلية الأولياء لأبي نعيم ١/١١٨، وأسد الغابة لابن الأثير ٣/٣٤٣، وشرح المواهب للزرقاني ٢/٢٧١، ٢٧٢ ورواه الطبراني كما قال عروة في مغازيه ٢٠٦، والهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٥٧، والطبراني في المعجم الكبير ٢/١٠٦ رقم ١٤٦٢.

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٩، نهاية الأرب ١٧/٢٨٠.

(٢) وروي عِكرمة، عن ابن عباس أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «دخلت الجنة البارحة، فرأيت جعفراً يطير مع الملائكة، وجناحاه مضرَّجان بالدم». وعن سعيد بن المسيِّب، قال: قال رسول الله ﷺ: «مُثّل لي جعفر وزيد وعبد الله بن رَواحة في خيمة من دُرّ على أُسرة، فرأيت زيداً وعبد الله وفي أعناقهما صدود، ورأيت جعفراً مستقيماً. فقيل لي: إنهما حين غشِيَهما الموت أعرضا بوجوههما، ومضى جعفر، فلم يعرض، وسمع النبيّ - ﷺ - فاطمة حين جاء نعي جعفر تقول: واعمّاه، فقال: على مثل جعفر، فلْتَبْكِ البواكي. وكان أبو هريرة يقول: ما احتذى النعال، ولا ركب المطايا بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر. وقال عبد الله بن جعفر: كنت إذا سألت عليّاً حاجة، فمنعني أقسم عليه بحقّ جعفر فيعطيني.

وممـا ينبغي الوقوف عليه في معنى الجناحين أنهما ليسا كما يسبق إلى الوهم على مثل جناحي الطائر وريشه، لأنَّ الصورة الآدمية أشرف الصُّوَر، وأكملها، وفي قوله عليه السلام: «إنَّ الله خلق آدم على صورته» تشريف له عظيم، وحاشا الله من التشبيه والتمثيل، ولكنها عبارة عن صفة ملكية وقوّة روحانية، أُعطيها جعفر كما أُعطيتها الملائكة، وقد قال الله تعالى لموسى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ فعبّر عن العضُد بالجناح توسُّعاً، وليس ثمّ طَيران، فكيف بمن أُعطي القوّة على الطيران مع الملائكة أخلِق به إذاً: أن يوصف بالجناح مع كمال الصورة الآدمية وتمام الجوارح البشرية، وقد قال أهل العلم في أجنحة الملائكة ليست كما يُتوهَّم من أجنحة الطير، ولكنها صفات ملكية لا تُفهم إلّا بالمعاينة، واحتجّوا بقوله تعالى: ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ فكيف تكون كأجنحة الطير على هذا، ولم يُر طائر له ثلاثة أجنحة، ولا أربعة، فكيف بستمائة جناح، كما جاء في صفة جبريل عليه السلام، فدلّ على أنها صفات لا تنضبط كيفيتها للفكر، ولا ورد أيضاً في بيانها خبر، فيجب علينا الإيمان =

ويقال: إنّ رجلاً من الروم ضربه يومئذٍ ضربة، فقطعه بنصفين[1].

مقتل عبد الله بن رَواحة: قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُبير، عن أبيه عبّاد قال: حدّثني أبي الذي أرضعني، كان أحد بني مُرّة بن عوف، قال: فلما قُتل جعفر أخذ عبد الله بن رَواحة الراية، ثم تقدّم بها، وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه، ويتردّد بعض التردّد، ثم قال:

أقسمتُ يا نفسُ لَتَنْزِلَنّهْ لتنزِلَنْ أو لَتُكْرَهِنَّهْ
إنْ أجلب الناس وشدُّوا الرَّنَّهْ[2] مالي أراكِ تكرهين الجنّهْ
قد طال ما قد كنتِ مطمئنّهْ هل أنتِ إلّا نُطْفةٌ في شَنّهْ[3]

وقال أيضاً:

يا نفسُ إلّا تُقْتَلي تموتي هذا حمامُ الموت قد صُليت
وما تمنّيْتِ فقد أُعْطِيتِ إنْ تفعلي فِعْلَهُما هُدِيتِ[4]

= بها، ولا يفيدنا علماً إعمال الفِكْر في كيفيتها، وكل امرىء قريب من معاينة ذلك. (الروض الأنف ٤/٨٠).

والحديث ضعيف لجهالة راويه، وأخرجه الترمذي في المناقب (٣٧٦٧) باب مناقب جعفر، والحاكم في المستدرك ٣/٢٠٩ و٢١٣ وفيه بإسناد صحيح على شرط مسلم. وابن حجر في فتح الباري ٧/٧٦ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مرّ بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة، وهو مخضّب الجناحين بالدم أبيض الفؤاد». وفي صحيح البخاري (٣٧٠٩) من طريق الشعبي أن ابن عمر رضي الله عنه كان إذا سلّم على ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين. انظر سير أعلام النبلاء ١/٢١٢ وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢/١٠٧ رقم ١٤٦٦.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٢٩.

(٢) الرَّنّة: صوت فيه ترجيع يشبه البكاء.

(٣) النُطفة الماء القليل الصافي. الشنّة: السقاء البالي، ضُرب بذلك مثلاً بقِصَر العُمر.

والقول في: تاريخ الطبري ٣/٣٩، ٤٠، ونهاية الأرب ١٧/٢٨٠، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وديوان ابن رواحة ١٠٨، ومجمع الزوائد ٦/١٥٩، والبدء والتاريخ ٤/٢٣١، وعيون التواريخ ١/٢٨٢، وسنن سعيد بن منصور ٢/٢٩٧.

(٤) القول في ديوان ابن رواحة ٨٧، وتاريخ الطبري ٣/٤٠، ونهاية الأرب ١٧/٢٨١، وتاريخ الإسلام (المغازي)، ومجمع الزوائد ٦/١٥٩.

يريد صاحبيه: زيداً وجعفراً؛ ثم نزل. فلما نزل أتاه ابن عمّ له بعِرْق[1] من لحم فقال: شدّ بهذا صُلبَك، فإنّك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده ثم انتهس[2] منه نهسة، ثم سمع الحَطْمة[3] في ناحية الناس، فقال: وأنت في الدنيـا! ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه فتقدّم، فقاتل حتى قُتل.

امارة خالد: ثم أخذ الراية ثابتُ بن أقرم أخو بني العَجْلان، فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل. فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فلما أخذ الراية دافع القوم. وخاشى[4] بهم، ثم انحاز وانْحِيز عنه، حتى انصرف بالناس[5].

الرسول يتنبّأ بما حدث: **قال ابن إسحاق:** ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ، فيما بلغني: «أخذ زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قُتل شهيداً»؛ قال: ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيّرت وجوه الأنصار، وظنّوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون، ثم قال: «ثم أخذها عبد الله بن رَواحة فقاتل بها حى قُتل شهيداً»؛ ثم قال: «لقد رُفعوا إليّ في الجنة، فيما يرى النائم، على سُرُر

---

(١) العِرْق: عَظْم عليه بعض اللحم.
(٢) انتهس: أخذ اللحم بمقدَّم أسنانه ونَتْشه.
(٣) الحَطْمة: كسْر الناس لبعضهم.
(٤) والمخاشاة. المحاجزة، وهي مفاعلة من الخشية، لأنه خشي على المسلمين لقلّة عددهم فقد قيل: كان العدوّ مائتي ألف من الروم، وخمسين ألفاً من العرب، ومعهم من الخيول والسلاح ما ليس مع المسلمين، وفي قول ابن إسحاق: وكان العدوّ مائة ألف وخمسين ألفاً: وقد قيل: إنّ المسلمين لم يبلغ عددهم في ذلك اليوم ثلاثة آلاف، ومن رواه: حاشَى بالحاء المهملة، فهو من الحشي، وهي الناحية، وفي رواية قاسم بن أصبغ عن ابن قُتيبة في المعارف أنه سئل عن قوله: حاشى بهم، فقال: معناه: انحاز بهم. (الروض الأنف ٨١/٤).
(٥) تاريخ الطبري ٣٩/٣، ٤٠، تاريخ الإسلام (المغازي)، نهاية الأرب ٢٨١/١٧، ٢٨٢، الكامل في التاريخ ٢٣٧/٢، ٢٣٨.

من ذهب، فرأيت في سرير عبد الله بن رَواحة ازوراراً[1] عن سريرَيْ صاحبيه، فقلت: «عمّ هذا؟ فقيل لي: مضيا وتردّد عبد الله بعض التردّد، ثم مضى»[2].

حزن الرسول على جعفر: قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الله بن أبي بكر، عن أمّ عيسى الخُزاعية، عن أمّ جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب، عن جدّتها أسماء بنت عُمَيْس، قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل عليّ رسول الله ﷺ وقد دبغت أربعين منّاً ـ قال ابن هشام: ويُروى أربعين منيئة ـ وعجنت عجيني، وغسّلت بَنيّ ودهنتهم ونظّفتهم. قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: «ائتيني ببني جعفر»؛ قالت: فأتيته بهم، فتشمّمهم وذرفَتْ عيناه، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي، ما يُبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: «نعم، أصيبوا هذا اليوم». قالت: فقمت أصيح، واجتمعت إليّ النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله، فقال: «لا تُغفِلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً، فإنّهم قد شُغِلوا بأمر صاحبهم»[3].

---

(١) الازورار: الميل.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٦٠ رواه الطبراني ورجاله ثقات. وانظر الطبقات لابن سعد ٢/١٣٠، ونهاية الأرب ١٧/٢٨٢، وتاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) وهذا أصل في طعام التعزية وتسميه العرب: الوضيمة، كما تسمّي طعام العرس: الوليمة، وطعام القادم من السفر: النقيعة، وطعام البناء: الوكيرة، وكان الطعام الذي صُنع لآل جعفر فيما ذكر الزُبير، في حديث طويل عن عبد الله بن جعفر قال: فعمدت سلمى مولاة النبيّ ﷺ إلى شعير، فطحنته، ثم آدمته بزيت وجعلت عليه فلفلاً، قال عبد الله، فأكلت منه، وحبسني النبيّ ﷺ مع إخوتي في بيته ثلاثة أيام. (الروض الأنف ٤/٨١، ٨٢).

والحديث روى بعضه ابن ماجه، ورواه أحمد. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٦١: وفيه امرأتان لم أجد مَن وثّقهما ولا جرحهما، وبقية رجاله ثقات. انظر: المسند لأحمد ٦/٢٧٠، وابن ماجه في الجنائز (١١٦١) باب ما جاء في الطعام يبعث لأهل الميت. ومسند الشافعي ١/٢٠٨، والأم له أيضاً ١/٢٧٤، وسنن الدارقطني ١٩٠ و١٩٧، والسنن الكبرى للبيهقي ٤/٦١، وسنن أبي داود في الجنائز (٣١٣٢) باب صنع الطعام لأهل الميت، وسنن الترمذي في الجنائز (٩٩٨) باب في الطعام يصنع لأهل الميت، وأخرجه ابن ماجه أيضاً في الجنائز (١٦١٠) باب ما جاء في الطعام يُبعث إلى أهل الميت. وكلهم من طريق: سفيان بن عُيينة، عن جعفر بن خالد، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر. وقد صحّحه الحاكم في المستدرك ١/٣٧٢ ووافقه الذهبي في التلخيص، وهو كما قالا. (سير أعلام النبلاء =

وحدثني عبد الرحمن بن القاسم بن محمد، عن عائشة زوج النبيِّ ﷺ، قالت: لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله الحزن. قالت: فدخل عليه رجل فقال: يا رسول الله، إنّ النساء عَنَّيْنَنا وَفَتَنَّنا: قال: «فارجع إليهنّ فأسكِتْهنّ». قالت: فذهب ثم رجع، فقال له مثل ذلك ـ قال: تقول وربما ضرّ التكلّف أهله ـ قالت: قال: «فاذهب فأسكتهنّ، فإنْ أَبَيْن فاحث في أفواههنّ التراب»، قالت: وقلت في نفسي: أبعدك الله! فوالله ما تركتَ نفسك وما أنت بمطيعٍ رسولَ الله ﷺ. قالت: وعرفت أنه لا يقدر على أن يحثي في أفواههنّ التراب[1].

قال ابن إسحاق: وقد كان قُطبة بن قَتادة العُذْريّ، الذي كان على ميمنة المسلمين، قد حمل على مالك بن زافلة فقتله، فقال قُطبة بن قتادة:

طعنتُ ابنَ زافلة بن الإرا ... ش برُمحٍ مضى فيه ثم انحطم
ضربتُ على جِيده ضَربةً ... فمال كما مال غُصن السَّلَم[2]
وسُقْنا نساءَ بني عمّه ... غداة رقوقين[3] سَوْق النَّعَم

قال ابن هشام: قوله: «ابن الإراش» عن غير ابن إسحاق.
والبيت الثالث عن خلّاد بن قُرّة؛ ويقال: مالك بن رافلة.

ما قالته كاهنة حَدَس: قال ابن إسحاق: وقد كانت كاهنة من حَدَس حين سمعت بجيش رسول الله ﷺ مقبلاً، قد قالت لقومها من حَدَس، وقومها بطن يقال لهم بنو غَنْم ـ أنذركم قوماً خُزْراً[4]، ينظرون شزْراً[5]، ويقودون

= ٢١١/١) وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٠٨/٢ رقم ٢٤٧٢.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب مَن جلس عند المصيبة يُعرف فيه الحزن. ومسلم في الجنائز (٩٣٥) باب التشديد في النياحة. والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي).
(٢) السلم: شجر العَضَاة. نوع من الأشجار تؤخذ منه الصبغة.
(٣) رقوقين: اسم موضع.
(٤) الخُزر: من يضيّقون عيونهم وينظرون.
(٥) الشزْر: نظر العداوة.

الخيل تترى[1]، ويهريقون دماً عَكْراً. فأخذوا بقولها، واعتزلوا من بين لَخْم؛ فلم تزل بعُد أثْرى حَدَس. وكان الذين صَلَوُا الحربَ يومئذ بنو ثعلبة، بطن من حَدَس، فلم يزالوا قليلاً بعد. فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلاً[2].

الرسول يلتقي بالأبطال: قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن جعفر بن الزُبير، عن عُروة بن الزُبير، قال: لما دَنَوا من حول المدينة تلقّاهم رسول الله ﷺ والمسلمون. قال: ولقيهم الصبيان يشتدّون، ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابّة، فقال: «خذوا الصبيان فاحملوهم، أعطوني ابنَ جعفر»، فأُتي بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه. قال: وجعل الناس يحثُون على الجيش التراب، ويقولون: يا فُرّار، فررتم في سبيل الله! قال: فيقول رسول الله ﷺ: «ليسوا بالفُرّار، ولكنّهم الكُرّار إن شاء الله تعالى»[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر، عن عامر بن عبد الله بن الزُبير، عن بعض آل الحارث بن هشام وهم أخواله، عن أمّ سَلَمة زوج النبيّ ﷺ، قال: قالت أمّ سَلَمَة زوج النبيّ ﷺ، قال: قالت أمّ سَلَمَة بن هشام بن العاص بن المغيرة: مالي لا أرى سَلَمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين؟ قالت: والله ما يستطيع أن يخرج، كلما خرج

---

(١) في تاريخ الطبري ٣/٤١ «بُتْراً».

(٢) تاريخ الطبري ٣/٤١، ٤٢.

(٣) ورواية غير ابن إسحاق أنهم قالوا للنبيّ ﷺ: نحن الفرّارون يا رسول الله؟ فقال: «بل أنتم الكرّارون»، وقال لهم: «أنا فئتكم»، يريد: أنّ مَن فرّ متحيّزاً إلى فئة المسلمين فلا حرج عليه، وإنّما جاء الوعيد فيمن فرّ عن الإمام، ولم يتحيّز إليه، أي لم يلجأ إلى حوزته، فيكون معه، فالمتحيّز متفَيْعل من الحَوْز، ولو كان وزنه متفعّلاً كما يظنّ بعض الناس لقيل فيه: متحوّز: ورُوي أنّ عمر رضي الله عنه حين بلغه قتل أبي عُبيد بن مسعود وأصحابه في بعض أيام القادسية، قال: هلّا تحيّزوا إلينا، فإنّا فئة لكل مسلم. (الروض الأنف ٤/٨١).

والحديث أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/١٢٩، والطبري في تاريخه ٣/٤٢، وابن الأثير في الكامل ٢/٢٣٨، والنويري في نهاية الأرب ١٧/٢٨٢، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي).

صاح به الناس: يا فُرّار، فررتم في سبيل الله، حتى قعد في بيته فما يخرج[1].

ما قيل من الشِعرفي غزوة مُؤتة: قال ابن إسحاق: وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم، قيس بن المسحر اليَعْمُريّ، يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس:

فوالله لا تَنْفَكُّ نفسي تلومُني ... على موقفي والخيلُ قابعةٌ قُبْلُ[2]
وقفتُ بها لا مستجيراً[3] فنافذاً ... ولا مانعاً من كان حُمَّ له القتْلُ
على أنني آسيتُ نفسي بخالدٍ ... ألا خالدٌ في القوم ليس له مِثلُ
وجاشَتْ إليَّ النفس من نحو جعفرٍ ... بمؤتة إذ لا ينفع النابلَ النَّبْلُ
وضَمَّ إلينا حَجْزَتَيْهم[4] كلَيْهِما ... مُهاجرةٌ لا مشركون ولا عُزْلُ

فبيّن قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره، أنّ القوم حاجزوا وكرهوا الموت، وحقّق انحياز خالد بمن معه.

قال ابن هشام: فأما الزُّهْريّ فقال فيما بَلَغنا عنه: أمَّر المسلمون عليهم خالد بن الوليد، ففتح الله عليهم، وكان عليهم حتى قفل إلى النبيّ ﷺ.

قال ابن إسحاق: وكان مما بُكي به أصحاب مُؤتة من أصحاب رسول الله ﷺ قول حسّان بن ثابت:

تأوّبني[5] ليلٌ بيثربَ أعسرُ ... وهَمٌّ إذا ما نَوّم الناسُ مُسْهِرُ
لِذكْرَى حبيب هيّجتْ ليَ عَبرةً ... سَفُوحاً وأسبابُ البكاء التذكر

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٢، تاريخ الإسلام (المغازي).
(٢) القُبْل: إقبال نظر كل من العينين على الآخر.
(٣) في سيرة ابن كثير ٣/٤٧٤ «مُستَحيزاً».
(٤) حجزتيهم: ناحيتهم.
(٥) تأوّبني: عاودني ورجع إليّ.

بَلَى إنّ فِقدان[1] الحبيب بليّةٌ   وكم من كريم يُبتَلَى ثم يصبر
رأيتُ خيارَ المؤمنين تواردُوا   شَعوبَ وخلْفاً بعدهمْ يتأخّر
فلا يُبْعِدنّ اللهُ قتلى تتابَعُوا   بمؤتةَ منهم ذو الجناحين جعفر
وزيدٌ وعبد الله حين تتابعوا   جميعاً وأسبابُ المنيةِ تَخْطِر
غداةَ مضَوا بالمؤمنين يقودُهم   إلى الموت ميمونُ النقيبة أزهر
أغرُّ كضوء البدر من آل هاشم   أبيٌّ إذا سِيمَ الظُّلامةَ مجْسَر[2]
فطاعن حتّى مال غير مُوَسَّد   لمعُتَرَكٍ فيه قَناً متكَسّر[3]
فصار مع المستشهدين ثوابُهُ   جِنانٌ وملتفُّ الحدائقِ أخضر
وكنّا نرى في جَعفر من محمد   وفَاءً وأمراً حازماً حين يأمر
فما زال في الإسلام من آل هاشم   دعائمُ عزٍّ لا يُزلْن ومَفْخَر
همُ جبلُ الإسلام والناسُ حولهم   رِضامٌ إلى طودٍ يَرُوق ويقهر[4]
بهاليلُ[5] منهم جعفر وابن أمّه   عَليٌّ ومنهم أحمدُ المتخيَّر
وحمزة والعبّاس منهم ومنهمُ   عَقيلٌ وماء العود من حيث يُعصر
بهم تُفْرَج للأواء في كل مأزقٍ   عَماسٍ[6] إذا ما ضاق بالناس مَصدر
همُ أولياءُ الله أنزل حُكمه   عليهم، وفيهم ذا الكتاب المطهّر

وقال كعب بن مالك:

نام العيونُ ودمع عينك يَهْمُلُ   سحّاً كما وكَفَ الطّبابُ[7] المُخْضلُ
في ليلة وردتْ عليّ هُمومُها   طوراً أحِنّ وتارةً أتململ

---

(١) في ديوان حسّان «بلاء وفقدان».
(٢) المِجْسَر: المقدام الجسور.
(٣) في ديوان حسّان «فيه القنا يتكسّر».
(٤) الرِضام: الحجارة المرضومة، وهي المجموعة فوق بعضها. الطود: الجبل.
(٥) البهاليل: السادة.
(٦) العمَاس: المظلم.
(٧) الطّباب: جمع طَبابة، وهي سير بين خرزتين في المزادة، فإذا كان غير مُحكم وكف منه الماء. (الروض الأنف ٤/٨٣).

واعتـادني حـزنٌ فبتّ كـأنّـني		بنـاتِ نَعْشٍ والسِّماكِ مُـوَكَّـل[1]
وكـأنّمـا بين الجـوانـح والحَشَى		ممـا تـأوّبني شهـاب مُـدخَـل
وَجْداً على النفر الـذين تتـابعـوا		يـومـاً بمؤتـة أسنـدوا لم يُنقلوا
صلّى الإلٰهُ عـليهـم من فتـيـةٍ		وسقى عـظامهمُ الغمـام المسبـل
صبـروا بمؤتـة لـلإلـه نفـوسَهمْ		حَـذَرَ الـرَّدى ومخـافـةَ أن يَنْكُلُوا
فمضـوا أمـام المسلمين كـأنّهـمْ		فُنُقٌ عليهنّ الحـديـد المُـرْفَـلُ[2]
إذ يـهـتـدون بـجـعـفـر ولـوائـه		قُـدّامَ أوّلـهـمْ فـنـعـم الأول
حتى تفـرّجتِ الصفـوفُ وجعفـرٌ		حيث التَقى وعْثُ[3] الصفوف مُجدّل
فتغيّـر القـمـر المُنيـر لـفقـده		والشمسُ قـد كَسَفَتْ وكـادتْ تـأفـل
قَـرْمٌ[4] عَـلا بُنيـانُـه من هـاشمٍ		فَـرْعـاً أشَمَّ وسؤدَداً مـا يُـنْـقـل
قـومٌ بـهـم عـصَـم الإلٰه عـبـاده		وعليهـمُ نـزل الكتـابُ المُـنْـزَل
فَضَلوا المعـاشـر عِـزّة وتكـرُّمـاً		وتغمَّـدتْ أحـلامُهُمْ من يَجـهـل
لا يُـطْلِقـون إلى السُّفـاهِ حُبـاهُمُ		ويُـرَى خـطيبهُمُ بحـقٍّ يَفـصِـل
بِيضُ الـوجـوه تُـرَى بُـطونُ أكُفِّهمْ		تَنْـدَى إذا اعتـذرَ الـزمـانُ المُمْحِـل
وَبِهَـديهِمْ رضي الإلـه لـخـلقِـهِ		وبحَـدّهمْ نُصِـر النبيُّ المـرسَـل

وقال حسّان بن ثابت يبكي جعفرَ بن أبي طالب رضي الله عنه:

ولقـد بكيتُ وعَـزَّ مُهْلَكُ جعفـرٍ		حِبُّ النَّبيِّ عـلى البـريّـةِ كـلّهـا
ولقـد جـزِعت وقلتُ حين نُعِيتَ لي		منْ للجِـلادِ لـدى العُقـاب وظلّهـا[5]

---

(١) بنات نعش نوعان: الكبرى وهي سبعة كواكب تُشاهد جهة القطب الشمالي. والصغرى: سبعة كواكب قرب بنات نعش الكبرى. والسِّماك: هما سماكان. نجمان نيّران أحدهما في الشمال ويُعرف «بالرامح» والثاني في الجنوب ويعرف «بالأعزل». والمعنى أنه من طول سهره بات يرعى النجوم.
(٢) الفُنُق: فحول الإبل. المُرْفَل: السابغ.
(٣) الوعث: الالتحام.
(٤) قَرْم: سيد.
(٥) العُقاب: اسم راية من رايات الرسول عليه السلام.

بـالبِيض حين تُسَلّ من أغمـادها ... ضَـرْبـاً وإنهالِ الـرمـاحِ وعلّها[1]
بعـد ابن فـاطمـةَ المُبارك جعفـر ... خيـر البـريّـة كـلّهـا وأجلّهـا
رُزْءاً وأكـرمهـا جميعـاً محتـداً ... وأعـزّهـا مُـتـظلّمـاً وأذلّـهـا
للحقّ حين ينـوبُ غيـر تَنَحُّـل ... كـذِبـاً، وأنْـداهـا يـداً، وأقلّهـا[2]
فحشـاً، وأكثـرهـا إذا مـا يُجْتَـدَى[3] ... فضْـلاً، وأبْـذلها نَـدَى، وأبلّهـا
بـالعُـرف غيـرَ محمـدٍ لامثلُه ... حيٌّ من أحيـاء البـريّـة كـلّهـا[4]

وقـال حسّان بن ثـابت في يوم مؤتـة يبكي زيدَ بن حـارثـة وعبـد الله بن رَواحـة:

عينِ جُـودي بـدمعـك المنـزورِ[5] ... واذكُـري في الـرّخـاء أهـل القبـورِ

---

(١) الإنهال: الشرب الأول. وعلّها: شربها الثاني.

(٢) في هـذا البيت والبيتين اللذين قبله والبيت الذي بعـده تضمين، فقولـه: وأذلّها، ثم قـال في أول بيت آخر: للحقّ، وكذلك قال في البيت الآخر: وأقلّها، وقال في الذي بعده فحشاً..
وذكر قُدامة في كتاب (نقد الشعر) أنه عيب عند الشعراء، ولَعَمْري إنّ فيه مقالاً، لأنّ آخر البيت يوقف عليه، فيوهم الذَّمّ في مثل قوله: وأذلّها، وكذلك. وأقلّهـا، وقد غلب الـزبرقـان على المخبّل السعديّ بكلمة قالها وإنْ كان المخبّل أشعر منه، ولكنّه لما قال يهجوه:
وأبـوك بـدر كـان ينـتـهـز الـخـصـي ... وأبـي الـجـواد ربـيـعـة بـن قـتـال
وصل الكلام بقوله: وأبي، فقال له الزِّبْرقان: فلا بأس إذاً، فضحك من المخبّـل، وغلب عليه الزبرقان، فإذا كان هذا معيّباً في وسط البيت، فأحرى أن يُعاب في آخره، إذا كان يوهم الذم ولا يندفع ذلك الوهم إلّا بالبيت الثـاني، فليس هذا من التحصين على المعـاني والتوقي للاعتراض. (الروض الأنف ٤/٨٣، ٨٤).

(٣) الاجتداء: طلب المعروف.

(٤) البيت في الديوان لفظه:
غـلْ خَيْـرِ بعـدَ محمـدٍ لا شِبهُـهُ ... بَـشَـرٌ يُعـدُّ مـن البـريّـة جُـلُّهـا

(٥) النـزر: القليل، ولا يحسن ههنـا ذِكْر القليـل، ولكنه من سـزرت الـرجـل إذا ألحـحت عليه، ونزرت الشيء إذا استنفدته ومنه قول عمر ـ رحمه الله ـ نزرت رسـول الله ـ ﷺ ـ والأصحّ فيـه التخفيف.
قال الشاعر:
فـخـذ عفـو مَـن تـهـواه لا تـنـزرنـه ... فـعـنـد بـلوغ الـكـدرنـق الـمـشـارب
(الروض الأنف ٤/٨٤).

واذكري مؤتةً وما كان فيها ... يوم راحوا في وقعة التغوير
حين راحوا وغادروا ثَمَّ زيداً ... نِعْم مأوى الضَّرِيكِ[1] والمأسور
حِبَّ خيرِ الأنام طُرّاً جميعاً ... سيِّد الناس حُبُّه في الصّدور
ذاكُمُ أحمدُ الذي لاسِواه ... ذاك حُزني له معاً وسروري
إنّ زيداً قد كان منّا بأمر ... ليس أمر المكذِّب المغرور
ثم جُودي للخزرجي بدمع ... سيِّداً كان ثمّ غير نَزُور[2]
قد أتانا من قتلهم ما كفانا ... فبحُزْن نَبِيت غير سُرور

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من غزوة مُؤْتة:

كَفَى حُزْناً أنّي رجعتُ وجعفر ... وزيد وعبدُ الله في رَمْس أقْبُرِ
قَضَوا نحبَهمْ لما مَضَوا لسبيلهم ... وخُلِّفْتُ للبلوى مع المتغيِّر[3]
ثلاثة رَهْط قُدّموا فتقدّموا ... إلى وِرْد مَكْروه من الموت أحمر

تسمية شهداء مؤتة[4]: وهذه تسمية من استُشهد يوم مُؤتة.

من قريش، ثم من بني هاشم: جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وزيد بن حارثة رضي الله عنه.

ومن بني عدِيّ بن كعب: مسعود بن الأسود[5] بن حارثة بن نضلة.

ومن بني مالك بن حِسْل: وهْب بن سعد بن أبي سرح.

ومن الأنصار ثم من بني الحارث بن الخزرج: عبد الله بن رَواحة، وعبّاد بن قيس.

---

(١) الضريك: الفقير.

(٢) النَّزُور: قليل العطاء.

(٣) المتغيِّر: الباقي.

(٤) انظر أسماءهم في: المغازي لعروة ٢٠٦، والمغازي للواقدي ٢/٧٦٩، ومجمع الزوائد ٦/١٦١، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والبداية والنهاية ٤/٢٥٩، ونهاية الأرب ١٧/٢٨٣، وعيون الأثر ٢/١٥٦.

(٥) في تاريخ الإسلام (المغازي): «مسعود بن سويد».

ومن بني غُنْم بن مالك بن النّجّار: الحارث بن النُعمان بن أساف بن نضْلة بن عبد بن عوف بن غُنْم.

ومن بني مازن بن النجّار: سُراقة بن عمرو بن عطيّة بن خنساء.

قال ابن هشام: وممن استُشهد يوم مؤتة، فيما ذكر ابن شهاب:

من بني مازن بن النجّار: أبو كُلَيب وجابر، ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول وهما لأبٍ وأم.

ومن بني مالك بن أفصى: عمرو وعامر، ابنا سعد بن الحارث بن عبّاد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى.

قال ابن هشام؛ ويقال أبو كلاب[1] وجابر، ابنا عمرو.

---

(١) وهو المعروف عندهم، وقيل أبو كليب، قال أبو عمر: لا يُعرف في الصحابة أحد يقال له: أبو كليب. (الروض الأنف ٤/٨٤) وأنظر تاريخ الإسلام (المغازي).

ذكر الأسباب الموجبة للسير إلى مكة، وذكر فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمانٍ[1]

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بعد بعثه إلى مؤتة جُمادى الآخرة ورجباً.

ما وقع بين بني بكر وخُزاعة: ثم إنّ بني بكر بن عبد مَناة بن كِنانة عَدَت على خُزاعة، وهم على ماءٍ لهم بأسفل مكة يقال له: الوتير، وكان هاج ما بين بني بكر وخُزاعة أنّ رجلاً من بني الحضْرميّ، واسمه مالك بن عبّاد ـ وحلف الحضْرميّ يومئذ إلى الأسود بن رَزْن[2] ـ خرج تاجراً، فلما توسّط أرض خُزاعة، عَدَوْا عليه فقتلوه، وأخذوا ماله، فعَدَت بنو بكر على

(١) انظر عن فتح مكة المكرّمة في:
المغازي لعروة ٢٠٨ ـ ٢١٢، والمغازي للواقدي ٢/٧٨٠ ـ ٨٧١، وصحيح البخاري ٥/٨٩ ـ ٩٨، وتاريخ خليفة ٨٧، والمحبّر ١٩٥، والطبقات الكبرى ٢/١٣٤ ـ ١٤٥، وتاريخ الطبري ٣/٤٢ ـ ٦٥، وأنساب الأشراف ١/٣٥٣ ـ ٣٦٤، والمعرفة والتاريخ ٣/٢٥٩ ـ ٢٦١، والبدء والتاريخ ٤/٢٣٢ ـ ٢٣٥، والكامل في التاريخ ٢/٢٣٩ ـ ٢٥٥، ونهاية الأرب ١٧/٢٨٧ ـ ٣١٤، ومجمع الزوائد ٦/١٦١ ـ ١٧٨، وسيرة ابن كثير ٣/٥٢٦ ـ ٥٩٠، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون الأثر ٢/١٦٣ ـ ١٨٤، وعيون التواريخ ١/٢٨٨ ـ ٣١٣، ومرآة الجنان ١/١٥، والروض الأنف ٤/٩٥ ـ ١٢١، وتاريخ اليعقوبي ٢/٥٨ ـ ٦١.

(٢) ذكر الشيخ الحافظ أبو بحر أنّ أبا الوليد أصلحه: رزنا بكسر الراء، قال: والرِّزْن: نقرة في حجر يمسك الماء، وفي كتاب العين: الرزن أكَمَة تُمسك الماء، والمعنى متقارب، وذكر أنّ بني رَزْن من بني بكر، وقد قيل فيه: الدئل. (الروض الأنف ٤/٩٥).

رجل من خُزاعة فقتلوه، فعدت خُزاعة قُبيل الإسلام على بني الأسود بن رَزْن الديلي - وهم منْخر بني كِنانة وأشرافهم - سَلْمى وكلثوم وذُؤَيب - فقتلوهم بعَرَفة عند أنصاب الحَرَم[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني رجل من بني الدِّيل، **قال**: كان بنو الأسود بن رَزْن يُودَّوْن في الجاهلية دِيتَين دِيتَين، ونُودَّى دِيةً دِيةً، لفضلهم فينا[2].

قال ابن إسحاق: فبينا بنو بكر وخُزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام، وتشاغل الناس به. فلما كان صُلح الحُدَيبية بين رسول الله وبين قريش، كان فيما شرطوا لرسول الله ﷺ وشرط لهم، كما حدّثني الزُّهْريّ، عن عُروة بن الزُّبير، عن المِسْوَر بن مَخْرمة ومروان بن الحَكَم، وغيرهم من علمائنا: أنه من أحبّ أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل فيه، ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعقدهم فليدخل فيه؛ فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، ودخلت خُزاعة في عقد رسول الله وعهده[3].

قال ابن إسحاق: فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الديل من بني بكر من خُزاعة، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك الذين أصابوا منهم ببني الأسود بن رَزْن، فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بني الديل، وهو يومئذ قائدهم، وليس كل بني بكر تابعه حتى بيَّت خُزاعة وهم على الوتير، ماء لهم، فأصابوا منهم رجلاً، وتحاوزوا واقتتلوا، ورفدت بني بكر قريشٌ بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخْفياً، حتى حازوا[4] خُزاعة إلى الحرم، فلما انتهوا إليه، قالت بنو بكر: يا نوفل، إنّا قد دخلنا الحرم، إلهك إلهك، فقال: كلمة عظيمة، لا إله له اليوم، يا بني بكر أصيبوا

---

(١) أنصاب الحرم هنا: حجارة توضع بين الحلّ والحرم للفصل بينهما.
(٢) تاريخ الطبري ٤٣/٣.
(٣) تاريخ الطبري ٤٣/٣.
(٤) حازوا: ساقوا.

ثأركم، فلَعَمْري إنّكم لتُسْرَقون في الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه؟! وقد أصابوا منهم ليلة بيّتوهم بالوتير رجلاً يقال له مُنبّه وكان منبّه رجفلا مفئوداً[1] خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد، وقال له منبه: يا تميم، انجُ بنفسك فأمّا أنا فوالله إنّي لميّت، قتلوني أو تركوني، لقد انْبَتَّ[2] فؤادي، وانطلق تميم فأفلت، وأدركوا منبّهاً فقتلوه، فلما دخلت خُزاعة مكة، لجئوا إلى دار بُدَيل بن ورقاء، ودار مولى لهم يقال له رافع[3]؛ فقال تميم بن أسد يعتذر من فراره عن منبّه:

لما رأيتُ بني نُفاثةَ أقبلوا ... يَغْشَوْن كلّ وتيرة وحجاب[4]
صخْراً ورَزْناً لا عَريبَ سِواهُمُ ... يُزْجُون كلَّ مقلّص خَنّاب[5]
وذكرتُ ذَحْلاً[6] عندنا متقادماً ... فيما مضى من سالف الأحقاب
ونَشَيْتُ[7] ريحَ الموتِ من تِلْقائهم ... ورهِبْتُ وَقْع مُهَنَّد قَضّاب
وعرفتُ أنّ منْ يَثْقَفوه يتركوا ... لحماً لِمُجْرِيةٍ وشلْوَ غُراب[8]
قوّمتُ رجْلاً لا أخاف عِثارَها ... وطرحت بالمتْن[9] العراء ثيابي
ونجوتُ لَا ينجو نجائي أحقبٌ ... عِلْجٌ أقبُّ مشمّر الأقْراب[10]

---

(١) مفئوداً: ضعيف الفؤاد.

(٢) انْبَتّ: انقطع.

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٤٤ وتاريخ الإسلام (المغازي).

(٤) الوتيرة: الأرض الممتدة. الحجاب: ما اطمأنّ من الأرض.

(٥) لا عريب: لا أحد. المقلّص: الفرس طويل القوائم، مُنْضَمّ البطن. الخنّاب: واسع المِنْخَرين.

(٦) الذَّحْل: طلب الثأر.

(٧) نَشَيْت: شممت.

(٨) المُجْرية: اللبؤة التي لها جراء أي أبناء، الشلْو: بقية الجسد.

(٩) المتن: ظهر الأرض.

(١٠) نجوت: أسرعت. والأحقب: حمار الوحش أبيض العجْز. علْج: غليظ. أقبّ: ضامر البطن. مشمّر الأقراب: مُنقبض الخواصر.

تَلْحَى ولو شهِدَتْ لكان نكيرُها ... بَوْلاً يُبلّ مشافرَ القَبْقاب[1]
القومُ أعلم ما تركت مُنَبَّهاً ... عن طِيب نفْسٍ فاسألي أصحابي

قال ابن هشام: وتُروى لحبيب بن عبد الله الأعلم الهُذْليّ. وبيته: «وذكرت ذحلاً عندنا متقادماً» عن أبي عُبيدة، وقوله «خنّاب» و«علج أقبّ مشمّر الأقراب» عنه أيضاً.

قال ابن إسحاق: وقال الأخزر بن لُعْط الدِّيليّ، فيما كان بين كِنانة وخُزاعة في تلك الحرب:

ألا هل أتى قُصْوى الأحابيش أنّنا ... رَدَدْنا بني كعب بأفْوَق ناصِل[2]
حبسناهم في دارة العبد رافعٍ ... وعند بُدَيلٍ مَحْبِساً غير طائل
بدار الذّليلِ الآخذِ الضَّيْم بعدما ... شَفَيْنا النفوسَ منهُمُ بالمَناصِل
حبسناهُمُ حتّى إذا طال يومُهم ... نفحْنا لهم من كلّ شِعْبٍ بوابل[3]
نذبحهم ذِبْحَ التّيوس كأنّنا ... أُسودٌ تَبارَى فيهمُ بالقواصل
همُ ظلمونا واعتدَوْا في مسيرهم ... وكانوا لدى الأنصاب أولَ قاتل
كأنّهم بالجِزْع إذ يطردونهم ... قفاثور حُفّان النعام الجوافل[4]

(١) تلْحَى: تلوم، المشافر: الجوانب. القَبقاب: الفرْج.

(٢) الأحابيش: من تعاهدوا مع قريش وليسوا منهم. الأفوق: السهم الذي انكسر طرفه الذي يلي الوَتَر. والناصل: الذي زال نصْله.

(٣) نفحنا: وسعنا. والشِعْب: ما استوى بين الجبلين. الوابل: في الأصل المطر الشديد وأراد به هنا الدفعة من الخيل.

(٤) الجِزع: ما انعطف من الوادي. قفاثور، يعني: الجبل، وقفا ظرف الفعل الذي قبله، وقال؛ قفاثور: ولم ينوّن لأنه اسم علمٍ مع ضرورة الشعر، قيل، ولو قال: قفاثور بنصب الراء، وجعله غير منصرف، لم يبعد لأنّ ما لا تنوين فيه، وهو غير معرَّفٍ بألِفٍ ولامٍ ولا إضافة، فلا يدخله الخفض لئلّا يشبه ما يضيفه المتكلّم إلى نفسه، وقفاثور بهذا اللّفظ تقيّد في الأصل، وظاهر كلام البرقي في شرح هذا البيت أنه بفاثور لأنه قال: الفاثور سَبيكة الفضة، وكأنه شبّه المكان بالفضّة لنقائه واستوائه، فإنْ كانت الرواية كما قال، فهو اسم موضع، والفاثور: خِوَان من فضّة، ويقال: إبريق من فضة. قيل ذلك في قول جميل: =

فأجابه بُدَيل بن عبد مَناة بن سَلَمة بن عمرو بن الأجبّ، وكان يقال له: بُدَيل ابن أم أصرم، فقال:

تفاقَدَ قومٌ يفخرون ولم نَدَعْ ... لهم سيِّدا يَنْدُوهُمُ[1] غيرَ نافِل

أمِنْ خِيفَةِ القوم الأُلَى تزدريهمُ ... تُجيز الوَتِير[2] خائفاً غير آئِل

وفي كل يوم نحن نحبو[3] حِباءنا ... لعقْل ولا يُحبَى لنا في المعاقل

ونحن صبَحنا بالتَّلاعة داركمْ ... بأسيافنا يَسبقْن لوم العواذل

ونحن منعنا بين بَيْض وعِتْودِ ... إلى خَيْف رَضْوَى من مَجَرّ القنابل[4]

ويومَ الغَميم قد تكَفَّتَ ساعياً ... عُبَيْسٌ فجعناهُ بجَلْد حُلاحل[5]

أإن أجْمَرت في بيتها أمُّ بعضكم ... بجُعموسها تنزُونَ أنْ لم نُقاتل[6]

= وصدر كفاثور اللُّجَيْن وجِيد

وفي قول لَبِيد:

حقائبهم راح عتيق ودرمك ... ومَسْك وفاثورية وسلاسل

وكما قال البرقي: ألفيته في نُسَخٍ صحيحة سوى نُسخة الشيخ، وإنْ صحّ ما في نسخة الشيخ فهو كلام حُذف منه ومعناه: قفًا فاثور، وحسُن حذف الفاء الثانية، كما حسُن حذف اللام الثانية في قولهم: علماء بني فلان لا سيما مع ضرورة الشعر، وترك الصرف، لأنه جعله اسم بقعة، ومن الشاهد على أنّ فاثور اسم بقعة قول لَبِيد:

ويوم طعنتم فاسمعدت وفودكم ... بأجماد فاثور كريم مصابر

أي أنا كريم مصابر، ولذلك قال البكري ولم يذكر فيه اختلافاً. وقال هو اسم جبل يعني فاثور. وقال ابن مقبل:

حيّ محاضرهم شتّى وجمعهم ... دَوْم الإياد، وفاثور إذا انتجعوا

وقال لبِيد:

ولدى النُّعمان منّي موطنٌ ... بين فاثور أفاق فالدخل

وحُفّان النَّعام: صغارها، وهو مرفوع لأنه خبر كأن. (الروض الأنف ٤/٩٦).

(١) يندوهم: يجمعهم في النادي.

(٢) الوتير: ماء لخزاعة.

(٣) نحبو: نُعطي.

(٤) بيض منازل بني كِنانة. والعِتْوَد: ماء لهم. الخَيْف: ما انحدر من الجبل. رضوى: جبل بالمدينة.

(٥) الغميم: مكان بين مكة والمدينة. تكَفَّتَ: حاد. عُبيس: اسم رجل. الحُلاحل: السيّد.

(٦) أجمرت: ضرب من الحَدَث يسمج وصفُه ويقبح الجُعْدُوس: العُذْرة.

كـذبتم وبيتِ الله مـا إن قَتَـلتُـم ... ولكنْ تـركْنـا أمـركم في بـلابـل[1]

قال ابن هشام: قوله «غير نافل»، وقوله «إلى خَيْف رَضْوى» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام: وقال حسّان بن ثابت في ذلك:

لحا الله قوماً لم نـدعْ من سَـراتهم ... لهم أحـداً يَنْـدوهُمُ غيـرَ نـاقبِ

أخُصْيَيْ حمـارٍ مات بـالأمس نوفـلاً ... متى كنتَ مِفْلاحاً عـدوّ الحقـائبِ

خُزاعة تستنجد بالرسول: قال ابن إسحاق: فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خُزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلّوا من خُزاعة، وكانوا في عقده وعهده، خرج عمرو بن سالم الخُزاعي، أحد بني كعب، حتى قدِم على رسول الله ﷺ المدنية، وكان ذلك مما هاج فتح مكة، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس، فقال:

يـا ربّ إنّـي نـاشـد مـحـمّـداً ... حـلْفَ أبيـنـا وأبيـه الأتْـلَدا[2]

قـد كـنـتـمُ وُلْـداً وكنّـا والـداً ... ثُـمَّتَ أسلمنـا فلم نَنْـزِع يـدا[3]

فـانصُرْ هـداك الله نصراً اعتَـدا ... وادعُ عـبـادَ الله يـأتـوا مـددا

فـيـهـم رسـول الله قـد تـجـرّدا ... إنْ سِيم خسفـاً وجهُـه تـربَّـدا

في فَيْلقٍ كـالبحر يجـري مُـزْبـدا ... إنّ قـريشـاً أخلفـوك المـوعـدا

ونـقـضـوا مـيـثـاقـك المـؤكَّـدا ... وجـعـلوا لـي فـي كَـدَاءٍ رُصَّـدا

---

(١) البلابل: وساوس الأفكار.

(٢) الأتلد: القديم.

(٣) يريد أنّ بني عبد مَناف أُمهم من خُزاعة، وكذلك: قُصيّ أمه: فاطمة بنت سعد الخُزاعية، والوَلد بمعنى الوُلد: وقوله: ثُمَّتَ أسلمنا هو من السلم لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد، غير أنه قال: رُكّعاً وسُجّداً، فدلّ على أنه كانَ فيهم من صلّى لله، فقُتل، والله أعلم. (الروض الأنف ٤/٩٧).

وزعموا أنْ لستُ أدعو أحَدَا وهمْ أذلّ وأقلّ عددا
همْ بيّتونا بالوتير هُجَّدا وقتّلونا رُكَّعاً وسُجَّدا[1]

يقول: قُتِلنا وقد أسلمنا.

قال ابن هشام: ويُروى أيضاً:

فانصر هداك الله نصراً أيِّدا

قال ابن هشام: ويُروى أيضاً:

نحن ولدناك فكنت ولداً

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: «نُصِرت يا عمرو بن سالم». ثم عرض لرسول الله ﷺ عَنان[2] من السماء، فقال: إنّ هذه السحابة لَتَسْتَهِلّ بنصر بني كعب»[3].

ثم خرج بُدَيل بن ورقاء في نفرٍ من خُزاعة حتى قدِموا على رسول الله ﷺ المدينة، فأخبروه بما أصيب منهم، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة، وقد قال رسول الله ﷺ للناس: «كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشدّ العقد، ويزيد في المدّة»[4]. ومضى بُدَيل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان بن حرب بعُسْفان، قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ، ليشدّ العقد، ويزيد في المدّة، وقد رهبوا الذي صنعوا؛ فلما

---

(١) الأبيات بألفاظ مختلفة في تاريخ الطبري ٤٥/٣، ومجمع الزوائد ١٦٣/٦، وتاريخ الإسلام (المغازي)، ونهاية الأرب ٢٨٧/١٧، ٢٨٨، والمغازي للواقدي ٧٨٩/٢، وسيرة ابن كثير ٥٢٧/٣، والبدء والتاريخ ٢٣٣/٤ (ثلاثة أبيات)، وأنساب الأشراف ٣٥٣/١، ٣٥٤ (أربعة أبيات)، والكامل في التاريخ ٢٤٠/٢، وعيون الأثر ١٦٤/٢، ١٦٥، وعيون التواريخ ٢٨٨/١، ٢٨٩.

(٢) عَنان: سحاب.

(٣) تاريخ الطبري ٤٥/٣، تاريخ الإسلام (المغازي)، الطبقات الكبرى ١٣٤/٢، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٤/٩ بلفظ: إنّ هذا السحاب لينصبّ بنصر بني كعب.

(٤) تاريخ الطبري ٤٥/٣، المغازي للواقدي ٧٩٢/٢.

لقي أبو سفيان بُدَيل بن ورقاء، قال: من أين أقبلت يا بُدَيل؟ وظن أنه قد أتى رسولَ الله ﷺ، قال: تسيّرت في خُزاعة في هذا الساحل، وفي بطن هذا الوادي؛ قال: أَوَ ما جئتَ محمداً؟ قال: لا؛ فلما راح بُديل إلى مكة، قال أبو سفيان: لئن جاء بُديل المدينة لقد علف بها النَّوَى، فأتى مبرك راحلته، فأخذ من بعرها ففتّه، فرأى فيه النَّوى، فقال: أحلف بالله لقد جاء بُديل محمداً[1].

أبو سفيان يطلب الصلح: ثم خرج أبو سفيان حتى قدِم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان؛ فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يا بُنية، ما أدري أرغِبْتِ بي عن هذا الفراش أم رغِبْتِ به عنّي؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مُشرك نجس، ولم أحبَّ أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ، قال: والله لقد أصابك يا بُنيّة بعدي شرّ. ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلّمه، فلم يردّ عليه شيئاً، ثم ذهب إلى أبي بكر، فكلّمه أن يكلّم له رسول الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطّاب فكلّمه، فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ؟! فوالله لو لم أجد إلاّ الذّرّ لجاهدتكم به. ثم خرج فدخل على عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها، وعندها حسن بن عليّ، غلام يدبّ بين يديها، فقال: يا عليّ، إنّك أمسُّ القوم بي رَحِماً، وإنّي قد جئت في حاجة، فلا أرجعنّ كما جئت خائباً، فاشفعْ لي إلى رسول الله، فقال: ويحك يا أبا سفيان! والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه. فالتفت إلى فاطمة فقال: يا بنية محمد، هل لك أن تأمري بُنَيّك هذا فيجير بين الناس، فيكون سيّد العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بُنَيّ ذلك

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٦.

أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله ﷺ[1] قال: يا أبا الحسن، إنّي أرى الأمور قد اشتدّت عليّ، فانصحني، قال: والله ما أعلم لك شيئاً، ولكنّك سيّد بني كنانة، فقم فأجرْ بين الناس، ثم الحقْ بأرضك، قال: أَوَ ترى ذلك مُغْنياً عنّي شيئاً؟ قال: لا والله، ما أظنّه، ولكني لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو سفيان في المسجد، فقال: أيها الناس، إنّي أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره فانطلق، فلما قدِم على قريش، قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلّمته، فو الله ما ردّ عليّ شيئاً، ثم جئت ابن أبي قُحافة فلم أجد فيه خيراً، ثم جئت ابن الخطّاب، فوجدته أدنى العدوّ.

قال ابن هشام: أعدى العدوّ.

قال ابن إسحاق: ثم جئت عليّاً فوجدته ألْيَن القوم، وقد أشار عليّ بشيءٍ صنعته، فو الله ما أدري هل يُغني ذلك شيئاً أم لا؟ قالوا: وبِمَ أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس، ففعلت، قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا، قالوا: ويلك! والله إن زاد الرجل على أن لعب بك فما يغني عنك ما قلت. قال: لا والله، ما وجدت غير ذلك[2].

---

(١) وقد ذكر أبو عُبيدة هذا محتجّاً به على من أجاز أمان الصبيّ وجواره، ومن أجاز جواز الصبيّ إنّما أجازه إذا عقل الصبيّ، وكان كالمراهق.

وقولها: ولا يجير أحد على رسول الله، وقد قال عليه السلام: يجير على المسلمين أدناهم، فمعنى هذا ـ والله أعلم ـ كالعبد ونحوه يجوز جواره، فيما قيل، مثل أن يجير واحداً من العدو أو نفراً يسيراً، وأما أن يجير على الإمام قوماً يريد الإمام غزوهم وحربهم، فلا يجوز ذلك عليهم، ولا على الإمام، وهذا هو الذي أرادت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ والله أعلم، وأما جوار المرأة وتأمينها فجائز عند جماعة الفقهاء إلاّ سحنون وابن الماجشون، فإنهما قالا: هو موقوف على إجازة الإمام، وقد قال عليه السلام لأمّ هانيء: قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء، وروى معنى قولهما عن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد. وأما جوار العبد، فجائز إلاّ عند أبي حنيفة، وقول النبيّ ﷺ: «ويجير على المسلمين أدناهم» يدخل فيه العبد والمرأة. (الروض الأنف ٤/٩٧).

(٢) تاريخ الطبري ٣/٤٦، ٤٧، تاريخ الإسلام (المغازي)، المغازي للواقدي ٢/٧٩٣، ٧٩٤.

الاستعداد لفتح مكة: وأمر رسول الله ﷺ بالجهاز، وأمر أهله أن يجهّزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها، وهي تحرّك بعض جهاز رسول الله ﷺ؛ فقال: أي بُنَيَّة: أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهّزوه؟ قالت: نعم، فتجهّز؛ قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: لا والله ما أدري، ثم إنّ رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجدّ والتهيّؤ، وقال: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها»[1]. فتجهّز الناس.

فقال حسّان بن ثابت يحرّض الناس، ويذكر مُصاب رجال خُزاعة:

عَناني ولم أشهد[2] ببطحاءَ مكّةٍ	رجالُ بني كعب تُحَزُّ رقابُها
بأيدي رجالٍ لم يَسُلّوا سيوفهم	وقتلى كثيرٌ لم تُجَنّ ثيابُها[3]
ألا ليت شِعري هل تَنالنّ نُصرتي	سُهَيلَ بن عمرو وخْزُها وعقابُها[4]
وصفوان عَوْدحنّ من شُفْراسْتِه[5]	فهذا أوان الحرب شُدّ عصابُها
فلا تأمننّا يا بن أمّ مُجالدٍ	إذا حُلبتْ صِرْفاً وأعصَل نابُها[6]
ولا تجزعوا منّا[7] فإن سيوفنا	لها وقعة بالموت يُفتح بابُها[8]

قال ابن هشام: قول حسّان:

«بأيدي رجال لم يَسُلّوا سيوفهم».

يعني قريشاً، «وابن أمّ مجالد» يعني عكرمة بن أبي جهل.

---

(١) تاريخ الطبري ٤٧/٣، المغازي للواقدي ٧٩٦/٢، نهاية الأرب ٢٩١/١٧، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) في الديوان: «ورغبنا فلم نشهد»، وفي تاريخ الطبري «أتاني ولم أشهد».

(٣) تُجنّ: تستر، يريد أنهم قُتلوا ولم يستروا بالدفن.

(٤) في تاريخ الطبري «حَزُّها وعقابها».

(٥) في تاريخ الطبري «وصفوان عَوْداً حُزّ من شُفْراسْته».

(٦) أعصل: اعْوَجّ.

(٧) في تاريخ الطبري «منها».

(٨) ديوان حسّان ٤١، ٤٢، تاريخ الطبري ٤٨/٣.

حاطب يحذّر أهل مكة: قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن جعفر بن الزُبير، عن عُروة بن الزُبير، وغيره من علمائنا، قالوا: لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة، كتب حاطب بن أبي بَلْتَعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة، زعم محمد بن جعفر أنها من مُزَينة، وزعم لي غيره أنّها سارة، مولاة لبعض بني عبد المطّلب، وجعل لها جُعلاً على أن تبلّغه قريشاً، فجعلته في رأسها، ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت به؛ وأتى رسول الله ﷺ الخبرُ من السماء مما صنع حاطب، فبعث عليَّ بن أبي طالب والزُبير بن العوّام رضي الله عنهما، فقال: أدركا امرأةً قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش، يحذّرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم، فخرجا حتى أدركاها بالخُلَيقة، خُلَيقة[1] بني أبي أحمد، فاستنزلاها، فالتمساه في رَحْلها، فلم يجدا شيئاً، فقال لها عليّ بن أبي طالب: إنّي أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا، ولتُخْرجنّ لنا هذا الكتاب أو لنكشِفنَّكِ. فلما رأت الجِدّ منه، قالت: أعرِض، فأعرض، فحلّت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه، فأتى به رسول الله ﷺ: فدعا رسول الله ﷺ حاطباً، فقال: «يا حاطب، ما حملك على هذا»؟ فقال: يا رسول الله، أما والله إنّي لمؤمن بالله ورسوله، ما غيّرت ولا بدّلت ولكنّي كنت امرءاً ليس لي في القوم من أصلٍ ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليهم. فقال عمر بن الخطّاب: يا رسول الله، دعني فلأضربْ عُنُقه، فإنّ الرجل قد نافق: فقال رسول الله ﷺ: «وما يُدريك يا عمر، لعلّ الله قد اطّلع إلى أصحاب بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم». فأنزل الله تعالى في حاطب: ﴿يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ . . إلى

---

(١) في تاريخ الطبري «حليفة» بالحاء المهملة. والمثبت بالخاء المعجمة، يتفق مع المغازي للواقدي. وهما موضعان قرب المدينة ذكرهما ياقوت في المعجم.

قوله. ﴿لَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ، إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بَرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ، كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[1]. إلى آخر القصة.

خروج الرسول إلى مكة: قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس، **قال:** ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره، واستخلف على المدينة أبا رُهْم، كُلْثوم بن حُصَين بن عُتبة بن خَلَف الغِفاريّ[2]، وخرج لعشرٍ مَضَيْن من رمضان، فصام رسول الله ﷺ، وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكَدِيد، بين عُسْفان وأَمَج أفطر.

قال ابن إسحاق: ثم مضى حتى نزل مَرّ الظَّهْران في عشرة آلاف من المسلمين، فسبّعت سُلَيم وبعضهم يقول: أَلّفت سُليم، وأَلّفَتْ مُزَينة[3]، وفي كل القبائل عدد وإسلام، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار، فلم يتخلّف عنه منهم أحد، فلما نزل رسول الله ﷺ مَرّ الظَّهْران، وقد عُمّيت الأخبار عن قريش، فلم يأتهم خبر عن رسول الله ﷺ، ولا يدرون ما هو فاعل، وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حِزام، وبُدَيل بن ورقاء، يتحسّسون الأخبار، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون

---

(١) أول سورة الممتحنة. والخبر في تاريخ الطبري ٣/٤٨، ٤٩، وتفسيره ٢٨/٣٩، والمغازي للواقدي ٢/٧٩٧، ٧٩٨، ونهاية الأرب ١٧/٢٩١، ٢٩٢، وتاريخ الإسلام (المغازي).
أما حديث «لعلّ الله اطّلع إلى أهل بدر» ،فقد أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسِيَر (٤/٧٢، ٧٣) باب الجاسوس، وفي المغازي (٥/١٨٤، ١٨٥) باب غزوة الفتح. ومسلم في فضائل الصحابة (٧/١٦٧) باب من فضائل أهل بدر وقصّة حاطب بن أبي بلتعة.

(٢) في الطبقات لابن سعد ٢/١٣٥ استخلف: عبد الله بن أمّ مكتوم. وفي المغازي للواقدي ٢/٧٩٩ ان الرسول ﷺ أرسل أبا رُهْم كلثوم بن الحصين إلى بني الحصين إلى بني غِفار وضمرة. ولم يذكر الواقدي الخليفة على المدينة، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٦٤ وهو أبو رُهم.

(٣) سبّعت: أي صارت سبعمائة. وألّفت: صارت ألفاً.

به، وقد كان العباس بن عبد المطّلب لقي رسول الله ﷺ ببعض الطريق[1].

قال ابن هشام: لقيه بالجُحْفة مهاجراً بعياله، وقد كان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته، ورسول الله ﷺ عنه راضٍ، فيما ذكر ابن شهاب الزُّهْريّ.

إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أُميّة: **قال ابن إسحاق**: وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أُميّة بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ أيضاً بنِيق العُقاب[2]، فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلّمته أمّ سَلَمة فيهما، فقالت: يا رسول الله، ابن عمّك وابن عمّتك وصهرك، قال: «لا حاجة لي بهما، أما ابن عمّي فهتك عِرْضي، وأمّا ابن عمّتي وصِهْري فهو الذي قال لي بمكة ما قال». قال: فلما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبي سفيان بُنَيّ له[3]. فقال: والله لَيأذننّ لي أو لآخذنّ بيدي بُنَيّ هذا، ثم لنذهبنّ في الأرض حتى نموت عطَشاً وجوعاً، فلما بلغ ذلك رسولَ الله ﷺ رقّ لهما، ثم أذِن لهما؛ فدخلا عليه، فأسلما[4].

وأنشد أبو سفيان بن الحارث قوله في إسلامه، واعتذر إليه مما كان مضى منه، فقال:

لَعَمْرك[5] إنّي يوم أحملُ رايةً ... لتَغْلِبَ خيلُ اللّات خيلَ محمدِ
لكالمُدْلجِ[6] الحَيْران أظلم ليلُه ... فهذا أواني حين أُهْدَى وأهتدي

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٠، مجمع الزوائد ٦/١٦٤، ١٦٥.

(٢) أنظر: معجم ما استعجم ٥٩٥.

(٣) لعلّه يكون جعفراً، فقد كان آنذاك غلاماً مدركاً وشهد مع أبيه حُنيناً ومات في خلافة معاوية. (الروض الأنف ٤/٩٨).

(٤) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٦٥، تاريخ الطبري ٣/٥٠، ٥١، نهاية الأرب ١٧/٢٩٧، ٢٩٨، وانظر المغازي للواقدي ٢/٨١٠، ٨١١، ورواه الحاكم في المستدرك ٣/٤٣، ٤٤ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وتابعه الذهبي في التلخيص.

(٥) في تاريخ الطبري «لعمري».

(٦) المُدْلج: السائر ليلاً.

هداني هادٍ[1] غيرَ نفسي ونالني مع الله من طَرَّدْتُ كلَّ مُطَرَّدِ
أصُدُّ وأنْأى جاهداً عن محمدٍ وأُدْعَى وإنْ لم أنتسبْ من محمد
همُ ما همُ من لم يقل بهواهُمُ وإنْ كان ذا رأيٍ يُلَمْ ويُفَنَّدِ[2]
أريد لأُرْضِيهمْ ولستُ بلائطٍ[3] مع القوم ما لم أُهْدَ في كلّ مَقْعد
فقل لثَقِيفٍ لا أريد قتالها وقل لثقيفٍ تلك: غَيري أوْ عِدي
فما كنتُ في الجيش الذي نال عامراً وما كان عن جرًا[4] لساني ولا يدي
قبائل جاءتْ من بلادٍ بعيدةٍ نزائعُ جاءت من سهامٍ وسُرْدُدِ[5]

قال ابن هشام: ويُروَى «ودلّني على الحقّ من طرَّدتُ كلَّ مُطَرَّد».

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه حين أنشد رسول الله ﷺ قوله:

«ونالني مع الله من طرَّدت كلّ مُطَرَّد» ضرب رسول الله ﷺ في صدره، وقال: «أنت طردتني كلّ مُطَرَّد»[6].

فلما نزل رسول الله ﷺ مَرَّ الظَّهْران، قال العباس بن عبد المطّلب: فقلت: واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنّه لهلاك قريش إلى آخر الدهر. قال: فجلست على بغلة

---

(١) في تاريخ الطبري «وهادٍ هداني».
(٢) يُفنّد: يكذّب.
(٣) اللائط: الملصق.
(٤) جرًا: من جرّاء.
(٥) سَهام: كسحاب. وسرْدُد: بضم أوله وسكون ثانيه ودال مهملة مضمومة، ويُروى بضمّ أوله وفتح الدال الأولى، وهما موضعان من أرض عكّ.
والأبيات في:
تاريخ الطبري ٥١/٣، والمستدرك للحاكم ٤٤/٣، وتلخيص المستدرك للذهبي ٤٤/٣، ونهاية الأرب للنويري ٢٩٨/١٧، وسيرة ابن كثير ٥٤٤/٣، ومنها الأبيات الثلاثة الأولى في: الكامل في التاريخ ٢٤٣/٢، وعيون الأثر ١٦٨/٢، وعيون التواريخ ٢٩٢/١، وفي تاريخ الإسلام (المغازي) أربعة أبيات.
(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٤/٣، وتابعه الذهبي في التلخيص ٤٥/٣، تاريخ الطبري ٥١/٣، الكامل في التاريخ ٢٤٣/٢، ٢٤٤.

رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجت عليها. قال: حتى جئت الأراك، فقلت: لعليّ أجد بعض الحَطّابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة، فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عَنوةً. قال: فو الله إنّي لأسير عليها، وألتمس ما خرجت له، إذ سمعت كلام أبي سفيان وبُديل بن ورقاء، وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قطّ ولا عسكراً، قال: يقول بُدَيل: هذه والله خُزاعة حمشتها[1] الحرب. قال: يقول أبو سفيان: خُزاعة أذلّ وأقلّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها؛ قال: قلت: نعم؛ قال: مالك؟ فداك أبي وأمّي؛ قال: قلت: ويحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله ﷺ في الناس، واصباح قريش والله. قال: فما الحيلة؟ فداك أبي وأمّي؛ قال: قلت: والله لئن ظفر بك ليضربّن عُنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستامنه لك؛ قال: فركب خلفي ورجع صاحباه؛ قال: فجئت به كلّما مررت بنارٍ من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها، قالوا: عمّ رسول الله ﷺ على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فقال: من هذا؟ وقام إليّ؛ فلما رأى أبا سفيان على عجز الدّابّة، قال: أبو سفيان عدوّ الله! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يشتدّ نحو رسول الله ﷺ، وركضتُ البغلة، فسبقته بما تسبق الدّابّة البطيئة الرجل البطيء. قال: فاقتحمت عن البغلة، فدخلت على رسول الله ﷺ، ودخل عليه عمر، فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني فلأضربْ عُنقه، قال: قلت: يا رسول الله، إنّي قد أجرته، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ، فأخذت برأسه، فقلت: والله لا يناجيه الليلة دوني رجل؛ فلما أكثر عمر في شأنه، قال: قلت: مهلاً يا عمر، فو الله أن لو كان من بني عدِيّ بن كعب ما قلت هذا، ولكنّك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مَناف، فقال: مهلاً يا عباس فوالله

---

(١) حمشتها: هيّجتها، وأحرقتها.

لإسلامُك يوم أسلمت كان أحبَّ إليّ من إسلام الخطّاب لو أسلم، وما بي إلاّ أنّي قد عرفت أنّ إسلامك كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم، فقال رسول الله ﷺ: «اذهب به يا عباس إلى رَحْلك، فإذا أصبحت فأْتني به»، فذهبت به إلى رَحْلي فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ، قال: «ويحْك يا أبا سفيان، ألم يأْنِ لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله»؟ قال: بأبي أنت وأمّي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله قد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنّي شيئاً بعد، قال: «ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أنّي رسول الله»؟ قال: بأبي أنت وأمّي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه واللّهِ فإنّ في النفس منها حتى الآن شيئاً. فقال له العباس: ويْحك! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله قبل أن تُضرب عُنقك. قال: فشهد شهادة الحَقّ، فأسلم، قال العباس: قلت: يا رسول الله، إنّ أبا سفيان رجل يحبّ الفخر، فاجعل له شيئاً، قال: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمِن، ومن أغلق بابه فهو آمِن، ومن دخل المسجد فهو آمِن»، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ: «يا عباس، احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل[1]، حتى تمرّ به جنود الله فيراها». قال: فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي، حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه[2].

عرْض الجيش على أبي سفيان: قال: ومرّت القبائل على راياتها، كلّما مرّت قبيلة قال: يا عباس، من هذه؟ فأقول: سُلَيم، فيقول: مالي ولسُلَيم، ثم تمرّ القبيلة فيقول: يا عباس، من هؤلاء؟ فأقول: مُزَينة، فيقول: مالي ولمُزَينة، حتى نفدت القبائل، ما تمرّ به قبيلة إلاّ يسألني عنها، فإذا أخبرته

---

(١) الخطم: الأنف، شيء يخرج من الجبل يضيق به الطريق، فتتزاحم فيه الخيل حتى يحطم بعضها بعضاً.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٥٢ ـ ٥٤، مجمع الزوائد ٦/١٦٥ ـ ١٦٧، نهاية الأرب ١٧/٢٩٩ ـ ٣٠١، الكامل في التاريخ ٢/٢٤٤ ـ ١٤٦، عيون الأثر ٢/١٦٨ ـ ١٧٠.

بهم، قال: مالي ولبني فلان، حتى مرّ رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء.

قال ابن هشام: وإنّما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها.

قال الحارث بن حِلِّزَة اليَشْكُريّ:

ثمّ آحجُرا أعني ابنَ أمّ قَطَام ولـه فـارسـيّـة خـضـراء

يعني الكتيبة، وهذا البيت في قصيدة له.

وقال حسّان بن ثابت الأنصاريّ:

لمـا رأى بدراً تسيـل جِـلاهُـهُ بكتيبـة خضراء من بَلْخَزْرجِ

وهذا البيت في أبياتٍ له قد كتبناها في أشعار يوم بدر.

قال ابن إسحاق: فيها المهاجرون والأنصار، رضي الله عنهم، لا يُرى منهم إلّا الحَدَق من الحديد، فقال: سبحان الله: يا عباس، من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحدٍ بهؤلاء قِبَل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل، لقد أصبح مُلك ابن أخيك الغَداة عظيماً، قال: قلت: يا أبا سفيان، إنّها النُّبوّة. قال: فنعم إذن.

قال: قلت: النجاء إلى قومك، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد جاءكم فيما لا قِبَل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عُتبة، فأخذت بشاربه، فقالت: اقتلوا الحَميت الدَّسِم الأحمس[1] قُبّح من طليعة قوم قال: ويلكم لا تغرّنّكم هذه من أنفسكم فإنّه قد جاءكم ما لا قِبَل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمِن، قالوا: قاتلك الله! وما تُغني عنّا دارك، قال: ومن أغلق عليه بابه

---

(١) الحَميت: الزِّقّ، نَسَبه إلى الضّخم والسُّمْن. والأحمس: الذي لا خير عنده، من قولهم: عامٌ أحمس إذا لم يكن فيه مطر، وزاد عبد بن حُميد في حديثه أنها قالت: يا آل غالب اقتلوا الأحمق، فقال لها أبو سفيان: والله لتُسْلمنَّ أو لأضربنّ عنقك، وفي إسلام أبي سفيان قبل هند وإسلامها قبل انقضاء عدّتها، ثم استقرّا على نكاحهما، وكذلك حكيم بن حِزام مع امرأته حجّة للشافعي، فإنّه لم يفرّق بين أن تَسلم قبله أو يُسلم قبلها، ما دامت في العدّة. وفرّق مالك بين المسألتين على ما في الموطأ وغيره. (الروض الأنف ٤/ ٩٩).

فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمِن، فتفرّق النّاس إلى دُورهم وإلى المسجد[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الله بن أبي بكر: أنّ رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذي طُوَى وقف على راحلته معتجراً بشقّة بُرْدٍ حِبَرَة[2] حمراء، وإنّ رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إنّ عُثْنُونه ليكاد يمسّ واسطة الرَّحْل[3].

إسلام أبي قُحافة: قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير، عن أبيه، عن جدّته أسماء بنت أبي بكر، قالت: لما وقف رسول الله ﷺ بذي طُوِى قال أبو قُحافة لابنةٍ[4] من أصغر ولده: أي بُنَيّة، اظهري بي على أبي قُبيس[5]، قالت: وقد كُفّ بصره، قالت: فأشرفتُ به عليه، فقال: أي بُنَية، ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً، قال: تلك الخيل، قالت: وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك مقبلاً ومدبراً، قال: أي بُنَية، ذلك الوازع يعني الذي

---

(١) أخرج الحديث بطوله: الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/١٦٥ ـ ١٦٧ وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح. وانظر تاريخ الطبري ٣/٥٢ ـ ٥٤، والكامل في التاريخ ٢/٢٤٤ ـ ٢٤٦، ونهاية الأرب ١٧/٢٩٩ ـ ٣٠٢، وعيون الأثر ٢/١٦٨ ـ ١٧٠، وعيون التواريخ ١/٢٩٣ ـ ٢٩٦، وسيرة ابن كثير ٣/٥٤٦ ـ ٥٥١، وبعضه في الطبقات الكبرى ٢/١٣٥، وشرح السّنة للبغوي ١١/١٤٨، ١٤٩ وأخرج البخاري بعضاً منه في المغازي (٥/٩١) باب أين ركز النبيّ ﷺ الراية يوم الفتح، عن عبيد بن إسماعيل، عن أبي أسامة، عن هشام، عن أبيه.

(٢) بُرْد حِبَرَة: بكسر الحاء وفتح الباء كعِنَبَة، وهي مفردة والجمع حِبَر وحِبَرات كعنبة وعِنَب وعِنَبات، ويقال: بُرد حِبَرَة على الوصف وبُرْد حِبَرَة على الإضافة، وهو أكثر في استعمالهم، ويقال بُرد حبير على الوصف وهو ثوب يمان يكون من قطن أو كتّان مخطّط محبّر أي مزيّن، والتحبير والتزيين والتحسين. (تهذيب الأسماء واللغات للنووي ج ١ ق ٢ /٦١).

(٣) أخرج الحاكم نحوه في المستدرك ٣/٤٧ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٤) واسمها: أم فروة زوجة تميم الداري ومن بعده الأشعث بن قيس، أو هي قريبة تزوجها قيس بن سعد بن عبادة.

(٥) أبو قبيس: جبل بمكة.

يأمر الخيل، ويتقدّم إليها، ثم قالت: قد والله انتشر السواد، قالت: فقال: قد والله إذن دُفعت الخيل، فأسرعي بي إلى بيتي، فانحطّت به، وتلقّاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته، قالت: وفي عنق الجارية طوق من ورق[1]، فتلقّاها رجل فيقتطعه من عنقها، قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد، أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هلّا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه»؟ قال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحقّ أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت. قال: قالت: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: «أسلم»، فأسلم[2]، قالت: فدخل به أبو بكر وكأنّ رأسه ثغامة[3]، فقال رسول الله ﷺ: «غيّروا هذا من شعره»[4]، ثم قام أبو بكر

---

(١) الطوق: القلادة تطوّق العنق. الورق: الفضة.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٤٦/٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وتابعه الذهبي في التلخيص، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٣/٦، ١٧٤، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) الثغامة. واحدة الثغام، نبات أبيض الشجر والزهر، يشدّد بياضه إذا يبس.

(٤) هو على الندب، لا على الوجوب، لما دلّ على ذلك من الأحاديث عنه عليه السلام أنه لم يغيّر شيبه، وقد رُوى من طريق أبي هُريرة أنه خضب. وقال من جمع بين الحديثين: إنما كانت شيبات يسيرة يغيّرها بالطِّيب. وقال أنس: لم يبلغ النبيّ ﷺ حدّ الخضاب. وفي البخاري عن عثمان بن موهب: قال: أرتني أم سَلَمة شعراً من شَعر رسول الله ﷺ ـ وفيه أيضاً عن ابن موهب قال: بعثني أهلي بقدح إلى أم سَلمة، وذكر الحديث، وفيه اطّلعت في الجلجل فرأيت شعرات حُمراً، وهذا كلام مشكل وشرحه في مُسند وكيع بن الجراح قال: كان جلجلاً من فضّة صنع صيوناً لشعرات كانت عندهم من شعر رسول الله ﷺ.

فإن قيل فهذا يدلّ على أنه كان مخضوب الشيب، وقد صحّ من حديث أنس وغيره أنه عليه السلام لم يكن بلغ أن يخضب إنّما كانت شُعيرات تُعدّ.

فالجواب: أنه لما تُوفي خضب من عنده شيء من شعره: تلك الشعرات ليكون أبقى لها كذلك قال الدارقطني في أسماء رجال الموطأ له، وكان أبو بكر يخضِب بالحنّاء والكتم، وكان عمر يخضِب بالصُّفرة، وكذلك عثمان وعبد الله بن عمر.

وبعض أهل الحديث يزيد على رواية ابن إسحاق في شَيْب أبي قُحافة: وجنّبوه السواد وأكثر العلماء على كراهة الخضاب بالسواد من أجل هذا الحديث، ومن أجل حديث آخر جاء فيه الوعيد والنهي لمن خضب بالسواد، وقيل: أول من خضب بالسواد فرعون وقيل: أول من خضب به من العرب عبد المطّلب، وترخّص قوم في الخضاب بالسواد منهم محمد بن علي، ورُوي عن عمر أنه قال: أخضبوا بالسواد، فإنه أنكى للعدوّ، وأحبّ للنساء. وقال=

فأخذ بيد أخته، وقال: أنشد الله والإسلام طوق أختي، فلم يجبه أحد، قالت: فقال: أي أُخَيَّة، احتسبي طوقك، فوالله إنّ الأمانة في الناس اليوم لقليل[1].

دخول مكة: قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي نَجيح أنّ رسول الله ﷺ حين فرّق جيشه من ذي طُوَى، أمر الزُبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كُدى، وكان الزُبير على المجنّبة اليسرى، وأمر سعد بن عُبادة أن يدخل في بعض الناس من كَداء[2].

قال ابن إسحاق: فزعم بعض أهل العلم أنّ سعداً حين وجّه داخلاً، قال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحلّ الحُرمة، فسمعها رجل من المهاجرين ـ قال ابن هشام: هو عمر بن الخطّاب ـ فقال: يا رسول الله: اسمع ما قال سعد بن عُبادة، ما نأمن أن يكون له في قريش صَولة، فقال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب: «أدركه، فخذ الراية منه فكن أنت الذي تدخل بها»[3].

= ابن بطّال في الشرح: إذا كان الرجل كهلاً لم يبلغ الهرم جاز له الخضاب بالسواد، لأنّ في ذلك ما قال عمر رضي الله عنه من الإرهاب على العدوّ والتحبّب إلى النساء، وأما إذا قوّس واحْدَوْدَبَ فحينئذ يُكره له السواد، كما قال رسول الله ـ ﷺ في إبي قُحافة: غيّروا شيبه، وجنّبوه السواد. (الروض الأنف ٤/١٠٠) وحديث غيّروا هذا الشيب أخرجه أحمد في المسند ٣/٣٣٨.

(١) المستدرك على الصحيحين ٣/٤٦، ٤٧، التلخيص ٣/٤٦، ٤٧، مجمع الزوائد ٦/١٧٣، ١٧٤ وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجالهما ثقات.

(٢) كداء بفتح الكاف والمدّ، وهو بأعلى مكة. وكُدى وهو من ناحية عَرَفة، وبمكة موضع ثالث يقال: كُدا بضمّ الكاف والقصر، وأنشدوا في كَداء وكُدى:

أقفرت بعد عبد شمس كَداء ... فكُدى فالركن فالبطحاء

وبكَداء وقف إبراهيم عليه السلام حين دعا لذرّيته بالحرم. كذلك روى سعيد بن جُبير، عن ابن عباس. فقال: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ فاستجيبت دعوته، وقيل له: أذّن في الناس بالحجّ يأتوك رجالاً. ألا تراه يقول يأتوك» ولم يقل يأتوني، لأنها استجابة لدعوته فمن ثم ـ والله أعلم ـ استحبّ النبيّ ﷺ إذا أتى لمكة أن يدخلها من كداء لأنه الموضع الذي دعا فيه إبراهيم بأن يجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم. (الروض الأنف ٤/١٠٠، ١٠١).

(٣) تاريخ الطبري ٣/٥٦.

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني عبد الله بن أبي نَجِيح في حديثه: أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد، فدخل من اللِّيط، أسفل مكة، في بعض الناس، وكان خالد على المجنِّبة اليمنى، وفيها أسلم وسُليم وغِفار ومُزَينة وجُهَينة وقبائل من قبائل العرب. وأقبل أبو عُبيدة بن الجرّاح بالصفّ من المسلمين ينصبّ لمكة بين يدي رسول الله ﷺ، ودخل رسول الله ﷺ من أذَاخِر، حتى نزل بأعلى مكة، وضُربت له هنالك قبّته[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي نَجِيح، وعبد الله بن أبي بكر: أنّ صفوان بن أُميّة، وعِكْرمة بن أبي جهل، وسُهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخندمة ليقاتلوا، وقد كان حِماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر، يعدّ سلاحاً قبل دخول رسول الله ﷺ، ويصلح منه، فقالت له امرأته: لماذا تعدّ ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه، قالت: والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء، قال: والله إنّي لأرجو أن أخدمك بعضهم، ثم قال:

إن يُقبلوا اليوم فما لي علّه ... هذا سلاح كامل وأَلّه[2]
وذو غِرَارَيْن[3] سريعُ السَّلّه

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسُهيل وعِكرمة، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئاً من قتال، فقتل كُرْز بن جابر، أحد بني محارب بن فِهْر، وخُنَيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم، حليف بني مُنقذ، وكانا في خيل بن الوليد فشذّا عنه فسلكا طريقاً غير طريقه فقُتلا جميعاً، قُتل خُنيس بن خالد قبل كُرْز بن جابر، فجعله كُرز بن جابر بين رِجْليه، ثم قاتل عنه حتى قُتل، وهو يرتجز ويقول:

---

(١) تاريخ الطبري ٥٧/٣.
(٢) الألة: الحربة ذات السنان الطويلة.
(٣) غِرارين: حدّين.

قد علمت صفراء من بني فهرِ نقيّة الوجه نقيّة الصدرْ[1]
لأضربنّ اليوم عن أبي صَخِرْ

قال ابن هشام: وكان خُنيس يُكنّى أبا صخر، قال ابن هشام: خُنيس بن خالد، من خُزاعة[2].

قال ابن إسحاق: حدّثني عبد الله بن أبي نَجيح وعبد الله بن أبي بكر، قالا: وأصيب من جُهينة سلمة بن المِيْلاء، من خيل خالد بن الوليد، وأصيب من المشركين ناس قريب من أثني عشر رجلاً، أو ثلاثة عشر رجلاً، ثم انهزموا، فخرج حماس منهزماً حتى دخل بيته، ثم قال لامرأته: أغلقي عليّ بابي، قالت: فأين ما كنت تقول؟ فقال:

إنك لو شهدتِ يوم الخندمهْ إذ فرّ صفوان وفرّ عِكرمهْ
وأبو يزيد قائم كالموتِمَهْ واستقبلتهم بالسيوف المسلمه[3]
يقطعنْ كلَّ ساعدٍ وجُمجمهْ ضرباً فلا يُسمعُ إلّا غمغمهْ
لهم نهيتٌ خلفنا وهمهمهْ[4] لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه[5]

---

(١) قوله: من بني فهر بكسر الهاء وأبو صَخِر: هذا على مذهب العرب في الوقف على ما أوسطه ساكن، فإنّ منهم من ينقل حركة لام الفعل إلى عين الفعل في الوقف، وذلك إذا كان الاسم مرفوعاً أو مخفوضاً، ولا يفعلون ذلك في النصب وعلله مستقصاة في النحو. (الروض الأنف ١٠١/٤، ١٠٢).

(٢) تاريخ الطبري ٥٧/٣، ٥٨.

(٣) وقوله: وأبو يزيد بقلب الهمزة من أبو ألفاً ساكنة، فيه حجّة لعثمان بن سعيد بن عبد الله المصري المشهور بوَرْش حيث أبدل الهمزة ألفاً ساكنة، وهي متحرّكة، وإنّما قياسها عندالنحويين أن تكون بين بين ومثل قوله: وأبو يزيد، قول الفرزدق.

فارعي فزار لا هناك المرتع

وإنّما هو هناك بالهمزة وتسهيلها بَين بَين فقلبها ألِفاً على غير القياس المعروف في النحو، وكذلك قولهم المنساة وهي العصا، وأصلها الهمزة، لأنها مفعلة من نسأت، وهي في التنزيل كما ترى في قوله تعالى: «ما دلّهم على موته إلّا دابّة الأرض تأكل مِنْسَأَتَه». (الروض الأنف ١٠٢/٤).

(٤) النهيت والهمهمة: أصوات.

(٥) الخبر والرجز في تاريخ الطبري ٥٨/٣.

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالشِعر قوله «كالموتمه» وتُروى للرّعّاش الهُذلي.

شعار المسلمين يوم فتح مكة: وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وحُنين والطائف، شعار المهاجرين: يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج: يا بني عبد الله، وشعار الأوس: يا بني عُبيد الله.

من أمر النبيّ بقتلهم: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد عهِد إلى أمرائه من المسلمين، حين أمرهم أن يدخلوا مكة، أن لا يقاتلوا إلاّ من قاتلهم، إلا أنه قد عهِد في نفر سمّاهم أمر بقتلهم وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة، منهم عبد الله بن سعد، أخو بني عامر بن لُؤَيّ.

وإنّما أمر رسول الله ﷺ بقتله لأنه قد كان أسلم، وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي، فارتدّ مشركاً راجعاً إلى قريش، ففرّ إلى عثمان بن عفان، وكان أخاه للرضاعة، فغيّبه حتى أُتي به رسول الله ﷺ بعد أن أطمأنّ الناس وأهل مكة، فاستأمن له. فزعموا أنّ رسول الله ﷺ صمت طويلاً، ثم قال: «نعم»، فلما انصرف عنه عثمان، قال رسول الله ﷺ لمن حوله من أصحابه: «لقد صمتُّ ليقوم إليه بعضكم فيضرب عُنقه». فقال رجل من الأنصار: فهلاّ أو مأت إليَّ يا رسول الله؟ قال: «إنّ النّبي لا يقتل بالإشارة»[1].

قال ابن هشام: ثم أسلم بعد، فولاّه عمر بن الخطّاب بعض أعماله، ثم ولاّه عثمان بن عفّان بعد عمر.

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن خَطَل، رجل من بني تَيْم بن غالب: إنّما أمر بقتله أنه كان مسلماً، فبعثه رسول الله ﷺ مصدّقاً، وبعث معه رجلاً من

---

(١) المغازي للواقدي ٢/٨٥٩، تاريخ الطبري ٣/٥٨، ٥٩، تاريخ الإسلام (المغازي)، سيرة ابن كثير ٣/٥٦٤، عيون الأثر ٢/١٧٥، شفاء الغرام ٢/٢٢٥ (بتحقيقنا).

الأنصار، وكان معه مولى له يخدمه، وكان مسلماً، فنزل منزلاً، وأمر المولى أن يذبح له تَيْساً، فيصنع له طعاماً، فنام، فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً، فعدا عليه فقتله، ثم ارتدّ مشركاً.

وكانت له قينتان: فرتني وصاحبتها، وكانتا تغنّيان بهجاء رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما معه[1].

والحُويرث بن نُقيذ بن وهْب بن عبد بن قُصَيّ، وكان ممن يؤذيه بمكة[2].

قال ابن هشام: وكان العباس بن عبد المطّلب حمل فاطمة وأم كلثوم، ابنتي رسول الله ﷺ من مكة يريد بهما المدينة، فنخس بهما الحُويرث بن نُقيذ، فرمى بهما إلى الأرض.

قال ابن إسحاق: ومِقْيس بن حُبابة[3]: وإنّما أمر رسول الله ﷺ بقتله، لقتل الأنصاريّ الذي كان قتل أخاه خطأ، ورجوعه إلى قريش مشركاً.

وسارة[4]، مولاة بعض بني عبد المطلب، وعكرمة بن أبي جهل. وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة، فأما عِكْرمة فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له من رسول الله ﷺ، فأسلم[5]. وأما عبد الله بن خَطَل، فقتله سعيد بن حُريث المخزومي وأبو برزة الأسلميّ،

---

(١) المغازي للواقدي ٢/٨٥٩، ٨٦٠، تاريخ الطبري ٣/٥٩، تاريخه الإسلام (المغازي) سيرة ابن كثير ٣/٥٦٤، عيون الأثر ٢/١٧٦، شفاء الغرام ٢/٢٢٦، ٢٢٧.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٦٠، أنساب الأشراف ١/٣٥٧ رقم ٧٤٣، الطبقات الكبرى ٢/٩٨، المغازي للواقدي ٢/٨٢٥.

(٣) في تاريخ الطبري ٣/٦٠، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٥٢ (بتحقيقنا)، ومعجم الشعراء للمرزباني ٤٦٧، والمحبّر ٢٤٠ «صُبابة»، وفي حماسة البحتري ص ١٧٦ «ضُبابة» بالضاد المعجمة.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٥٩.

(٥) تاريخ الطبري ٣/٥٩، المغازي للذهبي ٥٥٢.

اشتركا في دمه[1]، وأما مِقْيس بن حُبابة فقتله نُميلة بن عبد الله، رجل من قومه، فقالت أخت مِقْيس في قتله:

لَعَمْري لقد أخزى نُميلةُ رهْطَهُ ... وفجَّع أضيافَ الشتاء بمقيَسِ
فللَّه عيناً من رأى مثلَ مِقْيَسٍ ... إذا النُّفَساءُ أصبحتْ لم تُخَرَّسِ[2]

وأما قَيْنتا ابن خَطَل فقُتلت إحداهما، وهربت الأخرى، حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ بعد، فأمّنها، وأما سارة فاستؤمن لهافأمّنها، ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرساً في زمن عمر بن الخطّاب بالأبطح فقتلها، وأما الحُويرث بن نُقيذ فقتله عليّ بن أبي طالب[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيد بن أبي هند، عن أبي مُرّة، مولى عَقِيل بن أبي طالب، أنّ أمّ هانىء بنت أبي طالب قالت: لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة، فرّ إليّ رجلان من أحمائي، من بني مخزوم، وكانت عند هُبيرة بن أبي وهْب المخزومي، قالت: فدخل عليٌّ عليٌّ بن أبي طالب أخي، فقال: والله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جفنة إنّ فيها لَأثرَ العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشّح به ثم صلّى ثماني ركعات من الضُّحَى ثم انصرف إليّ، فقال: «مرحباً وأهلاً يا أمّ هانيء، ما جاء بك»؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر عليّ؛ فقال: قد أَجَرْنا من أَجَرْتِ، وأمّنّا من أَمّنْتِ، فلا يقتلهما»[4].

---

(١) الطبري ٣/٦٠.

(٢) التخريس: نوع من الطعام يُصنع للمرأة بعد ولادتها. واسمه خُرس وخُرسة: بضمّ الخاء، وإنما أرادت به زمن الشدّة. أنظر القول في الطبري ٣/٦٠.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٦٠.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الحيض (١/١٨٢، ١٨٣) باب تستّر المغتسل بثوب ونحوه، وكتاب صلاة المسافرين وقصرها (٢/١٥٧، ١٥٨) باب استحباب صلاة الضحى وأنّ أقلّها ركعتان وأكملها ثمان ركعات، وابن سعد في الطبقات ٢/١٤٤، ١٤٥.

قال ابن هشام: هما الحارث بن هشام، وزُهير بن أبي أُميّة بن المُغيرة.

الرسول يدخل الحرم: قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير، عن عبد الله بن عبد الله بن أبي ثور، عن صفية بنت شيبة، أنّ رسول الله ﷺ لما نزل مكة، واطمأنّ الناس، خرج حتى جاء البيت، فطاف به سبْعاً على راحلته، يستلم الركن بمِحْجَن[1] في يده، فلما قضى طوافه، دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففُتحت له، فدخلها فوجد فيها حمامة من عِيدان، فكسرها بيده ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكفّ له الناس[2] في المسجد[3].

قال ابن إسحاق: فحدّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة، فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كلّ مأثرة[4] أو دم أو مال يُدَّعَى فهو تحت قدميَّ هاتين إلاّ سِدانة[5] البيت وسقاية الحاجّ، ألا وقتيل الخطأ شبه العَمْد بالسَّوط والعصا، ففيه الدِّية مغلَّظة، مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها: يا معشر قريش؛ إنّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظّمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب»، ثم تلا هذه الآية: **﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾**[6]... الآية كلّها. ثم قال: يا معشر قريش، ما ترون أنّي

---

(١) المِحْجَن: عصا معقوفة الرأس.

(٢) استكفّ: اجتمع.

(٣) أنظر الطبقات الكبرى ٢/١٣٦ و١٣٧، والمغازي للواقدي ٢/٨٣٣، وأنساب الأشراف ١/٣٦١، والمغازي للذهبي ٥٥٢.

(٤) المأثرة: الخصلة التي تُتوارث ويتحدّث بها الناس من المكارم.

(٥) السدانة: خدمة البيت الحرام.

(٦) سورة الحجرات: الآية ١٣.

فاعلٌ فيكم»؟ قالوا: خيراً، أخٌ كريم وابن أخ كريم؛ قال: «إذهبوا فأنتم الطُلَقاء»[1].

ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد؛ فقام إليه عليّ بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده؛ فقال؛ يا رسول الله؛ اجمع لنا الحجابة مع السّقاية صلّى الله عليك[2]؛ فقال رسول الله ﷺ: «أين عثمان بن طلحة»؟ فدُعي له، فقال: «هاك مفتاحك يا عثمان؛ اليوم يوم برّ ووفاء».

قال ابن هشام: وذكر سفيان بن عيينة أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ: «إنّما أعطيكم ما تُرزءون لا ما تَرْزءون»[3].

قال ابن هشام: وحدّثني بعض أهل العلم؛ أنّ رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح؛ فرأى فيه صُوَر الملائكة وغيرهم؛ فرأى إبراهيم عليه السلام مصوَّراً في يده الأزلام[4] يستقسم بها، فقال: «قاتلهم الله، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام، ما شأن إبراهيم والأزلام! ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[5]. ثم أمر بتلك الصُّوَر كلّها فطُمِست[6].

قال ابن هشام: وحدّثني أنّ رسول الله ﷺ دخل الكعبة ومعه بلال، ثم

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٣/ ٦٠، ٦١ والحديث أخرجه أحمد في المسند ٢/ ١١ من طريق سفيان، عن ابن جدعان، عن القاسم بن ربيعة، عن ابن عمر. و٣/ ٤١٠ من طريق هشام، عن خالد، عن القاسم بن ربيعة بن جوشن، عن عقبة بن أوس، عن رجل من أصحاب النبيّ ﷺ. والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٥٦، ٥٥٧ من طريق ابن عُيَيْنة، عن عليّ بن زيد، عمّن حدّثه عن ابن عمر. والإسناد ضعيف.

(٢) في المغازي للواقدي ٢/ ٨٣٣ أنّ الذي قال ذلك هو العباس بن عبد المطّلب.

(٣) قال أبو علي: إنّما معناه إنّما أعطيتكم ما تمنُّون كالسقاية التي تحتاج إلى مؤن، فأمّا السدانة فيرزأ لها الناس بالبعث إليها، يعني كسوة البيت. (شرح أبي ذر ٣٧١).

(٤) الأزلام: السهام التي كانوا يستقسمون بها في الجاهلية.

(٥) سورة آل عمران ـ الآية ٦٧.

(٦) أخبار مكة للأزرقي ١/ ١٦٥، شفاء الغرام ١/ ٢٥٣ و٢٥٤.

خـرج رسـول الله ﷺ وتخلّف بـلال، فـدخـل عبـد الله بن عمـر على بـلال، فسـأله: أين صلّى رسـول الله ﷺ؟ ولم يسألـه كم صلّى؛ فكان ابن عمـر إذا دخل البيت مشى قِبَل وجهه، وجعل الباب قِبَل ظهـره، حتى يكون بينـه وبين الجـدار قدْر ثـلاث أذرُع ثم يصلّي، يتوخّى بـذلك المـوضـع الـذي قـال لـه بلال[1].

قال ابن هشام، وحـدّثني: أنّ رسول الله ﷺ؛ دخـل الكعبة عـام الفتح ومعه بلال، فأمره أن يؤذّن، وأبو سفيان بن حرب وعتّاب بن أُسَيد والحارث بن هشـام جلوس بفناء الكعبـة، فقال عتّـاب بن أُسَيد: لقـد أكـرم الله أُسَيْـداً ألاّ يكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه. فقال الحـارث بن هشام: أمـا والله لو أعلم أنه مُحِقّ لاتّبعتُه، فقال أبو سفيان: لا أقول شيئـاً، لو تكلّمت لأخبـرت عنّي هذه الحصى، فخرج عليهم النّبيّ ﷺ، فقال: «قد علِمتُ الـذي قلتم»، ثم ذكر ذلك لهم؛ فقال الحارث وعتّاب: نشهد أنّـك رسول الله والله مـا اطّلع على هذا أحد كان معنا، فنقول أخبرك.

قال ابن إسحاق: حـدّثني سعيد بن أبي سنـدر الأسلميّ، عن رجِل من قومه، قال: كان معنا رجل يقال له أحمر بأسـاً، وكان رجـلاً شجاعـاً، وكان إذا نام غطّ غطيطاً مُنْكَراً لا يخفى مكانه، فكـان إذا بات في حيّـه بات معتنـزاً[2]، فإذا بيّت الحيّ[3] صرخـوا يا أحمـر، فيثور مثـل الأسد، لا يقـوم لسبيله شيء؛ فأقبل غَزِيٌّ من هُذَيل[4] يريدون حاضره[5]؛ حتى إذا دنَوا من الحاضر قـال ابن الأثوع[6] الهُذليّ: لا تَعْجَلوا عليّ حتى أنظر، فإن كان في الحاضـر أحمر فـلا

---

(١) شفاء الغرام ٢٢٦/١.
(٢) معتنزاً: منفرداً.
(٣) بيت: غزى ليلاً.
(٤) فيهم جُنَيدب بن الأدلع. (المغـازي للواقدي ٨٤٣/٢).
(٥) الحاضر: النازلون على الماء.
(٦) في المغازي «جُنيدب بن الأدلع».

سبيل إليهم، فإنّ له غطيطاً لا يخفى، قال: فاستمع، فلما سمع غطيطه مشى إليه حتى وضع السيف في صدره، ثم تحامل عليه حتى قتله، ثم أغاروا على الحاضر، فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم؛ فلما كان عام الفتح، وكان الغد من يوم الفتح، أتى ابن الأثوع[1] الهُذليّ حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس،وهو على شِرْكه، فرأته خُزاعة، فعرفوه، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جدار مكة، يقولون: أأنت قاتل أحمر؟ قال: نعم، أنا قاتل أحمر، فَمَه؟ قال: إذ أقبل خِراش بن أُميّة مشتملاً على السيف، فقال: هكذا عن الرجل[2]، ووالله ما نظنّ إلاّ يريد أن يفرّج الناس عنه. فلما انفرجنا عنه حمل عليه، فطعنه بالسيف في بطنه، فو الله لكأنّي أنظر إليه وحشوته[3] تسيل من بَطنِهِ، وإنّ عينيه لترنقان[4] في رأسه، وهو يقول: أقد فعلتموها يا معشر خُزاعة؟ حتى انجعف[5] فوقع. فقال رسول الله ﷺ: «يا معشر خُزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل، فقد كثُر القتل إن نفع، لقد قتلتم قتيلاً لأدِيَنّه»[6].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الرحمن بن حرملة الأسلميّ، عن سعيد بن المسيّب، قال: لما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خِراش بن أُميّة، قال: «إنّ خِراشاً لَقَتّال»؛ يعيبه بذلك.

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيد بن أبي سعيد المَقْبُريّ، عن أبي شُرَيح الخُزاعيّ، قال: لما قدِم عمرو بن الزُبير[7] مكة لقتال أخيه عبد الله بن

(١) في المغازي «جُنيدب بن الأدلع».
(٢) أي تنجّوا عنه.
(٣) حشوته: ما اشتمل عليه جوفه من الأحشاء.
(٤) ترنقان: قربتا على الانغلاق.
(٥) انجعف: سقط بكل ثقله.
(٦) الخبر في المغازي ٨٤٣/٢، ٨٤٤ بنحوه.
(٧) هذا وهم من ابن هشام: وصوابه: عمرو بن سعيد بن العاص بن أُميّة، وهو الأشدق... وإنّما دخل الوهم على ابن هشام أو على البكّائي في روايته، من أجل أنّ عمرو بن الزبير كان معادياً لأخيه عبد الله ومُعيناً لبني أُميّة. (الروض الأنف ١١٥/٤). وقد صحّح الذهبي الوهم في تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٥٦.

الزُّبير، جئته، فقلت له: يا هذا، إنّا كنّا مع رسول الله ﷺ، حين افتتح مكة، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خُزاعة على رجل من هُذيل فقتلوه وهو مُشْرِك، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً، فقال: «يا أيها الناس إنّ الله حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام من حرام إلى يوم القيامة؛ فلا يحلّ لامريء يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يسفك فيها دماً. ولا يَعْضِد[1] فيها شجراً لم تحلَّل لأحدٍ كان قبلي، ولا تحلّ لأحدٍ يكون بعدي، ولم تحلَّل لي إلاّ هذه الساعة، غضباً على أهلها. ألا، ثم قد رجعتْ كحُرمتها بالأمس، فليبلِّغ الشاهدُ منكم الغائب، فمن قال لكم: إنّ رسول الله قاتل فيها، فقولوا: إنّ الله قد أحلّها لرسوله، ولم يحلّلها لكم، يا معشر خُزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل، فلقد كثُر القتل إنْ نفع، لقد قتلتم قتيلاً لأدِيَنَّه، فمن قُتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النَّظَرين. إن شاءوا فَدَم قاتله، وإن شاءوا فعَقْله» ثم وَدَى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذي قتلته خُزاعة، فقال عمرو لأبي شُرَيح: انصرف أيها الشيخ، فنحن أعلم بحُرمتها منك، إنها لا تمنع سافك دم، ولا خالع طاعة، ولامانع جزية، فقال أبو شُرَيح: إنّي كنت شاهداً وكنت غائباً، ولقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يبلّغ شاهدُنا غائبنا، وقد أبلغتك، فأنت وشأنك[2].

قال ابن هشام: وبلغني أنّ أول قتيل وَدَاه رسول الله ﷺ يوم الفتح جُنَيْدب ابن الأكوع، قتلته بنو كعب، فَوَداه بمائة ناقة.

تخوّف الأنصار من بقاء الرسول بمكة: **قال ابن هشام:** وبلغني عن يحيى بن سعيد: أنّ النّبيّ ﷺ حين فتح مكة ودخلها، قام على الصَّفا يدعو

---

(١) يعضد: يقطع.

(٢) الحديث مُتَّفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب العلم (١٧٦/٦ و ١٧٧) باب: ليبلّغ الشاهد الغائب. وفي الحج، باب لا يعضد شجر الحرم، وفي المغازي (٩٨/٥) باب منزل النبيّ ﷺ يوم الفتح، ومسلم في الحج (١٣٥٤) باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها... وانظر تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٥٦ (بتحقيقنا) وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ١٠٧/١.

الله، وقد أحدقت به الأنصار، فقالوا فيما بينهم: أترون رسول الله ﷺ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يُقيم بها؟ فلما فرغ من دعائه قال: «ماذا قلتم»؟ قالوا: لا شيء يا رسول الله؛ فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال النّبي ﷺ: «معاذ الله! مَعاذ الله! المحيا محياكم، والممات مماتكم»[1].

كسر الأصنام: قال ابن هشام: وحدّثني من أثق به من أهل الرواية في إسنادٍ له، عن ابن شهاب الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص؛ فجعل النبيّ ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: ﴿جَاءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾[2] فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلّا وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلّا وقع لوجهه. حتى ما بقي منها صنم إلّا وقع[3]، فقال تميم بن أسد الخُزاعيّ في ذلك:

وفي الأصنــام معتَبـرٌ وعلم ... لمن يرجو الثوابَ أو العِقابا

إسلام فَضَالة: قال ابن هشام: وحدّثني: أنّ فَضالة بن عُمير بن الملوَّح اللّيثي أراد قتل النبيَّ ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه، قال رسول الله ﷺ: أفضالة؟ قال: نعم فضالة يا رسول الله، قال: «ماذا كنت تحدّث به نفسك»؟ قال: لا شيء، كنت أذكر الله، قال: فضحك النبيّ ﷺ، ثم قال: «استغفر الله»، ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه، فكان فضالة

---

(١) أخرج نحوه مسلم في كتاب الجهاد والسير (١٧٨٠) باب فتح مكة، وأبو داود في الخراج والإمارة (٣٠٢٤) باب ما جاء في خبر مكة. وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٤٥، ٥٤٦.

(٢) سورة الإسراء ـ الآية ٨١.

(٣) أخرج البخاري بنحوه في كتاب المظالم والغصْب، باب هل تُكْسَر الدّنان التي فيها الخمر..؟ (١٠٨/٣) وفي كتاب المغازي، باب أين ركَز النبيّ ﷺ الراية يوم الفتح، وفي تفسير سورة بني إسرائيل، باب: وقل جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً. ومسلم في كتاب الجهاد والسير (١٧٨١) باب إزالة الأصنام من حول الكعبة، والترمذي في التفسير (٣١٣٧) باب ومن سورة بني إسرائيل. وابن سعد في الطبقات ١٣٦/٢، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٤٩ و ٥٥٠.

يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحبّ إليّ منه. قال فَضَالة: فرجعت إلى أهلي، فمررت بامرأة كنت أتحدّث إليها، فقالت: هلم إلى الحديث، فقلت: لا: وانبعث فضالة يقول:

قالت: هَلُمَّ إلى الحديث، فقلت لا ... يأبى عليك الله والإسلامُ
لوما رأيتُ محمداً وقَبيلَه ... بالفتح يوم تُكسّر الأصنامُ
لرأيتِ دينَ الله أضحى بيّناً ... والشِركَ يغشى وجهه الإظلامُ[1]

الأمان لصفوان بن أُميّة: قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن جعفر، عن عُروة بن الزُبير قال: خرج صفوان بن أميّة يريد جُدَّة ليركب منها إلى اليمن، فقال عُمير بن وهْب: يا نبيّ الله إنّ صفوان بن أُميّة سيّد قومه، وقد خرج هارباً منك، ليقذف نفسه في البحر، فأمّنْه صلّى الله عليك، قال: «هو آمِن»، قال: يا رسول الله فاعطني آيةً يعرف بها أمانك، فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل فيها مكة، فخرج بها عُمير حتى أدركه، وهو يريد أن يركب في البحر، فقال: يا صفوان فداك أبي وأمّي، الله الله في نفسك أن تُهلكها، فهذا أمان من رسول الله ﷺ قد جئتك به، قال: ويْحك! اغرب عنّي فلا تكلّمني، قال: أي صفوان، فداك أبي وأمّي، أفضل الناس، وأبرّ الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، ابن عمّك، عزّه عزّك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك، قال: إنّي أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذاك وأكرم، فرجَع معه، حتى وقف به على رسول الله ﷺ، فقال صفوان: إنّ هذا يزعم أنك قد أمّنتني قال: صدق، قال: فاجعلني فيه بالخيار شهرين، قال: أنت بالخيار فيه أربعة أشهر[2].

---

(١) الدرر في المغازي والسير لابن عبد البر، أسد الغابة ١٨٢/٤، ١٨٣، الإصابة ٢٠٧/٣ رقم ٦٩٩٤، التاريخ الكبير ١٢٤/٧ رقم ٥٥٨.

(٢) تاريخ الطبري ٦٣/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٣٤.

قال ابن هشام: وحدّثني رجل من قريش من أهل العلم أنَّ صفوان قال لعُمَير: ويْحك! اغرب عنّي، فلا تكلّمني، فإنّك كذّاب، لِما كان صنع به، وقد ذكرناه في آخر حديث يوم بدر.

إسلام رءوس أهل مكة: قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريّ: أنّ أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام، وفاختة بنت الوليد ـ وكانت فاختة عند صفوان بن أُميّة، وأمّ حكيم عند عِكْرمة بن أبي جهل ـ أسلَمَتا، فأما أم حكيم فاستأمنت رسول الله ﷺ لعِكرِمة، فأمّنه فلحِقت به باليمن، فجاءت به، فلما أسلم عِكْرمة وصفوان أقرّهما رسول الله ﷺ عندهما على النكاح الأول[1].

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت: قال: رمى حسان: ابن الزبعرى وهو بنجران ببيت واحد ما زاده عليه:

لَا تعْـدمَنْ رجـلاً أحـلَّك بُغْـضُـهُ ... نجـرانَ في عَيْشٍ أَحَـذَّ لئيم[2]

فلما بلغ ذلك ابن الزِّبَعْرَى خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم، فقال حين أسلم:

يـا رسول المليـكِ إنّ لسـاني ... راتقٌ مَـافَتقْتُ إذْ أنـا بُـورُ[3]

إذْ أباري الشيطان في سَنَنِ الغَيِّ ... ومَـنْ مـالَ ميـلَه مَثْـبـور[4]

آمَـنَ اللحْـمُ والعـظامُ لـربّـي ... ثمّ قلبي[5] الشهيدُ أنتَ النّذير

إنّـني عـنـك زاجـرٌ ثَـمَّ حَـيّـا[6] ... مـن لُـؤَيٍّ وكـلُّهُـمْ مَـغْـرُور

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزِّبَعْرى أيضاً حين اسلم:

---

(١) تاريخ الطبري ٦٣/٣.
(٢) الأحذّ: القليل.
(٣) الراتق: السادّ. بور: هالك.
(٤) أباري: أجاري. مثبور: هالك.
(٥) في تاريخ الطبري ٦٤/٣ «نفسي».
(٦) في تاريخ الطبري ٦٤/٣ «ثم حيٌّ».

منع الرقادَ بلابلُ وهمومُ ... والليلُ مُعْتلِجُ الرِّواق بَهيمُ[1]
مِمّا أتاني أن أحمدَ لامَني ... فيه فبِتُّ كأنّني محمومُ
يا خيرَ من حملَتْ على أوصالها ... عَيْرانةٌ سُرُوحُ اليدَيْنِ غَشُوم[2]
إنّي لمعتذرٌ إليك من الذي ... أسلبيتُ إذْ أنا في الضّلال أهيم
أيّامَ تأمرني بأغوى خُطّةٍ ... سَهْمٌ وتأمُرُني بها مخزوم
وأمُدُّ أسباب الرَّدَى ويقودُني ... أمرُ الغُواةِ وأمرهم مشئوم
فاليومَ آمنَ بالنّبيّ محمدٍ ... قلبي ومخطئُ هذه محروم
مضتِ العداوةُ وانقضتْ أسبابُها ... ودَعَتْ أَواصرُ بيننا وحُلُوم
فاغفر - فِدى لك والداي كلاهما - ... زَلَلي، فإنّك راحم مرحوم
وعليك من عِلْم المليك علامة ... نور أغَرُّ وخاتم مختوم
أعطاك بعد محبّةٍ برهانَه ... شَرَفاً وبُرْهان الإله عظيم
ولقد شَهِدت بأن دينَكَ صادقٌ ... حقٌّ وأنك في العباد جسيم
والله يشهد أنّ أحمد مُصْطفىً ... مُستقبل في الصالحين كريم
قَرْم علا بُنيانه من هاشم ... فَرْع تمكن في الذُّرا وأُرُوم[3]

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرها له.

هُبيرة يبقى على كُفْره: **قال ابن إسحاق:** وأما هُبيرة بن أبي وهْب المخزوميّ فأقام بها حتى مات كافراً[4]، كانت عنده أمّ هانيء بنت أبي طالب، واسمها هند، وقد قال حين بلغه إسلام أم هانيء:

أشاقتكَ هندٌ أم أتاك[5] سؤالُها ... كذاكَ النَّوى أسبابُها وانفتالُها[6]

---

(١) البلابل: وساوس الأحزان. معتلج: مضطرب. والبهيم: شديد الإظلام.
(٢) العَيْرانة: الناقة الشديدة تشبه العير. سُرُحُ اليدين: شديدتهما، غشوم: لا تردّ عن وجهها.
(٣) قَرْم: سيّد، والأُروم: الأصول.
(٤) تاريخ الطبري ٦٤/٣، أنساب الأشراف ٣٦٢/١ رقم ٧٥٦.
(٥) في تاريخ الطبري ٦٤/٣ «أم نآك».
(٦) انفتالها: تقلّبها.

وقد أَرَّقَتْ في رأس حِصْن ممنَّع بنجرانَ يَسري بعد ليلٍ خيالُها
وعــاذلــةٍ هَبَّتْ بليــلٍ تلومني وتعذلني بالليل ضـلَّ ضـلالُها
وتزعم أنـي إنَّ أطعتُ عشيرتي سأُرْدى وهل يُرْدينِ إلاّ زِيالُها[1]
فإنّي لمنْ قوم إذا جدَّ جِدُّهم على أيّ حالٍ أصبح اليوم حالُها
وإنّي لحامٍ من وراء عشيرتي إذا كان من تحت العوالي مجالها[2]
وصارت بأيديها السيوف كأنّهـا مخاريق[3] وِلدانٍ ومنهـا ظِلالُهـا
وإنّي لأقْلَى الحاسدينَ وفعلَهُمْ على الله رزقي نفسُها وعِيالُها
وإنّ كلام المرء في غير كُنْهِهِ لكالنَّبْل تهوي ليس فيها نِصالُها
فإنْ كنتِ قد تابعت دِينَ محمدٍ وعـطَّفت الأرحامَ منك حبالُهـا
فكوني على أعلى سحيقٍ بهَضْبةٍ مُلَمْـلَمَـةٍ[4] غَبـراءَ يَبْسٍ بِـلالُهـا[5]

قال ابن إسحاق: ويُروى: «وقطّعت الأرحامَ منك حبالها».

عدّة من فتح مكة: قال ابن إسحاق: وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف، من بني سُليم سبعمائة. ويقول بعضهم: ألف، ومن بني غِفَار أربعمائة، ومن أسلم أربعمائة؛ ومن مُزَينة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم، وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد[6].

ما قيل من الشعر في فتح مكة: وكان مما قيل من الشِعر في يوم الفتح قول حسّان بْن ثابت الأنصاري:

عَفَتْ ذاتُ الأصـابـع فـالجـواءُ إلى عـذراءَ منـزلهـا خَـلاَء[7]

---

(١) أردى: أهلك. زِيالها: ذهابها.
(٢) العوالي: المراح.
(٣) المخاريق: ما يلعب به الأطفال من الخِرَق المفتولة.
(٤) ململمة: مستديرة.
(٥) في المغازي للواقدي ٢/٨٤٩ «يَبْسٍ تِلالها».
(٦) تاريخ الطبري ٣/٦٤، ٦٥.
(٧) عفت: تغيرت. ذات الأصابع، والجواء: موضعان بالشام. وبـالجواء كـان منزل الحارث بن =

دِيارٌ من بني الحسحاس قَفْرٌ ... تُعفّيها الروامسُ والسماء[1]
وكانت لا يزالُ بها أنيس ... خِلالَ مُروجِها نَعَمٌ وشاء[2]
فدعْ هذا، ولكن من لِطَيْفٍ ... يؤرِّقني إذا ذهب العشاء
لشعثاءَ التي قد تيَّمَتْه ... فليس لقلبه منها شِفاء[3]
كأنّ خبيئةً من بيت رأْسٍ ... يكون مِزاجَها عسلٌ وماء[4]
إذا ما الأشْرِباتُ ذُكِرْن يوماً ... فهنّ لطيب الراح الفِداء
نولّيها الملامةَ إن أَلَمْنا ... إذا ما كان مَغْثٌ أو لِحاء[5]
ونشربها فتتركُنا ملوكاً ... وأُسْداً ما يُنهنهنا اللقاء[6]
عدِمْنا خيلَنا إنْ لم تروْها ... تثير النقعَ موعدُها كَدَاء[7]
ينازعن الأعنّةَ مُصْغياتٍ ... على أكتافها الأسلُ الظِّماء[8]
تظلّ جيادُنا متمطِّراتٍ ... يُلَطِّمهُنّ بالخُمُر النساء[9]

= أبي شَمِر الغسّاني. وكان حسّان كثيراً ما يرد على ملوك غسّان يمدحهم. وعذراء: قرية على بريد من دمشق قُتل بها حجْر بن عدِيّ وأصحابه. (الروض الأنف ٤/١١٦).

(١) بنو الحسحاس: حيّ من بني أسد. وقوله الروامس والسماء، يعني: الرياح والمطر والسماء لفظ مشترك يقع على المطر، وعلى السماء المعروفة ولم يعلم ذلك من هذا البيت ونحوه ولا من قوله:

إذا سقط السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غِضابا

لأنه يحتمل أن يريد مطر السماء، فحذف المضاف، ولكنْ إنّما عرفناه من قولهم في جمعه سمى، وهم يقولون في جمع السماء: سماوات وأسمية، فعلمنا أنه اسم مشترك بين شيئين (الروض الأنف ٤/١١٦، ١١٧).

(٢) النَعَم: الإبل، فإذا قيل أنعام دخل فيها الغنم والبقر والإبل، والشاء والشوي اسم للجميع كالضأن والضنين والإبل والإبيل، والمعز والمعيز، وأما الشاة، فليست من لفظ الشاء لأنّ لام الفعل منها هاء وأبو الحسحاس: حيّ من بني أسد.

(٣) شعثاء: اسم امرأة وهي زوجته، وبنت كاهن الأسلمية.

(٤) الخبيئة: الخمر المضنون بها، وبيت رأس: موضع بالأردن.

(٥) نوليها الملامة: نرجع إليها اللوم. المَغْث: الضرب بالكفّ. واللِحاء: السباب.

(٦) ينهنهنا: يزجرنا.

(٧) كَدَاء: موضع بمكة.

(٨) المصغيات: المنحرفة للطعن. الأسل: الرماح.

(٩) متمطّرات: متسابقات. يلطمهنّ: يضربهنّ. يقول السهيلي في الروض: قال ابن دُريد في =

فإما تُعرضوا عنّا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغِطاء

وإلّا فاصبِرُوا لجلاد يوم ... يُعين الله فيه من يشاء

وجبريلٌ رسولُ الله فينا ... ورُوح القُدس ليس له كِفاء[1]

وقال الله قد أرسلْتُ عَبْداً ... يقول الحقَّ إنْ نفع البلاء[2]

شهدتُ به فقوموا صدِّقوهُ ... فقلتم: لا نقوم ولا نشاء

وقال الله قد سيَّرْتُ جُنْداً ... همُ الأنصار عُرْضَتُها اللقاء[3]

لنا في كلّ يومٍ من مَعَدٍّ ... سِباب أو قتال أو هجاء

فنُحْكِمُ بالقوافي من هجانا ... ونضرب حين تختلِط الدماء[4]

ألا أبلِغْ أبا سُفيان عنّي ... مُغَلْغَلَةً فقد بَرِح الخفاء[5]

بأنّ سيوفنا تركتْك عبداً ... وعبدُ الدّار سادتُها الإماء

هجوتَ محمداً وأجبتُ عنهُ ... وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجُوه ولستَ له بكفءٍ ... فشرُّكما لخيركما الفِداء[6]

هجوتَ مباركاً بَرّاً حنيفاً ... أمينَ الله شِيمتُهُ الوفاء

أمَن يهجو رسولَ الله منكمْ ... ويمدحه وينصرهُ سواء؟!

فإنّ أبي ووالده وعِرضي ... لعِرْض محمدٍ منكم وقاء

= الجمهرة، كان الخليل يروي «يلطلمهنّ» وينكر «يلطّمهنّ» ويجعله بمعنى ينفض النساء بخُمُرهنّ ما على الخيل من الغبار. (أنظر الروض ٤/١١٨).

(١) كفاء: مثل.

(٢) البلاء: الاختبار.

(٣) عرضتها: عادتها.

(٤) نحكم: تمنع.

(٥) المغلغلة: الرسالة المكتوبة.

(٦) فشرّكما لخيركما الفداء: في ظاهر اللفظ بشاعة. لأنّ المعروف أن لا يقال هو شرّهما إلّا وفي كليهما شرّ، وكذلك: شر منك، ولكن سيبويه قال في كتابه: تقول مررت برجل شرّ منك: إذا نقص عن أن يكون مثله، وهذا يدفع الشناعة عن الكلام الأول، ونحو منه قوله عليه السلام: شرّ صفوف الرجال آخرها» يريد: نقصان حظّهم عن حظّ الأول، كما قال سيبويه، ولا يجوز أن يريد التفضيل في الشرّ. والله أعلم. (الروض الأنف ٤/١١٨).

لســاني صــارم لا عَيبَ فيــه وبحــري لا تكــدّره الــدِّلاء[1]

قال ابن هشام: قالها حسّان يوم الفتح. ويُروى: «لساني صارم لا عتب فيه».

وبلغني عن الزُّهْريّ أنه قال: لما رأى رسول الله ﷺ النساء يلطمن الخيل بالخُمر تبسّم إلى أبي بكر الصِّدّيق رضي الله عنه.

قال ابن إسحاق: وقال أنس بن زُنيم الدّيليّ يعتذر إلى رسول الله ﷺ مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخُزاعيّ:

أأنت الذي تُهْدَى مَعَدٌّ بأمره بل الله يَهْديهمْ وقال لك اشهدِ
وما حملتْ من ناقةٍ فوق رَحْلِها أبــرَّ وأوفَى ذمة من محمــد
أحثَّ على خيرٍ وأسبغ نــائلاً إذا راح كالسيف الصّقيل المهنّد
وأكْسَى لبُرد الخال قبل ابتذاله وأعطى لرأس السابق المتجرِّد[2]
تعلَّم رسولَ الله أنّك مُـدْركي وأنّ وعيداً منك كالأخذ باليد[3]

---

(١) أنظر الأبيات باختلاف الألفاظ في ديوان حسّان ٤ ـ ١٠، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٤٢، ٥٤٣ و ٥٤٤، والبداية والنهاية ٤/٣١٠، وعيون التواريخ ١/٣١٠ ـ ٣١٢، وشفاء الغرام ٢/٢٢١، وعيون الأثر ٢/١٨١، ١٨٢. وانظر صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة (٢٤٩٠) باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه.

(٢) الخال: نوع من البرود اليمنية وهو من رفيع الثياب وخسمّي بالخال الذي بمعنى الخيلاء. (الروض الأنف ٤/١١٨) والسابق: الفرس السابق. والمتجرّد: بهذا المعنى أيضاً.

(٣) هذا البيت معناه من أحسن المعاني. وقد أخذه النابغة فقال:

فــإنــك كــالــليــل الــذي هــومــدركي وإنّ خلت أنّ الـمُـنْـتَـأى عــنــك واسـع
خـطاطيف حجن في جبالٍ متينــة تــمــدّ بــهــا أيــد إلــيــك نــوازع

فالشطر الأول كالبيت الأول من قول النابغة، والشطر الثاني كالبيت الثاني، لكنه أطبع منه، وأوجز. وقول النابغة كالليل؛ فيه من حُسن التشبيه ما ليس في قولي الديلي، إلاّ أنه يسمج مثل هذا التشبيه في النبيّ ﷺ، لأنه نورٌ وهُدى، فلا يُشبّه بالليل، وإنّما حسُن في قول النابغة أن يقول كالليل، ولم يقل كالصبح، لأنّ الليل تُرهب غوائله، ويُحذر من إدراكه ما لا يُحذر من النهار، وقد أخذ بعض الأندلسيين هذا المعنى، فقال في هربه من ابن عبّاد:

كــأنّ بــلاد الله وهــي عــريــضــة تــشــدّ بــأقــصــاهــا عــليَّ الأنــامــلا =

تعلّم رسولَ الله أنّك قادر ... على كل صِرْمٍ مُتْهمين ومُنجد[1]
تعلّم بأنّ الركْبَ ركبُ عُويمر ... همُ الكاذبون المُخْلِفُو كلَّ موعد
ونَبَّوْا رسولَ الله أنّي هجوتهُ ... فلا حملتْ سَوطي إليّ إذن يدي
سِوى أنّني قد قلتُ ويلُ أمّ فِتيةٍ ... أُصيبوا بنحسٍ لا بطلْق وأسْعُد[2]
أصابهمُ مَنْ لم يكنْ لدمائهمْ ... كِفاءً فعزتْ عبرتي وتبلّدي[3]
فإنّك قد أخفرتَ إنْ كنتَ ساعياً ... بعبد بن عبد الله وابنة مَهْود
ذُؤيب وكُلثوم وسَلْمى تتابعوا ... جميعاً فإلّا تدمَع العين أكمد
وسَلمى، وسَلمى ليس حيٌّ كمثله ... وإخوتِهِ وهل ملوك كأعبُد؟!
فإنّي لا دِيناً فتقتُ ولا دماً ... هرقْتُ تبينْ عالِمَ الحقّ واقصِد

فأجابه بُديل بن عبد مَناف بن أمّ أصرم، فقال:

بكى أنسٌ رَزْناً فأعولَهُ البُكا ... فألا عَدِيّاً إذ تُطَلُّ وتُبعدُ[4]
بكيتَ أبا عَبْسٍ لقُرب دمائها ... فتُعذِرَ إذْ لا يوقدُ الحربَ موقد
أصابهم يومَ الخنادِمِ[5] فِتيةٌ ... كِرامٌ فسل، منهم نُفيلٌ ومعبد
هنالك إنْ تسفحْ دموعُك لا تُلم ... عليهم وإن لم تدمع العينُ فاكمدوا

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وقال بُجير بن زُهير بن أبي سلْمى في يوم الفتح:

نَفَى أهلَ الحَبَلَّق كلَّ فَجٍّ ... مُزَينةُ غدْوةً وبنو خُفاف[6]

= فأين مَفَرُّ المرءِ عنك بنفسه ... إذا كان يطوي في يديك المراحلا
(الروض الأنف ٤/١١٩).

(١) الصرم: البيوت المجتمعة. مُتْهمين ساكنين تِهامة، مُنْجد: من سكن في نجد.
(٢) الطُلْق: الأيام السعيدة.
(٣) تبلُّدي: تحيُّري.
(٤) تُطَلّ: يبطل دمها ويصير هدْراً.
(٥) الخنادم: أراد يوم الخندمة. والخندمة: جبل بمكة.
(٦) الحَبَلَّق: أرض يسكنها قبائل من مُزينة، وقيس، والحَبَلَّق: الغنم الصغار، ولعلّه أراد بقوله: أهل الحَبَلَّق أصحاب الغنم، وبنو عثمان هم مُزينة وهم بنو عثمان بن لاطم بن أدّ بن طابخة، =

ضربناهم بمكّة يوم فتح النّبيّ … الخير بالبيضِ الخِفاف
صَبَحْناهم بسبعٍ من سُلَيم … وألف من بني عُثْمان وافِ[1]
نَطَا أكتافهمْ ضرباً وطعناً … ورشقاً بالمريّشةِ اللّطاف[2]
ترى بين الصفوف لها حفيفاً … كما انصاع الفُواق من الرّصاف[3]
فرُحْنا والجيادُ تجول فيهمْ … بأرماحٍ مُقَوَّمة الثقاف
فأبنّا غانمينَ بما اشتهينا … وآبوا نادمينَ على الخلاف
وأعطينا رسول الله منّا … مواثِقَنا على حُسن التصافي
وقد سمعوا مقالتنا فهمّوا … غداة الروع منّا بانصراف

قال ابن هشام: وقال عبّاس بن مِرْداس السّلميّ في فتح مكة:

منّا بمكّة يوم فتحِ محمدٍ … ألفُ تسيل به البِطاح مُسَوَّمُ
نصروا الرسولَ وشاهدوا أيامه … وشعارُهُمْ يوم اللقاء مقدَّم
في منزلٍ ثبتت به أقدامُهمْ … ضَنْكٍ كأنّ الهامَ فيه الحَنْتَم[4]
جرَّت سنابكَها بنجد قبلَها … حتى استقاد لها الحجاز الأدهم
الله مكّنه له وأذله … حكم السيوف لنا وجد مِزْحَم[5]
عَودُ الرياسة شامخٌ عِرنينُهُ … متطلّعٌ ثُغَرَ المكارم خِضْرِم[6]

= ومُزَينة أمّهم بنت كلب بن وبرة بن تغلِب بن حلو ان بن الحاف بن قُضاعة، وأختها: الحَوْأب التي عُرف بها ماء الحوأب المذكور في حديث عائشة حين قال رسول الله ﷺ لنسائه ما معناه: من منكنّ تنبحها كلاب الحَوأب. فنبحت الكلاب عائشة رضي الله عنها في قصّة وقعة الجمل، وأصل الحوأب في اللغة القدح الضخم الواسع، وبنو خفاف بطن من سُليم. (الروض الأنف ٤/ ١١٩).

(١) بسبع: أي بسبعمائة.
(٢) المريّشة: السهام ذات الريش وهي أسرع في الرمي.
(٣) الفُواق: الفوق وهو طرف السهم. والرّصاف جمع رصفة: ما يُلوى على طرف السهم.
(٤) الضنْك: الضيق. الهام: الرؤوس. الحنتم: الخضل.
(٥) مِزْحم: كثير المزاحمة، يقصد أن حظّهم عظيم.
(٦) العَوْد في الأصل المسنّ من الإبل، ويريد به هنا أنه قديم في المجد مطلقاً. العِرْنين: طرف الأنف. الخِضْرم: الكريم.

إسلام عباس بن مِرداس: قال ابن هشام: وكان إسلام عباس بن مِرْداس، فيما حدّثني بعض أهل العلم بالشِعر، وحديثه أنه كان لأبيه مِرداس وثن يعبده، وهو حجر كان يقال له ضَمار، فلما حضر مِرداس قال لعباس: أي بُنيّ، اعبدْ ضَمارَ فإنه ينفعك ويضرّك، فبينا عباس يوماً عند ضَمار، إذ سمع من جوف ضمار منادياً يقول:

قُلْ للقبائل من سُليمٍ كلّها ... أودى ضمارٍ وعاش أهلُ المسجد
إنّ الذي ورِث النُّبوَّةَ والهُدَى ... بعد ابنِ مريمَ من قُريشٍ مُهتدي
أودى ضَمَارٍ وكان يُعبدُ مرةً ... قبل الكتاب إلى النبيّ محمدِ

فخرق عباس ضَمار، ولحِق بالنبيّ ﷺ فأسلم.

قال ابن هشام: وقال جعدة بن عبد الله الخُزاعيّ يوم فتح مكة:

أكعب بن عمرو دعوةً غير باطل ... لِحَيْنٍ له يوم الحديد مُتاحِ[1]
أُتيحتْ له من أرضه وسمائه ... لتقتله ليلاً بغير سلاح
ونحن الأُلَى سَدَّتْ غزال خيولنا ... ولِفْتاً سددناه وفجَّ طِلاح[2]
خَطَرنا وراء المسلمين بجحفل ... ذوي عضُد من خيلنا ورِماح

وهذه الأبيات في أبيات له.

وقال بُجيد بن عمران الخُزاعيّ:

وقد أنشأ الله السّحابَ بنصرنا ... رُكامَ صَحابِ الهيْدَبِ المتراكِبِ[3]
وهِجْرتنا في أرضنا عندنا بها ... كتابٌ أتى من خير مُمْلٍ وكاتب
ومن أجلنا حلّت بمكة حُرْمة ... لندرك ثأراً بالسيوف القواضب[4]

---

(١) الحَيْن: الهلاك. مُتاح: مقدَّر.

(٢) غزال: اسم موضع، منعه هنا من التنوين وقد ينوَّن. ولفت: موضع أيضاً، وكذلك فجّ طلاح.

(٣) الهيدب: القريب من الأرض. المتراكب: الذي يركب بعضه بعضاً.

(٤) القواضب: القواطع.



مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة من كِنانة[1] ومسير عليّ لتلافي خطأ خالد

قال ابن إسحاق: وقد بعث رسول الله ﷺ فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عزّ وجلّ، ولم يأمرهم بقتال، وكان ممن بعث خالد بن الوليد، وأمره أن يسير بأسفل تِهامة داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً، فوطيء بني جُذَيمة، فأصاب منهم[2].

قال ابن هشام: وقال عباس بن مِرداس السّلميّ في ذلك:

فإنْ تك قد أمَّرت في القوم خالداً ... وقدّمته فإنّه قد تقدّما

بجُندٍ هداه الله أنت أميرُه ... نُصيب به في الحقّ من كان أظلما

قال ابن هشام: وهذان البيتان في قصيدة له في حديث يوم حُنَين، سأذكرها إن شاء الله في موضعها.

---

(١) وتُعرف أيضاً بغزوة الغميط وهو ماء لبني جُذَيمة. كما ذكر السهيلي في الروض الأنف ٤/١٢٠ انظر عنها في: المغازي للواقدي ٣/٨٧٥، وتاريخ الطبري ٣/٦٦، وتاريخ خليفة ٨٧، ٨٨، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٤٧، ونهاية الأرب ١٧/٣١٦، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٦٧، وعيون التواريخ ١/٣١٣، وعيون الأثر ٢/١٨٥، وسيرة ابن كثير ٣/٥٩٣، والمحبّر ١٢٤، وتاريخ اليعقوبي ٢/٦١.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٦٦، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٦٧.

قال ابن إسحاق: فحدّثني حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حنيف، عن أبي جعفر محمد بن علي، قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً، ومعه قبائل من العرب: سُليم بن منصور، ومُدلج بن مُرّة، فوطِئوا بني جُذيمة بن عامر بن عبد مَناة بن كِنانة، فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ضعوا السلاح، فإنّ الناس قد أسلموا[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة، قال: لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منّا يقال له جَحْدَم: ويلكم يا بني جذيْمة! إنه خالد والله! ما بعد وضع السلاح إلاّ الإسار، وما بعد الإسار إلاّ ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً. قال: فأخذه رجال من قومه، فقالوا: يا جَحْدَم، أتريد أن تسفك دماءنا؟ إنّ الناس أسلموا ووضعوا السلاح، ووضعت الحرب، وأمن الناس. فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه، ووضع القوم السلاح لقول خالد[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني حكيم، عن أبي جعفر محمد بن عليّ، قال: فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك، فكُتّفوا، ثم عرضهم على السيف، فقتل من قتل منهم؛ فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ، رفع يديه إلى السماء، ثم قال: «اللهم إنّي أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد»[3].

الرسول يتبّرأ من فعل خالد: **قال ابن هشام**: حدّثني بعض أهل العلم، أنه حدّث عن إبراهيم بن جعفر المحمودي، قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت كأنّي لقمت لقمة من حَيْس[4] فألتذذت طعمَها، فاعترض في حلقي

---

(1) تاريخ الطبري ٣/٦٦، ٦٧.

(2) تاريخ الطبري ٣/٦٧.

(3) أخرج نحوه البخاري في كتاب المغازي (٥/١٠٧) باب بعث النبيّ ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة. وانظر: تاريخ الطبري ٣/٦٧، ومسند أحمد ٢/١٥١، والمغازي للواقدي ٣/٧٨٨١ والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٢٤٨، وتاريخ الإسلام (المغازي) للذهبي ٥٦٧، ٥٦٨.

(4) الحيس: تمر يُخلط بسمن ودقيق ويُعجن.

منها شيء حين ابتلعتها، فأدخل عليّ يده فنزعه»؛ فقال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: يا رسول الله، هذه سريّة من سراياك تبعثها، فيأتيك منها بعض ما تحبّ، ويكون في بعضها اعتراض، فتبعث عليّاً فيسهّله.

قال ابن هشام: وحدّثني أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر، فقال رسول الله ﷺ: هل أنكر عليه أحد؟ فقال: نعم، قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة[1]، فنهمه[2] خالد، فسكت عنه، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطّرب، فراجعه، فاشتدّت مراجعتهما؛ فقال عمر بن الخطّاب: أما الأول يا رسول الله فابني عبد الله، وأما الآخر فسالم، مولى أبي حُذَيفة.

قال ابن إسحاق: فحدّثني حكيم بن حكيم، عن أبي جعفر محمد بن عليّ قال: ثم دعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال: يا عليّ، اخرج إلى هؤلاء القوم، فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك؛ فخرج عليّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ، فوَدَى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال، حتى إنه لَيَدِي لهم ميلَغَة الكلب[3]، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلاّ وداه، بقيت معه بقية من المال، فقال لهم عليّ رضوان الله عليه حين فرغ منهم: هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يُودَ لكم؟ قالوا: لا. قال: فإنّي أعطيكم هذه البقية من هذا المال، احتياطاً لرسول الله ﷺ، مما يعلم ولا تعلمون، ففعل. ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فقال: أصبت وأحسنت! قال: ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه، حتى إنه ليرى مما تحت

---

(١) الربعة من الرجال: للذي بين الطويل والقصير.
(٢) نهمه: زجره.
(٣) ميلغة وميلغ: مسقاة تصنع من خشب ليلغ فيها الكلب، والجمع مَيَالغ ومَوَالغ. (النهاية ٤/ ٢٣٠).

مَنْكِبيه[1]، يقول: «اللهمّ إنّي أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد»، ثلاث مرات.[2]

قال ابن إسحاق: وقد قال بعض من يعذر خالداً إنه قال: ما قلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حُذافة السّهْميّ، وقال: إنّ رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام[3].

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المدني: لما أتاهم خالد، قالوا: صبأنا صبأنا[4].

قال ابن إسحاق: وقد كان جَحْدم قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى ما يصنع خالد ببني جذيمة: يا بني جذيمة، ضاع الضرب، قد كنت حذّرتكم ما وقعتم فيه. قد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف، فيما بلغني، كلام في ذلك، فقال له عبد الرحمن بن عوف: عملت بأمر الجاهلية في الإسلام. فقال: إنّما ثأربت بأبيك. فقال عبد الرحمن: كذبت، قد قتلت قاتل أبي، ولكنّك ثأرت بعمّك الفاكه بن المغيرة، حتى كان بينهما شرّ. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: مهلاً يا خالد، دع عنك أصحابي، فوالله لو كان لك أُحد ذهباً ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا رَوْحته[5].

ما كان بين قريش وبني جذيمة في الجاهلية: وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وعوف بن عبد مناف بن عبد الحارث بن زُهْرة، وعفّان بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس قد

---

(١) في تاريخ الطبري ٣/٦٧، ٦٨ «حتى أنه ليُرى بياضُ ما تحت منكبيه».

(٢) تاريخ الطبري ٣/٦٧، ٦٨ الطبقات لابن سعد ٢/١٤٨، المغازي للواقدي ٣/٨٨٢، نهاية الأرب ١٧/٣١٦ و ٣١٩ و ٣٢١، ٣٢٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٦٨، سيرة ابن كثير ٣/٥٩٢، عيون التواريخ ١/٣١٥، عيون الأثر ٢/١٨٦.

(٣) الطبري ٣/٦٨.

(٤) من معاني صبأ: خرج من دِين إلى دِين ويقصدون أنهم تركوا دينهم ودخلوا في الإسلام.

(٥) تاريخ الطبري ٣/٦٨.

خرجوا تُجّاراً إلى اليمن، ومع عفّان ابنه عثمان. ومع عوف ابنه عبد الرحمن فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بني جذيمة بن عامر، كان هلك باليمن، إلى ورثته، فادّعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام، ولقيهم بأرض بني جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت، فأبوا عليه، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه، وقاتلوه فقُتل عوف، والفاكه بن المغيرة ونجا عفّان بن أبي العاص وابنه عثمان، وأصابوا مال الفاكه بن المغيرة، ومال عوف بن عبد عوف، فانطلقوا به، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه، فهمّت قريش بغزو بني جذيمة، فقالت بنو جذيمة: ما كان مصاب أصحابكم عن ملإ منّا، إنّما عدا عليهم قوم بجهالة، فأصابوهم ولم نعلم، فنحن نعقل لكم ما كان لكم قِبَلنا من دمٍ أو مال، فقبلت قريش ذلك، ووضعوا الحرب.

وقد قال قائل من بني جذيمة، وبعضهم يقول: امرأة يقال لها سلْمى:

ولولا مقالُ القومِ للقوم أسلمُوا ... للاقت سُليمٌ يوم ذلك ناطِحا

لماصَعَهُمْ بُسْرٌ وأصحَابُ جَحْدَمٍ ... ومُرَّةُ حتى يتركوا البَرْكَ ضابحا[1]

فكائن ترى يوم الغُميصاء من فتىً ... أصيب ولم يُجْرح وقد كان جارحاً[2]

ألظَّتْ بخُطّابِ الأيامَى وطُلّقت ... غداتَئذٍ منهنّ من كان ناكحاً[3]

قال ابن هشام: قوله «بُسْر»، «وألظّت بخُطّاب» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فأجابه عباس بن مِرداس، ويقال بل الجَحّاف بن حَكيم السُّلميّ:

دعي عنك تَقْوال الضّلالِ كفَى بنا ... لكبش الوغى في اليوم والأمس ناطحا

فخالد أولى بالتعذّر منكُم ... غداة علا نَهْجا من الأمر واضحا

مُعاناً بأمر الله يُزْجي إليكمُ ... سَوانحَ لا تكبُو له وبوارحا

---

(١) المماصعة: مضاربة بالسيوف. البرك هنا: الإبل الباركة.

(٢) الغميصاء: بلد.

(٣) ألَظَّت: لزمت.

نَعَوْا مالكا بالسهل لما هبطْنه ... عوابسَ في كابي الغُبار كوالحا[1]
فإنْ نكُ أثكلناكِ سَلْمى فمالكٌ ... تركتُم عليه نائحاتٍ ونائحا

وقال الجَحّاف بن حكيم السُّلَميّ:

شهِدْنَ مع النّبيّ مُسَوَّماتٍ ... حُنَيْناً وهْيَ داميةُ الكِلام[2]
وغزوةَ خالد شهدت وجَرّت ... سنابكَهُنّ بالبلدِ الحرام
نُعَرِّض للطِّعان إذا التقينا ... وجُوهاً لا تُعرَّضُ لِلّطام
ولست بخالعٍ عنّي ثيابي ... إذا هزّ الكُماةُ ولا أرامي
ولكنّي يَجُولُ المُهْرُ تحتي ... إلى العَلواتِ بالعضب الحسام

خبر ابن أبي حَدْرَد بني جذيمة: قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس، عن الزُّهْريّ، عن ابن أبي حدرد الأسلميّ، قال: كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد، فقال لي فتى من بني جذيمة، وهو في سنّي، وقد جُمعت يداه إلى عنقه برُمَّة[3]، ونِسْوَة مجتمعات غير بعيد منه: يا فتى؛ فقلت: ما تشاء؟ قال: هل أنت آخذ بهذه الرُّمَّة، فقائدي إلى هؤلاء النِّسْوة حتى أقضي إليهنّ حاجة، ثم تردّني بعد، فتصنعوا بي ما بدا لكم؟ قال: قلت: والله لَيسيرٌ ما طلبت، فأخذت بُرمَّته فقدته بها، حتى وقف عليهنّ، فقال: اسلمي حُبَيش، على نَفَدٍ من العيش[4]:

أَرَيْتكِ إذ طالبْتُكم فوجدتُكم ... بحَلْيَةَ أو ألفيتُكُمْ بالخَوانِق[5]
ألَم يكُ أهلاً أن يُنوَّلَ عاشقٌ ... تَكلّف إدْلاجَ السُّرَى والودائق[6]
فلا ذنبَ لي قد قلت إذ أهلُنا معاً ... أثيبي بوُد قبل إحدى الصفائق[7]

---

(١) كابي: مرتفع. الكوالح: العوابس.
(٢) الكِلام: الجراح.
(٣) الرُّمَّة: الحبل البالي.
(٤) نفد العيش: فناؤه.
(٥) الحَلْية والخوانق: موضعان.
(٦) الإدلاج: السير ليلاً. الوداثق: جمع وديقة: شدّة الحرّ.
(٧) الصفائق: النوائب.

أثيبي بـودٍ قبـل أن تَشْحَطَ النَّـوى ... وينـأى الأميرُ بـالحبيبِ المفـارق

فـإنّـي لا ضيـعـتُ سـرَّ أمـانـةٍ ... ولا راق عيني عنـكِ بـعـدَك رائق

سوى أنّ مـا نـال العشيرة شـاغـلٌ ... عن الـوُدّ إلاّ أن يكـونَ التـوامقُ[1]

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشِعر يُنكر البيتين الآخرين منها له.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس، عن الزُّهـريّ، عن ابن أبي حَـدْرَد الأسلميّ قـال: قـالت: وأنت فحُيِّيت سبعـاً وعشراً، وِتْراً وثمانياً تَتْرَى. قال: ثم انصرفت به. فضربت عُنقه.

قـال ابن إسحـاق: فحـدّثني أبـو فـراس بن أبي سنبلة الأسلمي، عن أشياخ منهم، عمّن كان حضرها منهم، قالوا: فقامت إليه حين ضربت عُنقه، فأكبّت عليه، فما زالت تقبّله حتى ماتت عنده[2].

قال ابن إسحاق: وقال رجل من بني جذيمة:

جـزى الله مُـدْلجـاً حيث أصبحت ... جـزاءة بُؤْسَى حيث سـارتْ وحلّتِ

أقـامـوا على أقضـاضنـا يَقْسِمـونهـا ... وقـد نَهلَتْ فينـا الـرمـاح وعلّت

فـو الله لـولا دِيـن آل مـحـمـد ... لقـد هـربت منهم خيـول فـشلّت

ومـا ضـرّهم أن لا يُعينـوا كتيبـة ... كـرِجْـل جَـراد أرسلت فـاشمعلّت[3]

فـإمّا ينيبـوا أو يثـوبـوا لأمـرهم ... فـلا نحن نجـزيهم بمـا قـد أضلّتِ

فأجابه وهْب، رجل من بني ليث، فقال:

دعَـوْنـا إلى الإسـلام والحقّ عـامـراً ... فمـا ذنبنـا في عـامـر إذ تَـولّـتِ

---

(١) التوامق: شدّة الحبّ.

وانظر الأبيات باختلاف الألفاظ في: طبقات ابن سعد ١٤٩/٢، المغازي للواقدي ٨٧٩/٣، وتاريخ الطبري ٦٩/٣، والأغاني ٢٨٩/٧، ٢٩٠، ونهاية الأرب ٣٢٢/١٧، ٣٢٣، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٦٩، وسيرة ابن كثير ٥٩٥/٣، وعيون التواريخ ٣١٧/١، وعيون الأثر ١٨٧/٢.

(٢) أنظر المصادر السابقة.

(٣) رِجل الجراد: الجماعة منهم. اشمعلّت: تفرّقت.

وما ذنبنا في عامر لا أبا لَهُمْ ... لأنْ سَفِهَت أحلامهُم ثم ضلّت

وقال رجل من بني جذيمة:

ليهني بني كعب مُقدَّم خالد ... وأصحابه إذ صبَّحتنا الكتائب
فلا تِرةٌ[1] يسعى بها ابن خُوَيْلد ... وقد كنتَ مكفياً لَوَ آنّك غائب
فلا قومُنا يَنْهَوْن عنا غُواتِهم ... ولا الداءُ من يوم الغُميصاءِ ذاهبُ

وقال غلام من بني جذيمة، وهو يسوق بأمّه وأُختَين له وهو هارب بهن من جيش خالد:

رَخَّينَ أذيالَ المُروط وأرْبَعْنْ ... مَشى حَيِيّاتٍ كأنْ لم يُفْزَعْنْ[2]
إن تُمنَعِ اليومَ نِساءٌ تمنَعْنْ

وقال غِلمة من بني جذيمة، يقال لهم بنو مُساحِق، يرتجزون حين سمعوا بخالد فقال أحدهم:

قد علِمَتْ صفراءُ بيضاءُ الإطلْ ... يحوزُها ذو ثَلَّةٍ وذو إبِلْ[3]
لأُغْنِين اليومَ ما أغنَى رجل

وقال الآخر:

قد علمتْ صفراءُ تُلْهي العِرْسا ... لا تملأ الحيزومَ منها نَهْسا[4]
لأضربنّ اليومَ ضَرْباً وعَسا ... ضرْبَ المحِلِّينَ مَخاضا قعْسا[5]

وقال الآخر:

---

(١) التِرَة: طلب الثأر.
(٢) المروط: أثواب من خَزّ. وأربعْن: أقمن.
(٣) الإطل: الخاصرة، ثلّة: جماعة الغنم.
(٤) الحَيْزوم: وسط الصدر. النهس: نهش اللحم بمقدّم الأسنان.
(٥) الوعس: السريع. المُحِلّين: الخارجين من الحرم إلى الحِلّ. المخاض: الإبل الحوامل القعس: الممتنعة عن السير.

أقسمتُ ما إن خادِرٌ ذو لِبَدهْ   شَشْنُ البَنانِ في غداةٍ بِرْدَه[1]
جَهْمُ المُحَيّا ذو سِبال وَرْدَهْ   يُرْزِمُ بين أيكةٍ وجَحْدَه[2]
ضارٍ بتأكال الرجال وحْدَهْ   بأصدقَ الغداةَ منّي نَجْدَه

خالد يهدم العُزَّى: ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العُزَّى وكانت بنخلة، وكانت بيتاً يعظّمه هذا الحيّ من قريش وكِنانة ومُضَر كلّها، وكانت سَدَنتها وحجّابها بني شيبان من بني سُلَيم حلفاء بني هاشم، فلما سمع صاحبها السّلميّ بمسير خالد إليها، علّق عليها سيفه، وأسند في الجبل[3] الذي هي فيه وهو يقول:

أيا عُزَّ شُدِّي شدّة لا شَوَى لها   على خالدٍ ألْقي القناعَ وشمِّري[4]
يا عُزَّ إنْ لم تقتلي المرءَ خالداً   فبوئي بإثمٍ عاجلٍ أو تنصّري[5]

فلما انتهى إليها خالد هدمها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدّثني ابن شهاب الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود **قال:** أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصُر الصلاة[6].

قال ابن إسحاق: وكان فتح مكة لعشر ليالٍ بقين من شهر رمضان سنة ثمان[7].

---

(١) الخادر: الأسد المختبيء في خِدْره. شثن: غليظ.
(٢) السبال: شارب الأسد. يُرْزِم: يصيح، الأيكة: الشجرة الكثيفة الأغصان والجَحْدة: قليلة الأغصان.
(٣) أسند في الجبل: ارتفع فيه.
(٤) لاشوى لها: أي لا تذر شيئاً.
(٥) في كتاب الأصنام للكلبي ٢٦:

أَعُزّاءُ شُدّي شَدَّةً لا تُكَذِّبي   على خالدٍ أَلْقي الخِمَارَ وشَمِّري
فإنّكِ إلّا تقتُلي اليومَ خالداً   تَبُوئي بذلٍّ عاجلاً وتَنَصَّري

(٦) تاريخ الطبري ٦٩/٣.
(٧) تاريخ الطبري ٦٩/٣.



غزوة حُنَين في سنة ثمانٍ ـ بعد الفتح(1)

قال ابن إسحاق: ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه مكة، جمعها مالك بن عوف النصْري، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلّها، واجتمعت نصر وجُشَم كلّها، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال، وهم قليل، ولم يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب، ولم يشهدها منهم أحد له اسم، وفي بني جُشَم دُرَيد بن الصِّمّة شيخ كبير، ليس فيه شيء إلاّ التّيمّن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخاً مجرّباً، وفي ثقيف سيّدان لهم، في الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتّب، وفي بني مالك ذو الخمار سُبَيْع بن الحارث بن مالك، وأخوه أحمر بن الحارث، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصْري.

فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حطّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، فلما نزل بأوطاس(2) اجتمع إليه الناس، وفيهم دُرَيد بن الصّمّة في

---

(1) انظر عنها في: المغازي لعروة ٢١٤، والمغازي للواقدي ٨٨٥/٣، والطبقات الكبرى ١٤٩/٢، وتاريخ الطبري ٧٠/٣، وتاريخ خليفة ٨٨، والمحبّر ١١٥، وصحيح البخاري ٩٨/٥، وأنساب الأشراف ٣٦٤/١، والبدء والتاريخ ٢٣٥/٤، والكامل في التاريخ ١٨٧/٢، وعيون التواريخ ٣٢١/١، والروض الأنف ١٣٨/٤، وسيرة ابن كثير ٦١٠/٣، ومجمع الزوائد ١٧٨/٦، والمعرفة والتاريخ ٢٦١/٣، وتاريخ اليعقوبي ٦٢/٢ ـ ٦٤.

(2) ويقال لها أيضاً غزوة أوطاس سُمّيت بالموضع الذي كانت فيه الوقعة وهو من وطست الشيء=

شِجار[1] له يُقاد به، فلما نزل قال: بأيّ وادٍ أنتم؟ قالوا: بأَوْطاس قال: نعم مجال الخيل! لا حَزْنٌ ضَرِس[2]، ولا سهلٌ دَهِس[3]، مالي أسمع رُغاء البعير، ونُهاق الحمير. وبكاء الصغير، ويُعار الشاء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، قال: أين مالك؟ قيل: هذا مالك ودُعي له، فقال: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإنّ هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، مالي أسمع رُغاء البعير، ونُهاق الحمير، وبُكاء الصغير، ويُعار الشاء؟ قال: سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال: ولِمَ ذاك؟ قال: أردت أن أجعل خلف كلّ رجل منهم أهله وماله، ليقاتل عنهم، قال: فانقضّ به[4]. ثم قال: راعي ضأن، والله! وهل يردّ المنهزم شيء؟ إنّها إنْ كانت لك لم ينفعك إلّا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضحت في أهلك ومالك، ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا: لم يشهدها منهم أحد، قال: غاب الحدّ والجدّ، ولو كان يوم علاء ورِفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب، فمن شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، قال: ذانك الجَذَعان[5] من عامر، لا ينفعان ولا يضرّان؛ يا مالك، إنك لم تصنع بتقديم البيضة بَيضة[6] هوازن إلى نحور الخيل شيئاً، ارفعهم إلى متمنّع بلادهم وعليا قومهم، ثم القِ الصباء[7] على متون الخيل، فإن كانت لك لحِق بك من وراءك، وإن كانت

= وطْساً إذا كدّرته، وأثّرت فيه. والوطيس: نُقْرة في حجر توقد حوله النار، فيطبخ به اللحم، والوطيس التّنور، وفي غزوة أوطاس قال النبيّ ﷺ: الآن حمي الوطيس، وذلك حين استعرّت الحرب، وهي من الكلم التي لم يُسبق إليها ﷺ. (الروض الأنف ٤/١٣٨).

(١) الشِجار: مركب أصغر من الهودج مكشوف أعلاه.
(٢) الحَزْن. المرتفع. ضرِس: ما فيه حجارة مدبّبة.
(٣) دهِس: ليّن التراب.
(٤) انقضّ به: زجره.
(٥) الجَذَعان: مثنّى جَذَع. الشابّ الحَدَث، ويريد بهما هنا أنهما ضعيفان خاليان عن التجربة.
(٦) البيضة: الجماعة.
(٧) الصباء: يقصد بهم المسلمون.

عليك ألفاك ذلك قد أحرزت أهلك ومالك. قال: والله لا أفعل ذلك، إنك قد كبرت وكبر عقلك. واللهلتُـطيعنَّني يا معشر هوازن أو لأتّكئنّ على هـذا السيف حتى يخرج من ظهري، وكـره أن يكون لـدُرَيد بن الصِّمّـة فيها ذِكْـر أو رأي؛ فقالوا: أطعناك؛ فقال دُرَيد بن الصِّمّة: هذا يوم لم أشهده ولم يفتني:

يـالـيـتـني فـهـيـا جَـذَع أخـبّ فـيـهـا وأضـع[1]
أقـود وطـفـاء الـزمـع كـأنـهـا شـاة صـدع[2]

قال ابن هشام: أنشدني غير واحد من أهل العلم بالشِعر قوله:

«يا ليتني فيهـا جَـذَع»

قـال ابن إسحاق: ثم قـال مالـك للناس: إذا رأيتمـوهـم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدّوا شدّة رجل واحد[3].

قـال: وحـدّثني أُميّـة بن عبد الله بن عمرو بن عثمـان أنـه حُـدّث: أنّ مالك بن عـوف بعث عيونـاً من رجالـه، فأتـوه وقد تفـرّقت أوصالهم، فقـال: ويلكم! ما شأنكم؟ فقالوا: رأينا رجالاً بِيضاً على خيل بُلق، فو الله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فو الله ماردّه ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد[4].

قـال ابن إسحـاق: ولمـا سمـع بهم نبيّ الله ﷺ بعث إليهم عبـد الله بن أبي حَـدْرَد الأسلميّ، وأمره أن يـدخل في النـاس، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم، ثم يأتيه بخبرهم، فانطلق ابن أبي حَدْرد، فدخل فيهم، فـأقام فيهم،

---

(١) الجَذَع: الشاب الحدث، ويريد به هنا قوّة الشباب.

(٢) الوطفاء: طويلة الشعر. والشاة: الوعل. صدع: متوسّط بين العظيم والحقير.

(٣) الخبـر في تـاريخ الـطبـري ٣/٧١، ٧٢، الأغـاني ١٠/١٠ و ٣١، تهـذيب تـاريـخ دمشق ٥/٢٢٩، ٢٣٠، نهـايـة الأرب ١٧/٣٢٤، ٣٢٥، معجم البلدان ١/٢٨١، الكـامـل في التـاريخ ٢/٢٦١، ٢٦٢، المغـازي للواقـدي ٣/٨٨٦ ـ ٨٨٩، البـدء والتـاريخ ٤/٢٣٥، ٢٣٦.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٧٢، الكامل في التاريخ ٢/٢٦٢، نهاية الأرب ١٧/٣٢٦، تاريخ الإسلام ٥٧٤.

حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسـول الله ﷺ، وسمع من مـالك وأمر هوازن مـا هم عليه، ثم أقبـل حتى أتى رسول الله ﷺ، فـأخبره الخبـر، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطّاب، فأخبره الخبر فقال عمر: كذب ابن أبي حَدْرد. فقال ابن أبي حَـدْرد: إنْ كذبتني فـربّما كـذَّبتَ بالحقّ يـا عمر، فقـد كذّبت من هو خير منّي. فقال عمر: يا رسول الله، ألا تسمع مـا يقول ابن أبي حَدْرد؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد كنت ضالاًّ فهداك الله يا عمر»[1].

استعـارة أدراع صفوان: فلمـا أجمع رسـول الله ﷺ السير إلى هـوازن ليلقاهم، ذُكر له أنّ عند صفوان بن أُميّة أدراعاً له وسـلاحاً، فـأرسل إليـه وهو يومئذ مُشْرك فقال: «يا أبا أُميّة، إعِرْنا سلاحك هذا نلق فيه عدوّنا غداً»، فقال صفوان: أغصْباً يا محمد؟ قال: بل عارية ومضمونة حتى نؤدّيها إليك، قـال: ليس بهـذا بأس، فـأعـطاه مـائـة درع بمـا يكفيهـا من السـلاح؛ فـزعمـوا أنّ رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها، ففعل[2].

قال: ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفـان من أهل مكـة مع عشـرة آلاف من أصحابه الذين خرجـوا معه، ففتـح الله بهم مكة، فكـانوا اثني عشـر ألفاً، واستعمل رسول الله ﷺ عتّاب بن أُسَيد بن أبي العيص بن أُميّـة بن عبد شمس على مكـة، أميـراً على من تخلّف عنـه من النـاس، ثم مضى رسـول الله ﷺ على وجهه يريد لقاء هوازن[3].

قصيدة ابن مرداس: فقال عباس بن مِرداس السُّلَميّ:

أصـابتِ العـامَ رِعْـلاً غُـولُ قـومِهمُ وسْطَ البيـوت ولَونُ الغُـول ألـوان[4]

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٧٣، تاريخ الإسلام (المغازي) م ٥٧.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٧٣، الطبقات الكبرى ٢/١٥٠، المغازي للواقـدي ٣/٨٩٠، الكامـل في التاريخ ٢/٢٦٢، نهاية الأرب ١٧/٣٢٦، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٧٢.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٧٣ وبعض الخبر في الكامل في التاريخ ٢/٢٦٢، تاريخ الإسلام ٥٧٢.

(٤) رعل: قبيلة من سليم. وفي الحديث قنت رسول الله ﷺ يدعو على رعل وذَكْوان وعُصَـيَّـة،=

يـا لـهفَ أمٍّ كـلابٍ إذ تُبيّتـهـم — خيلُ ابن هَـوْذَة لا تُنْهَى وإنسـان[1]
لا تَلْفِـظُوهـا وشُـدُّوا عقْـد ذِمّتكم — أن ابـنَ عمّـكُمُ سـعـدٌ ودُهْمـان[2]
لن تَـرْجعـوهـا وإن كـانت مُجلّلة — مـا دام في النَّعَم المـأخـوذ ألبـان
شنعـاء جُلِّل من سـوآتهـا حَضَـنٌ — وسـال ذو شَـوْغـرٍ منهـا وسُلْوان[3]
ليست بـأطيبَ ممـا يشتـوي حَـذَفٌ — إذ قـال: كلُّ شـواء العَيرِ جُـوْفـان[4]
وفـي هـوازن قـومٌ غيـرَ أنّ بـهـمْ — داء اليمـاني فإنْ لم يغْـدِروا خـانـوا
فيهم أخٌ لـو وَفَـوا أو بَـرّ عهـدُهُمُ — ولـو نهكْنـاهُم بـالـطّعن قـد لانـوا
أبـلِغْ هـوازنَ أعـلاهـا وأسفَـلهـا — منّي رسـالـة نُصْـح فيـه تِـبيـان
إنّـي أظنّ رسـول الله صـابـحكـم — جيشـاً لـه في فضـاء الأرض أركـانُ
فيهم أخـوكم سُلَيم غيـرَ تـاركِكمْ — والـمسلمـون عبـادُ الله غـسّـان
وفي عِضـادتـه اليُمنى بنـو أسـدٍ — والأجـربـان بنـو عَبْس وذُبيـان[5]
تكـاد تـرجفُ منـه الأرض رهْبتـه — وفـي مقـدِّمـة أوس وعـثـمـان

قال ابن إسحاق: أوس وعثمان: قبيلا مُزَينة.

قال ابن هشام: من قوله «أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها» إلى آخرها، في هـذا اليوم، وما قبل ذلـك في غير هـذا اليوم، وهمـا مفصولتـان، ولكنّ ابن إسحاق جعلهما واحدة.

ذات أنـواط: قـال ابن إسحـاق: وحـدّثني ابن شهـاب الـزُّهْريّ، عن سِنـان بن أبي سنـان، عن أبي واقـد الليثي، أنّ الحـارث بن مـالـك، قـال

= وهم الذين غدروا بأصحاب بئر معونـة، وقد مضى حـديثهم فيما تقـدّم من السيرة. الغُـول: الداهية.

(١) إنسان: قبيلة من قيس ثم من بني نصر. وقيل هم من بني جُشَم بن بكر.

(٢) سعد ودهمان: ابنا نصر بن معاوية بن بكر.

(٣) حضن: جبل في نجد. ذو شوغر وسلوان: واديان.

(٤) حذف: اسم رجل. العير: حمار الوحش. الجوفان: غرموله.

(٥) سمّاها بالأجربين تشبيهاً بالأجرب الذي لا يُقرب.

خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنَين ونحن حديثو عهد بالجاهلية، قال: فسرنا معه إلى حُنين، قال: وكانت كفّار قريش ومَن سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء، يقال لها ذات أنواط، يأتونها كل سنة، فيعلّقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يوماً، قال فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدرة خضراء عظيمة، قال: فتنادينا من جنبات الطريق: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، قال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، قلتم، والذي نفس محمد بيده، كما قال قوم موسى لموسى: **﴿اجْعَلْ لَنَا إِلهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قومٌ تَجْهلُونَ﴾**[1]. إنها السُّنن، لتركبُنَّ سُنن مَن كان قبلكم».

ثبات الرسول وبعض الصحابة: قال ابن إسحاق؛ فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: لما استقبلنا وادي حُنَين انحدرنا في وادٍ من أودية تِهامة أجوف حطوط، إنما ننحدر فيه انحداراً، قال: وفي عماية الصبح[2]، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي، فكمنوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه، وقد أجمعوا وتهيّئوا وأعدّوا، فوالله ما راعنا ونحن منحطّون إلاّ الكتائب قد شدّوا علينا شدّة رجلٍ واحد، وانشمر الناس راجعين، لا يلوي أحد على أحد.

وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، ثم قال: أين أيها الناس؟ هلمّوا إليَّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله. قال: فلا شيء، حملت الإبل بعضها على بعض، فانطلق الناس، إلاّ أنه قد بقي مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته.

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته عليّ بن أبي طالب والعباس بن عبد المطّلب، وأبو سفيان بن الحارث، وابنه،

(١) سورة هود ـ الآية ٢٩.
(٢) عماية الصبح: ظلامه قبل أن يتبيَّن.

والفضل بن العباس، وربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد. وأيمن بن عُبيد، قُتل يومئذ[1].

قال ابن هشام: اسم ابن أبي سفيان بن الحارث بن جعفر، واسم أبي سفيان المغيرة، وبعض الناس يعدّ فيهم قثم بن العباس، ولا يعدّ ابن أبي سفيان.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: ورجل من هوازن على جملٍ له أحمر، بيده راية سوداء في رأس رمح له طويل، أمام هوازن، وهوازن خلفه، إذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتّبعوه[2].

قال ابن إسحاق: فلما انهزم الناس، ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جُفاة أهل مكة الهزيمة، تكلّم رجال منهم بما في أنفسهم من الضّغْن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وإنّ الأزلام لَمَعَه في كِنانته. وصرخ جَبَلة بن الحنبل - قال ابن هشام؛ كلدة بن الحنبل - وهو مع أخيه صفوان بن أُميّة مُشرك في المدّة التي جعل له رسول الله ﷺ: ألا بطُل السّحرُ اليوم! فقال له صفوان: اسكت فضَّ الله فاك، فو الله لأن يربني رجل من قريش أحبّ إليّ من أن يربّني رجل من هوازن[3].

---

(١) إن قيل: كيف فرّ أصحاب رسول الله ﷺ عنه حتى لم يبق معه منهم إلّا ثمانية، والفرار من الزحف من الكبائر، وقد أنزل الله تعالى فيه من الوعيد ما أنزل. قلنا: لم يجمع العلماء على أنه من الكبائر إلّا في يوم بدر، كذلك قال الحسن ونافع مولى عبيد الله ابن عمر وظاهر القرآن يدلّ على هذا، فإنه قال: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يومئذٍ دُبُرَهُ﴾ فيومئذ إشارة إلى يوم بدر، ثم نزل التحقيق من بعد ذلك في الفارّين يوم أُحُد وهو قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ﴾ وكذلك أنزل يوم حُنَين: ﴿ويَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ إلى قوله ﴿غَفُورٌ رحيمٌ﴾ وفي قول ابن سلام: كان الفرار من الزحف يوم بدر من الكبائر، وأيضاً فإنّ المنهزمين عنه عليه السلام رجعوا لِحِينهم، وقاتلوا معه حتى فتح الله عليهم. (الروض الأنف ٤/١٤١).

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٧٤،المغازي للواقدي ٣/٨٩٨،تاريخ الإسلام (المغازي)٥٧٦.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٧٤، ٧٥، الكامل في التاريخ ٢/٢٦٣.

حسّان يهجو كَلَدة: قال ابن هشام: وقال حسّان بن ثابت يهجو كَلَدة:

رأيت سـواداً من بعيـدٍ فـراعني أبـو حَنْبـلٍ ينـزو على أمّ حنْبـل
كـأنّ الـذي ينـزو بـه فـوق بطْنهـا ذراعُ قَلُوصٍ من نِتـاج ابن عزْهِـلِ

أنشدنا أبو زيد هذين البيتين، وذكر لنـا أنه هجـا بهما صفـوان بن أُميّة، وكان أخا كَلَدة لأمّه.

شيبة بن طلحة يحاول قتل الـرسول: قـال ابن إسحاق: وقـال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، أخو بني عبد الدّار: قلت: اليوم أدوك ثأري، وكان أبوه قُتل يوم أُحُد، اليوم أقتل محمداً. قال: فأدرت برسول الله لأقتله، فأقبل شيء حتّى تغشّى فؤآدي، فلم أطق ذاك، وعلمت أنه ممنوع منّي[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أهل مكة، أنّ رسول الله ﷺ قال حين فصل من مكة إلى حُنَين، ورأى كثـرة من معه من جنـود الله: «لن نُغلب اليوم من قلّة».

قال ابن إسحاق: وزعم بعض الناس أنّ رجلاً من بني بكرٍ قالها[2].

النصر: قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريّ، عن كثيـر بن العباس، عن أبيه العباس بن عبد المطّلب، قال: إنّي لَمَع رسول الله ﷺ آخذٌ بحكمة بغلته البيضـاء قد شجـرتها بهـا، قال: وكنت امـرءاً جسيماً شـديد الصـوت، قال. ورسول الله ﷺ يقول حين رأى مـا رأى من الناس: «أين أيهـا الناس»؟ فلم أر الناس يلوون على شيء، فقال: «يا عباس اصرخ، يا معشرْ الأنصار: يا معشر أصحاب السَّمُرَة»، قال: فأجابوا: لبّيـك، لبّيك! قـال: فيذهب الـرجل ليثني بعيره، فلا يقدر على ذلك، فيـأخذ درعـه، فيقذفهـا في عنقه، ويـأخذ سيفـه وتـرسـه ويقتحم عن بعيـره، ويخلّي سبيله، فيؤمّ الصـوت، حتى ينتهي إلى

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٧٥، الكامل في التاريخ ٢/٢٦٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٧٧.

(٢) تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٧٥.

رسول الله ﷺ. حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة، استقبلوا الناس، فاقتتلوا، وكانت الدعوى أولِ ما كانت: ياللأنصار. ثم خلصت أخيراً: يا للخزرج. وكانوا صُبراً عند الحرب، فأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه، فنظر إلى مجتَلَد القوم وهم يجتلدون، فقال: «الآن حمي الوطيس»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: بينا ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جمله يصنع ما يصنع إذ هوى له عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه، قال: فيأتيه عليّ بن أبي طالب من خلفه، فضرب عرقوبَيْ الجمل، فوقع على عجزه، ووثب الأنصاريّ على الرجل، فضربه ضربة أطنَّ قدمه[2] بنصف ساقه، فانجعف عن رَحْله، قال: واجتلد الناس، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتَّفين عند رسول الله ﷺ.

قال: والتفت رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب وكان ممّن صبر يومئذ مع رسول الله ﷺ، وكان حَسَن الإسلام حين أسلم، وهو آخذ بثَفَر بغلته[3]، فقال: «من هذا»؟ قال: أنا ابن أمّك يا رسول الله[4].

أم سُليم في المعركة: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر: أنّ رسول الله ﷺ التفت فرأى أمّ سُلَيم بنت مِلْحان[5] وكانت مع زوجها أبي طلحة[6] وهي حازمة وسْطَها ببُرْد لها، وإنّها لحامل بعبد الله بن

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٧٦، الطبقات لابن سعد ٢/١٥١، المغازي للواقدي ٣/٨٩٩، ٩٠٠، الكامل في التاريخ ٢/٢٦٣، ٢٦٤، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٧٧.

(٢) أطنَّ قدمه: أطارها وسمع لضربه طنين.

(٣) الثفر: سير من جلد يوضَع في مؤخّرة السَّرْج.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٧٦.

(٥) واسمها: مُلَكية. ويقال: رُميلة، وقيل سُهيلة.

(٦) واسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام.

أبي طلحة، ومعها جمل أبي طلحة، وقد خشيت أن يعزّها[1] الجمل، فأدنت رأسه منها، فأدخلت يدها في خِزامته[2] مع الخطام، فقال لها رسول الله ﷺ: «أمّ سُلَيم»؟ قلت: نعم، بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك، فإنّهم لذلك أهل؛ فقال رسول الله ﷺ: «أوَ يكفي الله يا أمّ سُليم»؟ قال: ومعها خِنْجر، فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخِنْجر معك يا أمّ سُلَيم؟ قالت: خِنجر أخذته، إنْ دنا منّي أحد من المشركين بعجته به قال: يقول أبو طلحة: ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سُلَيم الرُّميصاء[3].

قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ، حينَ وجّه إلى حُنَين، قد ضمّ بني سُلَيم الضّحّاك بن سفيان الكِلابيّ، فكانوا إليه ومعه، ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يرتجز بفرسه.

أقْدِمْ مُحاجُ إنّه يومٌ نُكُرْ ... مثلي على مثلكَ يحمي ويَكُرّ
إذا أُضيعَ الصَّفُّ يوماً والدُّبرْ ... ثم احْزَألَّتْ[4] زُمَرٌ بعد زُمَر
كتائبٌ يكِلُّ فيهنّ البصرْ ... قد أطْعَنُ الطعنة تَقْذِي بالسُّبُر[5]
حين يُذَمُّ المستكينُ المنجَحِرْ ... وأطعنُ النجلاء تَعْوي وتَهِر[6]
لها من الجوف رَشاشٌ مُنهمِرْ ... تَفْهَقُ[7] تاراتٍ وحيناً تنفجر
وثعلبُ العامِل[8] فيها منكسِرْ ... يا زَيدُ يابن هَمْهَم أين تفرّ

---

(١) يعزّها: يغلبها.

(٢) الخزامة: حلقة من شعر تُجعل في أنف البعير.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٧٦، ٧٧ والحديث أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير (١٣٤/١٨٠٩) باب غزوة النساءمع الرجال، وأبو داود في الجهاد (٢٧١٨) باب في السلب يُعطى القاتل. وأحمد في المسند ٣/١٠٩ و ٩٠/و ٢٧٩ و ٢٨٦.

(٤) أحزألت: ارتفعت.

(٥) السبر: جمع سبير وهو الفتيل يسبر به الجرح.

(٦) النجلاء: الطعنة الواسعة. تعوي وتَهِر: أي يُسمع لخروج الدم منها أصوات كالعواء والهرير.

(٧) تفهق: تَنفتح.

(٨) الثعلب: عصا الرمح الداخلة في السنان. العامل: أعلى الرمح.

قـد نفِـذ الضّرس وقـد طـال العُمُـرْ قـد علم البيضُ الـطويـلاتُ الخُمُـر

أنّـي فـي أمـثـالـهـا غـيـرُ غَـمِـرْ إذ تُخْرجُ الحاصنُ من تحت السُّتُـرْ

وقال مالك بن عوف أيضاً:

أقـدم مُـحـاجُ إنـهـا الأسـاورة ولا تـغـرنَّـكَ رِجْـلُ نـادره[1]

قال ابن هشام: وهذان البيتان لغير مالك بن عوف في غير هذا اليوم.

من قتـل قتيلاً فله سَلَبُـه: **قـال ابن إسحـاق**: وحـدّثني عبـد الله بن أبي بكـر، أنـه حُـدّث عن أبي قتـادة الأنصـاريّ قـال: وحــدّثني من لا أتّهم من أصحـابنا، عن نـافع مـولى بني غفَار أبي محمـد، عن أبي قتادة، قـالا: قـال أبو قتادة: رأيت يوم حُنين رجُلين يقتتلان: مسلمـاً ومشركـاً، قال: وإذا رجـل من المشـركين يريـد أن يعين صاحبـه المشرك على المسلم. قـال: فـأتيتـه، فضربت يده فقطعتها، واعتنقني بيده الأخرى، فو الله ما أرسلني حتى وجـدت ريح الدم ـ ويُروى: ريح الموت، فيما قال ابن هشام ـ وكاد يقتلني، فلولا أنّ الدم نزفه لقتلني، فسقط، فضربته فقتلته، وأجهضني عنه القتال، ومرّ به رجل من أهـل مكّة فسلبـه، فلما وضعت الحـرب أوزارها وفـرغنـا من القـوم، قـال رسـول الله ﷺ: «من قتل قتيـلاً فله سَلَبُه»، فقلت: يـا رسـول الله، والله لقـد قتلت قتيلاً ذا سلب، فأجهضني عنه القتال، فما أدري من استلبه؟ فقال رجل من أهل مكة: صدق يا رسـول الله، وسلب ذلك القتيـل عندي، فـأرْضه عنّي من سَلَبه، فقال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: لا والله، لا يرضيه منه، تعمد إلى أسد من أسد الله، يقـاتل عن دين الله، تقـاسمه سَلَبـه؟! ارددْ عليه سَلَب قتيله، فقال رسول الله ﷺ: «صَدَق فارددْ عليه سَلَبه». فقال أبو قتادة: فأخذته

---

(١) الأساورة: قادة الفرس. النادرة: أي التي قد ندرت أي انفصلت وبعدت.

(٢) وفي هـذا الحديث من الفقـه أنّ السَلب للقاتـل حُكماً شـرعياً جعـل ذلـك الإمـام لـه، أو لم يجعله، وهـو قول الشـافعي. وقال مـالك: إنّمـا ذلك إلى الإمـام لـه أن يقـول بعـد معمعـة الحرب: من قتل قتيلاً فله سَلبه، ويكره مالك رحمه الله أن يقول ذلك قبل القتال لئـلّا يخالط النيّة غرض آخر غير احتساب نفسه لله تعالى.

منه، فبِعْتُه، فاشتريت بثمنه مَخْرَفاً[1] فإنّه لَأولُ مال اعتقدته[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم، عن أبي سَلَمة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك، قال: لقد استلب أبو طلحة يوم حُنَين وحده عشرين رجلاً[3].

الملائكة تحضر القتال: قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاق بن يَسار، أنه حُدّث عن جُبير بن مُطْعِم، **قال:** لقد رأيت ـ قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون ـ مثل البِجاد[4] الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرت، فإذا نمل أسود مبثوث، قد ملأ الوادي لم أشكّ أنها الملائكة، ثم لم يكن إلّا هزيمة القوم[5].

قال ابن إسحاق: ولما هزم الله المشركين من أهل حُنَين، وأمكن

---

(١) مَخْرَف بفتح الراء وكسرها نخلة، وأما كسر الميم فإنّما هو للمِخْرَف، وهي الآلة التي تُختَرف بها التمرة أي تُجتنى. و بفتح الميم معناه البستان من النخل، هكذا فسّروه، وفسّره الحربيّ، وأجاد في تفسيره، فقال: المَخْرَف: نخلة واحدة أو نخلات يسيرة إلى عَشر. فما فوق ذلك، فهو بستان أو حديقة، ويقوّي ما قاله الحربيّ ما قاله أبو حنيفة الدِّيْنَوَرِيّ، قال: المَخْرف؛ مثل الخروفة: هي النخلة يخترفها الرجل لنفسه ولعياله، وأنشد:

مثل المخارف من خيلان أو هجرا

قال: ويقال للخروفة: خريفة أيضاً. (الروض الأنف ٤/١٤٢).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس (٤/١١٢ ـ ١١٣) باب من لم يخمّس الأسلاب ومن قتل قتيلاً فله سَلَبه، وفي المغازي (٥/١٩٦) باب قول الله تعالى: **ويوم حُنَينٍ إذ أعجبتكم كثرتكم**. وأبو داود عن القعنبي في كتاب الجهاد (٢/٧٠) باب في السلَب يُعطى القاتل، رقم (٢٧١٧). ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل (٤١/١٧٥١)، ومالك في الموطّأ، كتاب الجهاد، ما جاء في السلب في النقل ـ ص ٣٠١ رقم ٩٨١، الذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٨٤، ٥٨٥.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٧٧ والحديث صحيح أخرجه أبو داودفي الجهاد ٢٧١٨ باب في السلب يعطِي القاتل، والدارمي في السير (٤٣)، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٨٥، وابن الأثير في الكامل ٢/٢٦٥.

(٤) البِجاد: الكساء.

(٥) الطبري ٣/٧٧.

رسولَه ﷺ منهم، قالت امرأة من المسلمين:

قـد غلبت خيلُ الله خيـلَ اللاّتِ   والله أحــقُّ بـالـثّـبـاتِ

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالرواية للشعر:

غلبت خيـلُ الله خيـلَ الـلاّتِ   وخـيـلُه أحـقُّ بـالـثـبـاتِ

قال ابن إسحاق: فلما انهزمت هـوازن استحرّ القتـل من ثقيف في بني مـالك، فقُتـل منهم سبعون رجـلاً تحت رايتهم، فيهم عثمـان بن عبـد الله بن ربيعـة بن الحـارث بن حبيب، وكـانت رايتهم مـع ذي الخمــار[1]، فلما قُتـل أخذها عثمان بن عبد الله، فقاتل بها حتى قُتل[2].

قـال ابن إسحاق: وأخبـرني عامـر بن وهْب بن الأسود، قـال: لما بلغ رسول الله ﷺ قتْله، قال: أبعده الله، فإنه كان يبغض قريشاً[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس: أنـه قُتـل مع عثمان بن عبد الله غلام له نصرانيّ أغـرل[4]، قـال: فبينـا رجـل من الأنصار يسلب قتلى ثقيف، إذ كشف العبد يسلبه، فوجده أغرل. قال: فصاح بـأعلى صوتـه: يا معشـر العرب: يعلم الله أن ثقيفـا غـرل. قـال المغيـرة بن شعبـة: فأخـذت بيده، وخشيت أن تـذهب عنّـا في العـرب، فقلت: لا تقـل ذاك، فداك أبي وأمّي، إنّما هـو غلامٌ لنـا نصرانيّ. قـال ثم جعلت أكشف له عن القتلى، وأقول له: ألا تراهم مُختّنين كما ترى[5].

قـال ابن إسحاق: وكـانت راية الأحـلاف مع قـارب بن الأسـود، فلمـا انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة، وهرب هو وبنو عمّه وقومـه من الأحلاف،

---

(١) هو عوف بن الربيع.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٧٧.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٧٧.

(٤) الأغرل: غير المختتن.

(٥) تاريخ الطبري ٣/٧٨،الكـامل في التاريخ ٢/٢٦٥، المغازي للواقدي ٣/٩١١.

فلم يُقتل من الأحلاف غير رجلين: رجل من غيرة، يقال له وهْب، وآخر من بني كبّة، يقال له الجُلاح: فقال رسول الله ﷺ حين بلغه قتل الجُلاح: «قتل اليوم سيّد شباب ثقيف، إلاّ ما كان من ابن هُنَيدة»، يعني بابن هُنَيدة الحارث بن أوَيس[1]:

فقال عباس بن مِرْداس السُّلَميّ يذكر قارب بن الأسود وفِراره من بني أبيه، وذا الخمار وحبْسه قومه للموت:

ألا مَن مُبْلِغٌ غَيْلانَ عنّي	وسوف ـ إخال ـ يأتيه الخبيرُ[2]
وعُروة إنّما أُهْدِي جواباً	وقولاً غير قولِكُما يسير
بأنّ محمداً عبدٌ رسول	لربّ لا يضِلّ ولا يَجُور
وجدناه نبيّاً مثلَ موسى	فكلّ فتى يُخَايرُهُ مَخِيرُ
وبئس الأمرُ أمرُ بني قَسِيٍّ	بوَجّ[3] إذْ تُقُسِّمَتِ الأمور
أضاعوا أمرَهم ولكلّ قومٍ	أميرٌ والدوائرُ قد تدور
فجئنا أُسْدَ غاباتٍ إليهِمْ	جنودُ الله ضاحيةً[4] تسير
يؤمُّ الجمْعَ جمعَ بني قَسِيٍّ	على حَنَقٍ نكاد له نطير
وأُقْسمُ لو هُمُ مكثوا لسِرْنا	إليهمْ بالجنود ولم يَغُوروا[5]
فكُنّا أُسْدَ لِيَّةَ ثَمّ حتّى	أبحْناها وأُسلِمَتِ النصور[6]

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٧٨ وفيه «الحارث بن أوس».

(٢) الفعل المستقبل هو: يأتيه، وإن كان حرف (سوف) داخلاً على إدخال في اللفظ فإنّما يدلّ عليه من الاستقبال إنّما هو الفعل الثاني كما قال:

وما أدري وسوف إخال أدري

وذلك أنّ إخال في معنى: أظنّ، وليس يريد أنه يظنّ فيما يستقبل، وأنّما يريد أن يخال الآن أن سيكون ذلك. (الروض الأنف ٤/١٤٢).

(٣) قسيّ: اسم ثقيف. وجّ: واد بالطائف.

(٤) ضاحية: ظاهرة.

(٥) لم يغوروا: لم يذهبوا.

(٦) لِيّة: موضع قريب من الطائف. النصور: قيل إنها جمع ناصر وقيل: هم بنو نصر من هوازن. رهط مالك بن عوف النصْريّ يقال لهم النصور، كما يقال لبني المنذر: المناذرة.

ويومٌ كان قبلُ لدى حُنَين ... فأقلع والدماء به تمور
من الأيام لم تَسمع كيوم ... ولم يَسْمع به قومٌ ذُكور
قتلنا في الغُبار بني حُطَيْطٍ ... على راياتها والخيل زُورُ[1]
ولم يك ذو الخِمار رئيسَ قوْم ... لهم عقل يعاقب أو مَكير
أقام بهمْ على سَنَن المنايا ... وقد بانتْ لمُبْصِرها الأمور
فأفلَتَ مَن نجا منهم جَريضاً ... وقُتِّلَ منهم بشرٌ كثير[2]
ولا يُغْني الأمورَ أخو التواني ... ولا الغَلق الصُّرَيرة الحَصُور[3]
أحانَهُمُ وحان وملَّكوهُ ... أمورَهُمُ وأفلتَتِ الصُّقُور
بنو عوف تَمِيح بهمْ جِيادٌ ... أُهينَ لها الفَصافِص والشعير[4]
فلولا قاربٌ وبنو أبيه ... تُقُسِّمت المزارع والقُصور
ولكنّ الرياسة عُمِّموها ... على يُمْنٍ أشار به المشير
أطاعوا قارِباً ولهم جدود ... وأحلام إلى عِزٍّ تصير
فإنْ يُهْدَوْا إلى الإسلام يُلْفَوْا ... أُنوفَ الناس ما سمر السمير
وإنّ لم يُسْلِموا فهم أذانٌ ... بحرب الله ليس لهم نصير
كما حَكَّتْ بني سعد وحرْبٌ ... برهْط بني غزيّة عَنْقفير[5]
كأنّ بني معاويةَ بن بكْرٍ ... إلى الإسلام ضائنة تخور
فقلنا أسلِمُوا إنّا أخوكمْ ... وقد برأتْ من الإِحَنِ الصُّدُور
كأنَّ القومَ إذ جاءوا إلينا ... من البغضاء بعد السِّلم عُور

(١) زور: مائلة.
(٢) الجريض: من يغصّ بريقه. والجمع: جرضى.
(٣) الغلِق: ضيّق الخُلُق. الصريرة: مصغَّر الصرورة وهو الذي لم يتزوّج، والحصور: الذي لا يأتي النساء.
(٤) تميح: تمشي مشْياً مستوياً. الفصافص: جمع فصفصة: النبات الذي تأكله المواشي رطباً.
(٥) العنقفير: الداهية.

قال ابن هشام: غيلان: غيلان بن سَلَمَة الثقفي، وعُروة: عُروة بن مسعود الثقفي.

مقتل دُرَيد: **قال ابن إسحاق:** ولما انهزم المشركون، أتوا الطائفَ ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأوْطاس، وتوجّه بعضهم نحو نخلة، ولم يكن فيمن توجّه نحو نخلة إلاّ بنو غِيَرَة من ثقيف، وتبعَت خيلُ رسول الله ﷺ من سلك في نخلة من الناس، ولم تتبع من سلك الثنايا.

فأدرك ربيعة بن رُفَيع بن أهْبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يَرْبوع بن سَمَّال بن عوف بن امريء القيس، وكان يقال له ابن الدُّغُنَّة[1] وهي أمّه، فغلبت على اسمه، ويقال: ابن لذعة فيما قال ابن هشام - دُرَيْد بن الصّمّة، فأخذ بخِطام جَمله وهو يظنّ أنه امرأة، وذلك أنه في شِجار له، فإذا برجل، فأناخ به، فإذا شيخ كبير، و إذا هو دُرَيد بن الصّمّة ولا يعرفه الغلام، فقال له دُرَيد: ماذا تريد بي؟ قال: أقتلك قال: ومن أنت؟ قال: أنا ربيعة بن رفيع السّلميّ، ثم ضربه بسيفه، فلم يُغْن شيئاً، فقال: بئس ما سلَّحتك أمّك: خذ سيفي هذا من مؤخَّر الرَّحْل، وكان الرَّحْل في الشِجار، ثم اضرب به، وارفع عن العظام، واخفض عن الدماغ، فإنّي كنت كذلك أضرب الرجال، ثم إذا أتيت أمّك فأخبِرْها أنّك قتلت دُرَيد بن الصّمّة فربَّ والله يومٌ قد منعتُ فيه نساءك. فزعم بنو سُلَيم أنّ ربيعة لما ضربه فوقع تكشَّف، فإذا عجانه[2] وبطون فخِذيه مثل القرطاس، من ركوب الخيل أعراء[3]؛ فلما رجع ربيعة إلى أمّه أخبرها بقتْله إيّاه، فقالت: أما والله لقد أعتق أمّهاتٍ لك ثلاثاً[4].

فقالت عَمرة بنت دُرَيد في قتل ربيعة دُرَيْداً:

---

(١) في تاريخ الطبري ٧٩/٣ «لذْعة». أنظر: أسد الغابة ٢١١/٢ وتجريد أسماء الصحابة ١٧٩/١، ١٧٩/١، والإصابة ٥٠٧/١.

(٢) العجان: الإسْت.

(٣) أعراء: جمع عرى وهو الفَرَس لاسَرْج له.

(٤) تاريخ الطبري ٧٨/٣، ٧٩، الأغاني ٣١/١٠،٣٢، المغازي للواقدي ٩١٤/٣، ٩١٥.

لَعَمرُكَ ما خشيتُ على دُرَيْدٍ ببطن سُمَيْرَةٍ جيش العَنَاق[1]
جزى عنه الإله بني سُليمٍ وعقَّتْهُمْ بما فعلوا عَقاقِ
وأسْقانا إذا قُدْنا إليهم دماء خِيارهم عند التّلاقي
فربَّ عظيمة دافعتَ عنهم وقد بلغت نفوسهمُ التراقي
ورُبَّ كريمةٍ أعتقتَ منهمْ وأخرَى قد فككتَ من الوثاق
ورُبَّ مُنَوِّهٍ بك من سُليم أجبتَ وقد دعاك بلا رَماق[2]
فكان جزاؤنا منهم عُقُوقاً وهَمّاً ماع منه مُخُّ ساقي
عَفَت آثار خيلك بعد أيْنٍ بذِي بقرٍ إلى فَيْفِ النُّهاقِ[3]

وقالت عمرة بنت دُريد أيضاً:

قالوا قلنا دُرَيداً قلت قد صدقوا فظلّ دمعي على السِّرْبالِ ينحدرُ
لولا الذي قهر الأقوامَ كلّهمُ رأت سُلَيم وكعب كيف تأتمر
إذنْ لصبّحهم غِبّاً وظاهرةً حيث استقرّتْ نواهُمْ جحفلٌ ذَفِر[4]

قال ابن هشام: ويقال اسم الذي قتل دُريداً: عبد الله بن قنيع بن أهْبان بن ثعلبة بن ربيعة.

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجّه قِبَل أوْطاس أبا عامر الأشعريّ، فأدرك من الناس بعضَ من انهزم، فناوشوه القتال فرُمي أبو عامر بسهم فقُتل؛ فأخذ الراية أبو موسى الأشعريّ، وهو ابن عمّه فقاتلهم، ففتح الله على يديه وهزمهم. فيزعمون أنّ سَلَمة بن دُرَيد هو الذي رمى أبا عامر الأشعريّ بسهم[5]: فأصاب رُكبته، فقتله، فقال:

---

(١) سُمَيْرة: وادٍ قرب حُنَين. العَنَاق: الأمر الشديد.
(٢) الرَماق: بقية الحياة.
(٣) ذو بقر: موضع. فيف: قفر. النهاق: موضع.
(٤) الغبّ في الأصل: أن ترِد الإبل الماءَ يوماً بعد يوم. وظاهرة: أن ترده كلّ يوم. ذَفِر: ذو رائحة كريهة من صدأ الحديد. والأبيات في الأغاني ١٠/٣٣ بإختلاف في الألفاظ.
(٥) تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٨٩.

إنْ تسألوا عنّي فإنّي سَلَمهْ ابنُ سَمَادِيرَ لمنْ توسَّمهْ
أضربُ بالسيف رؤوس المُسْلِمهْ[1]

وسمادير: أمّه.

واستحرّ القتْل من بني نصر في بني رئاب، فزعموا أنّ عبد الله بن قيس ـ وهو الذي يقال له ابن العَوْراء، وهو أحد بني وهْب بن رئاب ـ قال: يا رسول الله هلكت بنو رئاب. فزعموا أنّ رسول الله ﷺ قال: «اللهم اجبُرْ مصيبتهم»[2].

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة، فوقف في فوارس من قومه، على ثنِيّة من الطريق، وقال لأصحابه: قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم، وتلحق أُخراكم، فوقف هناك حتى مضى من كان لحِق بهم من منهزمة الناس[3]؛ فقال مالك بن عوف في ذلك:

ولولا كرَّتان على مُحاجٍ لضاق على العضاريط الطريقُ[4]
ولولا كَرُّ دُهْمانَ بن نصْر لدى النّخلاتِ مُنْدَفَع الشّديق[5]
لآبتْ جعفرٌ وبنو هِلال خزايا مُحقِبين على شقوق[6]

قال ابن هشام: هذه الأبيات لمالك بن عوف في غير هذا اليوم. وما يدلّك على ذلك قول دُرَيد بن الصّمّة في صدر هذا الحديث: ما فعلت كعب وكلاب؟ فقالوا له: لم يشهدها منهم أحد. وجعفرٌ بن كلاب.

وقال مالك بن عوف في هذه الأبيات: «لآبت جعفر وبنو هلال».

قال ابن هشام: وبلغني أنّ خيلاً طلعت ومالك وأصحابه على الثنيّة، فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ فقالوا: نرى قوماً واضعي رماحَهم بين آذان

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٨٠.
(٢) المغازي للواقدي ٣/٩١٦.
(٣) تاريخ الطبري ٣/٨٠.
(٤) محاج: فرس مالك: العضاريط: الأُجَراء.
(٥) الشديق: وادٍ من وديان الطائف.
(٦) محقبين: مردفين. شقوق: أي على مشقّة.

خيلهم، طويلة بوادهم[1]؛ فقال: هؤلاء بنو سُليم، ولا بأس عليكم منهم؛ فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي. ثم طلعت خيل أخرى تتبعها؛ فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى قوماً عارضي رماحهم، أغفالاً[2] على خيلهم فقال: هؤلاء الأوس والخزرج، ولا بأس عليكم منهم. فلما انتهوا إلى الثنيّة سلكوا طريق بني سُلَيم. ثم طلع فارس؛ فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى فارساً طويل الباد، واضعاً رُمْحه على عاتقه، عاصباً رأسه بمُلاءة حمراء فقال: هذا الزُبَير بن العوّام وأحلِف بالّلات لَيخالطنّكم، فاثبتوا له. فلما انتهى الزُبير إلى أصل الثنيّة أبصر القوم، فصمد لهم، فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها[3].

قال ابن إسحاق: وقال سَلَمة بن دُرَيد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم:

نسَّيْتِني ما كنت غيرَ مُصابيةٍ	ولقد عرفْتِ غَداة نَعْف الأظْرُب[4]
أنّي مَنَعْتُك والرُكُوبُ مُحبَّبٌ	ومشيتُ خلفكِ مثلَ مشي الأنكب[5]
إذ فرّ كلّ مهذَّب ذي لِمّةٍ	عن أُمّه وخليله لم يُعْقِب

قال ابن هشام: وحدّثني من أثق به من أهل العلم بالشعر، وحديثه: أنّ أبا عامر الأشعريّ لقي يوم أوْطاس عشرة إخوة من المشركين، فحمل عليه أحدهم، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللهمّ اشهدْ عليه، فقتله أبو عامر، ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللهم إشهد عليه، فقتله أبو عامرُ ثم جعلوا يحملون عليه رجلاً رجلاً، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك، حتى قتل تسعة، وبقي العاشر؛ فحمل على أبي عامر، وحمل عليه أبو عامر، وهو يدعوه إلى

---

(١) بوادهم: جمع بادٍ وهو باطن الفخذ.

(٢) أغفالاً: غير معلّمين بعلامة.

(٣) المغازي للواقدي ٣/٩١٦، ٩١٧.

(٤) النعْف: أسفل الجبل. الأظرب: الجبل الصغير.

(٥) الأنكب: المائل إلى جهة.

الإسلام ويقول: اللهمّ اشهدْ عليه؛ فقال الرجل: اللهم لا تشهد عليَّ، فكفّ عنه أبو عامر، فأفلت؛ ثم أسلم بعد فحسُن إسلامه. فكان رسول الله ﷺ إذا رآه قال: «هذا شريد أبي عامر». ورمى أبا عامر أخَوان: العلاء وأوفى ابنا الحارث، من بني جُشَم بن معاوية، فأصاب أحدُهما قلبه، والآخر رُكبته، فقتلاه. وولي الناس أبو موسى الأشعريّ فحمل عليهما فقتلهما[1]، فقال رجل من بني جُشَم بن معاوية يَرْثيهما:

إنّ الـرَّزِيّـة قـتْـل الـعـلاءِ	وأوفى جميعاً ولم يُسْنَدا[2]
هـمـا القـاتـلان أبـا عـامـرٍ	وقـد كـان ذا هَـبّـة أربَـدا[3]
هُـمـا تـركـاه لـدى مَعْـرَكٍ	كـأن على عِـطْفـه مُجْسَـدَا[4]
فلم تـر في النّـاس مثليهمـا	أقـلَّ عِـثـارا وأرمـى يـدا

المَنْهيُّ عن قتلهم: قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أصحابنا: أنّ رسول الله ﷺ مرَّ يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد، والناس متقصّفون[5] عليها فقال: «ما هذا»؟ فقالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد: فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه: «أدرِكْ خالداً، فقل له: إنّ رسول الله ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عَسِيفاً»[6].

الشَّيْماء أخت الرسول: قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض بني سعد بن بكر أنّ رسول الله ﷺ قال يومئذٍ: إنْ قدِرتم على بجاد، رجل من بني سعد بن بكر، فلا يُفْلِتَنَّكُم، وكان قد أحدث حَدثاً، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله، وساقوا معه الشَّيْماء، بنت الحارث بن عبد العُزَّى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، فعنّفُوا عليها في السيّاق: فقالت للمسلمين: تعلموا والله أنّي

---

(١) أنظر الخبر في المغازي للواقدي ٣/٩١٥، ٩١٦.
(٢) لم يُسْنَدا: لم يبق فيهما رمق.
(٣) ذاهَبّة: له سيف ذو هَبّة: والهبّة الاهتزاز.
(٤) المُجْسَد: المصبوغ بالجساد وهو الزَّعْفران.
(٥) متقصّفون: مجتمعون في ازدحام.
(٦) العسيف: الأجير.

لأُخْتُ صاحبكم من الرضاعة؛ فلم يصدّقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيد بن عُبيد السَّعديّ، قال: فلما انتُهي بها إلى رسول الله ﷺ، قالت: يا رسول الله، إنّي أختك من الرضاعة، قال: «وما علامة ذلك»؟ قالت: عضّة عضَضْتَنِيها في ظهري وأنا متورّكتُكَ. قال: فعرف رسول الله ﷺ العلامة، فبسط لها رداءه، فأجلسها عليه، وخيَّرها، وقال: إن أحببتِ فعندي محبَّة مُكْرَمَة، وإنْ أحببتِ أن أمتِّعْك[1] وترجعي إلى قومك فعلتُ، فقالت: بل تمتّعني وتردّني إلى قومي، فمتّعها رسول الله ﷺ، وردّها إلى قومها: فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً له يقال له مكحول، وجارية، فزوّجت أحدهما الأخرى، فلم يزل فيهم من نسلهما بقيّة[2].

ما أنزل الله في حُنَيْن: **قال ابن هشام**: وأنزل الله عزّ وجلّ في يوم حُنين: **﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾**: إلى قوله **﴿وَذٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾**[3].

شهداء حُنَين[4]: **قال ابن إسحاق**: وهذه تسمية من استُشهد يوم حُنَين من المسلمين:

من قريش ثم من بني هاشم: أيمن بن عُبيد.

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى: يزيد بن زَمَعَة بن الأسود بن المطّلب بن أسد، جمح به فرس له يقال له الجناح، فقُتل.

ومن الأنصار: سُراقة بن الحارث[5] بن عديّ، من بني العَجْلان.

---

(١) أي أعطيك ما يمتّعك أي ما يكون فيه متعتك وانتفاعك.

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٨١ وانظر عن الشيماء بنت الحارث في: الاستيعاب ٤/٣٤٤، وأسد الغابة ٥/٤٨٩، والإصابة ٤/٣٤٤ رقم ٦٣٣، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٠.

(٣) سورة التوبة ـ آية ٢٥.

(٤) أنظر الأسماء في: المغازي لعروة ٢١٩ وفيها نقص، والطبقات الكبرى ٢/١٥٢، وتاريخ خليفة ٨٨، ٨٩، والمغازي للواقدي ٣/٩٢٢، ومجمع الزوائد ٦/١٩٨، ١٩٠، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٨٩، وتاريخ الطبري ٣/٨١، والكامل في التاريخ ٢/٢٦٦وفيه نقص.

(٥) الطبقات الكبرى ٢/١٥٢ وفي تاريخ الإسلام «سراقة بن حباب».

ومن الأشعريّين: أبو عامر الأشعريّ.

سبايا حُنَين وأموالها: ثم جُمعت إلى رسول الله ﷺ سبايا حُنَين وأموالها، وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغِفَاريّ، وأمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال إلى الجِعْرانة، فحُبست بها[1].

ما قيل من الشعر يوم حُنَين: وقال بُجير بن زُهير بن أبي سُلْمى في يوم حُنَين:

لولا الإلهُ وعبدُه وَلَّيتُمُ ... حين استخفَّ الرُّعْبُ كُلَّ جبان
بالجِزع يومَ حَبَا لنا أقْرانُنا ... وسَوابحٌ يَكْبُون للأذقان[2]
من بين ساعٍ ثوبهُ في كفِّه ... ومقطَّرٍ بسنابكٍ ولَبَان[3]
والله أكرمنا وأظهرَ دِيننا ... وأعزَّنا بعبادة الرحمن
والله أهلكهم وفرَّق جمْعَهم ... وأذلَّهم بعبادة الشيطان

قال ابن هشام: ويروي فيها بعض الرواة:

إذ قام عمُّ نبيِّكم ووليُّه ... يدعون: يا لَكتيبة الإيمان
أين الذين همُ أجابوا ربَّهمْ ... يوم العُرَيض وبيعة الرِّضْوان

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مِرْداس في يوم حُنَين:

إنّي والسّوابح يومَ جَمْعٍ ... وما يتلو الرسولُ من الكتاب
لقد أحببتُ ما لَقِيتْ ثقيفٌ ... بجنْب الشِّعْب أمسِ من العذابِ
همُ رأسُ العدوّ من أهل نجْدٍ ... فقتلهُمُ ألذُّ من الشراب
هزمنا الجمعَ جمعَ بني قَسيٍّ ... وحكّتْ بَرْكَها ببني رئاب[4]
وصِرْماً من هِلال غادرتهمْ ... بأوْطاس تُعفَّر بالتراب[5]

---

(١) تاريخ الطبري ٨١/٣.

(٢) الجِزع: ما انعطف من الوادي. حبا: اعترض. سوابح: أي خيل سوابح: وهي المسرعة. يكْبون: يسقطون.

(٣) مقطّر: مُلقى على قطره، أي جنبه. ولَبَان الفرس: صدره.

(٤) البرك: الصدر، ويريد بحكّة بركها: شدّة وطأة الحرب.

(٥) الصرم: الجماعة من الناس أو البيوت المنقطعة عن الحيّ.

ولـو لاقَيْـنَ جمـعَ بـني كـلابٍ — لـقـامَ نسـاؤهـم والنَّـقْـع كـابـي
ركَضْنـا الخيـلَ فيهـم بيـن بُـسٍّ — إلى الأوْرال تَنْحِطُ بـالـنّـهـاب[1]
بـذي لَجَـبٍ رسـولُ الله فيـهـم — كـتيـبتـهُ تَعـرَّض للضِّـراب

قال ابن هشام: قوله «تعفّر بالتراب»: عن غير ابن إسحاق.

فأجابه عطيّة بن عُفَيف النصْريّ، فيما حدّثنا ابن هشام، فقال:

أفـاخـرةٌ رِفـاعـةُ فـي حُنَـيـنٍ — وعبـاسُ بن راضعـةِ اللِّجـاب[2]
فـإنَّـك والـفِجـارَ كـذات مِـرْطٍ — لـربَّـتِهـا وتـرفُـلُ فـي الإهـاب

قال ابن إسحاق: قال عطيّة بن عُفَيِّف هذين البيتين لما أكثر عباس على هوازن في يوم حُنَين. ورفاعة من جُهينة.

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مِرداس أيضاً:

يـا خـاتم النُّبـاءِ إنّـك مُـرسـلٌ — بـالحقّ كـلّ هُـدى السبيـلِ هُـداكـا
إنّ الإلـه بـنـى عـلـيـك مـحـبّـةً — فـي خَلْقـه ومـحـمـداً سمّـاكـا
ثمّ الـذين وَفَـوا بمـا عـاهـدتَهم — جنـدٌ بعثْتَ عليهـمُ الضَّحّـاكـا
رجُـلاً بـه ذَرَبُ[3] السّـلاح كـأنـه — لـمـا تـكـنَّـفَـه الـعـدوُّ يـراكـا
يغشى ذوي النّسب القـريب وإنّمـا — يبغي رضـا الـرحمن ثم رضـاكـا
أُنـبـيـكَ أنّـي قـد رأيـت مَـكـره — تحت العَجاجـة يـدمَـغُ الإشـراكـا
طَـوْراً يـعـانق بـالـيـدين وتـارةً — يَفْـري الجمـاجمَ صـارمـاً بتّـاكـا[4]
يغشى بـه هـامَ الكُمـاة ولـو تـرى — منـه الـذي عـاينتُ كـان شفـاكـا
وبـنـو سُليـم مُـعْـنِـقـون أمـامـه — ضـرْبـاً وطعْنـاً في العـدوّ دِراكـا[5]

---

(١) بسّ والأوْرال: مكانان. تنحطّ: تخرج أنفاسها عالية.
(٢) اللّجاب: العَنز.
(٣) الذَرَب: الحدّة.
(٤) بتّاك: قاطع.
(٥) مُعْنِقون: مُسرعون. دراك: متتابع.

يمشون تحت لوائه وكأنّهم أسْدُ العَرِين أرَدْن ثمّ عِراكا[1]
ما يرتَجُون من القريب قرابة إلّا لطاعة ربّهم وهواكا
هذي مشاهدُنا التي كانت لنا معروفةً ووليُّنا مولاكا

وقال عباس بن مِرداس أيضاً:

إما تَرَيْ يا أمَّ فرْوةَ خيلَنا منها مُعطلةٌ تُقاد وظُلَّع[2]
أوهى مقارعةُ الأعادي دمَّها فيها نوافذُ من جِراح تَنْبع
فلربَّ قائلةٍ كفاها وقْعُنا أزْمَ الحروبِ فسِرْبُها لا يُفزَع[3]
لا وفْدَ كالوفْد الألَى عقدوا لنا سبباً بحبْل محمدٍ لا يُقْطع
وفد أبو قطن حُزابةُ منهمُ وأبو الغيوث وواسِعٌ والمِقْنع
والقائد المائة التي وفّى بها تسْعَ المئين فتمّ ألفُ أقرع[4]
جمعتْ بنو عوف ورهْط مُخاشِن ستًّا وأحْلب من خُفاف أربع
فهناك إذ نُصِرَ النّبيّ بألْفِنا عقدَ النّبيّ لنا لواءَ يَلْمَع
فُزْنا برايته وأوْرَث عقْدُه مجدَ الحياةِ وسُودداً لا يُنْزَع
وغداةَ نحن مع النّبي جناحُه ببطاح مكّة والقَنا يتهزَّع[5]
كانت إجابتُنا لداعي ربِّنا بالحقّ منّا حاسرٌ ومُقَنَّع
في كل سابغةٍ تخيَّر سَرْدَها داودُ إذ نسج الحديدَ وتُبَّع[6]
ولنا على بئرَيْ حُنَين موكبٌ دَمَغَ النّفاقَ وهضبةٌ مما تُقْلع
نُصِر النّبيّ بنا وكنّا معشراً في كلّ نائبة نَضُرُّ وننفع
ذُدْنا غداتَئِذٍ هوازنَ بالقَنا والخيلُ يغمرُها عَجاجٌ يَسْطع
إذ خاف حدَّهم النبيُّ وأسندوا جمعاً تكاد الشمس منه تخشع

(١) العراك: المدافعة.
(٢) الظُّلع: العرَج.
(٣) الأزم: الشدّة.
(٤) ألف أقرع: أي ألف بالتمام.
(٥) يتهزّع: يضطّرب.
(٦) السابغة: الدروع الكاملة. السرْد: النسْج. تُبَّع: لقب ملوك اليمن القدماء.

تُـدعى بنو جُشَمٍ وتُـدعى وسْطَه   أبنـاءُ نصـرٍ والأسـنّةُ شُـرَّع[1]
حتّى إذا قـال الـرسـولُ محمـدٌ   أبني سُـلَيْم قـد وفَيْتُمْ فـارفعـوا
رُحْنـا ولـولا نحنُ أجحفَ بـأسُهم   بـالمؤمنين وأحـرزوا مـا جمَّعـوا[2]

وقال عبّاس بن مِرداس أيضاً في يوم حُنَين:

عفـا مجْـدَلٌ مـن أهله فمُتَـالِـعُ   فمِـطْلاَ أريك قـد خَلا فـالمَصَانـعُ[3]
ديـارٌ لَنا يـا جُمْيلَ إذ جُـلُّ عيشِنـا   رخيٌّ وصرف الـدار للحيّ جـامـع
حُبَيّبَـةُ ألْـوَتْ بهـا غُـرْبـة النَّـوَى   لِبَيْنٍ فهـل مـاضٍ من العيش راجـع
فـإنْ تبتغي الـكفّـارَ غيـرَ مَلُومـة   فـإنّـي وزيـرٌ لـلنّبـيّ وتـابـع
دعـاني إليهم خيـرُ وفْـد عَلِمتُهـم   خُـزَيمـة والمَـرّار منهـمُ وواسـع
فـجئنـا بـألـفٍ من سُـلَيم عـليهـمُ   لَبـوسٌ لهم مـن نسْـج داودَ رائـع
نـبـايـعُـهُ بـالأخْـشَبَـيْنِ وإنّمـا   يـدَ الله بـين الأخشبَـيْنِ نُبـايـع[4]
فجُسْنـا مـع المهـديّ مكّـةَ عَنْـوةً   بـأسيـافنـا والنقْعُ كـابٍ وسـاطـع[5]
عـلانيّـةً والـخيـل يَغْشَى مُتونَهـا   حميمٌ وآنٍ من دمِ الجـوْف نـاقـع[6]
ويـومَ حُنَين حين سـارت هـوازنٌ   إلينـا وضـاقتْ بـالنفـوس الأضـالـع
صَبَـرْنـا مع الضَّحّـاك لا يستفزّنـا   قِـراعُ الأعـادي منهمُ والـوقـائـع
أمـامَ رسـول الله يـخفِقُ فـوقنـا   لـواءٌ كخُـذْرُوف السَّحـابـة لامـع[7]
عشيّـةَ ضحـاكُ بنُ سُفيـانَ مُعْتَصٍ   بسيف رسول الله والموت كـانـع[8]

---

(١) الأبناء: الجماعة ليست من أصل واحد.
(٢) أجحف: نقص.
(٣) مجدل: مكان. متالع: جبل للمطلاء. الأرض السهلة. أريك: موضع. المصانع: ما يجتمع فيها ماء المطر كالأحواض.
(٤) الأخشبان: جبلان بمكة.
(٥) جُسْنا: وَطِئْنا. المهديّ: نبيّ الهُدَى محمد ﷺ. كاب: مرتفع. ساطع: متفرّق.
(٦) الحميم هنا: العَرَق. آنّ: حارّ. ناقع: كثير.
(٧) خُذْرُوف السّحابة: طرفها.
(٨) مُعْتَص: ضارب. كانع: مقترب.

نَـذود أخانــا عن أخينا ولــو نَـرَى مَصــالاً لكُنّــا الأقــربينَ نتــابــع[1]
ولــكــنّ دِيــنَ الله دينُ مــحــمــد رضينـا بـه، فيـه الهـدى والشـرائـع
أقـام بـه بعــد الضّلالــة أمــرنــا ولــيس لأمــرٍ حــمَّــه الله دافــع

وقال عباس بن مِرداس أيضاً في يوم حُنَين:

تَقَــطَّع بـاقي وصْــلِ أمِّ مُــؤَمَّــلٍ بعــاقبـة واستبـدلَتْ نيَّــةً خُلْفــاً[2]
وقـد حَلَفَتْ بالله لا تقـطَعُ القُوَى[3] فمـا صَـدَقَتْ فيـه ولا بـرّت الحَلْفـا
خُفــافيَّــةٌ بــطْنُ العقيق مَـصِيفُهــا وتحتـلّ في البادين وَجْـرَة فالعُـرْفا[4]
فــإنْ تَـتْبــع الـكـفّــارَ أمُّ مؤمَّــلٍ فقـد زوّدَتْ قلبي على نأيهـا شغفـا
وســوف يُنَبِّيهــا الـخبيــرُ بــأنّنــا أَبَيْنـا ولم نـطلُبْ سـوى ربِّنـا حِلْفـا
وأنّــا مـع الهــادي الـنّبي محمــدٍ وفينـا ولم يستـوفهـا معشـرٌ أَلْفـا
بـفتْيــانِ صِــدْقٍ من سُـلَيم أعــزَّةٍ أطاعوا فمـا يعْصون من أمـره حرْفـا
خُفــافٌ وذَكْــوانٌ وعَــوفٌ تَخَــالهم مَصـاعِبَ زافَتْ في طرُوقتهـا كُلْفا[5]
كأنّ النّسيج الشُّهْبوالـبيـضمُلْبَسٌ أسُوداً تلاقَتْ في مراصدهـا غُضْفا[6]
بنــا عــزَّ دِينُ الله غـيــرَ تَـنَـحُّــلٍ وزِدْنـا على الحيّ الذي معـه ضِعْفـا
بـمكّــة إذ جئـنــا كــأنّ لــواءنــا عُقـابٌ أرادتْ بعد تحليقهـا خَـطْفـا

---

(١) يريد أنـه من بني سُليم، وسُليم من قيس، كما أنّ هـوازن من قيس، كلاهمـا ابن منصور بن عِكرمة بن خصفة بن قيس، فمعنى البيت: نقاتل إخوتنا ونذودهم عن إخـوتنا من سُليم، ولـو نرى في حكم الدّين مَصالاً مفعلاً من الصّولة، لكنّا مع الأقربين هوازن.
ولــكــنّ ديــن الله دِيــنُ مــحــمــد رضينــا بــه فيــه الهــدى والـشــرائــع
(الروض الأنف ٤/١٤٤).

(٢) النية: من النوى وهو البُعد. وخلفاً يجوز أن يكون مفعولاً منأجله أي: فعلت ذلك من أجل الخلف، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكّداً للاستبدال، لأنّ استبدالها بـه خُلْف منها لمـا وعَدَتْـه به، ويقوي هذا البيتَ البيتُ الذي بعده. (الروض الأنف ٤/١٤٥).

(٣) القُوَى: قُوَى الحبل هنا: وهو العهد، وهذا هو الخُلْف المتقدّم ذكره.

(٤) خُفافيّة: نسبة إلى بني خُفاف. العَقيق: وادٍ بالحجاز. وجْرَة والعُرْف: موضعان.

(٥) مَصاعِب: فُحُول. زافت: تحرّكت. الطَرُوق: التي يطرقها الفحول. كُلْف: سُود.

(٦) الشُهْب: التي يخالط بياضها حُمرة. غُضْف: مسترخية الأذان.

على شُخَّص الأبصار تحسِبُ بيْنها ... إذا هي جالت في مَرَاوِدِها عزْفا[١]
غداةَ وطِئْنا المشركين ولم نَجِدْ ... لأمر رسول الله عدْلاً ولا صَرْفا
بمعتركٍ لا يُسْمَع القوم وسْطه ... لنا زَجْمَة إلَّا التَّذامُرَ والنَّقْفا[٢]
ببِيضٍ نُطيرُ الهامَ عن مُسْتقرّها ... ونَقْطِفُ أعناقَ الكُماة بها قطْفا
فكائن تركْنا من قتيلِ مُلَحَّبٍ[٣] ... وأرملةٍ تدعو على بعْلِها لهْفا
رِضا الله نَنْوي لا رِضا الناس نبتغي ... ولله ما يَبْدُو جميعاً وما يخفى

وقال عباس بن مِرداس أيضاً:

ما بالُ عينِكَ فيها عائرٌ سَهِرٌ ... مثلُ الحَمَاطةِ أغضى فوقَها الشُّفُرُ[٤]
عينٌ تأوَّبها من شجْوِها أرقٌ ... فالماءُ يغْمُرُها طوْراً وينحدر
كأنه نظْم دُرٍّ عند ناظمةٍ ... تقطَّع السِّلكُ منه فهو مُنتثر[٥]
يا بُعْدَ منزلٍ مَنْ ترجو مودَّته ... ومن أتى دونه الصَّمّانُ فالحَفَر[٦]
دع ما تقدّم من عهد الشباب فقد ... ولّى الشباب وزار الشيب والزَّعر[٧]
واذكُرْ بلاء سُلَيم في مواطنها ... وفي سُلَيم لأهل الفخْر مفتَخر
قومٌ همُ نصروا الرحمن واتَّبعوا ... دِينَ الرسول وأمرُ الناس مُشْتجِر
لا يغرسون فَسِيلَ النَّخل وسْطهم ... ولا تخاوَرُ في مشتاهُم البقر[٨]
إلّا سوابِحَ كالعِقْبان مُقْرَبةً ... في دارةٍ حولها الأخطارُ والعَكَر[٩]

---

(١) المراود: جمع مِرْوَد وهو الوتد. العزف: الصوت.
(٢) الزجمة: الصوت. التذامر: الحضّ. والنقف في الأصل: كسر الحنظلة واستخراج حبوبها، ويريد به هنا كسر رؤوس الأعداء.
(٣) مُلحَّب: مقطّع اللحم.
(٤) الحماطة: تِبْن الذُّرَة خاصة. أغضى فوقها: أغمض عليها جفنيه. الشفر: منبت الشعر في جفن العين.
(٥) منتثر: متفرّق.
(٦) الصّمّان والحَفْر: موضعان.
(٧) الزَّعَر: قلّة الشعر أو تفرُّق الشعر فوق الرأس.
(٨) الفسيل: صغار النخل. أي هم ليسوا أهل زرع ولا رُعاة بقر وإنّما جُلّ عملهم الحرب.
(٩) السوابح: الخيل السريعة. والعُقبان: جمع عقاب. طائر من الجوارح قويّ المخالب أعقف.

تُدْعَى خُفافٌ وعَوْفٌ في جوانبها ... وحيُّ ذَكْوان لا مِيلٌ ولا ضُجُر[1]

الضّاربون جنود الشِّرْك ضاحيةً ... ببطن مكّة والأرواحُ تبتدر

حتّى دَفَعْنا وقتلاهمْ كأنّهُمُ ... نخْلٌ بظاهِرة البطحاء مُنْقعر

ونحن يوم حُنَين كان مشهدُنا ... للدِّين عزّاً وعند الله مُدَّخَر

إذ نركبُ الموتَ مخضرّاً بطائنُه ... والخيلُ ينجابُ عنها ساطعٌ كَدِر[2]

تحت اللّواء مع الضّحّاك يَقْدُمنا ... كما مشى اللّيثُ في غاباته الخَدِر[3]

في مأزِق من مَجَرّ الحربِ كَلْكَلُها ... تكاد تأفُلُ منه الشمس والقمر[4]

وقد صبَرْنا بأوْطاسٍ أسِنَّتَنا ... لله ننصُر مَن شِئنا ونَنْتصِر

حتى تأوب أقوام منازلهم ... لولا المليك ولولا نحن ما صدروا

فما ترى معشراً قلّوا ولا كثُروا ... إلاّ قد أصبح منّا فيهم أثر

وقال عباس بن مِرداس أيضاً:

يا أيّها الرّجلُ الذي تَهْوي به ... وجْناءُ مُجمَرةُ المَناسم عِرْمِسُ[5]

إمّا أتيتَ على النّبيّ فقلْ له ... حقّاً عليك إذا اطمأنّ المجلس

يا خيرَ من ركبَ المَطِيَّ ومن مَشى ... فوق التراب إذا تُعَدُّ الأنْفُس

إنّا وَفَيْنا بالذي عاهدْتَنا ... والخيلُ تُقْدَعُ بالكُماة وتُضْرَس[6]

إذا سالَ من أفناء بُهْثَةَ كُلّها ... جمعٌ تَظَلُّ به المخارِمِ تَرْجُس[7]

= المنقار حادّ البصر. يُطلق على المذكّر والمؤنّث. مقربة: قريبة من الدور محافظة عليها لكرمها. الدارة: ما أحاط بالشيء. الأخطار: جماعات الإبل. العكر: الإبل الكثيرة.

(١) المِيْلُ: الذين لا سلاح معهم.

(٢) ساطع: أي غبار ساطع وهو المتفرّق.

(٣) الخادر: الداخل في خدْره وهو أكمة الأسد.

(٤) الكلكل: الصدر.

(٥) الوجناء: الضخمة. المُجْمَرَة: مجتمعة الجسم. المناسم: مَقادم خفّ البعير. العِرْمِس: الشديدة.

(٦) تُقْدع: تُكَفّ. تضرَس: تجرح.

(٧) بُهْثة: حيّ من سُلَيم. المخارم: الطرق الجبلية. تَرْجُس: تتحرّك.

حتى صَبَحْنا أهلَ مكة فَيْلقاً ... شَهباءَ يقدُمُها الهُمامُ الأشوَس[1]

من كلِّ أغْلَبَ من سُلَيمٍ فوقَهُ ... بيضاءُ مُحكَمة الدِّخال وقَوْنَس[2]

يُروِي القناة إذا تجاسر في الوغَى ... وتخالُه أسَداً إذا ما يَعْبس

يغْشى الكتيبةَ مُعْلِما وبكفِّه ... عضْبٌ يقُدُّ به ولَدْنٌ مِدْعَس[3]

وعلى حُنَيْنٍ قد وفى من جمْعنا ... ألفٌ أمدّ به الرسول عَرَنْدَس[4]

كانوا أمام المؤمنين دَريئةً ... والشمسُ يومئذٍ عليهم أشْمُس

نمضي ويحرُسُنا الإله بحفْظه ... والله ليس بضائع من يحرُس

ولقد حُبسنا بالمناقب مَحْبساً ... رضي الإلٰه به فنِعْم المحبِس

وغداةَ أوْطاسٍ شدَدْنا شَدَّةً ... كفَتِ العدوَّ وقيل منها: يا احْبِسوا

تدعو هوازنُ بالإخَاوة بيننا ... ثَدْيٌ تَمُدّ به هوازنُ أيْبَس

حتى تَرَكْنا جمعَهم وكأنّه ... عيْرٌ تَعاقَبُه السباعُ مُفَرَّس

قال ابن هشام: أنشدني خَلَف الأحمر قوله: «وقيل منها يا احْبسوا».

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مِرداس أيضاً:

نصرنا رسولَ الله من غَضَبٍ له ... بألْفِ كَمِيٍّ لا تُعَدُّ حواسرُه[5]

حملْنا له في عامِل الرُّمْح رايةً ... يذودُ بها في حَوْمة الموت ناصرُه

ونحن خضبْناها دماً فهْو لونُها ... غداةَ حُنَين يومَ صفوانُ شاجِرُه[6]

وكنّا على الإسلام ميمنةً له ... وكان لنا عَقْدُ اللواءِ وشاهره

وكنّا له دون الجنودِ بطانةً ... يشاوِرُنا في أمره ونُشاوِره

دعانا فسمّانا الشِّعارَ مُقدَّماً ... وكنّا له عَوْناً على من يُناكِره[7]

---

(١) الأشوس: الذي ينظر نظر المتكبّر.
(٢) القَوْنَس: أعلى بَيضة الحديد.
(٣) العَضْب: السيف القاطع. لَدْن: ليّن. مِدْعس: طعان.
(٤) عَرَنْدَس: شديدة.
(٥) الحواسر: الذين لا دروع عليهم.
(٦) شاجَره: خالَطه بالرمح.
(٧) أصل الشعار: الثياب التي تلي الجسد. كناية عن القِرب.

جـزى الله خيـراً من نبيّ محمـداً وأيّـده بـالـنـصـر والله نـاصـره

قال ابن هشام: أنشدني من قوله: «وكنّا على الإسلام» إلى آخرها، بعض أهل العلم بالشِعر، ولم يعرف البيت الذي أوله: «حملنا له في عامل الرمح راية». وأنشدني بعد قوله: «وكان لنا عقد اللواء وشاهره»، «ونحن خضبناه دماً فهو لونه».

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مِرداس أيضاً:

من مُبْلغٍ الأقوام أنّ محمداً رسول الإله راشدٌ حيث يمّما
دعا ربّه واستنصر الله وحدَه فأصبح قد وفّى إليه وأنْعما
سَرَينا وواعدنا قُدَيداً محمداً يؤمّ بنا أمراً من الله مُحْكما
تماروا بنا في الفجْر حتى تبينوا مع الفجْر فتياناً وغاباً مُقوّماً[1]
على الخيل مشدُوداً علينا دُرُوعُنا ورجْلاً كَدُفّاع الأتيّ عرمرما[2]
فإنّ سَراة الحيّ إنْ كنتَ سائلاً سُليمٌ وفيهمْ منهمُ من تَسلّما[3]
وجُندٌ من الأنصار لا يَخْذُلُونه أطاعوا فما يَعْصُونه ما تكلّما
فإنْ تك قد أمّرتَ في القوم خالداً وقدّمْتَه فإنّه قد تقدّما
بجُنْدٍ هداهُ الله أنت أميرُه تصيب به في الحقّ من كان أظلما
حلفتُ يميناً برّة لمحمّدٍ فأكملْتُها إلْفاً من الخيل مُلْجَما
وقال نبيّ المؤمنين تقدّموا وحُبّ إلينا أن نكون المقدّما
وبتنا بنهي المستدير ولم يكُنْ بنا الخوفُ إلّا رغبةً وتَحَزُّما
أطعْناك حتى أسلم الناسُ كلُّهم وحتى صَبَحْنا الجمعَ أهلَ يَلَمْلَما[4]

---

(١) تماروا: شكوا. الغاب: الرماح.

(٢) الأتيّ: السيل. العرمرم: الكثير.

(٣) يريد بمن تسلّما: أنّ في سُليم من اعتزى إليهم من حلفائهم، فتسلّم بذلك، كما تقول تقيّس الرجل، إذا اعتزى إلى قيس. أنشد سيبويه:

وقيس عيلان ومن تقيّسا

(الروض الأنف ٤/١٤٧).

(٤) يلملم: ميقات حُجّاج اليمن ومن أتوا عن طريقها.

يضِلّ الحِصانُ الأبلقُ الوَرْدُ وسْطَه ولا يطمئنّ الشيخُ حتى يُسَوَّما[1]

سَمَوْنا لهم ورِدْ القَطَا زفّهُ ضُحىً وكلُّ تراهُ عن أخيه قد أحْجما[2]

لدُنْ غُدْوةً حتى تركْنا عشيّة حُنيناً وقد سالَتْ دوافعُه دما[3]

إذا شئتَ من كلِّ رأيت طِمِرَّة وفارسَها يهوي ورُمْحاً محطَّما[4]

وقد أحْرَزت منّا هوازنُ سَرْبَها وحُبَّ إليها أن نَخِيبَ ونُحْرما[5]

قال ابن إسحاق: وقال ضمضم بن الحارث بن جُشَم بن عبد بن حبيب بن مالك بن عوف بن يقظة بن عصِيّة السُّلمي في يوم حُنَين: وكانت ثقيف أصابت كِنانة بن الحَكَم بن خالد بن الشريد، فقتل به محجناً وابن عمّ له، وهما من ثقيف:

نحن جلبْنا الخيل من غير مَجْلَب إلى جُرَشٍ من أهل زيّان والفَم

نُقَتِّل أشبال الأسود ونبتغي طواغِيَ كانتْ قبلنا لم تُهدَّم

فإنْ تفْخَروا بابن الشّريد فإنّني تركتُ بوجٍّ مأتما بعد مأتم

أبأتُهُما بابن الشّريد وغَرَّه جواركُم وكان غيرَ مُذَمَّم

تصيب رجالاً من ثقيفٍ رماحُنا وأسيافُنا يَكلِمْنَهُمْ كلّ مَكْلم

وقال ضمضم بن الحارث أيضاً:

أبلغْ لديكَ ذوي الحلائل آيةً لا تأمَنَنّ الدّهْر ذاتَ خِمارِ

بعد التي قالت لجارةِ بيتها قد كنتُ لو لبثَ الغَزِيُّ بدارِ

لما رأت رجلاً تسفَع لونَه وغْرُ المَصِيفَةِ والعِظام عواري[6]

---

(١) الأبلق: الذي يختلط لونه بالسواد والبياض. والوِرْد: المُشرب بالحُمرة. يسوم: يعلم.

(٢) القطا: طائر. زفّه: أسرع به.

(٣) دوافع. مجاري السيل.

(٤) الطِمِرّة. الفَرَس السريعة.

(٥) السَّرَب. المال الراعي.

(٦) تسفّع: تغيّر إلى السفعة. وهي سواد مُشبع بحُمْرة. الوغر: شدّة الحرّ. المصيفة: الأرض شديدة الحرارة.

مُشُطَ العِظام تراه آخِرَ ليلِهِ ... مُتَسربلًا في دِرْعِه لِغوار[1]

إذ لا أزالُ على رِحالةِ نَهْدةٍ ... جرداءَ تُلحِق بالنّجاد إزاري[2]

يوماً على أثرِ النّهابِ وتارَةً ... كُتَيبتْ مُجاهدةً مع الأنصار

وزُهاء كلّ خميلة أزهقتُها ... مَهَلاً تمهَّلهُ وكلّ خَبار[3]

كيما أُغيّر ما بها من حاجة ... تَوَدُّ أنّي لا أؤوب فَجَار[4]

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة، قال: أسر زُهير بن العجوة الهُذَليّ يوم حُنين، فكُتّف فرآه جميل بن مَعْمَر الجُمَحيّ، فقال له: أأنت الماشي لنا بالمغايظ؟ فضرب عُنقه؛ فقال أبو خِراش[5] الهُذَليّ يرثيه، وكان ابن عمّه:

عَجّفَ أضيافي جميلُ بن مَعْمرٍ ... بذي فَجَرٍ تأوى إليه الأراملُ

طويل نِجادِ السيف ليس بِجَيْدر ... إذا اهتزّ واسترخَتْ عليه الحمائل[6]

تكادُ يداه تُسْلمانِ إزارَه ... من الجُود لما أذْلَقَتْه الشمائل[7]

إلى بيته يأوي الضَّريك إذا شَتَا ... ومُسْتَنْبِح بالي الدَّرِيسَيْنِ عائل[8]

تروّح مقروراً وهبّت عشِية ... لها حدَبٌ تحتشُّه فيوائل[9]

فما بالُ أهل الدار لم يتصدّعوا ... وقد بان منها اللّوذعيُّ الحُلاحِل[10]

---

(١) مشط العظام: قليل اللحم الذي عل عظْمه. لغوار: للإغارة.

(٢) الرحالة: السرْج. نهدة: غليظة. النجاد: حمائل السيف.

(٣) الخميلة: الموضع الكثير الشجر. الخبار: مالان واسترخى من الأرض.

(٤) فَجَار: تستعمل في النداء عادة فيقال يا فَجَار للمرأة الفاجرة.

(٥) واسمه خُويلد بن مُرَة. شاعر إسلاميّ مات في خلافة عمر.

(٦) الجيدر: القصير.

(٧) يريد أنه من كثرة سخائه يوشك أن يتجرّد من إزاره يعطيه ساءله والشمائل: الرياح الباردة التي تأتي من ناحية الشمال. أذلقته: أجهدته.

(٨) الضريك: الفقير. المستنبح: من يطرق ديار القوم ليلاً فينبح، فتجاوبه كلاب الحيّ ليعرف مكان العمران. الدريسان: الثوبان الخلِقان. عائل: فقير.

(٩) المقرور: الذي أصابه القرّ وهو البرد. والحدب في الأصل. انحدار الماء بشدّة شبّه به الريح المضطّربة. تحتثه: تسوقه سوقاً سريعاً. يوائل: يطلب موئلاً، أي يطلب ملجئاً.

(١٠) لم يتصدّعوا: لم يتفرّقوا. اللوذعيّ. الفصيح. الحُلاحل: السيد.

فأقسم لو لاقيته غير موثَق … لآبك بالنّعْفِ الضِّباعُ الجيائل[1]
وأنّك لو واجَهْته إذ لَقيتَه … فنازلته أو كنتَ ممّن ينازل
لظلّ جميلٌ أفحشَ القوم صِرْعة … ولكنَّ قِرْنَ الظَّهْرِ للمرء شاغل
فليس كعهْدِ الدار يا أمّ ثابتٍ … ولكنْ أحاطتْ بالرِّقاب السّلاسل
وعاد الفتى كالشيخ ليس بفاعل … سوى الحقّ شيئاً واستراح العواذِل
وأصبح إخوانُ الصَّفا كأنّما … أهالَ عليهمْ جانبَ الترابِ هائل
فلا تحسبي أنّي نسيت لياليا … بمكّة إذ لم نَعْد عمّا نحاول
إذ الناسُ ناسٌ والبلادُ بغرة … وإذْ نحن لا تثْني علينا المداخل[2]

قال ابن إسحاق: وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فِراره:

منع الرُّقادُ فما أغمّضُ ساعةً … نعَمٌ بأجزاعِ الطّريق مُخَضْرَمُ[3]
سائل هوازنَ هل أضُرُّ عدوَّها … وأُعِينَ غارمَها إذا ما يَغْرَم
وكتيبةٍ لبَّسْتُها بكتيبة … فئتَين منها حاسرٌ ومُلأّم
ومُقدَّمٍ تعيا النفوسُ لِضيقه … قُدّمته وشُهودُ قومي أعلم[4]
فوردْته وتركتُ إخواناً له … يرِدُون غمْرته وغمْرتُه الدّم
فإذا انجلتْ غمراتُه أورثتني … مجدَ الحياة ومجْدَ غُنْم يُقْسم
كلّفتموني ذنْبَ آل محمدٍ … والله أعلم من أعقّ وأظلم
وخذلتموني إذ أقاتلُ واحداً … وخذلتموني إذ تقاتل خَثْعَم
وإذا بنيت المجدَ يهدم بعضُكم … لا يستوي بانٍ وآخرُ يهدم
وأقبَّ مِخْماصِ الشتاء مسارعٍ … في المجد يَنْمَى للعُلى مُتكَرِّم[5]

(١) آبك: رجع إليك. النعف: أسفل الجبل. الجيائل: جمع جيئل: الضبع أيضاً.
(٢) بغرّة: بغفلة.
(٣) النَّعَم: الإبل: المخضرمة: مقطوعة أطراف الآذان.
(٤) المقدم: الموضع الذي لا يتقدّم فيه إلاّ الأبطال.
(٥) الأقبّ: ضامر الخصر. والمخماص: كذلك.

أكْـرَهـت فـيـهِ ألّـةً يَـزنـيّـة ... سَحْمـاءَ يَقْدُمُهـا سِنـان سَلْجَم[1]

وتـركـت حَـنَّـتـه تـرُدُّ ولـيَّـه ... وتقـولُ ليس على فُلانـةَ مَـقـدم[2]

ونصبْتُ نفسي لـلرمـاح مُـدَجّجـا ... مثـل الـدّرِيّـة تُسْتَحـلّ وتُشْـرم[3]

قال ابن إسحاق: وقال قائل في هوازن أيضاً، يذكر مسيرهم إلى رسول الله ﷺ مع مالك بن عوف بعد إسلامه:

أذكُـرْ مسيرَهم للنّـاس إذ جمعوا ... ومـالـكٌ فـوقه الـرايـاتُ تخفـق

ومـالـك مـالـكُ مـافـوقـه أحـدٌ ... يـوم حُنَيـن عليـه الـتـاجُ يـأتَلِق

حتى لقُوا الناس حين الباسُ يقدُمُهم ... عليهـمُ البَيْضُ والأبـدان والـدَّرَق

فضاربوا النـاسَ حتى لم يروْا أحـداً ... حـول النّبيّ وحتّى جنَّـهُ الغسـق

ثُـمَّتَ نُـزِّل جبـريـلٌ بنصـرهمُ ... من السمـاء فمهـزوم ومُعْتَنَق[4]

منّـا ولـو غيـرُ جبريـل يقـاتلنـا ... لَـمنَّعتْنـا إذنْ أسيـافُنـا الـعُتُقُ

وفـاتنـا عُمـر الفـاروق إذ هُـزِمـوا ... بـطعنةٍ بـلَّ منهـا سَرجَه العلق[5]

وقالت امرأة من بني جُشَم ترثي أخوين لها أصيبا يوم حُنَين:

أعَـيـنـيَّ جُـوداً عـلى مـالـكٍ ... مـعـاً والـعـلاءِ ولا تَـجْـمُـدا

هـمـا الـقـاتـلان أبـا عـامـر ... وقـد كـان ذا هَـبَّـةٍ أربـدا

هـمـا تـركـاه لـدى مُجْـسَـد ... يـنـوءُ نـزيـفـاً ومـا وُسِّـدا[6]

وقال أبو ثواب زيد بن صُحار، أحد بني سعد بن بكر:

ألا هـل أتـاك أنْ غلبتْ قـريشٌ ... هـوازنَ والـخـطوب لهـا شُـروطُ

---

(١) ألّة: حَرْبة. يَزنيّة: منسوبة إلى ذي يزن الْحِميريّ وهو أحد ملوك حِمْيَر. سحماء: سوداء. سلجم: طويل.

(٢) حنته: زوجته.

(٣) الدرية: هي الدريئة: حلقة تُنْصب فيتعلّم عليها الطعن.

(٤) المعتنق: الأخير.

(٥) العلق: الدم.

(٦) المجسد: المصبوغ بالجساد وهو الزّعفران. والمراد أنّ ثوبه قد صُبغ بالدم.

وكـنّـا يـا قـريش إذا غـضِـبْنـا ... يـجيء مـن الغِـضـاب دمٌ عَـبيط[1]
وكـنّـا يـا قـريش إذا غـضِـبنـا ... كـأنّ أُنـوفـنـا فـيـهـا سَـعـوط
فـأصـبـحـنـا تـسـوِّقُـنـا قـريشٌ ... سِيـاق العِيـر يحْـدُوهـا النَّبيط[2]
فـلا أنـا إنْ سئلتُ الخسـفَ آبٍ ... ولا أنـا أنْ ألـيـنَ لـهـمْ نَـشـيط
سيُنقـلُ لحْمهـا في كـلّ فـجٍّ ... وتكتَب في مسـامعـهـا القُـطوط[3]

ويُروى «الخطوط»، وهذا البيت في رواية أبي سعد.

قال ابن هشام: ويقال: أبو ثُواب زياد بن ثواب. وأنشدني خَلَف الأحمر قوله: «يجيء من الغضاب دمٌ عبيط»، وآخرها بيتاً عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فأجابه عبد الله بن وهْب رجل من بني تميم، ثم من بني أُسَيد، فقال:

بـشـرط الله نضـرب مـن لَـقـينـا ... كـأفضـل مـا رأيتَ من الشـروط
وكـنّـا يـا هـوازنَ حيـن نَـلْقَـى ... نَـبُـلّ الـهـامَ من عُلَق عَـبِـيط
بـجمعـكُـمُ وجـمـع بـنـي قَـسِـيّ ... نحُـكُّ البَـرْكَ كـالـوَرَق الخَبيط[4]
أصَبْنـا مـن سـراتِـكُـمُ ومِـلْنـا ... بـقـتـل فـي الـمُـبـايـن والـخَـليط
بـه الـمُلْتـاثُ مـفـتـرشٌ يـديـهِ ... يمُـجُّ المـوتَ كـالبَكْـر النَّحِيط[5]
فـإنْ تـك قيْسُ عَيْـلانٍ غِضـابـاً ... فـلا ينْفـكُّ يُـرغِمُهُـم سَعُـوطي

وقال خَدِيج بن العَوْجاء النَّصْريّ:

---

(١) العبيط: الطريّ.
(٢) النبيط: في الأصل قوم كانوا يسكنون بين العراق والأردنّ أقاموا دولة عاصمتها البتراء ثم أُطلقت هذه الكلمة على أخلاط الناس وعوامّهم.
(٣) القطوط: الكتب التي تُجمع فيها الأعمال.
(٤) الكلكل: صدر البعير. الورق الخبيط: الذي ضُرب بالعصا ليسقط. شبّه شدّة الحرب بما سبق.
(٥) الملتاث: اسم رجل. البَكْر: الفتى من الإبل. والنحيط: من يردّد النَّفَس في صدره فتسمع له صوتاً.

لـمـا دنـونـا من حُـنَيـن ومـائـه ... رأينـا سـواداً منكـرَ اللّون أخْصَفـا[1]
بملومـةٍ شهبـاءَ لـو قـذفُـوا بهـا ... شماريخَ من عُزْوَى إذن عادَ صفْصفا[2]
ولـو أنّ قـومي طـاوعتْني سَـراتُهم ... إذنْ مـا لقينـا العـارض المتكشِّفـا[3]
إذنْ مـا لقينـا جُنْـدَ آل مـحمّـد ... ثمـانين ألفـاً واستمـدُّوا بخنـدِفـا[4]

---

(١) سواداً: أشخاصاً. الأخصف: الملوّن.
(٢) الملمومة: الكتيبة المجتمعة. شهباء: كثيرة السلاح. الشماريخ: أعالي الجبال. صفصفاً: مستوياً بالأرض.
(٣) العارض: السحاب. المتكشّف: الواضح. يشبّه به جنود المسلمين.
(٤) خندف: اسم قبيلة.

ذِكْر غزوة الطائف[1] بعد حُنين في سنة ثمانٍ[2]

ولما قدِم فلّ[3] ثقيفٍ الطائفَ أغلقوا عليهم أبواب مدينتها، وصنعوا الصنائع للقتال.

ولم يشهد حُنيناً ولا حصارَ الطّائف عُروة بنُ مسعود، ولا غَيْلان بن

(١) وأصل تسميتها كما ذكر بعض أهل النَّسَب أنّ الدمون بن الصدف، واسم الصدف. ملك بن مالك بن مرتع بن كِنْدة من حَضْرَمَوت أصاب دماً من قومه، فلحِق بثقيف، فأقام فيهم، وقال لهم: ألا أبني لكم حائطاً يُطيف ببلدكم، فبناه. فسمّي به الطائف، وذكره البكري هكذا قال: وإنّما الدمون بن عبد بن مالك بن دهقل،وهو من الصدِق، وله ابنان أدركا النبي - ﷺ وبايعاه، اسم أحدهما: الهُمَيل، والآخر. قبيصة، ولم يذكرهما أبو عمر في الصحابة، وذكرهما غيره. (الروض الأنف ١٩١/٤).

(٢) أنظر عنها في: المغازي لعروة ٢١٦ وتاريخ اليعقوبي ٦٤/٢، والمغازي للواقدي ٩٢٢/٣، وتاريخ خليفة ٨٩، والطبقات الكبرى لابن سعد ١٥٨/٢، وتاريخ الطبري ٨٢/٣، وصحيح البخاري ١٠٢/٥، وصحيح مسلم ١٤٠٢/٣، وجوامع السيرة لابن حزم ٢٤٢، والدرر في المغازي والسير لابن عبد البرّ ٢٤٣، ونهاية الأرب للنويري ٣٣٥/١٧، وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ٥٩١،وأنساب الأشراف ٣٦٦/١،والكامل في التاريخ ٢٦٦/٢، ومجمع الزوائد ١٩٠/٦، والمحبّر لابن حبيب ١١٥، ومرآة الجنان ١٥/١، والبدء والتاريخ ٢٣٧/٤، وعيون الأثر ٢٠٠/٢، وعيون التواريخ ٣٣٣/١، وسيرة ابن كثير ٦٥٢/٣، ومعجم البلدان ١١/٤، ١٢.

(٣) الفَلّ: الجيش المنهزم.

سَلمة، كانا بجُرَش، يتعلّمان صنعة الدّبّابات والمجانيق والضُّبُور[1].

ما قيل من الشِعْر في غزوة الطّائف: ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف حين فرِغ من حُنين؛ فقال كعب بن مالك حين أجمع رسول الله ﷺ السير إلى الطائف:

قضينا من تِهامة كلَّ رَيْب ... وخيبرَ ثمّ أجْمَمْنا السُّيوفا[2]

نخيّرُها ولو نطقتْ لقالت ... قواطِعُهُنَّ: دَوْساً أو ثقيفا

فلستُ لحاضِن إنْ لم ترَوْها ... بساحة داركم منّا أُلُوفا

وننتزِعُ العُروش ببطن وَجٍّ ... وتُصبحُ دُوركم منكم خُلُوفا

ويأتيكم لنا سَرَعان خيلٍ ... يُغادر خلْقَه جمعاً كثيفا

إذا نزلوا بساحتكُم سمعتُم ... لها ممّا أناخ بها رَجيفا

بأيديهم قواضب مُرْهَفات ... يُزِرْنَ المصْطَلِين بها الحُتُوفا

كأمثال العقائق أخلَصَتْها ... قُيونُ الهنْد لم تُضْرَبْ كَتِيفا[3]

تخال جَدِيَّة الأبطال فيهم ... غداةَ الزَّحْف جادِيّاً مَدُوفا[4]

أجدَّهُمُ أليسَ لهم نَصيحٌ ... من الأقوام كان بنا عَريفا[5]

يُخَبِّرهُمْ بأنّا قد جمعنا ... عِتاقَ الخيل والنُّجُبَ الطرُوفا[6]

وأنّا قد أتيناهم بزَحْفٍ ... يُحيط بسورِ حِصْنهم صُفوفا

رئيسهم النبيُّ وكان صُلْباً ... نقيّ القلب مُصْطَبِراً عَزُوفا

---

(١) الدّبابة: آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبّون بها إلى الأسوار لينقبوها. والمنجنيق: آلة حربية من آلات الحصار ترمي الحجارة وغيرها من القذائف وجمعها مجانق ومجانيق ومنجنيقات. والضُبُور: مثل رؤوس الأسفاط يُتَّقى بها في الحرب عند الانصراف، وفي العين: الضيْر جلود جلود يُغشَى بها خشب يُتّقى بها في الحرب. (الروض الأنف ١٦٢/٤) وانظر الخبر في: تاريخ الطبري ٨٤/٣، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩٢.

(٢) أجممنا: أرحْنا.

(٣) الكتيف: الصفائح الحديد.

(٤) الجديّة: الدماء السائلة. الجاديّ: الزعفران. مَدُوف: مخلوط.

(٥) أجدّهم: أجدّ منهم. عريفاً: عارفاً.

(٦) الطروف: نجيبة الأصل.

رشيدَ الأمر ذو حُكْمٍ وعِلْمٍ ... وحِلْم لم يكن نَزِقاً خفيفاً
نُطيعُ نبيَّنا ونطيع ربّاً ... هو الرحمن كان بنا رؤوفا
فإنْ تُلْقوا إلينا السَّلمَ نقبل ... ونجعلْكم لنا عَضُداً وريفا[1]
وإنْ تأبَوْا نُجاهدْكم ونصبرْ ... ولا يكُ أمرُنا رعِشاً ضعيفا[2]
نجالِد ما بقينا أو تُنيبوا ... إلى الإسلام إذْعاناً مُضيفا[3]
نجاهد لا نُبالي مَن لقينا ... أأهلكْنا التِّلادَ أم الطَّريفا[4]
وكم من مَعْشَرٍ ألَبُوا علينا ... صميمَ الجِذْم منهم والحَليفا
أتونا لا يرَوْن لهم كِفاءً ... فجدّعْنا المسامِعَ والأُنوفا
بكلّ مهنَّدٍ لَيْنٍ صقيل ... يسوقُهُمُ بها سَوْقاً عنيفا
لأمر الله اللاتُ والعُزّى ووَدٌّ ... ونسلُبُها القلائدَ والشُّنُوفا[5]
فأمسَوْا قد أقرُّوا واطمأنّوا ... ومن لا يمتنعْ يقبل خُسوفاً

فأجابه كِنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عُمير، فقال:

من كان يَبغينا يريد قتالَنا ... فإنّا بدار مَعْلَمٍ لا نَريمُها
وجدنا بها الآباء من قبل ما ترى ... وكانت لنا أطواؤُها وكُرُومها[6]
وقد جرَّبتنا قبلُ عمرو بنُ عامرٍ ... فأخبَرَها ذو رأيها وحليمُها[7]

---

(١) الريف في الأصل: الأرض المخصِبة المُنْزِرِعة خارج المدن. والمراد أن يجعلهم مساعدين لهم مستمدّين عَيْشهم من رِيفهم.
(٢) الرعِش: المتقلّب.
(٣) مضيف: ملجيء.
(٤) التلاد: المال الموروث: الطريف: المال المستحدَث.
(٥) الشنوف والأشناف جمع شنف: حلية تُعلّق في أعلى الأُذُن.
(٦) الأطواء: جمع طوى وهي البئر، جُمعت على غير قياس توهّمواسقوط ياء فعيل منها إذ كانت زائدة.
(٧) إنّما قال هذا جواباً للأنصار، لأنهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وعمرو هو مُزَيْقياء، وعامر هو ماء السما، ولم يرد أنّ الأنصار جرّبتهم قبل ذلك، وإنّما أراد أخوتهم، وهم خُزاعة لأنهم بنو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر في أحد القولين، وقد كانوا حاربوهم عند نزولهم مكة، وقال البكريّ في معنى هذا البيت: إنّما أراد بني عمرو بن عامر بن صعصعة، وكانوا مجاورين لثقيف وأمّهم عَمرة بنت عامر بن الظرب العدوانيّ، وأختها زينب كانت تحت =

وقـد علمتْ إنْ قـالتِ الحقَّ أنّنـا إذا مـا أبتْ صُعْرُ الخـدود نُقيمُهـا[١]
نـقـوِّمهـا حـتى يَـلينَ شـريـسُهـا ويُعْـرف للحـقّ المبيـن ظَلُومـهـا
عـلينـا دلاصٌ مـن تُـراثِ مُحـرِّق كلَوْن السمـاء زيَّنتْهـا نُجـومهـا[٢]
نـرفّـهها عَـنّـا ببِيضٍ صـوارمٍ إذا جُـرِّت في غمْرة لا نَـشِيمُهـا[٣]

قـال ابن إسحـاق: وقـال شـدّاد بن عـارض الجُشَميّ في مسيـر رسول الله ﷺ إلى الطائف:

لا تنصـروا الّـلاتَ إنّ الله مُهلِكُهـا وكيف يُنْصَـر منْ هُـو ليس يَنتصِـرُ
إنّ التي حُـرّقت بـالسُّـدّ فـاشتعلتْ ولم يقـاتَـلْ لـدى أحجـارهـا هَـدَرُ
إنّ الـرسـول متى ينـزلَ بـلادكُمُ يـظْعَنْ وليس بهـا من أهلهـا بَشَـرُ

الطريق إلى الطائف: **قال ابن إسحاق**: فسلك رسـول الله ﷺ على نخلة اليمـانيّـة، ثم على قَـرْن، ثم على المُلَيْـح، ثم على بُحْـرَة الرُّغـاء من لِيَّة[٤]، فابتنى بها مسجداً فصلّى فيه[٥].

قال ابن إسحاق: فحـدّثني عمرو بن شُعيب: أنّـه أقـاد يـومئذٍ بُبْحَـرة الرُّغاء، حين نـزلها، بـدم وهو أول دم أُقيـد به في الإسلام، رجل، من بني ليث قتل رجلاً من هُذَيل، فقتله بـه؛ وأمر رسـول الله ﷺ، وهو بلِيّـة، بحصن مالك بن عوف فهُدِم، ثم سلك في طريق يقال لهـا الضَّيْقَة، فلمـا توجّـه فيها رسـول الله ﷺ سأل عن اسمهـا، فقـال: «مـا اسم هـذه الـطريق»؟ فقيـل لـه

= ثقيف، وأكثر قبائل ثقيف منها، وكانت ثقيف قد أنزلت بني عمرو بن عامر في أرضهم ليعملوا فيهـا، ويكـون لهم النصف في الـزرع والثمـر، ثم إنّ ثقيفاً منعتهم ذلـك، وتحصّنـوا منهم بالحائط الذي بَنَوه حول حاضرهم، فحاربتهم بنـو عمرو بن عـامر، فلم يـظفروا منهم بشيء، وجلوا عن تلك البلاد. (الروض الأنف ١٦٣/٤).

(١) صعر خدّه: أماله إلى جهة تكبراً.
(٢) دلاص: الدروع اللينة. محرّق: عمرو بن عامر، لأنه أول من حرق العرب بالنار.
(٣) لانشيمها: لانغمدها.
(٤) أسماء أماكن بالطائف.
(٥) المغازي للواقدي ٩٢٤/٣.

الضَّيْقة، فقال: بل هي اليُسرى، ثم خرج منها على نَخْب، حتى نزل تحت سِدْرة يقال لها الصادرة، قريباً من مال رجلٍ من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله ﷺ: «إمّا أن تخرج، وإمّا أن نُخْرِبَ عليك حائطك»؛ فأبى أن يخرج، فأمر رسول الله ﷺ بإخرابه[1].

القتال: ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريباً من الطائف، فضرب به عسكره، فقُتل به ناسٌ من أصحابه بالنبل، وذلك أنّ العسكر اقترب من حائط الطائف، وكانت النَّبْلُ تنالهم، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم، أغلقوه دونهم؛ فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنَّبْل وضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم، فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة[2].

قال ابن هشام: ويقال سبع عشرة ليلة.

قال ابن إسحاق: ومعه امرأتان من نسائه، إحداهما أمّ سَلَمة بنت أبي أُميّة[3]، فضرب لهما قُبَّتين، ثم صلّى بين القُبَّتين. ثم أقام، فلما أسلمت ثقيف بنى على مصلّى رسول الله ﷺ عمرو بن أُميّة بن وهْب بن معتّب بن مالك مسجداً، وكانت في ذلك المسجد سارية، فيما يزعمون، لا تطلع الشمس عليها يوماً من الدّهر إلّا سُمع لها نقيض[4]، فحاصرهم رسول الله ﷺ، وقاتلهم قتالاً شديداً، وتراموا بالنبل[5].

قال ابن هشام: ورماهم رسول الله ﷺ بالمنجنيق. حدّثني من أثق به أنّ رسول الله ﷺ أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق، رمى أهلَ الطائف.

قال ابن إسحاق: حتى إذا كان يوم الشَّدْخة عند جدار الطائف، دخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دبّابة، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف

---

(١) تاريخ الطبري ٨٣/٣، نهاية الأرب ٢٣٦/١٧، المغازي للواقدي ٩٢٤/٣، ٩٢٥.

(٢) تاريخ الطبري ٨٣/٣، المغازي للواقدي ٩٢٧/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩٢.

(٣) والأخرى زينب بنت جحش. (تاريخ الطبري ٨٣/٣).

(٤) نقيض: صوت المحامل.

(٥) تاريخ الطبري ٨٤/٣، تاريخ الإسلام ٥٩٤.

ليخرقوه، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد مُحْماة بالنّار، فخرجوا من تحتها، فرمتهم ثقيف بالنَّبل، فقتلوا منهم رجالاً، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف، فوقع الناس فيها يقطعون[1].

أبو سفيان بن حرب والمغيرة يتفاوضان مع ثقيف: وتقدّم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شُعبة إلى الطائف، فناديا ثقيفاً: أنْ أمِّنونا حتى نكلّمكم، فأمّنوهما، فدعوا نساء من نساء من قُريش وبني كِنانة ليخرجْن إليهما، وهما يخافان عليهنّ السّباء فأبَيْن، منهنّ آمنة بنت أبي سفيان، كانت عند عُروة بن مسعود، له منها داود بن عُروة[2].

قال ابن هشام: ويقال إنّ أمّ داود ميمونة بنت أبي سُفيان، وكانت عند أبي مُرّة بن عُروة بن مسعود، فولدت له داود بن أبي مُرّة.

قال ابن إسحاق: والفراسية بنت سُويد بن عمرو بن ثعلبة، لها عبد الرحمن بن قارب، والفقيميّة أُميمة بنت الناسيء أُميّة بن قلع؛ فلما أَبَيْنَ عليهما، قال لهما ابن الأسود بن مسعود: يا أبا سفيان ويا مغيرة: ألا أدلّكما على خير مما جئتما له، إنّ مال بني الأسود بن مسعود حيث قد علِمْتُما، وكان رسول الله ﷺ بينه وبين الطائف، نازلاً بوادٍ يقال له العَقيق، ليس بالطائف مال أبعد رشاء، ولا أشدّ مُؤْنة، ولا أبعد عمارة من مال بني الأسود، وإنَّ محمداً إنْ قطعه لم يعمّر أبداً، فكلّماه فليأخذْ لنفسه، أو ليدعه لله والرَّحِم، فإن بيننا وبينه من القرابة ما لا يجهل؛ فزعموا أنَّ رسول الله ﷺ تركه لهم[3].

أبو بكر يفسّر رؤيا للرسول ﷺ: وقد بلغني أنَّ رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصِّدِّيق وهو محاصر ثقيفاً: «يا أبا بكر، إنّي رأيت أنّي أهديت لي قَعْبة مملوءة زُبْداً، فنقرها ديك، فهُراق ما فيها». فقال أبو بكر: ما أظنّ أنْ تدرك

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٨٤.
(٢) تاريخ الطبري ٣/٨٤، المغازي للواقدي ٣/٩٢٩.
(٣) المغازي للواقدي ٣/٩٢٩.

منهم يومك هذا ما تريد. فقال رسول الله ﷺ: «وأنا لا أرى ذلك»[1].

ارتحال المسلمين عن الطائف: ثم إنّ خُوَيلة بنت حكيم بن أُميّة بن حارثة بن الأوقص السّلميّة، وهي امرأة عثمان، قالت: يا رسول الله، أعطني إنْ فتح الله عليك الطائف حُليّ بادية بنت غَيْلان بن مظعون بن سَلِمة، أو حُليّ الفارعة بنت عُقيل، وكانتا من أحلى نساء ثقيف[2].

فذُكر لي أنّ رسول الله ﷺ قال لها: «وإنْ كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خُوَيلة»؟ فخرجت خُويلة، فذكرت ذلك لعمر بن الخطّاب، فدخل على رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: ما حديث حدّثَتْنيه خُويلة، زعمت أنّك قلته؟ قال: «قد قلته»؛ قال: أو ما أُذِن لك فيهم يا رسول الله؟ قال: «لا»، قال: أفلا أُوذِّن بالرحيل؟ قال: «بلى». قال: فأذّن عمر بالرحيل[3].

فلما استقلّ الناس نادى سعد بن عُبيد بن أسيد . بن أبي عمرو بن عِلاج: ألا إنّ الحيّ مقيم، قال: يقول عُيينة بن حصْن: أجل، والله مَجَدَةً كراماً؛ فقال له رجل من المسلمين: قاتلك الله يا عُيينة، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ، وقد جئت تنصر رسول الله ﷺ! فقال: إنّي والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم، ولكنّي أردت أن يفتح محمد الطائف، فأصيب من ثقيف جارية أتطئها[4]، لعلّها تلِد لي رجلاً، فإنّ ثقيفاً قوم مناكير[5].

عبيد الطائف ينزلون إلى المسلمين: قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٨٤، ٨٥ نهاية الأرب ١٧/٣٣٨.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي (١٠٢/٥) باب غزوة الطائف. ومسلم في كتاب السلام (٢١٨٠/٣٢) باب منع المخنّث عن الدخول على النساء الأجانب. ومالك في الموطّا، كتاب الأقضية (رقم ١٤٥٣) باب ما جاء في المؤنّث من الرجال ومَن أحقّ بالولد. والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩٧، والنويري في نهاية الأرب ١٧/٣٣٨.

(٣) المغازي للواقدي ٣/٩٣٥، ٩٣٦، تاريخ الطبري ٣/٨٥، نهاية الأرب ١٧/٣٣٨.

(٤) في تاريخ الطبري «أتبطّنها».

(٥) تاريخ الطبري ٣/٨٥، المغازي للواقدي ٣/٩٣٧، الكامل في الترايخ ٢/٢٦٧.

أتّهم، عن عبد الله بن مِكْدَم، عن رجالٍ من ثقيف: قالوا: لما أسلم أهل الطائف تكلّم نفر منهم في أولئك العبيد، فقال رسول الله ﷺ: «لا، أولئك عُتقاء الله»؛ وكان ممّن تكلّم فيهم الحارث بن كَلَدة[1].

قال ابن هشام: وقد سمّى ابن إسحاق مَن نزل من أولئك العبيد.

شِعر للضّحّاك بن سفيان وسببه: قال ابن إسحاق: وقد كانت ثقيف أصابت أهلاً لمروان بن قيس الدَّوْسيّ، وكان قد أسلم، وظاهَرَ رسولَ الله ﷺ على ثقيف، فزعمت ثقيف، وهو الذي تزعم به ثقيف أنها من قيس: أنّ رسول الله ﷺ قال لمروان بن قيس: خذ يا مروان بأهلك أول رجل من قيس تلقاه، فلقي أُبَيّ بن مالك القُشَيريّ فأخذه حتى يؤدّوا إليه أهله، فقام في ذلك الضّحّاك بن سفيان الكلابيّ، فكلّم ثقيفاً حتى أرساوا أهل مروان، وأطلق لهم أبي بن مالك، فقال الضّحّاك بن سفيان في شيء كان بينه وبين أُبَيّ بن مالك:

أتنسى بلائي يا أُبيّ بن مالك	غداةَ الرسولُ مُعْرِضٌ عنك أشوس[2]
يقودك مروان بن قيس بحبلهِ	ذليلاً كما قِيد الذلول المُخَيّس[3]
فعادتْ عليكَ من ثقيفٍ عصابةٌ	متى يأتهم مستقبسُ الشرّ يُقبسُوا
فكانوا همُ المولى فعادت حلومُهمْ	عليك وقد كادتْ بك النفس تبأس

قال ابن هشام: «يُقْبِسُوا» عن غير ابن إسحاق.

الشهداء يوم الطائف[4]: قال ابن إسحاق: وهذه تسمية من استُشهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ يوم الطائف.

من قريش، ثم من بني أُميّة بن عبد شمس: سعيد بن العاص بن أُميّة، وعُرْفُطَة بن جَنّاب، حليف لهم، من الأسد بن الغوث.

---

(١) المغازي للواقدي ٣/٩٣٢.

(٢) الأشوس: من يعرض بنظره إلى جهة أخرى.

(٣) المخيّس: المذلّل.

(٤) أنظر: تاريخ الطبري ٣/٨٥، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩٧، ٥٩٨، والمغازي للواقدي ٣/٩٣٨، وعيون الأثر ٢/٢٠٢، ٢٠٣، ومجمع الزوائد ٦/١٩٠.

قال ابن هشام: ويقال: ابن حُباب.

قال ابن إسحاق: ومن بني تَيْم بن مُرّة: عبد الله بن أبي بكر الصِّدّيق، رُمي بسهم، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

ومن بني مخزوم: عبد الله بن أبي أُميّة بن المغيرة، من رمية رُميها يومئذ.

ومن بني عدِيّ بن كعب: عبد الله بن عامر بن ربيعة، حليف لهم.

ومن بني سهم بن عمرو: السائب بن الحارث بن قيس بن عَدِيّ، وأخوه عبد الله بن الحارث.

ومن بني سعد بن ليث: جُليحة بن عبد الله.

واستُشهد من الأنصار: من بني سَلِمة: ثابت بن الجذع.

ومن بني مازن بن النّجّار: الحارث بن سهل بن أبي صعصعة.

ومن بني ساعدة: المنذر بن عبد الله.

ومن الأوس: رُقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لَوْذان بن معاوية.

فجميع من استُشهد بالطّائف من أصحاب رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلاً، سبعة من قريش، وأربعة من الأنصار، ورجل من بني ليث[1].

قصيدة بُجَير بن زُهير في حُنَين والطائف: فلما انصرف رسول الله ﷺ عن الطائف بعد القتال والحصار، قال بُجَير بن أبي سُلْمى يذكر حُنَيناً والطّائف:

كانت عُلالة يوم بطنِ حُنينٍ وغداةَ أوْطاس ويوم الأبرق[2]

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٨٥.

(٢) العُلالة: جري بعد جرْي، أو قتال بعد قتال، يريد: أنَّ هوازن جمعت جمْعها عُلالةً في ذلك اليوم، وحذف التنوين من عُلالة ضرورة، وأضمر في كانت إسمها، وهو القصة وإنْ كانت الرواية بخفض يوم. فهو أولى من التزام الضرورة القبيحة بالنصْب، ولكنّ ألفيته في النسخة المقيّدة، وإذا كان اليوم مخفوضاً بالإضافة جاز في عُلالة مع إضافتها إلى يوم، على أن تكون كان تامّة مكتفية باسم واحد، ويجوز أن تجعلها إسماً علماً للمصدر مثل برّة وفجار، ويُنصب =

جمعتْ بـإغـواء هـوازنُ جَمْعهـا ... فتبـدّدوا كـالـطائـر الـمتمـزّق

لم يمنعـوا منّـا مقـامـاً واحـداً ... إلاّ جِـدارَهُـمُ وبـطنَ الـخـنـدق

ولقـد تعـرَّضْنـا لكيمـا يخـرُجُـوا ... فتحصَّنـوا منّـا ببـابٍ مُغْلق

تـرتـدّ حَسْـرانـاً إلى رَجْراجـةٍ ... شهْبـاءَ تَلْمعُ بـالمنـايـا فَيْلق[1]

ملمومـةٍ خضـراءِ لـو قـذَفُوا بهـا ... حَضَنـا لـظلّ كـأنّـه لم يُخْلَق[2]

مشْيَ الضِّـراءِ على الهَـرَاسِ كـأنّنا ... قُـدْرٌ تَفـرَّقُ في القيـاد وتـلتقي[3]

في كـلّ سـابغـة إذا مـا استحْصنت ... كـالنِّهْي هبّتْ ريحُـه المتـرقـرق[4]

جُـدُلٌ تـمَسُّ فُضـولُـهنَّ نِعـالنـا ... مـن نَسْـج داودٍ وآلِ مُـحَـرِّق[5]

= يوم على الظرف كما تقيّد في النسخة. (أنظر الروض الأنف ٤/١٦٥).

(١) حسراناً، جمع: حسير وهو الكليل. والرجراجة: الكتيبة الضخمة من الرجرجة، وهي شدّة الحركة والاضطراب. وفيلق: من الفلق، وهي الداهية.

(٢) ملمومة: مجتمعة. خضراء: تظهر كذلك لكثرة ما عليها من الحديد. حضن: اسم جبل.

(٣) الضراء: الكلاب. والهراس: نوع من الشوك، والكلاب إذا مشت في الهراسِ ابتغت لأيديها موضعاً ثم تضع أرجلها موضع أيديها. شبّه الخيل بها. والقُدْر: الوعول المسنّة.

(٤) النِّهْي: الغدير سُمّي بذلك لأنه ماء نهاه مما ارتفع من الأرض من السَّيلان فوقف.

(٥) الجُدُل: المنسوجة نسجاً مُحكَماً. آل محرِّق: آل عمر بن هند ملك الحِيرة.

أمر أموال هوازن وسباياها، وعطايا المؤلَّفة قلوبُهم منها وإنعام رسول الله ﷺ فيها[1]

ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دَحْنَا[2] حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس، ومعه من هوازن سبي كثير، وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف: يا رسول الله، ادع عليهم؛ فقال رسول الله ﷺ: «اللهمّ اهدِ ثقيفاً وأتِ بهم»[3].

ثم أتاه وفد هوازن بالجِعْرانة، وكان مع رسول الله ﷺ من سبْي هوازن

---

(١) أنظر: تاريخ الطبري ٣/٨٦، والمغازي للواقدي ٣/٩٤٣ - ٩٤٩، والمغازي لعروة ٢١٨، ومجمع الزوائد ٦/١٨٦، والكامل في التاريخ ٢/٢٦٨، ونهاية الأرب ١٧/٣٣٩، والطبقات الكبرى ٢/١٥٢، ١٥٣، وعيون الأثر ٢/١٩٣.

(٢) دَحْنَا: بفتح أوله وسكون ثانيه. من مخاليف الطائف، (معجم البلدان ٢/٤٤٤).

(٣) أخرج الترمذيّ نحوه في المناقب (٤٠٣٤) باب في ثقيف وبني حنيفة، عن أبي سلمة يحيى بن خلف، عن عبد الوهاب الثقفي، عن عبد الله بن عثمان بن خُثيم، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قالوا: يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف فادْعُ الله عليهم. فقال: «اللهمّ اهْدِ ثقيفاً». هذا حديث حسن صحيح غريب، وأخرجه أحمد في المسند ٣/٣٤٣ عن عبد الله، عن أبيه، عن محمد بن الصباح، عن إسماعيل بن زكريا، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن عبد الرحمن بن سابط، وأبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم اهد ثقيفاً» قال عبد الله: وسمعته أنا من محمد بن الصباح، فذكر مثله، وانظر: المغازي للواقدي ٣/٩٣٧، والطبقات لابن سعد ٢/١٥٩، ونهاية الأرب ١٧/٣٣٨، والكامل في التاريخ ٢/٢٦٧، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩٦.

ستة آلاف من الذراري والنساء، ومن الإبل والشاء ما لا يُدْرى ما عدّته.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عمرو بن شُعيب، عن أبيه، عن جدّه عبد الله بن عمرو: أنّ وفد هوازن أتوْا رسول الله ﷺ وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنّا أصلٌ وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يَخْفَ عليك، فامْنُنْ علينا، منَّ الله عليك. قال: وقام رجل من هوازن، ثم أحد بني سعد بن بكر، يقال له زُهير، يُكَنّى أبا صُرَد، فقال: يا رسول الله، إنّما في الحظائر عمّاتك وخالاتك وحواضنك[1] اللاتي كنّ يكفلنك، ولو أنّا مَلَحْنا[2] للحارث بن أبي شَمِر، أو للنُّعمان بن المنذر، ثم نزل منّا بمثل الذي نزلت به، رجَوْنا عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين[3].

قال ابن هشام: ويُروى ولو أنّا مالَحْنا الحارثَ بنَ أبي شَمِر، أو النعمان بن المنذر.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عمرو بن شُعيب، عن أبيه، عن جدّه عبد الله بن عمرو، قال: فقال رسول الله ﷺ: «أبناؤكم ونساؤكم أحبّ إليكم أم أموالكم»؟ فقالوا: يا رسول الله، خيّرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل تردّ إلينا نساءنا وأبناءنا، فهو أحبّ إلينا؛ فقال لهم: «أما ما كان لي ولبني عبد المطّلب فهو لكم، وإذا أنا صلّيت الظهر بالناس، فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله في أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك، وأسأل لكم»؛ فلمّا صلّى رسول الله ﷺ بالناس الظُّهر، قاموا فتكلّموا بالذي أمرهم به، فقال رسول الله ﷺ: «وأما ما كان لي ولبني عبد المطّلب فهو لكم». فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ. وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا. وقال عُيينة بن حصْن: أما أنا وبنو فَزارة فلا، وقال عباس بن مِرداس: أما أنا وبنو سُلَيم فلا.

---

(١) يقصد: حليمة السعدية فهي من بني سعد بن بكر.

(٢) ملحنا: أرضعنا.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٨٦، الكامل في التاريخ ٢/٢٦٨.

فقالت بنو سُليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.

قال: يقول عباس بن مِرداس لبني سُلَيم: وهَنْتُموني.

فقال رسول الله ﷺ: أمّا من تمسك منكم بحقّه من هذا السبي فله لكل إنسان ستّ فرائض، من أول سبي أصيبه. فردّوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبو وجزة يزيد بن عُبيد السّعديّ: أنّ رسول الله ﷺ أعطى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه جارية، يقال لها رَيطة بنت هلال بن حيّان بن عُميرة بن هلال بن ناصرة بن قُصَيّة بن نصر بن سعد بن بكر، وأعطى عثمان بن عفّان جارية، يقال لها زينب بنت حيّان بن عمرو بن حَيّان، وأعطى عمر بن الخطّاب جارية، فوهبها لعبد الله بن عمر ابنه[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني نافع مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله ابن عمر، قال: بعثت بها إلى أخوالي من بني جُمَح، ليُصْلحوا لي منها، ويهيّئوها، حتى أطوف بالبيت، ثم آتيهم، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها، قال: فخرجت من المسجد حين فرغت، فإذا الناس يشتدّون؛ فقلت: ما شأنكم؟ قالوا: ردّ علينا رسول الله ﷺ نساءنا وأبناءنا؛ فقلت: تلكم صاحبتكم في بني جُمَح، فاذهبوا فخذوها، فذهبوا إليها، فأخذوها[3].

قال ابن إسحاق: وأما عُيينة بن حصْن، فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن، وقال حين أخذها: أرى عجوزاً إنّي لأحسب لها في الحيّ نسباً، وعسى أن يعظم فداؤها، فلما ردّ رسول الله ﷺ السبايا بستّ فرائض، أبى أن يردّها، فقال له زُهير أبو صُرَد: خذها عنك، فوالله ما فوها ببارد، ولا ثَدْيها

---

(1) تاريخ الطبري ٨٧/٣، الكامل في التاريخ ٢٦٩/٢، نهاية الأرب ٣٤٢/١٧.
(2) تاريخ الطبري ٨٧/٣، ٨٨.
(3) تاريخ الطبري ٨٨/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٠٩.

بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا زوجها بواجد[1]، ولا دَرُّها بماكد[2]. فردّها بستّ فرائض حين قال له زُهير ما قال؛ فزعموا أنّ عُيينة لقي الأقرع بن حابس، فشكا إليه ذلك، فقال: إنّك والله ما أخذتها بيضاء غريرة، ولا نَصَفاً وثيرة[3].

وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن، وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل؟ فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف؛ فقال رسول الله ﷺ «أخبروا مالكاً أنه إنْ أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله، وأعطيته مائة من الإبل»؛ فأُتي مالك بذلك، فخرج إليه من الطائف. وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه أن يعلموا أنّ رسول الله ﷺ قال له ما قال، فيحبسوه، فأمر براحلته فهُيِّئت له، وأمر بفَرَسٍ له، فأتى به إلى الطائف، فخرج ليلاً، فجلس على فرسه، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تُحبس، فركِبها، فلحِق برسول الله ﷺ، فأدركه بالجِعْرانة أو بمكة، فردّ عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، وأسلم فحسن إسلامه؛ فقال مالك بن عوف، حين أسلم:

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله	في الناس كلّهم بمثل محمدِ
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتُدي	ومتى تشأْ يخبركَ عمّا في غد
وإذا الكتيبة عرَّدَتْ أنيابُها	بالسَّمْهرِيّ وضربِ كلِّ مُهنَّد
فكأنّه ليثٌ على أشباله	وسْطَ الهَباءةِ خادرٌ في مرصَد[4]

فاستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه؛ وتلك القبائل: ثُمالة، وسلِمة[5]، وفهم، فكان يقاتل بهم ثقيفاً، لا يخرج لهم سَرْح إلّا أغار

---

(١) الواجد: الحزين.

(٢) الماكد: الغزير.

(٣) الغريرة متوسّطة السّنّ، وكذلك النَّصَف أيضاً. والوثيرة: السمينة. والخبر في تاريخ الطبري ٨٨/٣، والمغازي للواقدي ٩٥٣/٣، ٩٥٤.

(٤) تاريخ الطبري ٨٩/٣، نهاية الأرب ٣٤٥/١٧، والواقدي ٩٥٦/٣.

(٥) قال السهيلي: هكذا تقيّد في النسخة ـ بكسر اللام ـ؛ والمعروف في قبائل قيس سَلَمة ـ بالفتح ـ (الروض الأنف ١٩٧/٤).

عليــه، حتى ضيّق عليهم فقـال أبــو مِحْجَن[1] بن حبيب بن عمـرو بن عُميــر الثقفي:

هــابتِ الأعــداءُ جــانبنــا	ثــمّ تَغْــزونــا بنــو سَلِمــهْ
وأتــانــا مــالــكٌ بــهــمِ	نــاقضـاً للعهــد والحُــرُمَــهْ
وأتَــوْنــا فــي مــنــازلــنــا	ولـقــد كنّــا اوْلي نقـمَــهْ[2]

قـال ابن إسحـاق: ولمـا فـرغ رسـول الله ﷺ من ردّ سبـايـا حُنَين إلى أهلها، ركب، واتّبعه الناس يقولون: يا رسول الله، اقسمْ علينا فيأنا من الإبِـل والغنم، حتى ألجئـوه إلى شجرة، فـاختُـطفت عنـه رداءه؛ فقـال: «أدّوا علي ردائي أيّهـا الناس، فـوالله أن لو كـان لكم بعدد شجـر تِهامـةنَعَمـاًلقسّمتـه عليكم ثم ما ألفيتموني بخيـلاً ولا جبانـاً ولا كذّابـاً»، ثم قام إلى جُنْب بعيـر، فأخـذ وَبَـرةً من سَنامه، فجعلها بين أصبعيه، ثم رفعها، ثم قال: «أيّها الناس، والله مـالي من فَيْئكم ولا هذه الـوَبَرَة إلاّ الخُمْس، والخُمْس مـردود عليكم، فـأدّوا الخِيـاط والمَخيط[3]، فإنّ الغُلول[4] يكـون على أهله عاراً ونـاراً وشنـاراً[5] يـوم القـيـامة[6]. قـال: فجـاء رجـل من الأنصـار بكُبَّـةٍ من خيـوط شَعْـر، فقـال:

---

(١) اسمـه: مالـك بن حبيب، وقيل عبـد الله بن حبيب بن عمرو بن عُميـر بن عوف بن عقـدة بن غيرة بن عوف بن قيس الثقفي.

(٢) تاريخ الطبري ٨٩/٣، نهاية الأرب ٣٤٥/١٧، المغازي للواقدي ٩٥٥/٣، ٩٥٦.

(٣) الخياط. الخيط: والمخيط آلة الخياطة (الإبرة).

(٤) الغلول: الخيانة.

(٥) الشنار: الأمر القبيح الشنيع.

(٦) أخـرجه الحـاكم في المستدرك ٤٩/٣ من طـريق مكحول، عن أبي سـلام الباهلي رضي الله عنه، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: أخذ رسـول الله ﷺ يوم حنين وبـرة من جنب بعيـر ثم قـال: «يـا أيهـا النـاس إنـه لا يحـلّ ممـا أفـاء الله عليكم قـدر هــذه إلا الخمس والخمس مـردود عليكم، فـأدّوا الخيط والمخيط وإيّـاكم والغلول فـإنــه عـار على أهله يــوم القيامة، وعليكم بالجهاد في سبيل الله فإنه بـابٍ من أبواب الجنة يُـذهب الله به الهمّ والغمّ». قال: وكان رسول الله ﷺ يكره الأنفال ويقول: «ليردّ قويّ المؤمنين على ضعيفهم».

يا رسول الله، أخذت هذه الكُبة أعمل بها بَرذَعة، بعيرٍ لي دَبر؛ فقال: «أمّا نصيبي منها فلك» قال: أمّا إذْ بلغت هذا فلا حاجة لي بها، ثم طرحها من يده»[1].

قال ابن هشام: وذكر زيد بن أسلم، عن أبيه: أنّ عُقَيل بن أبي طالب دخل يوم حُنَين على امرأته فاطمة بنت شَيبة بن ربيعة، وسيفه متلطّخ دماً. فقالت: إنّي قد عرفت أنك قد قاتلت، فماذا أصبتَ من غنائم المشركين؟ فقال: دونك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك، فدفعها إليها، فسمِع منادي رسول الله ﷺ يقول: من أخذ شيئاً فليردّه، حتى الخِياط والمخْيط. فرجع عُقيل، فقال: ما أرى إبرتك إلاّ قد ذهبت، فأخذها، فألقاها في الغنائم.

قال ابن إسحاق: وأعطى رسول الله ﷺ المؤلَّفة قلوبُهم، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس، يتألّفهم ويتألّف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير، وأعطى حكيم بن حِزام مائة بعير، وأعطى الحارث بن الحارث بن كَلَدة، أخا بني عبد الدّار مائة بعير.

قال ابن هشام: نُصير بن الحارث بن كَلدة، ويجوز أن يكون اسمه الحارث أيضاً.

قال ابن إسحاق: وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير، وأعطى سُهيل بن عمرو مائة بعير، وأعطى حُوَيطب بن عبد العُزّى بن أبي قيس مائة بعير، وأعطى العلاء بن جارية الثقفي، حليف بني زُهْرة مائة بعير، وأعطى عُيينة بن حصْن بن حُذَيفة بن بدر مائة بعير، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة بعير. وأعطى مالك بن عوف النصْري مائة بعير، وأعطى صفوان بن أميّة مائة بعير، فهؤلاء أصحاب المِئين[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٨٩، ٩٠، وبعض الخبر في الكامل لابن الأثير ٢/٢٧٠، تاريخ الإسلام ٦٠٨.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٩٠، الكامل في التاريخ ٣/٢٦٩، ٢٧٠.

وأعطى دون المائة رجالاً من قريش، منهم مخرمة بن نوفل الزُّهْريّ، وعُمير بن وهْب الجُمَحيّ، وهشام بن عمرو أخو بني عامر بن لُؤَيّ، لا أحفظ ما أعطاهم، وقد عرفت أنها دون المائة، وأعطى سعيد بن يَرْبوع بن عَنْكَثة بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل، وأعطى السَّهميّ خمسين من الإبِل.

قال ابن هشام: واسمه عدِيّ بن قيس.

قال ابن إسحاق: وأعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها، فعاتب فيها رسول الله ﷺ، فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله ﷺ:

كانت نِهاباً تلافيتُها ... بكَري على المهر في الأجْرَعِ
وإيقاظيَ القومَ أن يرقدوا ... إذا هجع الناسُ لم أهجَعِ
فأصبحَ نهْبي ونهْبُ العُبَيْـ ... ـديـنِ عُيَيْنةَ والأقرع[1]
وقد كنتُ في الحرب ذا تُدْرَإ ... فلم أُعْط شيئاً ولم أمنع
إلّا أفائِلَ أُعْطِيتُها ... عديدَ قوائمها الأرْبعِ[2]
وما كنتُ حِصْنٌ ولا حابسٌ ... يفوقان شيخي[3] في المَجْمَعِ
وما كنتُ دونَ امرِئٍ منهما ... ومن تَضَعِ اليوم لا يُرْفعِ[4]

قال ابن هشام: أنشدني يونس النَّحْويّ:

فما كان حصْن ولا حابس ... يفوقان مرداس في المجمع

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: «اذهبوا به، فاقطعوا عنّي لسانه»، فأعطوه حتى رضي، فكان ذلك قطْع لسانه الذي أمر به رسول الله ﷺ[5].

---

(١) العبيد: فرس عباس بن مرداس.
(٢) الأفائل: أصاغر الإبل.
(٣) شيخي: أبي. وفي تاريخ الطبري «يفوقان مرداس».
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلّفة قلوبهم على الإسلام. (١٣٧/١٠٦٠) وانظر الأبيات باختلاف في الألفاظ في: المغازي للواقدي ٣/٩٤٦، ٩٤٧، وتاريخ الطبري ٣/٩٠، ٩١، ونهاية الأدب ١٧/٣٣٩، ٣٤٠، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٠٢، والمغازي لعروة وغيره، ففيها أبيات أكثر، والكامل في التاريخ ٢/٢٧٠.
(٥) تاريخ الطبري ٣/٩١.

قال ابن هشام: وحدّثني بعض أهل العلم: أنّ عباس بن مِرداس أتى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أنت القائل»:

«فأصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعُيينة»[1]؟

فقال أبو بكر الصِّدّيق: بين عُيينة والأقرع؛ فقال رسول الله ﷺ: هما واحد»؛ فقال أبو بكر: أشهد أنك كما قال الله: ﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَه**﴾[2].

قال ابن هشام: وحدّثني من أثق به من أهل العلم في إسنادٍ له، عن ابن شهاب الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة، عن ابن عباس، قال: بايع رسول الله ﷺ من قريش وغيرهم، فأعطاهم يوم الجِعْرانة من غنائم حُنَين.

من بني أُميّة بن عبد شمس: أبو سفيان بن حرب بن أُميّة، وطُلَيق بن سفيان بن أُميّة، وخالد بن أَسَيْد بن أبي العِيص بن أُميّة.

ومن بني عبد الدّار بن قُصَيّ: شَيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار، وأبو السنابل بن بعكك بن الحارث بن عُميلة بن السّباق بن عبد الدار، وعِكرِمة بن عامر بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار.

ومن بني مخزوم بن يقظة: زهير بن أبي أُميّة بن المغيرة، والحارث بن هشام بن المغيرة، وخالد بن هشام بن المغيرة، وهشام بن الوليد بن المغيرة، وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، والسائب بن أبي السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

ومن بني عدِيّ بن كعب: مُطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة، وأبو جهم بن حُذَيفة بن غانم.

---

(١) لم ينطق عليه الصلاة والسلام البيت موزوناً لأنه لا يقول الشِعر وإن كان يستمعه ويستجيده. يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وما علّمناه الشعر وما ينبغي له**﴾

(٢) سورة يّس ـ الآية ٦٩.

ومن بني جُمَح بن عمرو: صفوان بن أُميّة بن خَلَف، وعُمير بن وهْب بن خلف.

ومن بني سهم: عديّ بن قيس بن حُذافة.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: حُوَيْطب بن عبد العُزَّى بن أبي قيس بن عبد ودّ وهشام بن عَمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب.

ومن أفناء القبائل: من بني بكر بن عبد مَناة بن كِنانة: نوفل بن معاوية بن عُروة بن صخر بن رزن بن يَعْمر بن نَفَاثة بن عدِيّ بن الدّيل.

ومن بني قيس، ثمّ من بني عامر بن صعصعة، ثم من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة: علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كِلاب، ولَبِيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب.

ومن بني عامر بن ربيعة: خالد بن هوْذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وحرملة بن هَوْذة بن ربيعة بن عمرو.

ومن بني نصر بن معاوية: مالك بن عوف بن سعيد بن يَرْبوع.

ومن بني سُليم بن منصور: عباس بن مِرداس بن أبي عامر: أخو بني الحارث بن بُهثة بن سُلَيم.

ومن بني غَطفان، ثم من بني فَزَارة: عُيَيْنة بن حصْن بن حُذَيفة بن بدر.

ومن بني تميم ثم من بني حنظلة: الأقرع بن حابس بن عقال، من بني مجاشع بن دارم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْميّ: أنّ قائلاً قال لرسول الله ﷺ من أصحابه: يا رسول الله، أعطيت عُيينة بن حصْن والأقرع بن حابس مائة مائة، وتركت جُعَيل بن سُراقة الضمْريّ؟! فقال رسول الله ﷺ: «أما والذي نفسُ محمد بيده لجُعَيل بن سُراقة خيرٌ من طِلاع[1] الأرض، كلّهم مثل عُيَيْنة بن حصْن والأقرع بن حابس، ولكنّي تألّفتُهما،

---

(١) طلاع الأرض: ما يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل.

ووكّلت جُعَيل بن سراقة إلى إسلامه[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبو عُبَيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر، عن مقسم أبي القاسم، مولى عبد الله بن الحارث بن نَوْفل، قال: خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي، حتّى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو يطوف بالبيت، معلّقاً نعله بيده، فقلنا له: هل حضرت رسول الله ﷺ حين كلّمه التميميّ يوم حُنَين؟ قال: نعم، جاء رجل من بني تميم، يقال له ذو الخُوَيْصرة، فوقف عليه وهو يعطي الناس، فقال: يا محمد، قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم: فقال رسول الله ﷺ: «أجل، فكيف رأيت»؟ فقال: لم أرك عدلت؛ قال فغضب النّبيّ ﷺ، ثم قال: «ويحك! إذا لم يكن العدل عندي، فعند من يكون»!؟ فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، ألا أقتله؟ فقال: «لا، دعه فإنّه سيكون له شيعة يتعمّقون في الدِّين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرَّميّة يُنظر في النصْل[2]، فلا يوجد شيء، ثم في القِدْح[3]، فلا يوجد شيء. ثم في الفُوق[4]، فلا يوجد شيء، سبَق الفَرْث[5]، والدمَ[6].

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن عليّ بن الحسين أبو جعفر بمثل حديث أبي عُبيدة، وسمّاه ذا الخُوَيْصرة.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي نَجِيح، عن أبيه بمثل ذلك.

---

(١) تاريخ الطبري ٩١/٣، الكامل في التاريخ ٢٧٠/٢، ٢٧١.
(٢) النصل: حديد السهم.
(٣) القدح: السهم.
(٤) الفُوق: طرف السهم.
(٥) الفَرَث: ما يوجد في الكرش.
(٦) أخرج نحوه البخاري في كتاب المغازي (١٠٦/٥ باب غزوة الطائف، ومسلم في كتاب الزكاة (١٠٦٢/١٤٠) باب إعطاء المؤلّفة قلوبهم على الإسلام. و(١٠٦٣/١٤٢) باب ذكر الخوارج وصفاتهم، وأخرجه أبو داود، والترمذي وابن ماجه، والنسائيّ، والدارميّ، ومالك، وأحمد، في مواضع كثيرة. (أنظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٢٠٤/٦) وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٠٣، ٦٠٤، وتاريخ الطبري ٩٢/٣، والكامل في التاريخ ٢٧١/٢.

قال ابن هشام: ولما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى في قريش وقبائل العرب ولم يُعط الأنصار شيئاً، قال حسّان بن ثابت يعاتبه في ذلك:

زادت همومٌ فماء العين منحدرُ ... سحّاً إذا حفلْته عبرةُ دِرَرُ[1]
وجْداً بشمّاء إذ شمّاء بَهْكَنَةٌ ... هيفاءُ لادنسٌ فيها ولا خَوَرُ[2]
دعْ عنك شمّاءَ إذ كانت مودَّتُها ... نزْراً وشرّ وِصالِ الواصل النَّزر[3]
وأتِ الرسول فقل يا خيرمؤتَمَن ... للمؤمنين إذا ما عُدّد البشر
علامَ تُدْعَى سُلَيمٌ وهْي نازحةٌ ... قُدّام قوم هُمُ آوَوْا وهم نَصَروا
سمّاهُمُ الله أنصاراً بنصرهمِ ... دِينَ الهُدى وعَوانُ الحرب تستعِر
وسارعوا في سبيل الله واعترفوا ... للنائبات وما خامُوا وما ضجروا[4]
والناس ألبٌ علينا فيك ليس لنا ... إلا السيوفَ وأطراف القَنا وَزَرُ[5]
نُجالدُ النّاس لا نُبقي على أحدٍ ... ولا نُضيّعُ ما تُوحي به السُّوَر
ولا تهرّ جُناةُ الحرب نادِيَنا ... ونحن حين تلظّى نارُها سُعُر[6]
كما ردَدْنا ببدر دون ما طَلَبُوا ... أهلَ النفاق وفينا ينزل الظَّفر
ونحن جُندك يوم النَّعْف من أُحُد ... إذْ حزَّبتْ بَطراً أحزابَها مُضَر
فما وَنينا وما خِمْنا[7] وما خَبَرُوا ... مِنّا عِثاراًوكلّ الناس قد عثروا

قال ابن هشام: حدّثني زياد بن عبد الله، قال: حدّثنا ابن إسحاق: قال: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن محمود بن لَبيد، عن أبي سعيد الخُدْريّ، قال: لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا، في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحيّ من الأنصار في أنفسهم، حتى كثُرت منهم القالة حتى قال قائلهم: لقد لقي والله

(١) حفلته: جمعته. دِرَر: سائلة.
(٢) بَهْكَنَة: كثيرة اللحم. هيفاء: ضامرة الخصْر.
(٣) النزر: القليل.
(٤) اعترفوا: صبروا. ما خاموا: ما جبُنوا.
(٥) ألبٌ: مجتمعون. الوَزَر: الملجأ.
(٦) لا تَهِرّ: لا تكره. جُناة الحرب: الخائضون غمارها. سُعُر: الذين يوقدون نارها.
(٧) خِمْنا: جَبُنّا.

رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عُبادة، فقال: يا رسول الله: إنّ هذا الحيّ من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم، لما صنعت في هذا الفَيْء الذي أصبتَ، قسّمت في قومك، وأعطيت عطايا عِظاماً في قبائل العرب. ولم يك في هذا الحيّ من الأنصار منها شيء. قال: «فأين أنت من ذلك يا سعد»؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلاّ من قومي. قال: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة». قال: فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة. فجاء رجال من المهاجرين فتركهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردّهم. فلما اجتمعوا له أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحيّ من الأنصار: ما قالةً بلغتني عنكم، وجِدَة[1] وجدتموها عليّ في أنفسكم؟ ألم آتِكم ضُلاّلاً فهداكم الله، وعالةً فأغناكم الله، وأعداء فألّف الله بين قلوبكم»! قالوا: بلى، الله ورسوله آمَن وأفضل، ثم قال: ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المَنّ والفضل. قال ﷺ: «أما والله لو شئتم لقلتم، فلَصدَقْتم ولصُدِّقتم: أتيتنا مكذَّباً فصدّقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم، في لُعاعة[2] من الدنيا تألّفت بها قوماً ليُسلِموا، ووكّلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار، أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم»؟ فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شِعْباً وسلكت الأنصارُ شعباً، لسلكتُ شِعبَ الأنصار. اللهمّ ارحَمِ الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار».

قال فبكى القوم حتى أخْضَلوا لِحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قِسماً وحظّاً. ثم انصرف رسول الله ﷺ، وتفرّقوا[3].

---

(١) الجِدَة: مصدر وجد، أي وجدتم في أنفسكم شيئاً. وفي تاريخ الطبري «موجدة».

(٢) اللعَاعة: الخضْب: أو شجرة خضراء شبّه بها نعيم الدنيا.

(٣) تاريخ الطبري ٩٣/٣، ٩٤، المغازي لعروة ٢١٩، المغازي للواقدي ٩٨٧/٣، ٩٥٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٠٣، فتح الباري ٥١/٨، الكامل في التاريخ ٢٧١/٢، ٢٧٢، نهاية الأرب ٣٤٦/١٧، ٣٤٧.

عُمْرة الرسول من الجِعْرانة[1]
واستخلافه عتّاب بن أُسَيْد على مكة، وحجّ عتّاب بالمسلمين سنة ثمان

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ من الجِعْرانة معتمراً، وأمر ببقايا الفَيْء فحُبس بمَجنّة[2]، بناحية مَرّ الظَّهْران، فلما فرغ رسول الله ﷺ من عُمرته انصرف راجعاً إلى المدينة، واستخلف عَتّاب بن أُسيد على مكة، وخلّف معه مُعاذ بن جبل، يفقّه الناس في الدِّين، ويعلّمهم القرآن[3]، واتُّبع رسول الله ﷺ ببقايا الفَيء[4].

قال ابن هشام: وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال: لما استعمل النبيّ ﷺ عَتّاب بن أُسَيْد على مكة رزقه كلّ يوم دِرْهماً، فخطب الناس، فقال: أيّها الناس، أجاع الله كبِدَ من جاع على دِرْهم، فقد رزقني رسول الله ﷺ دِرْهماً كلّ يوم، فليست بي حاجة إلى أحد[5].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٩٤، المغازي للواقدي ٣/٩٥٨ وما بعدها، المحبّر ١١٥، البدء والتاريخ ٤/٢٣٨، تاريخ خليفة ٨٩، الكامل في التاريخ ٢/٢٧٢، نهاية الأرب ١٧/٣٤٨، سيرة ابن كثير ٣/٦٩٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦١١.

(٢) مَجَنّة: بالفتح وتشديد النون، بَمّر الظهران أسفل مكة. (معجم البلدان ٥/٥٨).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٢٧٠.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٩٤، المغازي للواقدي ٣/٩٥٨، الكامل في التاريخ ٢/٢٧٢، نهاية الأرب ١٧/٣٤٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦١١٢.

(٥) أنظر عن عتّاب بن أُسَيْد: الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/٤٤٦، وطبقات خليفة ١١، ٢٧٧، =

قال ابن إسحاق: وكانت عُمرة رسول الله ﷺ في ذي القعدة، فقدِم رسول الله ﷺ المدينة في بقيّة ذي القعدَة أو ذي الحجّة[1].

قال ابن إسحاق: وقدِم رسول الله ﷺ المدينة لستّ ليالٍ بقِين من ذي القعدة فيما زعم أبو عمرو المدني.

قال ابن إسحاق: وحجّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحجّ عليه،

= وتاريخ خليفة ٨٧، ٨٨، ٩٢، ٩٧، ١١٧، ١٢٣، ٤٦، ٦٣، ٦٦، وأنساب الأشراف له ٤١٨/١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٨، ٥٢٩، ونسب قريش لمصعب ١٨٧، ٣١٢، ٤١٨، وأخبار مكة للأزرقي ٢٨٥/١، ١٥١/٢، ١٥٣، والتاريخ الكبير للبخاري ٥٤/٧ رقم ٢٤٤، والمعارف لابن قتيبة ٧٣، ٩١، ١٦٣، ٢٨٣، والأخبار الموفّقيات للزبير بن بكار ٣٣٣، وتاريخ الطبري ٧٣/٣، ٩٤، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٤٢، ٤١٩، ٤٢٧، ٤٧٩، ٥٩٧، ٦٢٣، ٤٩/٤، ٩٤، ١١٠، والمستدرك للحاكم ٥٩٤/٣، ٥٩٥، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ١١٣، ١٤٥، ١٦٦، والمعجم الكبير للطبراني ١٦١/١٧، ١٦٢، والعقد الفريد لابن عبد ربّه ١٥٨/٦، وربيع الأبرار للزمخشري ٣٣٨/٤، وعيون الأخبار لابن قتيبة ٢٣٠/١، ٥٥/٢، والخراج وصناعة الكتابة لقُدامة ٢٦٦، والاستيعاب لابن عبد البرّ ١٥٣/٣، ١٥٤، وثمار القلوب للثعالبي ١٢، ٥١٩، والجرح والتعديل ١١/٧ رقم ٤٦، ومشاهير علماء الأمصار ٣٠ رقم ١٥٥، والزيارات للهروي ٩٤، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ق ١ ج ٣١٨/١، ٣١٩ رقم ٣٨٦، والكاشف للذهبي ٢١٢/٢، ٢١٣ رقم ٣٧٠٦، وتلخيص المستدرك له ٥٩٤/٣، ٥٩٥، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٢، والبداية والنهاية لابن كثير ٣٤/٧، وشفاء الغرام للقاضي الفاسي ٩٠/١، ١٢٥، ١٣٨، ٢٤٣/٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٥٧ (بتحقيقنا)، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٨٩/٧، ٩٠ رقم ١٩١، وتقريب التهذيب ٣/٢ رقم ١، والإصابة ٤٥١/٢ رقم ٥٣٩١ رقم ٥٣٩١، والبدء والتاريخ للمقدسي ١٠٧/٥، والوفيات لابن قنفذ ٤١، وخلاصة تذهيب التهذيب للخزرجي ٢٥٧.

(١) أخرج البخاري في كتاب الحج (٣/٣) أبواب العمرة، باب كم اعتمر النبيّ ﷺ، ومسلم في كتاب الحج، باب بيان عدد عُمَر النبيّ ﷺ وزمانهنّ (١٢٥٣/٢١٧). وأبو داود في الحجّ (١٩٩٤) باب العُمَر. والترمذي في الحج (٨١٤) باب ما جاء: كَم اعتمر النبيّ ﷺ. وابن ماجه في المناسك (٣٠٠٣) باب كم اعتمر النبيّ ﷺ، وأحمد في المسند ٢٤٦/١، ٣٢١، ١٣٩/٢، ١٤٣/٣، ٢٥٦، ٢٩٧/٤، والطبري في تاريخه ٩٤/٣، ٩٥، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ٦١١، وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عُمَر: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء من قابل، والثالثة من الجعرانة، والرابعة التي مع حجّته. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وحجّ بالمسلمين تلك السنة عَتّاب بن أُسَيد، وهي سنة ثمانٍ، وأقام أهل الطائف على شِرْكهم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذي القعدة إذ انصرف رسول الله ﷺ إلى شهر رمضان من سنة تسع[1].

(١) تاريخ الطبري ٣/٩٥، وانظر المغازي للواقدي ٣/٩٥٩، ٩٦٠، والكامل في التاريخ ٢/٢٧٢، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٣.



أمْرُ كعْب بن زُهير بعد الانصراف عن الطّائف[1]

ولما قدِم رسول الله ﷺ من مُنْصرفه عن الطائف كتب بُجير بن زُهير بن أبي سُلْمَى إلى أخيه كعب بن زُهير يخبره أنّ رسول الله ﷺ قتل رجالاً بمكة، ممن كان يهجوه ويؤذيه، وأنّ من بقي من شعراء قريش، ابن الزِّبَعْرى[2] وهبيرة بن

(1) أنظر عن كعب بن زهير في: الاستيعاب ٣/٢٩٧ ـ ٣٠٢، وطبقات الشعراء لابن سلام ٨٣، والأغاني ١٧/٨١ ـ ٩١، ومعجم الشعراء للمرزباني ٣٤٣، والعقد الفريد لابن عبد ربه ٢/٩١، ٥/٢٩١، والمستدرك للحاكم ٣/٥٧٨ ـ ٥٨٦، والمعجم الكبير للطبراني ١٩/١٧٦ ـ ١٧٩، وربيع الأبرار للزمخشري ٤/١٦١، ٢٧٥، وأسد الغابة لابن الأثير ٤/٢٤٠، ٢٤١، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ج ١ق ٢/١٦٧ رقم ٨٧، وأمالي المرتضى ١/٩٧، ٤١٨، ٤٢٤، ٥٥٨، ٢/١٦٧، والتذكرة السعدية للعبيدي ٢٤٠، ٢٤١، وثمار القلوب للثعالبي ٦١، ١٣١، والأمالي للقالي ١/١٦٠، ٢٠٦، ٢/٢، ٣/٢٣، ٢٤، ٢٠٢، وتاريخ الإسلام (المغازي) للذهبي ١٦٥ ـ ٦٢١، ولباب الآداب لابن منقذ ٢٢٠، والإصابة ٣/٢٩٥، ٢٩٦ رقم ٧٤١١، ومعجم الشعراء في لسان العرب للدكتور ياسين الأيوبي ٣٤٧ رقم ٨٨٩، وإمتاع الأسماع للمقريزي ٤٩٤، وشرح قصيدة ابن زهير للتبريزي، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون ١/٢١٧، ٢١٨، والبصائر والذخائر للتوحيدي ٣/٤٤٦، وأدب الدنيا والدين ٥٢، والحماسة للبحتري ٢١٧، والطبقات لخليفة ٣٩، وتاريخ الآداب العربية لبروكلمان ١/١٥٦، وسيرة ابن كثير ٣/٦٩٩ ـ ٧٠٩، وعيون التواريخ ١/٣٤١ ـ ٣٤٤، والكامل في التاريخ ٢/٢٧٤ ـ ٢٧٦، وعيون الأثر ٢/٢٠٨ ـ ٢١٥، والروض الأنف ٤/٩٩ ـ ١٧٣، وانظر الديوان، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٠، وجمْهرة أنساب العرب ٢١، والتذكرة الفخرية ٤٠، ٤٥١.

(2) ابن الزِّبَعْرَى: هو عبد الله بن الزِّبَعْرى بن قيس بن عديّ القرشيّ السهميّ الشاعر، كان من

أبي وهْب، قدهربوا في كـل وجه، فإنْ كـانت لك في نفسـك حاجـة، فطِرْ إلى رسـول الله ﷺ، فإنـه لا يقتل أحـداً جاءه تـائباً، وإن أنت لم تفعـل فـانجُ إلى نجائك من الأرض[1].

وكان كعب بن زُهير قد قال:

ألا أبلِغـا عـنّي بُجَـيـراً رسـالـةً ... فهل لك فيـما قلت ويْحك هـل لكا؟

فبـيِّنْ لنـا إنْ كنتَ لستَ بفـاعـلٍ ... عـلى أيِّ شيءٍ غير ذلـك دلّـكا

عـلى خلقٍ لم ألْفَ يـومـاً أبـاً لـه ... عليـه ومـا تلفى عليـه أبـا لـكـا

فـإنْ أنت لم تفعـلْ فلستُ بـآسـف ... ولا قـائـلٍ إمّـا عثـرتَ: لَعـاً لكـا[2]

سقـاك بهـا المـأمـون كـأسـاً رَوِيّـة ... فـأنهلك المأمـون منهـا وعلّكـا[3]

قال ابن هشام: ويُروى «المأمور» وقوله «فبيّن لنا» عن غير ابن إسحاق.

وأنشدني بعض أهل العِلم بالشعر وحديثه:

من مُبلغ عـنّي بُجَـيـراً رسـالـةً ... فهل لك فيما قلت بالخَيف[4] هل لكا

= أشعر قريش في الجاهلية، وأسلم بعد الفتح وحسُن إسلامه. أنظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٣٥ ـ ٢٤٤، وأسد الغابة ٣/ ٢٣٩، والإصابة ٢/ ٣٠٨ وغيره.

(١) الخبر في تاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٥، وأخرج الحاكم في المستدرك بعضه من حديث طويل. ٣/ ٥٧٩، ٥٨٠، والأغاني ١٧/ ٨٦، ٨٧.

(٢) لعاً لك: كلمة تقال للعاثر دعاء له بالإقالة. أنشد أبو عُبيه.

فـلا لعـاً لبنـي فـلان إذا عثـروا

الروض الأنف ٤/ ١٩٩.

(٣) ويروى: المحمود في غير رواية ابن إسحاق، أراد بالمحمود: محمّداً ـ ﷺ وكـذلك المـأمون والأمين كـانت قريش تسمّي بهمـا النبيّ ﷺ قبـل النبـوّة (الروض الأنف ٤/ ١٩٩). النهـل: الشرب الأول. والعلل الشرب الثاني.

وانـظر الأبيات بـاختلاف الألفـاظ والترتيب في: ديوان كعب بن زهير ـ ص ٣ طبعة دار الكتب المصرية. ١٩٥٠، والأغاني ١٧/ ٨٦، والمستدرك للحاكم ٣/ ٥٨٩، والاستيعاب ٣/ ٢٩٨، والإصـابة ٣/ ٢٩٥ رقم ٧٤١١، وتـاريخ الإسـلام (الذهبي) ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، وأسد الغابة ٤/ ٢٤٠، والكامل في التاريخ ٢/ ٢٧٤، وعيون الأثـر ٢/ ٢٠٨، وسيرة ابن كثيـر ٣/ ٦٩٩.

(٤) الخَيف: خُيف مِنى.

شربت مع المأمون كأساً رَوِيّةً — فنهلكَ المأمونُ منها وعلّكا

وخالفتَ أسباب الهُدى واتّبعته — على أيّ شيءٍ ويْب[1] غيرك دلّكا

على خلق لم تُلْفِ أُمّاً ولا أباً — عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا

فإنْ أنت لم تفعلْ فلستُ بآسفٍ — ولا قائل إمّا عثرتَ: لَعاً لكا

قال: وبعث بها إلى بُجير، فلما أتت بُجيراً كره أن يكتمها رسولَ الله ﷺ فأنشده إيّاها، فقال رسول الله ﷺ لما سمع «سقاك بها المأمون»: «صدق وإنّه لكَذُوب، أنا المأمون». ولما سمع: «على خلق لم تُلفِ أمّاً ولا أباً عليه» قال: «أجل، لم يَلْفَ عليه أباه ولا أمّه».

ثم قال بُجير لكعب:

من مُبلِغٌ كعباً فهل لك في التي — تلومُ عليها باطلاً وهْي أحزمُ

إلى الله - لا العُزّى ولا اللّات - وحدَه — فتنجو إذا كان النجاء وتَسلم

لدى يوم لا ينجو وليس بمُفْلتٍ — من الناس إلّا طاهرُ القلبِ مسلم

فدِين زُهير وهو لا شيءَ دِينُه — ودِينُ أبي سُلْمَى عليّ محرّم[2]

قال ابن إسحاق: وإنّما يقول كعب: «المأمون»، ويقال: «المأمور» في قول ابن هشام لقول قريش الذي كانت تقوله لرسول الله ﷺ.

كعب بن زُهير وقصيدته: قال ابن إسحاق: فلما بلغ كعْباً الكتاب ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه، وأرجف به من كان في حاضره من عدوّه، فقالوا: هو مقتول. فلمّا لم يجد من شيءٍ بُدّاً، قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوُشاة به من عدوّه، ثم خرج حتى قدِم المدينة، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة، من جُهَينة، كما ذُكر لي، فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صلّى الصبح، فصلّى مع رسول الله ﷺ، ثم أشار له

---

(١) ويْب: هلاك. أي هلكت هلاك غيرك.

(٢) أنظر: تاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٦، وعيون الأثر ٢/٢٠٨، ٢٠٩، وسيرة ابن كثير ٣/٧٠٠، والمستدرك للحاكم ٣/٥٨٢، ٥٨٣.

إلى رسول الله ﷺ، فقال: هذا رسول الله فقم إليه فأستامِنْه، فـذُكِر لي أنـه قام إلى رسول الله ﷺ، حتى جلس إليه، فوضع يـده في يده، وكـان رسول الله ﷺ لا يعرفه، فقال: يا رسـول الله، إنّ كعب بن زُهير قـد جاء ليستأمن منك تـائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم»؛ قال: أنا يا رسول الله كعب بن زُهير[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أنه وثب عليه رجـل من الأنصـار، فقـال يـا رسول الله، دعني وعـدوَّ الله أضرب عُنقـه؛ فقـال رسول الله ﷺ: «دعه عنك فإنّـه قد جـاء تائبـاً، نازعـاً عمّا كـان عليه». قـال: فغضب كعب على هذا الحيّ من الأنصار، لِما صنع به صـاحبهم، وذلك أنـه لم يتكلّم فيه رجل من المهاجرين إلّا بخـير، فقال في قصيـدته التي قـال حين قـدِم عـلى رسـول الله ﷺ:

بـانَتْ سُعـادُ فقلبي اليـوم متْبـولُ ... مُتيَّمٌ إثْـرَهـا[2] لم يُفـدْ[3] مكبـول[4]

ومـا سعـادُ غـداة البَـيْنْ إذْ رحلوا ... إلّا أغنُّ غَضِيض الـطَّرْف مكحول[5]

هَـيْفَـاءُ مُـقبلَةٌ عـجْـزاءُ مُـدبـرَةٌ ... لا يُشتـكَى قِصَرٌ منهـا ولا طُـول[6]

تجلو عـوارضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمتْ ... كـأنّـه مُنْهَـلٌ بـالـرّاح مَعْلول[7]

---

(١) الخبر باختصار في الأغاني ١٧/٨٩، وقد أخرجه الطبراني في حديث طويل.

(٢) في الأغاني «عندها».

(٣) في الديوان، والأغـاني، والشعر والشعـراء، وغيره «يُجَـز». وفي تاريـخ الإسلام (المغـازي) «يُلفَ». والمثبت يتّفق مع المستدرك للحاكم.

(٤) ومعنى البيت: بانت: أي فارقت فراقاً بعيداً. والمتْبول: الذي أسلمه الحبّ وأضنـاه. ويُفَد: يخلّص من الأسْر. والمكبول: الذي لا يجد فكاكاً من القيد، المكبَّل.

(٥) غداة البَيْن: صبيحة الفراق. أغنّ: أي ظبي أغنّ في صوته حُسْن. غضيض الطَّرْف: فـاتره. مكحول: أسود الجفون.

(٦) هيفاء: ضامرة البطن والخصْر. العجْزاء: ضخمة العجز. لا يُشتكَى: لا يُعاب.

(٧) تجلو: تصقل وتُظْهـر وتكشف. العوارض: الأسنـان التي تظهـر عند الضَّحِـك: الظَّلْم: مـاء الأسنان وبريقهـا ورقّتها وهـو أيضاً الثلج شُبّهت بـه الأسنان. المُنْهَـل: المسقى وهو الشـرب الأول. الراح: الخمر: معلول: اسم مفعول من علّه، والعَلَل الشرب الثاني.

شُجَّتْ بِذي شَبَمٍ من ماء مَحْنِيَةٍ ... صافٍ[1] بأبطحَ أضْحَى وهو مشمول[2]
تَنْفي الرياحُ القَذَى عنه وأفرطَهُ ... من صَوْب غاديةٍ[3] بيضٌ يَعالِيل[4]
فيالها[5] خُلَّة[6] لو أنّها صَدَقَتْ ... بوعدها أو لو أنّ النُّصْحَ مقبول
لكنّها خُلَّة قد سِيطَ من دمها ... فجْعٌ ووَلْعٌ وإخْلافٌ وتَبْديل[7]
فما تدوم على حال تكونُ بها ... كما تَلَوَّنُ في أثوابها الغُول[8]
وما تمسَّك بالعهد[9] الذي زَعَمَتْ ... إلّا كما يُمْسكُ الماءَ الغرابيلُ[10]
فلا يغُرَّنْكَ ما مَنَّت وما وعدتْ ... إنّ الأمانيَّ والأحلامَ تضليل[11]
كانت مواعيدُ عُرْقوبٍ لها مَثَلاً ... وما مواعيدُها إلّا الأباطيل[12]

---

(١) في تاريخ الإسلام (المغازي) «صادٍ». وفي المستدرك للحاكم ٣/٥٨٠ «من ماء أبطح».
(٢) معاني البيت: شُجَّت: مُزِجت حتى انكسرت سورتها.
ذو شَبَم: ماء شديد البرد.
مَحْنِيَة: منعطف الوادي، ماؤه أصفى وأبرد وألذّ.
أبطح: مسيل واسع فيه حصى دقيق.
أضحى: أخذ في وقت الضحى قبل أن يشتدّ الحرّ
مشمول: ضربته ريح الشمال حتى برد.
(٣) في المستدرك، وتاريخ الإسلام «سارية».
(٤) تنفي: تُبعِد. القذى: كل غريب يقع في الماء من تبن ونحوه. أفرطه: سبق إليه وملأه. صوب: مطر سحابة. غادية: مبكرة. بِيض يَعاليل: حُباب يعلو وجه الماء أو الجبال الشديدة البياض ينحدر عليها ماء المطر (الروض ٤/١٧٠).
(٥) في المستدرك «سقياً لها» وفي تاريخ الإسلام «أكرِمْ بها».
(٦) الخُلّة: الصديقة والخليلة.
(٧) سِيط: خلط. فَجْع: إصابة. وَلْع: كذب في إخفاء المحبّة. إخلاف: خُلف الوعد. أي أن هذه الصفات قد خلطت بدمها.
(٨) الغول: ساحرة الجنّ تظهر في الفَلاة بألوانٍ شتّى، تضلّل مَنْ يتبعها.
(٩) في المستدرك «بالوصل».
(١٠) الغرابيل: مفردها غربال.
(١١) فلا يغرَّنْك: فلا يخدعنّك. ما منَّت: أي ما منّتك به من الوصل. الأماني: ما يرجوه الإنسان من الآمال. تضليل: سبب في ضلال الإنسان: عن وجه الصواب.
(١٢) عُرقوب: رجل اشتهر بخُلف الوعد فضُرب به المثل، قال علقمة:
وعدتَ وكان الخُلْفُ منك سجيّةً ... مواعيدَ عُرقوب أخاه بيثرب.
والأباطيل: جمع باطل، جمعه على غير القياس.

أرجو وآمُلُ أن تدنو مودَّتُها ... وما إخالُ لَدَيْنا منكِ تَنْويل[1]
أمستْ سعاد بأرضٍ لا يُبلِّغها ... إلّا العِتاقُ النّجيبات المَراسيل[2]
ولن يُبلِّغها إلّا عُذافِرةٌ ... لها على الأَيْن إرْقال وتَبْغيل[3]
من كلّ نضّاخة الذِّفْرَى إذا عَرِقَتْ ... عُرْضتُها طامِسُ الأعلام مجهول[4]
ترمي الغيوبَ بعينَيْ مُفْردٍ لَهَقٍ ... إذا توقّدتِ الحِزّانُ والمِيل[5]
ضخْمٌ مُقَلَّدُها فَعْمٌ مُقَيَّدُها ... في خَلْقها عن بناتِ الفَحْل تفْضيل[6]
غَلباءُ وجْناءُ عُلْكومٌ مُذَكَّرةٌ ... في دفّها سَعَةٌ قُدّامُها مِيل
وجلدُها من أُطُومٍ ما يُؤيِّسُه ... طِلحٌ بضاحيةِ المَتْنَيْنِ مَهْزول[8]
حرفٌ، أخوها أبوها[9] من مُهَجَّنَةٍ ... وعمُّها خالُها قَوْداءُ شِمْليل[10]

---

(١) تدنو: تُظْهر، إخال: بكسر الهمزة لغة تميم بمعنى تميم بمعنى أبّان. تنويل: الوصل والعطاء.

(٢) العتاق: جمع عتيق: الكريم. النجيبات: جمع نجيبه: الخفيفة السريعة. المراسيل جمع مرسال. السريعة أيضاً.

(٣) العذافرة: الناقة القوية العظيمة. الأين: التعب. إرقال وتبغيل: ضربان من العدْو السريع.

(٤) نضّاخة: كثرة رشح العَرَق. الذِّفْرَى: نُقْرة توجد خلف أُذُن الناقة. عُرْضَتُها: هِمّتها: طامس: دارس. الأعلام: العلامات التي تكون في الطريق ليُهتَدى بها.
يصف ناقته بالسرعة والنشاط حتى تعرق وهي متعوّدة على الأسفار تعرف الطُرق بلا علامات.

(٥) الغيوب: آثار الطريق التي غابت معالمها عن العيون. مفرد: ثور وحشيّ تفرّد في الصحراء. لهق: أبيض. الحزان: الأمكنة الغليظة الصُلبة فيها حصباء كثيرة. الميل: الكثبان الضخمة من الرمال.

(٦) مقلّد: موضع القلادة من العُنق. فَعْم: ممتلىء. مقيّد: موضع القيد، أي قوائمها، وبنات الفحل: الإناث من الإبل المنسوبة إلى أبيها.

(٧) غلباء: غليظة العُنق. وجْناء: عظيمة الوجنتين: عُلْكوم: شديدة. مُذَكَّرة: تشبه الذَّكَر في عظَم الخِلْقة: الدفّ: الجَنْب. قُدّامها مِيل: كناية إمّا عن سعَة الخطوْ أو طول العُنُق.

(٨) الأُطُوم: السُلَحْفاة البحرية أو الزَّرافة غليظة الجِلْد. يؤيسه: يؤثّر فيه. طلح: حشرة صغير تلزق بالجلد وهي ما يُعرف بالقرّاد. الضاحية: الناحية الظاهرة للشمس. المتنين: ما اكتنف صلْبها عن يمين وشمال. ومهزول: صفة لطلح. أي قراد مهزول.
والمعنى إنّ جلد هذه الناقة غاية في الملاسة فلا يؤثّر فيه القراد ولذلك هو مهزول.

(٩) في المستدرك، وتاريخ الإسلام «حرف، أبوها أخوها».

(١٠) حرفٌ: أي هي حرف، أو كأنّها حرف، فعلى الأوّل يكون الحرف: الضامرة، وعلى =

يمشي القـراد عليهـا ثم يـزْلـقـه منهـا لَبـانٌ وأقـرابٌ زهـاليـل[1]
عَـيْرانة قـذفت بالنَّحْض عن عُـرض مِـرفقها عن بنـات[2] الزور مفتـول[3]
كـأنّما فـات[4] عينيهـا ومَـذْبحهـا من خَـطْمها ومن اللّحْيَيْن برطيـل[5]
تُمِرّ مثـل عَسيب النَّخْـل ذا خصـل في غـارزٍ لم تخَـوَّنْـهُ الأحـاليـل[6]
قَـوْنـاء في حُـرَّتيهْـا للبصـير بهـا عتقٌ مبـينٌ وفي الخـدَّين تسهيـل[7]
تُخْـدي عـلى يَسُرات هـي لاحـقـة ذوابـل مَسُّهُـن الأرض تحليـل[8]
سمـر العجايـات يتركْنَ الحَصيَ زيمـاً لم يـقهِـنَّ رؤوسُ الأكم تـنعيـل[9]
كـأنّ أَوْب ذِراعيهـا وقـد عـرِقَـتْ وقـد تلفّـع بـالقـور العسـاقيـل[10]

= الثاني يكون شبّهها بحرف الجبل وهي القطعة الخارجة منه. أبوها أخوها، وعمّها خالها: أي مُداخلة النَّسَب كريمته لم يدخل في نسبها غريب. المهجَّنة: كريمة الأبوين. قَوْداء: طويلة الظَهْر والعُنَق. شِمْلِيل: سريعة في خفّة.

(١) يُزلقه: يُسقطه. لَبَان: صدر. أقراب: خواصر. زهاليل: جمع زهلول. أملس. والمعنى: أنّ هذه الناقة لنعومتها لا يثبت القراد على جسدها.

(٢) في المستدرك ٥٨١/٣ «ضلوع».

(٣) عيرانة: أي هي ناقة تشبه عِير الوحش في قوّته وسرعته ونشاطه. النحض: اللحم.
والمعنى: أنّ مرفق تلك الناقة بعيد عمّا حوالي الصدر من الأضلاع فتكون محفوظة عن الضغط لأنّ مِرفقها بعيد عن أضلاعها.

(٤) في المستدرك «قاب».

(٥) فات: تقدّم؛ مذبحها: مكان الذبح من الرقبة. الخطْم: الأنف وما حوله. اللحْيان: العظْمان اللذان تنبت عليهما الأسنان السفلى. برطيل: حجر مستطيل. أو مِعْوَل من حديد.

(٦) عسيب النخل: جريده الذي لم ينبُت عليه الخُوص. ذا خصل: أي ذيْل له لفائف من الشَعْر. الغارز: الضرع. تخوّنه: تُنْقِصه. الأحاليل: مخارج اللبن مُفرده: إحليل.

(٧) القَوْناء: مَحْدودَبة الأنف. الحُرَّتان: الأُذُنان. عتْق: كرْم. مبين: واضح. تسهيل: سهولة، أي لا خشونة فيهما.

(٨) تُخْدي: تُسرع، يَسِرات: أي قوائم يَسِرات واليَسِرات: الخِفاف. لاحقة: سابقة. الزوابل: الرماح الصُلْبة. تحليل: قليل.
والمعنى، أنّ هذه الناقة سريعة لا تمسّ الأرض إلاّ مسّاً سريعاً لشدّة عدْوها.

(٩) العجايات: الأعصاب المتّصلة بالحافر. زِيماً: متفرّقة. الأكَم: الأرض المرتفعة. التنعيل: هو شدّ النعل على ظُفْر الدّابّة ليَقِيَها الحجارة.

(١٠) الأوْب: سرعة تقلّب وروجوع ذِراعيها. تلفّع: إلْتحَفَ. القور: جمع قارة: الجبل الصغير. العساقيل: السراب.

يوماً يظلّ به الحرباء مصطخداً ... كأنّ ضاحيه بالشمس مملول[1]

وقال للقوم حاديهم ـ وقد جعلت ... ورق الجنادب يركضْن الحصا ـ قيلوا[2]

شدّ النهار ذراعاً عيطل نَصَف ... قامت فجاوبها نكِدُ مثاكيل[3]

نوّاحة رخْوة الضّبْعين ليس لها ... لمّا نَعى بِكْرَها النّاعون معقول[4]

تَفْري اللّبانَ بكَفَّيْها ومِدْرَعها ... مشقّق عن تراقيها رعابيل[5]

تسعى الغُواة جنابَيها وقولُهُم[6] ... إنّك يابن أبي سُلْمى لمقتول[7]

وقال كلّ صديقٍ كنتُ آمُلُه ... لا أُلْهِيَنَّكَ إنّي عنك مشغول[8]

فقلت: خلّوا سبيلي لا أبا لكم[9] ... فكلّ ما قدّر الرحمن مفعول[10]

---

(١) الحرباء: نوع من الدّواب الصغيرة. مصطخداً: محترقاً بحرارة الشمس. ضاحيه: ما برز للشمس منه، مملول: محروق.

(٢) الحادي: سائق الإبل. ورق: جمع أوراق أو ورقاء. وهو الأخضر الذي يضرب إلى السواد. الجنادب جمع جندب: نوع من الجراد. يركضن: يدفعن. قيلوا: خذوا راحتكم وقت القيلولة.

(٣) شدّ النهار: وسطه. عَيْطل: طويلة. نَصَف: متوسّطة السّنّ وهو غاية قوّتها. نكِد: من لا يعيش لهنّ ولد. مثاكيل: جمع مثكال. كثيرة فَقْد الأولاد.

والمعنى: يشبه سرعة حركة يدي هذه الناقة بيدي امرأة قوية تلطم خديها فيجاوبها نسوة ثكالى فيشتد لطمها.

(٤) نوّاحة: كثيرة النَّوْح. صيغة مبالغة من نائحة. رخْوة: مسترخية. الضّبْعين: العَضُدَين. بِكْر: الولد الأول. الناعون: المخبرون بالموت. معقول: عقل.

والمعنى: شبه هذه الناقة بتلك المرأة في تلك الأحوال فالناقة في هذه الحالة ليس لها عقل تدرك به التعب والإعياء.

(٥) تفري: تقطع. اللبان: الصدر. المِدْرَع: القميص. التراقي: جمع تَرْقُوَة. عِظام الصدر. رعابيل: قطع أي: أنّ هذه المرأة لِذَهاب عقلها تقطّع قميصها بأناملها. فقميصها مشقوق يُظهر عظام الصَّدْر، يشبّه بها النّاقة في ذهاب عقلها فلا تحسّ بمشقّة السَّير.

وهكذا استقصى كعب أوصاف الناقة في الأبيات السابقة وانتقل بعد ذلك إلى قول المُرْجِفين به.

(٦) في المستدرك ٣/٥٨١: «يسعى الوشاة جنابيها وقيلهم».

(٧) الغُواة: المفسدون. جنابَيها: حواليها. مقتول: متوعَّد بالقتل.

(٨) إملة: أترجّاه وأتمنّى إعانته. لا أُلْهِيَنَّك: أي لا أشغلك عمّا أنت فيه من الخوف فاعمل لنفسك واتّكل عليها.

(٩) في المستدرك: «خلّوا الطريق يديها لا أبالكم».

(١٠) خلّوا سبيلي: اتركوني لأقف بين يدي النبيّ ﷺ فإنّي أعلم أنه يقبل التائب ولن يطالبني بما =

كلّ ابنِ أُنثى وإنْ طالت سلامتُهُ يوماً على آلةٍ حَدْباء[1] محمول

نُبِّئتُ أنّ رسول الله أوعدني والعفوُ عند رسول الله مأمول[2]

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلةالـ قرآن فيها مواعيظ وتفصيل[3]

لا تأخذنّي بأقوال الوُشاة ولم أُذْنِب ولو كثُرت فيَّ الأقاويل[4]

لقد أقوم مقاماً[5] لو يقوم به أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل:

لظَلَّ يَرْعد إلاّ أنْ يكون له من الرسول بإذن الله تنويل[6]

حتى وضعتُ يميني ما أنازعه في كفّ ذي نَقِماتٍ قِيلُه القيل[7]

فلَهُو أخْوَف عندي إذ أكلّمه وقيل إنّك منسوب ومسؤول[8]

من ضَيغمٍ بضراء الأرض مَخْدَرُهُ[9] في بطن عَثّر غِيلٌ دونه غِيل[10]

يغدو فيلحم ضرْغامين عَيْشُهما لحمٌ من الناس معفور خراديل[11]

= كان قبل إسلامي.

(١) آلة حدباء: نعش.

(٢) نُبِّئت: أخبرت. أوعدني: تهدّدني بالقتل. مأمول: مَرْجُوّ.

(٣) هداك: هدَاك ربّك للصفح عنّي والعفو، أوزادك هُدى. فإنه لا يدعو له بالهدى لأنه هو الهادي المهديّ. نافلة: زيادة لأنّ القرآن هديّة زائدة عن النبوّة ومنحة الرسالة.

(٤) لم أذنب: لم أخطىء في حقّك.

(٥) مقام: مجلس النبيّ ﷺ: يقوم: يحضر.
والمعنى. أنّ الشاعر حضر مجلسه ﷺ فشعر بالهيبة ولو حضر هذا المجلس الفيل لاضطرب من شدّة الأمر.

(٦) يرعد: تأخذه الرعدة بسبب الخوف. تنويل: عطاء.

(٧) لا أنازعه: أي أطيعه. نَقِمات: جمع نقمة: السطْوة. قِيلهُ القيل: قوله النافذ.

(٨) أخْوَف: أي هو ﷺ أشدّ إخافة وإرهاباً. منسوب ومسئول: أي منسوب إلى أشياء قلْتها ومسئول عنها.

(٩) في المستدرك: «من خادر شيك الأنياب طاع له». وفي تاريخ الإسلام: «من ضيغم من ليوث الأسد مسكنه».

(١٠) الضيغم: الأسد. ضراء الأرض: الأرض التي بها شجر. مخدر: غابة الأسد. عَثّر: مكان تكثُر فيه السباع. والغيل: الأجمة، وهي الشجر الكثير الملتفّ.

(١١) يغدو: يخرج أول النهار للصيد. يلحم: يطعم لحماً: ضرغامين: مثنى ضرغام: شبل الأسد. معفور: ملقى في التراب. خراديل: مقطّع قِطَعاً صغيرة. (وفي المستدرك: ضرغامين عندهما لحم من القوم منثور».

إذا يساور قرْناً لا يحلّ له | أن يترك القرن إلّا وهو مفلول[1]
منه تظلّ سباع الجوّ نافرةً | ولا تمشّى بواديه الأراجيل[2]
ولا يزال بوادِيه أخو ثقةٍ | مضرّج البزّ والدُّرسان مأكول[3]
إنّ الرسول لنورٌ يُستضاء به | مهنّد من سيوف الله مسلول[4]
في عُصْبة من قريشٍ قال قائلهم | ببطْن مكة لما أسلموا زولوا[5]
زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشُفٌ | عند اللقاء ولا مِيلٌ معازيل[6]
شُمُّ العَرانِين إبطالٌ لَبوسُهمُ | من نسْجِ داود في الهيْجا سَرَابيل[7]
بيض سوابغ قد شُكّت لها حلَقٌ | كأنّها حلَق القفعاء مجدول[8]
لَيسوا مفاريح إنْ نالتْ رِماحُهم[9] | قوماً وليسوا مجازِيعاً إذا نِيلُوا[10]
يمشوْن مشْي الجمال الزُّهْر يَعْصِمُهم | ضَرْبٌ إذا عرَّد السُّود التَّنابيل[11]

---

(١) يساور: يواثب ويصارع. القرن: المماثل في الشجاعة. مفلول: المكسور المهزوم.

(٢) الجو: ما بين السماء والأرض: نافرة: بعيدة. الأراجل: جماعات من الرجال. جمع أرجال. التي هي جماعة الرجال.

(٣) أخو ثقة: الواثق بنفسه. مضرّج: مخضب بالدماء. البزّ: السلاح. الدُّرْسان: مفرده دريس: الخَلِق من الثياب.

(٤) يُستضاء به: يهتدي به إلى نور الحقّ. مهنّد: سيف طُبع في الهند. مسلول: مُخْرَج من غِمْده.

(٥) العُصْبة: الجماعة ما بين العشرة إلى الأربعين. زولوا: فعْل أمرٍ من زال التامة أي التي لها فاعل. أي تحوّلوا وانتقلوا.

(٦) الأنكاس: المُهانون. ولا كُشُفٌ: أي لا ينكشفون في الحرب بمعنى لا ينهزمون. المِيل: الذين لا يحسنون الركوب. معازيل: لا سلاح معهم.

(٧) شُمّ: جمع أشمّ. وهو من في قصبة أنفه عُلُو مع استواء أعلاه، علامة العزّة والسّيادة. اللَّبوس: ما يُلبس من السلاح. من نسج داود: أي منسوجة وهي الدروع. الهيجا: الحرب. سرابيل: دروع.

(٨) بيض: مَجْلُوَّة. سوابغ: طويلة ضافية. شُكّت: أُدخِل بعضها في بعض. القفعاء: نبات يشبه الحسك يتفرّع على سطح الأرض له شوك تشبه به حلق الدرع، مجدول: مُحكَم صُنعه.

(٩) في المستدرك ٥٨٢/٣ «لا يفرحون إذا زالت رماحهم». وفي تاريخ الإسلام ٦٢٠: «لا يفرحون إذا نالت سيوفهم».

(١٠) مفاريح: كثيرو الفرح. والمفرد مفراح. نالت: أصابت. مجازيع: كثيرو الجزع. والمفرد مجزاع. نيلوا: أصيبوا.

(١١) الزُّهْر: البِيض. يعصمهم: يمنعهم. عرَّد: أعرض عن خصمه. التنابيل: القصار.

لا يقـع الـطَّعن إلاّ في نُحـورهم　　وما لهم عن حياض المـوت تهليل[1]

قال ابن هشام: قال كعب هذه القصيدة بعد قـدومه على رسـول الله ﷺ المدينة. وبيته: «حرفُ أخـوها أبـوها» وبيتـه: «يمشي القراد»، وبيتـه: «عيرانـة قذفت»، وبيته: «تمرّ مثل عَسِيب النخْل»، وبيته: «تَفْري اللبان»، وبيتـه: «إذا يساور قِرنا»، وبيته: «لا يزال بوادِيه»: عن غير ابن إسحاق.

كعب يسترضي الأنصار بمدحهم: قال ابن إسحاق: وقال عاصم بن عمر بن قَتادة: فلما قال كعب: «إذا عرّد السود التنابيل»، وإنّما يريدنا معشر الأنصار، لما كان صاحبنا صنع به ما صنع، وخصّ المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله ﷺ بمدحته، غضبت عليه الأنصار؛ فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار، ويذكر بلاءهم مع رسول الله ﷺ، وموضعهم من اليمن[2]:

من سـرّه كـرم الحيـاة فـلا يَـزَلْ　　في مِقْنَبٍ من صـالحي الأنصـار[3]

ورثـوا المكـارمَ كـابراً عن كـابرٍ　　إنّ الخيـار هـم بنـو الأخيـار

المُكَـرِهين السَّمْهَـريَّ بـأذرُعٍ　　كسـوالف الهنـديّ غيـر قِصـار[4]

والنـاظـرين بـأعُينٍ محمـرَّةٍ　　كـالجمـر غيـرِ كليلةِ الأبصـار[5]

والبـائعين نفـوسهـمْ لنبيّهـم　　للمـوت يـوم تَعَـانُـقٍ وكـرار[6]

---

(١) حياض الموت: موارد الهلاك، ويقصد به ساحات القتال: تهليل: تأخّر.
وانظر القصيدة في ديوان كعب ٦ ـ ٢٥، وشرحها للخطيب التبريزي بتحقيق سالم الكرنكوي، وأكثرها في المستدرك للحاكم ٣/ ٥٨٠ ـ ٥٨٢، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦١٨ ـ ٦٢١، ومنها ستة أبيات في التذكرة الفخرية للإربلي ٤٥١، ومنها ثلاثة أبيات في الاستيعاب ٣/ ٢٩٩، وبيتان في الإصابة ٣/ ٢٩٦، وسبعة أبيات في الأغاني ١٧/ ٨١، ٨٨، ٨٩، وخمسة في الكامل في التاريخ ٢/ ٢٧٥، ومنها اثنا عشر بيتاً في الشعر والشعراء ١/ ٨٩، ٩٠، وأكثرها في عيون الأثر ٢/ ٢٠٩ ـ ٢١٢، وخمسة عشر بيتاً في المعجم الكبير للطبراني ١٧/ ١٧٨ .

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣/ ٥٨٤، ٥٨٥.

(٣) المِقْنب: جماعة الخيل. والمراد به هنا الأنصار على ظهور خيلهم.

(٤) السّمهريّ: الرمح. سوالف حواشي. الهنديّ: السيف المنسوب إلى الهند.

(٥) بأعين محمـرّة: يريد أنّ الشجاع إذا غضب احمرّت عيناه.

(٦) تعانق: يريد به التحام الشجعان في ميدان القتال.

والـذائـدين النّـاسَ عن أديـانهم	بـالمَشْـرفيّ وبـالقَنَـا الخـطّار[1]
يتـطهّـرون يَـرَوْنَـهُ نُسـكـاً لهم	بـدمـاء من عَلِقُـوا من الكـفّـار[2]
دَرِبـوا كمـا دربَتْ ببـطنِ خفيـة	غُلْب الرِّقاب من الأسـود ضواري[3]
وإذا حَـلّلت لـيمـنعـوك إليـهـم	أصبحت عنـد معـاقـل الأعفـار[4]
ضـربـوا عليّـاً يوم بـدر ضـربـةً	دانـت لـوقعتهـا جميـع نِـزار[5]
لـو يعـلم الأقـوام عـلمي كـلّه	فيهم لصـدّقني الـذين أمـاري[6]
قـوم إذا خَـوَتِ النُّجـومُ فـإنّـهم	لـلطارقيـن النـازليـن مقـاري[7]
في الغُـرّ من غسّـان من جُـرْثـومـة	أعْيَـت مَحـافِرهـا على المنقار[8]

قـال ابن هشام: ويقـال إنّ رسول الله ﷺ قـال له حين أنشـده: «بـانت سعاد فقلبي اليوم متبول». لولا ذكرت الأنصارَ بخير، فإنّهم لذلك أهْـل، فقال كعب هذه الأبيات. وهي في قصيدة له.

قال ابن هشام: وذُكـر لي عن عليّ بن زيد بن جُـدْعان أنـه قال: أنشـد كعب بن زُهير رسول الله ﷺ في المسجد: «بانت سعادُ فقلبي اليوم متْبول»

---

(١) المشرفيّ: السيف. القَنا: الرماح. الخطّار: المهتزّ.

(٢) يرونه: يعتقدونه. نسكاً: عباده.

(٣) دربوا: تعوّدوا. خفية: مكان تكثُر فيه الأسود. غُلْب: غلاظ.

(٤) الأعفار: الوعول الصغيرة يُضرب بها المثل لامتناعها في قمم الجبال.

(٥) ضربوا عليّاً: يريد به عليّاً بن مسعود بن مازن الغسّاني.

(٦) أماري: أجادل.

(٧) خَوَت: سقطت ولم تمطر. مقاري: المقاري: الجِفان التي يُصنع فيها الطعام.

(٨) وتروى: النقار.

والأبيات في دوان كعب ـ ص ٢٥، ومنها ستة أبيات في الأغـاني ٩٠/١٧، وثلاثـة في الشعـر والشعراء ٩٠/١، ٩١، والكـامل في التـاريخ ٢٧٦/٢، وفي عيـون الأثـر ٢١٢/٢ أربعة عشر بيتاً بزيادة بيت عمّا هنـا. وفي المعجم الكبير للطبـراني ستة أبيـات ١٧٩/١٩، وفي سيـرة ابن كثيـر ٧٠٧/٣، ٧٠٨ إحـدى عشـر بيتـاً، وفي المستـدرك على الصحيحين للحـاكم اثنـان وعشـرون بيتاً (٥٨٥/٣، ٥٨٦) وفي تلخيص المستـدرك للذهبي واحد وعشرون بيتاً (٥٨٥/٣، ٥٨٦).

وحـديث كعب بن زهيـر بـطولـه في المستـدرك ٥٧٨/٣ ـ ٥٧٦، وتـابـه الـذهبي في تلخيصه.

غزوة تَبُوك[1]
في رجب سنة تسع

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال زياد بن عبد الله البَكّائي، عن محمد بن إسحاق المطّلبيّ، قال: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحجّة إلى رجب، ثم أمر الناس بالتهيّؤ لغزو الروم. وقد ذكر لنا الزُّهْريّ، ويزيد بن رُومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قَتادة، وغيرهم من علمائنا، كلٌّ حدّث في غزوة تَبوك ما بلغه عنها، وبعض القوم يحدّث ما لا يحدّث بعض؛ أنّ رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيّؤ لغزو الروم، وذلك في زمان من عُسْرة الناس، وشدّةٍ من الحَرّ، وجدْب من البلاد. وحين طابت الثمار، والناس يحبّون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم

---

(١) أنظر عنها في: المغازي لعروة ٢٢٠، والمغازي للواقدي ٣/٩٨٩، وتاريخ خليفة ٩٢، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٦٥، وتاريخ الطبري ٣/١٠٠، والدرر في المغازي لابن عبد البر ٢٥٣، وجوامع السيرة لابن حزم ٢٤٩، والبدء والتاريخ ـ للمقدسي ٤/٢٣٩، وأنساب الأشراف ١/٣٦٨ رقم ٧٦٦، والمحبّر لابن حبيب ١١٦، والمستدرك ٣/٥٠، ونهاية الأرب للنويري ١٧/٣٥٢، وعيون الأثر لابن سيّد الناس ٢/٢١٥، وعيون التواريخ للكتبي ١/٣٤٤، وسيرة ابن كثير ٤/٢٧٦ ـ ٢٨٢، ومرآة الجنان لليافعي ١/١٥، ومجمع الزوائد للهيثمي ٦/١٩١ ـ ١٩٥، وتاريخ اليعقوبي ٢/٦٧، ٦٨.

عليه، وكان رسول الله ﷺ قلّما يخرج في غزوة إلّا كنّى عنها، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد له[1]، إلّا ما كان من غزوة تبوك، فإنّه بيّنها للناس لبعد الشقة، وشدة الزمان، وكثرة العدو الذي يصمد له، ليتأهّب الناس لذلك أهْبته، فأمر الناس بالجهاز، وأخبرهم أنه يريد الروم[2].

إئذن لي ولا تَفْتّني: فقال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جَهازه ذلك للجَدّ بن قيس أحد بني سلمة: «يا جَدّ، هل لك العامَ في جلاد بني الأصفر[3]؟ فقال: يا رسول الله، أَوَ تأذَنْ لي ولا تَفْتِنّي؟ فو الله لقد عرف قومي أنّه ما من رجل بأشدّ عجباً بالنساء منّي، وإنّي أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «قد أذِنْت لك». ففي الجَدّ بن قيس نزلت هذه الآية: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي ولا تَفْتِنِّي، أَلا في ٱلفِتْنَةِ سَقَطُوا، وإِنَّ جَهَنَّم لَمُحِيطَةٌ بِٱلكَافِرِينَ﴾[4]. أي إن كان إنّما خشي الفتنة من نساء بني الأصفر، وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة أكبر، بتخلُّفه عن رسول الله ﷺ، والرغبة بنفسه عن نفسه، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّم لَمِنْ وَرَائِه﴾[5].

شأن المنافقين: وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحَرّ، زهادةً في الجهاد وشكّاً في الحقّ، وإرجافاً برسول الله ﷺ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي ٱلحَرِّ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ، فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[6].

---

(١) يصمد له: يقصده.

(٢) تاريخ الطبري ٣/١٠٠، ١٠١.

(٣) بنو الأصفر، هم الروم البيزنطيّون.

(٤) سورة التوبة ـ الآية ٤٩.

(٥) تاريخ الطبري ٣/١٠١.

(٦) سورة التوبة ـ الآيتان ٨١ و٨٢ والخبر في تاريخ الطبري ٣/١٠١، ٢٠٢، والكامل في التاريخ ٢/٢٧٧.

قـال ابن هشام: وحـدّثني الثقة عمّن حـدّثه، عن محمـد بن طلحة بن عبد الرحمن، عن إسحـاق بن إبراهيم بن عبـد الله بن حارثـة، عن أبيه، عن جدّه، قال: بلغ رسـول الله ﷺ، أنّ أناسـاً من المنـافقين يجتمعـون في بيت سُوَيْلم اليهوديّ، وكان بيته عند جاسوم، يثبّطون الناس عن رسول الله ﷺ في غـزوة تَبُوك، فبعث إليهم النبيّ ﷺ طلحـة بن عُبيد الله في نفـرٍ من أصحابـه، وأمره أن يحرق عليهم بيت سُوَيلم، ففعل طلحـة. فاقتحم الضّحّـاك بن خليفة من ظهر البيت، فانكسرت رِجْله، واقتحم أصحابـه، فأفلتـوا. فقال الضّحّـاك في ذلك:

كـادت وبـيـتِ الله نـارُ مـحـمـدٍ ... يَشيـط بهـا الضّحّـاك وابن أُبَيْـرِقِ

وظَلْتُ وقـد طبّقتُ كِبْسَ[1] سُـوَيلمٍ ... أنـوء على رِجْلي كسيـراً ومِـرْفقي

سـلامٌ عـليكـم لا أعـودُ لمـثلِهـا ... أخـاف ومن تَشْمل بـه النـارُ يُحْـرَقِ

حضّ الأغنياءِ على النفقة: قـال ابن إسحاق: ثم إنّ رسـول الله ﷺ جَدّ في سفـره، وأمر النـاس بالجهـاز والانكماش، وحضّ أهـل الغِنَى على النفقة والحمـلان في سبيل الله، فحمـل رجـال من أهـل الغِنَى واحتسبـوا[2]، وأنفق عثمان بن عفّان في ذلك نفقةً عظيمة، لم يُنفق أحد مثلها[3].

مـا أنفقه عثمـان: قال ابن هشـام: حـدّثني من أثق بـه: أنّ عثمـان بن عفّان أنفق في جيش العُسْرة في غزوة تَبوك ألف دينـار، فقال رسـول الله ﷺ: «اللهم ارض عن عثمان فإنّي عنه راضٍ».

البكّائون والمعذّرون والمتخلّفون: قال ابن إسحاق: ثم إنّ رجـالاً من المسلميـن أتـوا رسول الله ﷺ، وهم البكّـائون، وهم سبعـة نفـر من الأنصـار وغيـرهم من بني عمرو بن عـوف: سالم بن عُميـر، وعُلبة بن زيـد، أخو بني

---

(١) كِبْس: بيت صغير.

(٢) احتسبوا الأجر عند الله.

(٣) تاريخ الطبري ١٠٢/٣ وفيه «لم ينفق أحد أعظم من نفقته».

حارثة، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، أخو بني مازن بن النّجار، وعمرو بن حمام بن الجَمُوح، أخو بني سَلِمة، وعبد الله بن المغفّل المُزَني ـ وبعض الناس يقول: بل هو عبد الله بن عَمرو المُزَني ـ وهَرَميّ بن عَبْدَك، أخو بني واقف، وعِرْباض بن سارية الفَزَاريّ. فاستحملوا رسول الله ﷺ، وكانوا أ هل حاجة، فقال: ﴿لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ فتولّوا ﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾[1].

قال ابن إسحاق: فبلغني أنّ ابن يامين بن عُمَير بن كعب النضْريّ لقي أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مُغَفّل وهما يبكيان، فقال: ما يُبكيكما؟ قالا: جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه وليس عندنا ما نتقوّى به على الخروج معه؛ فأعطاهما ناضحاً[2] له، فارتحلاه، وزوّدهما شيئاً من تمر، فخرجا مع رسول الله ﷺ[3].

قال ابن إسحاق: وجاء المعذِّرون من الأعراب، فاعتذروا إليه، فلم يعذرْهم الله تعالى. وقد ذُكر لي أنّهم نفر من بني غِفار.

ثم استتبّ[4] برسول الله ﷺ سفرُه، وأجمع السير، وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النّيّة عن رسول الله ﷺ، حتى تخلّفوا عنه، عن غير شكٍّ ولا ارتياب؛ منهم: كعب بن مالك بن أبي كعب، أخو بني سَلِمَة، ومُرارة بن الربيع، أخو بني عمرو بن عوف، وهلال بن أُميّة، أخو بني واقف، وأبو خَيْثمة، أخو بني سالم بن عوف، وكانوا نَفَرَ صِدْقٍ، لا يُتّهمون في إسلامهم[5].

---

(١) سورة التوبة ـ الآية ٩٢ والخبر في تاريخ الطبري ١٠٢/٣، وطبقات ابن سعد ١٦٥/٢.
(٢) الناضح: الجمل الذي تُسقى عليه الماء.
(٣) تاريخ الطبري ١٠٢/٣، تاريخ الإسلام ٦٣٠ وفيه «شيئاً من لبن».
(٤) استتبّ: انتظم وتتابع.
(٥) المحبّر لابن حبيب ٢٨٤، ٢٨٥، تاريخ الطبري ١٠٣/٢، المغازي للواقدي ٩٩٦/٣، ٩٩٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣١، الكامل في التاريخ ٢٧٨/٢.

فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنيّة الوداع.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة محمد بن مَسْلمة الأنصاريّ.

وذكر عبد العزيز بن محمد الداروَرْديّ، عن أبيه: أنّ رسول الله ﷺ استعمل على المدينة، مَخْرجه إلى تَبُوك، سِباع بن عُرفُطة[1].

قال ابن إسحاق: وضرب عبد الله بن أُبيّ معه على حِدَة عسكره أسفل منه، نحو ذباب[2]، وكان فيما يزعمون ليس بأقلّ العسكرين. فلما سار رسول الله ﷺ تخلّف عنه عبد الله بن أُبَيّ، فيمن تخلّف من المنافقين وأهل الرّيب[3].

المنافقون يُرْجِفون بعليّ: وخلّف رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب، رضوان الله عليه، إلى أهله، وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلّفه إلا استثقالاً له، وتخفُّفاً منه. فلما قال ذلك المنافقون، أخذ عليّ بن أبي طالب، رضوان الله عليه سلاحه، ثم خرج حتى أتى رسولَ الله ﷺ وهو نازل بالجُرْف[4]، فقال: يا نبيّ الله، زعم المنافقون أنّك إنّما خلّفتني أنّك استثقلتني وتخفّفْت منّي! فقال: «كذبوا، ولكنّي خلّفْتك لِما تركتُ ورائي، فارجعْ فاخلُفْني في أهلي وأهلِك، أفلا ترضى يا عليّ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلاّ أنّهَ لا نبيّ بعدي»، فرجع عليّ إلى المدينة؛ ومضى رسول الله ﷺ على سفره[5].

---

(١) تاريخ الطبري ١٠٣/٣.

(٢) ذباب: جبل بالمدينة.

(٣) تاريخ الطبري ١٠٣/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣١.

(٤) الجرف: مكان بينه وبين المدينة ثلاثة أميال.

(٥) الحديث أخرجه البخاري في المغازي (١٢٩/٥) باب غزوة تبوك وهي غزوة العُسْرَة. ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٤/٣٣) باب من فضائل عليّ بن أبي طالب، والترمذي في المناقب (٣٨٠٨)، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢٤/٣، ٢٥، والكلابي في المسند (وهو ملحق بكتاب مناقب أمير المؤمنين علي) لابن المغازلي - ص ٢٧٦ رقم ٢٩؛ ٣٠ وابن الأثير في جامع الأصول ٦٤٩/٨، وابن جُمَيع الصيداوي في معجم الشيوخ ٢٤٠، ٢٤١ رقم =

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه سعد: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لعليّ هذه المقالة.

قال ابن إسحاق: ثم رجع عليّ إلى المدينة، ومضى رسول الله ﷺ على سفره.

أبو خَيْثَمة وعُمير بن وهْب يلحقان بالرسول: ثم إنّ أبا خَيْثمة رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله في يوم حارٍّ، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه[1] قد رشّت كلّ واحدة منهما عريشها، وبرّدت له فيه ماء، وهيّأت له فيه طعاماً. فلما دخل، قام على باب العريش، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له، فقال: رسول الله ﷺ في الضِّحّ[2] والرّيح والحَرّ، وأبو خَيْثمة في ظلٍّ باردٍ، وطعام مهيَّأ، وامرأة حسناء، في ماله مقيم، ما هذا بالنَّصَف! ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ، فهيِّئا لي زاداً، ففعلتا. ثم قدّم ناضحه فارتحله، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل بتَبُوك. وقد كان أدرك أبا خَيثمة عُمير بن وهْب الجُمَحيّ في الطريق، يطلب رسول الله ﷺ، فترافقا، حتى إذا دَنَوا من تَبوك. قال أبو خيثمة لعُمَير بن وهْب: إنّ لي ذنباً، فلا عليك أن تخلف عنّي حتى آتي رسول الله ﷺ، ففعل حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك، قال الناس: هذا راكب على الطريق مُقبل؛ فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا خَيْثَمة»؛ فقالوا: يا رسول الله هو والله أبو خَيْثمة. فلما أناخ أقبل فسلّم على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «أَوْلَى لك[3] يا أبا

= ١٩٦، (بتحقيقنا) ـ الحاشية رقم ٥، والطبري في تاريخه ١٠٣/٣، ١٠٤، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣١ و٦٣٢.

(١) الحائط: البستان.

(٢) الضِّحّ: الشمس.

(٣) أولى لك: كلمة تهديد معناها الويل لك.

خَيْثَمة». ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر؛ فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير[1].

قال ابن هشام: وقال أبو خَيْثَمة في ذلك شعراً، واسمه مالك بن قيس:

لما رأيتُ الناسَ فيْ الدّين نافقوا ... أتيت التي كانت أعفّ وأكرما

وبايعتُ باليُمْنى يدِي لمحمدٍ ... فلم أكتسب إثْماً ولم أغش حُرما

تركت خضيباً في العريش وصرْمةً ... صفايا كِراماً بُسْرها قد تحمّما[2]

وكنتْ إذا شكّ المنافقُ أسمحت ... إلى الدّينِ نفسي شطره حيث يمّما

ما حدث بالحِجْر: قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ حين مرّ بالحِجْر نزلها، واستقى الناس من بئرها. فلما راحوا قال رسول الله ﷺ: «لا تَشربوا من مائها شيئاً، ولا تتوضّئوا منه للصلاة، وما كان من عجينٍ عجنتموه فاعلفُوه الإبلَ، ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرجنّ أحد منكم الليلة إلّا ومعه صاحب له». ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ، إلّا أنّ رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعيرٍ له، فأمّا الذي ذهب لحاجته فإنه خُنِق على مَذْهبه، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح، حتى طرحته بجبلي طيّء. فأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلّا ومعه صاحبه»! ثم دعا رسول الله ﷺ للذي أصيب على مذهبه فشُفي؛ وأما الآخر الذي وقع بجبلي طيّء، فإنّ طيّئاً أهدته لرسول الله ﷺ حين قدِم المدينة[3].

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبي بكر، عن عباس بن سهل

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ١٠٤/٣، والمغازي للواقدي ٩٩٨/٣، والكامل في التاريخ ٢٧٤/٢، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣٣، ونهاية الأدب ٣٥٤/١٧، ٣٥٥، وانظر المغازي لعروة ٢٢٠.

(٢) الصرمة: جماعة النخل. البُسر: التمر: قبل نُضْجه. وتحمّما: قارَب أن يطيب.

(٣) تاريخ الطبري ١٠٥/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣٧، ٦٣٨ وفيه قال: هكذا منكر مرسل.

ابن سعد السّاعديّ، وقد حدّثني عبد الله بن أبي بكـر أن قد سمّى لـه العباس الرجلين، ولكنّه استودعه إيّاهما، فأبى عبد الله أن يسمّيهما لي.

قـال ابن هشام: بلغني عن الـزُّهْريّ أنـه قـال: لمـا مـرّ رسـول الله ﷺ بالحِجْر سـجّى ثوبه على وجهه، واستحثّ راحلته، ثم قال: «لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلاّ وأنتم باكون، خوفاً أن يصيبكم مثل ما أصابهم»[1].

قـال ابن إسحاق: فلمـا أصبح النـاس ولا مـاء معهم شكَـوْا ذلـك إلى رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ، فأرسل الله سبحانه سحابةً فأمطرت حتى ارتوى الناس، واحتملوا حاجتهم من الماء[2].

قـال ابن إسحاق: فحـدّثني عاصم بن عمـر بن قَتادة، عن محمـود بن لَبيد، عن رجالٍ من بني عبـد الأشهل، قـال: قلت لمحمود: هـل كان النـاس يعرَفون النفاق فيهم؟ قال: نعم والله، إنْ كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمّه وفي عشيرته، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلـك. ثم قال محمـود: لقد أخبرني رجال من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقـه، كان يسيـر مع رسول الله ﷺ حيث سار، فلما كان من أمر الناس بالحِجْـر ما كـان، ودعا رسول الله ﷺ حين دعا، فأرسل الله السحابة، فـأمطرت حتى ارتـوى الناس، قالوا: أقبلنا عليه نقول: ويْحك، هل بعد هذا شيء؟! قال: سحابة مارّة[3].

تقـوُل ابن اللّصَيْت: **قال ابن إسحـاق**: ثم إنَّ رسول الله ﷺ سـار حتى إذا كـان ببعض الـطريق ضلّت نـاقتـه، فخـرج أصحـابــه في طلبها، وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه، يقال له عُمارة بن حَزْم، وكان عُقَبيّاً بـدْريّاً، وهو عمّ بني عمرو بن حزم، وكان في رَحْله زيد بن اللُّصَيْت القينُقاعيّ، وكان منافقاً.

---

(١) هم المعذَّبون أصحـاب الحِجْر، من ثمـود الذين كـذّبوا النبيّ صـالحاً عليـه السلام. وكـانت دارهم تسمّى «الحجر». بوادي القرى بين المدينة والشام. (معجم البلدان ٢/٢٢١).

(٢) تاريخ الطبري ٣/١٠٥.

(٣) تاريخ الطبري ٣/١٠٥، ١٠٦، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٤١.

قال ابن هشام: ويقال: ابن لُصَيْب (بالباء).

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن محمود بن لَبِيد، عن رجالٍ من بني عبد الأشهل، قالوا: فقال زيد بن اللُّصَيْت، وهو في رَحْل عُمارة وعُمَارة عند رسول الله ﷺ: أليس محمد يزعم أنه نبيّ، ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ وعُمارة عنده: «إنّ رجلاً قال: هذا محمد يخبركم أنه نبيّ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته، وإنّي والله ما أعلم إلاّ ما علّمني الله وقد دلّني الله عليها، وهي في هذا الوادي، في شِعْب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزِمامِها، فانطلقوا حتى تأتوني بها»، فذهبوا، فجاءوا بها. فرجع عُمارة بن حزم إلى رَحْله، فقال: والله لعجب من شيء حدّثناه رسول الله ﷺ آنفاً، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا، للذي قال زيد بن اللُّصَيْت؛ فقال رجل ممن كان في رِحْل عُمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ: زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي. فأقبل عُمارة على زيد يجا[1] في عنقه ويقول: إليَّ عباد الله، إنّ في رَحْلي لَدَاهية وما أشعرُ! أخرج أي عدوَّ الله من رَحْلي، فلا تصحبْني.

قال ابن إسحاق: فزعم بعض الناس أنّ زيداً تاب بعد ذلك؛ وقال بعض الناس لم يزل مُتَّهماً بشرٍّ حتى هلك[2].

خبر أبي ذرّ: ثم مضى رسول الله ﷺ سائراً، فجعل يتخلّف عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله تخلّف فلان: فيقول: «دعوه، فإن يك فيه خيرٌ فسَيُلْحِقَهُ الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»، حتى قيل؛ يا رسول الله لقد تخلّف أبو ذرّ[3]، وأبطأ به بعيره؛ فقال: «دعوه فإن يك

(١) يجا: يطعن.

(٢) تاريخ الطبري ١٠٦/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٤١، ٦٤٢، الواقدي ١٠١٠/٣.

(٣) أبو ذرّ: اسمه جندب بن جُنادة. وقيل بُرَير بن عشرقة. وقيل جُندب بن عبد الله. وقيل جُنْدب بن السكَن.

فيه خيرٌ فسيُلْحِقُه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»، وتلوَّم[1] أبو ذَرّ على بعيره، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً. ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازله، فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إنّ هذا الرجل يمشي على الطريق وحده؛ فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا ذَرّ»[2]، فلمّا تأمله القوم قالوا: يا رسول الله هو والله أبو ذَرّ؛ فقال رسول الله ﷺ: «رحِم الله أبا ذَرّ، يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبعث وحده»[3].

وقال ابن أسحاق: فحدّثني بُرَيدة بن سفيان الأسلميّ، عن محمد بن كعب القُرَظَيّ، عن عبد الله بن مسعود، لما نفى عثمان أبا ذَرّ إلى الرَّبَذَة[4]، وأصابه بها قَدَرُهُ، لم يكن معه أحد إلاّ امرأته وغلامه، فأوصاهما أن اغسلاني وكفّناني، ثم ضعاني على قارعة الطريق، فأول رَكْبٍ يمرّ بكم فقولوا: هذا أبو ذَرّ صاحب رسول الله ﷺ، فأعينوا على دفنه. فلما مات فعلا ذلك به. ثم وضعاه على قارعة الطريق؛ وأقبل عبد الله بن مسعود في رهْطٍ من أهل العراق عُمّار، فلم يَرُعْهم إلاّ بالجنازة على ظهر الطريق، قد كادت الإبل تطؤها، وقام إليهم الغلام. فقال: هذا أبو ذَرّ صاحب رسول الله ﷺ، فأعينونا على دفنه. قال: فاستهلّ عبد الله بن مسعود يبكي ويقول: صدق رسول الله ﷺ، تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتُبعث وحدك. ثم نزل هو وأصحابه فواروه، ثم حدّثهم عبد الله بن مسعود حديثه، وما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلى تَبُوك[5].

---

(١) تلوّم: تمهّل.
(٢) كن أبا ذَرّ: لفظة الأمر، ومعناه الدعاء: كما تقول: أسلِم سلّمك الله.
(٣) تاريخ الطبري ٣/١٠٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣٢.
(٤) الرَّبَذة: بالتحريك، قرية من قرى المدينة على ثلاثة أيام. (معجم البلدان ٣/٢٤).
(٥) تاريخ الطبري ٣/١٠٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٣٢، ٦٣٣، الكامل في التاريخ ٢/٢٨٠، المغازي للواقدي ٣/١٠٠٠، ١٠٠١.

تخـويف المنافقين للمسلمين: قـال ابن إسحـاق: وقـد كـان رهْط من المنافقين، منهم وديعة بن ثابت، أخو بني عمرو بن عوف، ومنهم رجـل من أشجـع، حليف لبني سَلِمة، يقـال لـه: مُخشِّن بن حُمَيِّـر ـ قـال ابن هشـام: ويقـال مَخْشِيّ ـ يشيـرون إلى رسـول الله ﷺ وهـو منطلق إلى تبـوك، فقـال بعضهم لبعض: أتحسبـون جِلاد بني الأصفـر كقتال العـرب بعضهم بعضاً؟! والله لكأنّا بكم غداً مُقَرَّنين في الحبال، إرجافاً وترهيباً للمؤمنين، فقال مخشّن ابن حُمَيِّر: والله لوددْت أنّي أقاضَى على أن يُضرب كلُّ رجل منّا مائة جلدة، وإنّا ننفلِتُ أن يُنزَّل فينا قرآن لمقالتكم هذه[1].

وقال رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ لعمّار بن ياسر: «أدرِكِ القـومَ، فإنّهم قـد احترقـوا، فسلْهم عمّا قـالوا، فـإن أنكروا فقـل: بلى، قلتم كذا وكـذا». فانطلق إليهم عمّار، فقال ذلك لهم: فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، فقـال وديعـة بن ثابت، ورسـول الله ﷺ واقف على ناقتـه، فجعل يقـول وهـو آخـذ بحَقَبها[2]: يا رسـول الله، إنّما كنّـا نخوض ونلعب؛ فـأنزل الله عـزّ وجلّ: ﴿وَلَئِنْ سَـأَلْتَهُمْ لَيَقُـولُنَّ إنَّمـا كُنَّـا نَخُـوضُ وَنَلْعَبُ﴾[3]. وقـال مخشّن بن حُمَيّـر: يـا رسـول الله، قعد بي اسمي واسم أبي؛ وكـأنّ الذي عفى عنـه في هـذه الآيـة مخشّن بن حُمَيّـر، فتسمّى عبد الـرحمن، وسأل الله تعـالى أنْ يقتله شهيداً لاَ يُعلم بمكانه، فقُتل يوم اليمامة، فلم يوجد له أثر[4].

الصلح مع صاحب أَيْلة: ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تَبوك، أتاه يُحَنّة ابن رُؤْبة، صاحب أَيْلة، فصالح رسـول الله ﷺ، وأعطاه الجـزية، وأتـاه أهل

---

(١) تـاريخ الـطبري ١٠٨/٣ وفيـه «أن ينزل الله فينـا قرآنـاً لمقالتكم هـذه»؛ المغـازي للواقـدي ١٠٠٣/٣، ١٠٠٤.
(٢) الحَقَب: حزام يُشدّ به على حقْو الجمل.
(٣) سورة التوبة ـ الآية ٦٥.
(٤) تاريخ الطبري ١٠٨/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٤٢ نهاية الأدب ١٧٠/٣٦٠.

جَـرْباءَ وأَذْرُح،[1] فـأعـطوه الجـزيـة، فكتب رسـول الله ﷺ لهم كتـابـاً، فهـو عندهم[2].

فكتب لِيُحَنّة بن رُؤْبة:

«بسم الله الـرحمن الرحيم: هـذه أَمَنَةٌ من الله ومحمـد النبيّ رسول الله لِيُحَنَّة بن رُؤْبة وأهـل أَيْلة، سُفنهم وسَيّارتهم في البـرّ والبحر: لهم ذمّـة الله، وذمّـة محمـد النبيّ، ومن كـان معهم من أهـل الشـام، وأهـل اليمن، وأهـل البحر، فمن أحدث منهم حَـدَثاً، فـإنّه لا يحـول مالـه دون نفسه، وإنّـه طيّب لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحلّ أن يُمنعوا ماءً يردونه، ولا طريقاً يريدونه، من برٍّ أو بحر»[3].

خالد وأُكَيْدِردُومة[4]

ثم إنَّ رسول الله ﷺ دعا خالد بن الـوليد، فبعثـه إلى أُكَيْدِردُومـة، وهو أُكَيْدِر بن عبد الملك، رجل من كِنْدة كان ملكاً عليهـا، وكان نصـرانيّاً؛ فقـال رسول الله ﷺ لخالد: «إنّك ستجده يصيد البقر». فخرج خالد، حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين، وفي ليلة مقمرة صائفـة، وهو على سـطح له، ومعـه امرأته، فباتت البقر تحكّ بقرونهـا باب القصـر، فقالت لـه امرأتـه: هل رأيت

---

(١) جَرْباء: موضع من أعمال عمّان بالبلقاء من أرض الشام. وأَذْرُح من أعمال الشراة في أطراف الشـأم ثم من نـواحي البلقـياء. وبين أذرُح والجـربـاء ميـل واحـد وأقـلّ. (معجم البلدان ١١٨/٢).

(٢) تاريخ الطبري ١٠٨/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٤٣.

(٣) المغازي للواقدي ١٠٣١/٣ وزاد فيه: «هذا كتاب جُهَيم بن الصَّلْت وشُرحبيل بن حسنة بإذن رسول الله ﷺ». وانظر إمتاع الأسماع للمقريزي ٤٦٨/١، وتـاريخ اليعقـوبي ٧٠/٢، وكنز العمال ٥/عمود ٥٦٩٧، ومجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله ـ ص ٨٩٥.

(٤) أنظر: المغازي للواقدي ١٠٢٥/٣، ١٠٢٦، والطبقـات الكبرى ١٦٦/٢، وتـاريخ الـطبري ١٠٩/٣، وتـاريخ خليفـة ٩٢،٩٣ والبدء والتـاريـخ ٢٤٠/٤، وأنسـاب الأشـراف ٣٨٢/١، ٣٨٤ رقم ٨٢٣، والكـامل في التـاريخ ٢٨١/٢، والمحبّـر لابن حبيب ١٢٥، ونهايـة الأرب ٣٥٦/١٧، وعيـون الأثر، ٢٢٠/٢، وسيـرة ابن كثير ٣٠/٤، وتـاريخ الإسـلام (المغـازي) ٦٤٥، وعيون التواريخ ٣٥٠/١، ٣٥١.

مثل هذا قطّ؟ قال: لا والله! قالت: فمن يترك هذه؟ قال: لا أحد. فنزل فأمر بفرسه، فأُسْرِج لـه، وركب معه نفر من أهل بيتـه، فيهم أخ يقال لـه حسّان. فركب، وخرجوا معه بمطاردهم. فلما خرجوا تلقّتهم خيـل رسول الله ﷺ، فأخذتْه، وقتلوا أخاه؛ وقد كان عليه قِباء من ديباج مخوّص بـالذّهب، فـاستلبه خالد، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه به عليه[1].

قـال ابن إسحـاق: فحدّثني عـاصم بن عمـر بن قَتـادة، عن أنس بن مـالـك، قـال: رأيت قِبـاء أُكَيْـدِر حين قُـدِم بـه على رسـول الله ﷺ، فجعـل المسلمون يلمسونه بأيديهم، ويتعجّبون منه، فقال رسـول الله ﷺ: «أتعجبون من هـذا؟ فوالذي نفسي بيده لَمَناديـل سعـد بن مُعـاذ في الجنّـة أحسـن من هذا»[2].

قال ابن إسحاق: ثم إنّ خالداً قـدِم بأُكَيْـدِر على رسول الله ﷺ، فحقن له دمه، وصـالحه على الجـزية، ثم خلّى سبيله، فـرجع إلى قـريته[3]؛ فقـال رجـل من طيّء: يقال لـه بُجير بن بَجْـرة، يذكـر قول رسـول الله ﷺ لخالـد: «إنـك ستجده يصيـد البقر»، ومـا صنعت البقر تلك الليلة حتى استخـرجتـه، لتصديق قول رسول الله ﷺ:

تبـارك سـائق البقـرات إنّي ... رأيت الله يهـدي كـلَّ هـاد

فمن يك حائـداً عن ذي تَبوك ... فـإنّـا قـد أُمِـرْنـا بـالجهـاد

فأقام رسول الله ﷺ بتَبوك بضـع عشرة ليلة، لم يجـاوزْها، ثم انصـرف قافلاً إلى المدينة.

وادي المشقّق وماؤه: وكان في الطريق ماء يخرج من وَشَل[4]، ما يروي

---

(١) تـاريخ الـطبـري ٣/١٠٨، ١٠٩، تـاريخ الإسـلام (المغـازي) ٦٤٥، المغـازي للواقـدي ٣/١٠٢٥، ١٠٢٦.

(٢) تاريخ الطبري ٣/١٠٩، أنساب الأشراف ١/٣٨٢، ٣٨٣.

(٣) الطبري ٣/١٠٩.

(٤) الوشل: الماء القليل يسيل من صخر أو جبل.

الراكب والراكبين والثلاثة بوادٍ يقال له وادي المشقّق؛ فقال رسول الله ﷺ: «من سبقنا إلى ذلك الوادي فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه». قال: فسبقه إليه نفر من المنافقين، فاستقوا ما فيه؛ فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه، فلم يرَ فيه شيئاً. فقال: «من سبقنا إلى هذا الماء»؟ فقيل له: يا رسول الله، فلان وفلان؛ فقال: «أوَلم أنههم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتيه»! ثم لعنهم رسول الله ﷺ، ودعا عليهم. ثم نزل فوضع يده تحت الوشل، فجعل يصبّ في يده ما شاء الله أن يصبّ، ثم نضحه به، ومسحه بيده. ودعا رسول الله ﷺ بما شاء الله أن يدعو به، فانخرق من الماء - كما يقول من سمعه - ما إنّ له حسّاً كحسّ الصواعق، فشرب الناس، واستقوا حاجتهم منه. فقال رسول الله ﷺ: «لئن بقيتم أو من بقي منكم لتسمعنّ بهذا الوادي، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه»[1].

ذو البجادين ودفنه وتسميته: قال: وحدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْميّ، أنّ عبد الله بن مسعود كان يحدّث، قال: قمت من جوف الليل، وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قال: فرأيت شُعلة من نار في ناحية العسكر، قال: فاتّبعتها أنظر إليها، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين المُـزَنيّ قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ في حفرته، وأبو بكر وعمر يُدْنيانه إليه وهو يقول: «أدنيا إليّ أخاكما»، فدلّياه إليه، فلما هيّأه لشقّه قال: «اللهمّ إنّي أمسيت راضياً عنه، فارض عنه». قال: يقول عبد الله بن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحُفرة[2].

قال ابن هشام: وإنّما سُمّي ذا البجادين، لأنه كان ينازع إلى الإسلام، فيمنعه قومه من ذلك، ويضيّقون عليه، حتى تركوه في بجادٍ ليس عليه غيره،

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١٠٩، ١١٠.

(٢) الاستيعاب ٢/٢٩٣، الإصابة ٢/٣٣٩.

والبجاد: الكساء الغليظ الجافي، فيضرب منهم إلى رسول الله ﷺ، فلما كان قريباً منه، شقّ بجاده باثنين، فاتَّزر بواحدٍ، واشتمل بالآخر، ثم أتى رسول الله ﷺ، فقيل له: ذو البجادين لذلك[1]؛ والبجاد أيضاً: المسح، قال ابن هشام: قال امرؤ القيس:

كأن أبانا في عَرانين وَدْقِه ... كبير أُناسٍ في بجاد مزمَّل

حديث أبي رُهْم في تبوك: قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزُّهْريّ عن ابن أُكَيْمة اللَّيْثيّ، عن ابن أخي أبي رُهْم الغِفاريّ، أنه سمع أبا رُهْم كُلْثوم بن الحُصَين، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ الذين بايعوا تحت الشجرة، يقول: غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريباً من رسول الله ﷺ وألقى الله علينا النعاس فطفقت أستيقظ وقد دَنَت راحلتي من راحلة رسول الله ﷺ فيفزعني دُنُوُّها منه، مخافة أن أصيب رِجْله في الغَرْز، فطفقت أحوز[2] راحلتي عنه، حتى غلبتني عيني في بعض الطريق، ونحن في بعض الليل، فزاحمتْ راحلتي راحلةَ رسول الله ﷺ ورِجْله في الغَرز، فما استيقظت إلّا بقوله: «حس»[3]، فقلت: يا رسول الله، استغفر لي. فقال: «سر»، فجعل رسول الله ﷺ يسألني عمّن تخلّف من بني غِفار، فأخبره به؛ فقال وهو يسألني: «ما فعل النفر الحُمْر الطِّوال الثطاط»[4] فحدّثته بتخلُّفهم. قال: «فما فعل النفر السُّود الجِعاد القصَار»؟ قال: قلت: والله ما أعرف هؤلاء منّا. قال: «بلى، الذين لهم نعم بشبكة شدْخ»[5]؛ فتذكّرتهم في بني غِفار، ولم أذكرهم حتى ذكرت أنهم

---

(١) الاستيعاب ٢/٢٩٣، وانظر الإصابة ٢/٣٣٩.

(٢) أحوز: أُبْعِد.

(٣) حس: كلمة تقال عند وجود الألم، فهي كلمة تخرج من الصوت كالأنين ليست اسماً أو اسم فعل مثل: صَه ومَه. وانظر الروض الأنف ٤/١٩٧.

(٤) الثطاط، مفرده ثطّ: صغير نبات شعر اللّحية. قال الشاعر:

كهامة الشيخ اليمانيّ الثطّ

(الروض الأنف ٤/١٩٨).

(٥) شبكة شدخ: موضع من بلاد غِفار.

رهْط من أسلم كـانـوا حلفـاء فينـا، فقلت: يـا رسـول الله، أولئــك رهْط من أسلم، حلفاء فينا؛ فقال رسول الله ﷺ: «مـا منع أحـد أولئك حين تخلّف أن يحمـل على بعير من إبله امـراءاً نشيطاً في سبيـل الله؟ إنّ أعـزّ أهلي عليّ أن يتخلّف عنّي المهاجرون من قريش والأنصار وغِفَار وأسلم».

أمر مسجد الضرار عند القُفُول من غزوة تبوك[1]

قال ابن إسحاق: ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى نزل بذي أُوان[2] بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهّز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنّا قد بنينا مسجداً لذي العلّة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنّا نحبّ أن تأتينا، فتصلّي لنا فيه؛ فقال: «إنّي على جناح سفر، وحال شُغل»، أو كما قال ﷺ: «ولو قد قدِمنا إن شاء الله لأتيناكم، فصلّينا لكم فيه».

فلما نزل بذي أوان، أتاه خبر المسجد، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدُّخْشُم، أخا بني سالم بن عوف، ومَعن بن عدِيّ، أو أخاه عاصم بن عدِيّ، أخا بني العَجْلان فقال: «انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه، فاهدماه وحرِّقاه». فخرجا سريعين حتى أتَينا بني سالم بن عوف، وهم رهْط مالك بن الدُّخْشُم، فقال مالك لمعن: أَنْظِرني حتى أخرج إليك بنار من

---

(١) أنظر: المغازي للواقدي ٣/١٠٤٥، تاريخ الطبري ٣/١١٠، السنن الكبرى للبيهقي ٩/٣٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٤٧، سيرة ابن كثير ٤/٣٨، عيون الأثر ٢/٢٢٢.

(٢) ذو أوان: ويقال ذات أوان. موضع بطريق الشام (معجم البلدان ١/٢٧٥، وفاء الوفا للسمهودي ٢/٢٥٠).

أهلي. فدخل إلى أهله، فأخذ سعفاً من النخل، فأشعل فيه ناراً، ثم خرجا يشتدّان حتى دخلاه وفيه أهله، فحرّقاه وهدماه، وتفرّقوا عنه، ونزل فيهم من القرآن ما نزل: **﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[1]. . إلى آخر القصة.

وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً: خِذام بن خالد، من بني عُبيد بن زيد، أحد بني عمرو بن عوف، ومن داره أُخرج مسجد الشقاق، وثعلبة بن حاطب من بني أُميّة بن زيد، ومعتَّب بن قُشَير، من بني ضُبَيعة بن زيد، وأبو حُبيبة بن الأزعر، من بني ضُبَيعة بن زيد، وعبّاد بن حُنيف، أخو سهل بن حُنيف، من بني عمرو بن عوف، وجارية بن عامر، وابناه مجمّع بن جارية، وزيد بن جارية، ونبْتَل بن الحارث، من بني ضُبَيعة، وبَحْزَج، من بني ضُبيعة، وبجاد بن عثمان، من بني ضُبَيعة، ووديعة بن ثابت، وهو من بني أُميّة بن زيد رهْط أبي لُبابة بن عبد المنذر[2].

مساجد الرسول: وكانت مساجد رسول الله ﷺ فيما بين المدينة إلى تبوك معلومة مُسمَّاة: مسجد بتَبوك، ومسجد بثنيّة مدران[3]، ومسجد بذات الزّراب[4]، ومسجد بالأخضر[5]، ومسجد بذات الخِطْمِيّ[6]، ومسجد بألاء، ومسجد بطرف البتْراء. من ذنب كُواكِب[7]، ومسجد بالشّق، شَقّ تارا[8]،

---

(١) سورة التوبة ـ الآية ١٠٧.

(٢) تاريخ الطبري ٣/١١١، المغازي للواقدي ٣/١٠٤٥ ـ ١٠٤٧.

(٣) مِدْران: موضع في طريق تبوك من المدينة. (معجم البلدان ٥/٧٦).

(٤) بناه ﷺ في مسيره إلى تبوك من المدينة. (معجم البلدان ٣/١٣٥).

(٥) الأخضر: منزل قرب تبوك بينه وبين وادي القرى. (معجم البلدان ١/١٢٣).

(٦) الخِطْمِيّ: بناه ﷺ في مسيره إلى تبوك من المدينة. (معجم البلدان ٢/٣٧٩).

(٧) كُواكب: بضم الكاف الأولى وكسر الثانية. جبل بعينه معروف تُنحت منه الأرحية. وقد تُفتح الكاف. (معجم البلدان ٤/٤٨٦).

(٨) شِقّ: بكسر أوله، ويُروى بالفتح. اسم موضع. والشق: من حصون خيبر. وشق من قرى فدك تُعمل فيها اللُّجُم. (معجم البلدان ٣/٣٥٥) وتاراء: بالراء. موضع بالشام. (معجم البلدان ٢/٦).

ومسجد بذي الجيفة[1]، ومسجد بصدر حَوْضَى[2]، ومسجد بالحِجْر[3]، ومسجد الصّعيد[4]، ومسجد بالوادي، اليوم، وادي القرى، ومسجد بالرُّقعة من الشِّقة، شُقَّة بني عُذْرَة[5]، ومسجد بذي المَرْوة، ومسجد بالفَيْفاء[6]، ومسجد بذي خُشُب[7].

أمر الثلاثة الذين خُلِّفوا وأمر المعذَّرين في غزوة تبوك

وقدم رسول الله ﷺ المدينة، وقد كان تخلّف عنه رهْط من المنافقين، وتخلّف أولئك الرَهْط الثلاثة من المسلمين من غير شكّ ولا نفاق: كعب بن مالك، ومُرارة بن الربيع، وهلال بن أُميّة؛ فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لا تكلّمنّ أحداً من هؤلاء الثلاثة، وأتاه من تخلّف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون له ويعتذرون، فصفح عنهم رسول الله ﷺ، ولم يعذرهم الله ولا رسوله. واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة[8].

قال ابن إسحاق: فذكر الزُّهْريّ محمد بن مسلم بن شهاب، عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك: أنّ أباه عبد الله، وكان قائد أبيه حين أصيب بصره، قال: سمعت أبي كعب بن مالك يحدّث حديثه حين

---

(١) ذو الجيفة: موضع بين المدينة وتبوك. (معجم البلدان ٢/٢٠١).

(٢) حَوْضَى: بالفتح ثم السكون، مقصور، بوزن سَكْرَى. اسم ماء لبني طهمان بن عمرو بن سلمة بن سكن.. إلى جنب جبل في ناحية الرمل.. وقد أكثرت شعراء هُذَيل من ذكر هذا في شعرهم فإن لم يكن في بلادهم فهو قريب منها. وفي نوادر أبي زياد: حَوْضَى نجد من منازل بني عُقيل. (معجم البلدان ٢/٣٢١).

(٣) الحِجْر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام. (معجم البلدان ٢/٢٢١).

(٤) الصعيد: وادٍ قرب وادي القرى. (معجم البلدان ٣/٤٠٨).

(٥) الرُّقْعَة: بالفتح ثم السكون موضع قرب وادي القرى. (معجم البلدان ٣/٥٨).

(٦) فَيْفَاء: بالفتح. من الفَيْف: المفازة التي لا ماء فيها من الاستواء والسعة، وقيل: الفيفاء الصحراء الملساء، وقد أضيف إلى عدّة مواضع منها: فيفاء الخبار. وهو بالعقيق. (معجم البلدان ٤/٢٨٥).

(٧) خُشُب: بضمّ أوّله وثانيه. وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة. (معجم البلدان ٢/٣٧٢).

(٨) تاريخ الطبري ٣/١١١.

تخلّف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وحديث صاحبيه، قال: ما تخلّفت عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قطّ، غير أنّي كنت قد تخلّفت عنه في غزوة بدر، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله أحداً تخلّف عنها، وذلك أنّ رسول الله ﷺ إنّما خرج يريد عير قريش، حتى جمع الله بينه وبين عدوّه على غير ميعاد، ولقد شهدْت مع رسول الله ﷺ العَقَبة، وحين تواثقنا على الإسلام، وما أحبّ أنّ لي بها مشهد بدر، وإن كانت غزوة بدر هي أذْكَر في الناس منها. قال: كان من خبري حيت تخلّفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أنّي لم أكن قطّ أقوى ولا أيسر منّي حين تخلّفت عنه في تلك الغزوة، ووالله ما اجتمعتْ لي راحلتان قطّ حتى اجتمعتا في تلك الغزوة، وكان رسول الله ﷺ قلّما يريد غزوة يغزوها إلّا ورًى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، فغزاها رسول الله ﷺ في حَرّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً، واستقبل غزو عدوّ كثير، فجلى الناس أمرهم ليتأهّبوا لذلك أُهبته وأخبرهم خبره بوجهه الذي يريد، والمسلمون من تَبَع رسول الله ﷺ كثير، لا يجمعهم كتاب حافظ، يعني بذلك الديوان، يقول: لا يجمعهم ديوان مكتوب.

قال كعب: فقلّ رجل يريد أن يتغيّب إلّا ظنّ أنه سيُخفى له ذلك، ما لم ينزل فيه وحي من الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار وأُحِبّت الظلال، فالناس إليها صُعر[1]؛ فتجهّز رسول الله ﷺ، وتجهّز المسلمون معه، وجعلت أغدو لأتجهّز معهم، فأرجع ولم أقض حاجة، فأقول في نفسي، أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى شمّر الناس بالجدّ، فأصبح رسول الله ﷺ غادياً، والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلت: أتجهّز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحق بهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهّز، فرجعت ولم أقض شيئاً، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا، وتفرط[2] الغزو، فهممت أن

---

(١) صعر: مفرده: أصعر وهو المائل.

(٢) تفرط: فات.

أرتحل، فأدركهم وليتني فعلت، فلم أفعل، وجعلت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ، فطفت فيهم، يحزنني أنّي لا أرى إلاّ رجلاً مغموصاً[1] عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب بن مالك»؟. فقال رجل من بني سَلِمة: يا رسول الله، حبسه بُرْداه، والنظر في عِطْفَيه؛ فقال له مُعاذ بن جبل: بئس ما قلت! والله يا رسول الله ما علِمْنا منه إلاّ خيراً؛ فسكت رسول الله ﷺ.

فلمّا بلَغني أنّ رسول الله ﷺ قد توجّه قافلاً من تبوك، حضرني بثّي[2]، فجعلت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطة رسول الله ﷺ غداً وأستعين على ذلك كلَّ ذي رأي من أهلي؛ فلما قيل إنّ رسول الله ﷺ قد أظلّ[3] قادماً زاح[4] عنّي الباطل، وعرفت أنّي لا أنجو منه إلاّ بالصدق، فأجمعت أن أصْدُقَه، وصبَّح رسول الله ﷺ المدينة، وكان إذا قدِم من سفرٍ بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك، جاءه المخلَّفون، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فيقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وإيمانهم، ويستغفر لهم، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى، حتى جئت فسلّمت عليه، فتبسّم تبسُّم المغضب، ثم قال لي: «تعاله» فجئت أمشي، حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلّفك؟ ألم تكن ابتعت ظهرك»؟ قال: قلت: إنّي يا رسول الله، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أنّي سأخرج من سخطه بعُذر، ولقد أعطيت جدلاً، لكن والله لقد علمت لئن حدّثتك اليوم حديثاً كذباً لترضينّ عنّي، وليوشكنّ الله أن يُسْخِطك عليّ، ولئن حدّثتك حديثاً صدْقاً تجد عليّ فيه، إنّي لأرجو

---

(١) مغموصاً: مطعوناً.

(٢) بثّي: حزني.

(٣) أظلّ: أشرف.

(٤) يقال زاح وانزاح: إذا ذهب، والمصدر زيوحاً وزَيحاناً.

عُقباي من الله فيه، ولا والله ما كان لي عُذْر، والله ما كنت قطّ أقوى ولا أيسر منّي حين تخلّفت عنك. فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدقْت فيه، فقم حتى يقضي الله فيك». فقمت، وثار معي رجال من بني سَلِمة، فاتّبعوني فقالوا لي: والله ما علِمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به إليه المخَلَّفون، قد كان كافيك ذنبَك استغفارُ رسول الله ﷺ لك، فوالله ما زالوا بي حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ، فأكذّب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا أحد غيري؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مثل مقالتك، وقيل لهما مثل ما قيل لك، قلت: من هما؟ قالوا: مُرارة بن الربيع العمريّ، من بني عمرو بن عوف، وهلال بن أبي أُميّة الواقفي؛ فذكروا لي رجلين صالحين، فيهما أسوة، فصمتُّ حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيُّها الثلاثة، من بين من تخلّف عنه، فاجتنبنا الناس، وتغيّروا لنا، حتى تنكّرت لي نفسي والأرض، فما هي بالأرض التي كنت أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا، وقعدا في بيوتهما، وأما أنا فكنت أشَبَّ القوم وأجلدهم، فكنت أخرج، وأشهد الصلوات مع المسلمين، وأطوف بالأسواق، ولا يكلّمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ، فأسلّم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي، هل حرّك شفتيه بردّ السلام عليّ أم لا؟ ثم أصلّي قريباً منه، فأساوقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليّ، وإذا التفت نحوه أعرض عنّي حتى إذ طال ذلك عليّ من جفوة المسلمين، مشيت حتى تسوّرت جدار حائط أبي قَتادة. وهو ابن عمّي، وأحبُّ الناس إليَّ، فسلّمت عليه فوالله ما ردّ عليّ السلام، فقلت: يا أبا قَتادة، أنشدك بالله، هل تعلم أنّي أحبّ الله ورسوله؟ فسكت. فعدت فناشدته، فسكت عنّي، فعدت فناشدته، فسكت عنّي، فعدت فناشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي، ووثبت فتسوّرت الحائط. ثم غدوت إلى السوق، فبينا أنا أمشي بالسوق، إذا نَبْطي[1]

(١) النَّبط، قوم كانوا يسكنون بين العراق والأردنّ عاصمتهم (البتْراء).

يسأل عنّي من نبط الشام، ممن قدِم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدلّ على كعب بن مالك؟ قال: فجعل الناس يشيرون له إليّ، حتى جاءني، فدفع إليّ كتاباً من ملك غسّان، وكتب كتاباً في سرقة[1] من حرير، فإذا فيه: «أما بعد فإنه قد بَلَغنا أنّ صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة. فالحقْ بنا نُواسِك»[2]. قال: قلت حين قرأتها: وهذا من البلاء أيضاً، قد بلغ بي ما وقعت فيه أن طمع فيّ رجل من أهل الشِرْك. قال: فعمدت بها إلى تنور، فسجرته[3] بها. فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله يأتيني، فقال: إنّ رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، قال: قلت: أطلّقها أم ماذا؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربْها، وأرسل إلى صاحبيّ بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: إلحقي بأهلك، فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما هو قاض. قال: وجاءت امرأة هلال ابن أُميّة رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إنّ هلال بن أُميّة شيخ كبير ضائع لا خادم له، أفتَكْره أن أخدمه؟ قال: «لا، ولكن لا يقربنّك»؛ قالت: والله يا رسول الله ما به من حركة إليّ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، ولقد تخوّفت على بصره. قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنتَ رسولَ الله لامرأتك، فقد أذِن لامرأة هلال بن أُميّة أن تخدمه؛ قال: فقلت: والله لا أستأذنه فيها ما أدري ما يقول رسول الله ﷺ في ذلك إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شابّ. قال: فلبثنا بعد عشر ليال، فكمل لنا خمسون ليلة، من حين نهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا، ثم صلّيت الصبح، صبح خمسين ليلة، على ظهر بيتٍ من بيوتنا، على الحال التي ذكر الله منّا، قد ضاقت علينا الأرض بما رَحُبت، وضاقت عليّ نفسي، وقد كنت ابتنيت خيمة في ظهر سَلْع، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أوفى على

---

(١) السرقة: الشقة.

(٢) نواسك: أي يكون فينا المواساة لك.

(٣) سجرته: أحرقته بلهب النار.

ظهر سَلْع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشِر، قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء الفرج.

قال: وآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صلّى الفجر، فذهب الناس يبشّروننا، وذهب نحو صاحبي مبشِّرون، وركض رجل إليَّ فرساً، وسعى ساعٍ من أسلم، حتى أوفى على الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس؛ فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشّرني، نزعت ثوبيّ، فكسوتهما إيّاه بشارة، والله ما أملك يومئذٍ غيرهما، واستعرت ثوبين فلبستهما، ثم انطلقت أتيمّم رسول الله ﷺ، وتلقّاني الناس يبشّرونني بالتوبة، يقولون: ليهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، ورسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عُبيد الله فحيّاني وهنّاني، ووالله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره. قال: فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحة.

قال كعب: فلمّا سلمت على رسول الله ﷺ قال لي ووجهه يبرق من السرور: «أبشِر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك»، قال: قلت: أمِن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «بل من عند الله» قال: وكان رسول الله ﷺ إذا استبشر كأنّ وجهه قطعة قمر. قال: وكنّا نعرف ذلك منه. فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إنّ من توبتي إلى الله عزّ وجلّ أن أنخلع من مالي، صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال رسول الله ﷺ: «أمسِك عليك بعض مالك، فهو خير لك». قال: قلت: إنّي مُمسك سهمي الذي بخيبر؛ وقلت: يا رسول الله، إنّ الله قد نجّاني بالصدق، وإنّ من توبتي إلى الله أنّ لا أحدّث إلّا صدقاً ما حَييت، والله ما أعلم أحداً من الناس أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ ذلك أفضل مما أبلاني الله، والله ما تعمّدت من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإنّي لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي.

وأنزل الله تعالى: ﴿لَقَد تابَ الله عَلَى النَّبِيِّ والمُهاجِرِينَ والأنصارِ الَّذِينَ اتَّبعُوهُ فِي ساعَةِ العُسْرَةِ مِنْ بَعْد ما كادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ إنَّهُ بِهِم رَءُوفٌ رَحِيمٌ، وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِين خُلِّفُوا﴾... إلى قوله: ﴿وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1].

قال كعب: فوالله ما أنعم الله عليّ نعمة قطّ بعد أن هداني للإسلام كانت أعظم في نفسي من صدق رسول الله ﷺ يومئذ، أن لا أكون كَذَبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإنّ الله تبارك وتعالى قال في الذين كذبوه حين أنزل الوحي شرّ ما قال لأحد، قال: ﴿سَيَحْلِفُونَ بالله لَكُم إذَا انْقَلَبْتُمْ إلَيْهِمْ لِتُعرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ، إنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ. فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ الله لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلقَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾[2].

قال: وكنّا خُلِّفنا ـ أيّها الثلاثة ـ عن أمر هؤلاء الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له ليعذرهم، واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا، حتى قضى الله فيه ما قضى، فبذلك قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾.

وليس الذي ذكر الله من تخليفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيّانا. وإرجائه أمرنا عمّن حلف له، واعتذر إليه، فقبل منه[3].

---

(١) سورة التوبة ـ الآيات ١١٧ ـ ١١٩.

(٢) سورة التوبة ـ الآيتان ٩٥ و ٩٦.

(٣) وإنّما اشتدّ غضبه على من تخلّف عنه ونزل فيهم من الوعيد ما نزل حتى تاب الله على الثلاث منهم، وإن كان الجهاد من فروض الكفاية، لكنه في حقّ الأنصار خاصة كان فرض عَين، وعليه بايعوا النبيّ ﷺ، ألا تراهم يقولون يوم الخندق، وهم يرتجزون:

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد ما بقينا أبدا

ومن تخلّف منهم يوم بدر إنّما تخلّف، لأنهم خرجوا لأخذ عِير، ولم يظنّوا أن سيكون قتال، فلذلك كان التخلّف عن رسول الله ﷺ في هذه الغزاة كبيرة لأنها كالنكث لبيعتهم. (الروض الأنف ١٩٨٤). =

أمر وفد ثقيف وإسلامها
في شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق: وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان وقدِم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف.

وكان من حديثهم أنّ رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم، اتّبع أثره عُروة ابن مسعود الثقفي، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال له رسول الله ﷺ - كما يتحدّث قومه - «إنهم قاتلوك»، وعرف رسول الله ﷺ أنّ فيهم نخوة الامتناع الذي كان منهم، فقال عُروة: يا رسول الله أنا أحبّ إليهم من أبكارهم.

قال ابن هشام: ويقال: من أبصارهم.

قال ابن إسحاق: وكان كذلك محبّباً مُطاعاً: فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه، لمنزلته فيهم؛ فلما أشرف لهم على علّيّة له، وقد دعاهم إلى الإسلام، وأظهر لهم دينه، رَموْه بالنَّبل من كلّ وجه، فأصابه سهم فقتله. فتزعم بنو مالك أنه قتله رجل منهم؛ يقال له أوس بن عوف، أخو بني سالم بن مالك. وتزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم، من بني عتّاب ابن مالك. يقال له وهْب بن جابر، فقيل لعُروة: ما ترى في دمك؟ قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليّ، فليس فيّ إلّا ما في الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرحل عنكم، فادفنوني معهم، فزعموا

= والحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلّفوا﴾ (٥/١٣٠) ومسلم في كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (٣/٢٧٦٩) وأحمد في المسند ٣/٤٥٤ و ٤٥٦ - ٤٦٠ و ٦/٣٨٧ - ٣٩٠، والطبراني في المعجم الكبير ١٩/٤٢ وما بعدها رقم ٩٠ و ٩١ و ٩٥، وعبد الرزاق في المصنّف (٩٧٤٤)، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٥٣ - ٦٥٨.

أنّ رسول الله ﷺ قال فيه: «إنّ مثَله في قومه لَكَمَثَل صاحب ياسين في قومه»[1].

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عُروة أشهراً، ثم إنهم ائتمروا بينهم، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا[2].

حدّثني يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس: أنّ عمرو بن أُميَّة، أخا بني علاج، كان مهاجراً لعبد ياليل بن عمرو، الذي بينهما شيء، وكان عمرو بن أُميّة من أدهى العرب، فمشى إلى عبد ياليل بن عمرو، حتى دخل داره، ثم أرسل إليه أنّ عمرو بن أُميّة يقول لك: أخرج إليّ قال: فقال عبد ياليل للرسول: ويلك! أعمرو أرسلك إليّ؟ قال: نعم، وها هو ذا واقفاً في دارك، فقال: إنّ هذا الشيء ما كنت أظنّه، لَعَمْرو كان أمنع في نفسه من ذلك، فخرج إليه، فلما رآه رحّب به، فقال له عمرو: إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت، قد أسلمت العرب كلّها، وليست لكم بحربهم طاقة، فانظروا في أمركم. فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها، وقال بعضهم لبعض: أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب[3]، ولا يخرج منكم أحد إلّا اقتُطع، فأتمروا بينهم، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً، كما أرسلوا عُروة، فكلّموا عبد ياليل بن عمرو بن عُمير، وكان سنّ عُروة بن مسعود، وعرضوا ذلك عليه، فأبى أن يفعل، وخشي أن يُصنعِ به إذا رجع كما صنع بعُروة. فقال: لست فاعلاً حتى ترسلوا معي

---

(١) يحتمل قوله ﷺ، كمثل صاحب ياسين أن يريد به المذكور في سورة ياسين، الذي قال لقومه: ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ فقتله قومه، واسمه حبيب بن مُري، ويحتمل أن يريد صاحب الياس، وهو اليسع، فَإِنَّ الياس يقال في اسمه: ياسين أيضاً، وقال الطبري: وهو الياس بن ياسين، وفيه قال تبارك وتعالى: ﴿سلام على إل ياسين﴾. (الروض الأنف ١٩٩/٤).

(٢) أنظر: الطبقات الكبرى ٣١٢/١، والمحبّر ١٠٥، ١٠٦، وتاريخ الطبري ٩٧/٣، وأنساب الأشراف ٤٤١/١، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٦٧ ـ ٦٧٢.

(٣) السرب: القطيع من الحيوان أو الفريق من النّساء أو جماعة النخل وهو أيضاً الطريق والقلب والصدر.

رجالاً، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف، وثلاثة من بني مالك، فيكونوا ستة، فبعثوا مع عبد ياليل الحَكَم بن عمرو بن وهْب بن معتّب، وشُرحبيل بن غَيْلان بن سَلَمة بن معتّب، ومن بني مالك عثمان بن أبي العاص بن بِشْر بن عبد دَهْمان، أخا بني يَسار، وأوس بن عوف، أخا بني سالم بن عوف ونُمير بن خرشة بن ربيعة، أخا بني الحارث. فخرج بهم عبد ياليل، وهو ناب القوم[1] وصاحب أمرهم، ولم يخرج بهم إلاّ خشيةً من مثل ما صُنع بعُروة بن مسعود، لكي يشغل كلّ رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رهْطه.

فلما دنوا من المدينة، ونزلوا قَناة، ألفَوْا بها المغيرة بن شُعبة، يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت رعيتها نُوَباً على أصحابه رسول الله ﷺ، فلما رآهم ترك الركاب عند الثقفيّين، وضَبر[2] يشتدّ، ليبشّر رسول الله ﷺ، فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدِموا يريدون البيعة والإسلام، بأن يشرط لهم رسول الله ﷺ شروطاً، ويكتتبوا من رسول الله ﷺ كتاباً في قومهم وبلادهم وأموالهم، فقال أبو بكر للمغيره: أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله ﷺ، ففعل المغيرة. فدخل أبو بكر على رسول الله ﷺ. فأخبره بقدومهم عليه، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه، فروّح الظُّهر معهم، وعلّمهم كيف يحيّون رسول الله ﷺ، فلم يفعلوا إلاّ بتحية الجاهلية. ولما قدِموا على رسول الله ﷺ ضَرب عليهم قبة في ناحية مسجده، كما يزعمون، فكان خالد ابن سعيد بن العاص، هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ، حتى اكتتبوا كتابهم، وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده، وكانوا لا يَطعمون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتى يأكل منه خالد، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم، وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية، وهي اللاّت، لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى رسول الله ﷺ ذلك عليهم فما برحوا يسألونه

---

(١) ناب القوم: سيدهم.
(٢) ضبر: وثب.

سنة سنة، ويأبى عليهم حتى سألوا شهراً واحداً بعد مقدَمهم، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمًى، وإنّما يريدون بذلك فيها يظهرون أن يتسلّموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ويكرهون أن يروِّعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام؛ فأبى رسول الله ﷺ إلاّ أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شُعبة فيهدماها، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: «أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصلاة، فإنه لا خير في دينٍ لا صلاة فيه»[1]، فقالوا: يا محمد، فسنؤتيكها، وإن كانت دناءة.

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم، أمّر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سنّاً، وذلك أنه كان أحرصهم على التّفقّه في الإسلام وتعلّم القرآن. فقال أبو بكر لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إنّي قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقّه في الإسلام، وتعلّم القرآن[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عيسى بن عبد الله بن عطيّة بن سفيان بن ربيعة الثقفي، عن بعض وفدهم. قال: كان بلال يأتينا ـ حين أسلمنا وصمْنا مع رسول الله ﷺ ما بقي من رمضان ـ بفِطْرنا وسحورنا من عند رسول الله ﷺ، فيأتينا بالسحور، وإنّا لنقول: إنّا لنرى الفجر قد طلع، فيقول: قد تركت رسول الله ﷺ يتسحّر، لتأخير السحور، ويأتينا بفطرنا، وإنّا لنقول: ما نرى الشمس كلها ذهبت بعد. فيقول: ما جئتكم حتى أكل رسول الله ﷺ، ثم يضع يده في الجفنة، فيلتقم منها.

---

(١) أخرج الطبراني في المعجم الكبير ٩/٤٥ رقم ٨٣٧٢ من طريق حمّاد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، عن عثمان بن أبي العاص أن وفد ثقيف لما قدموا على النبيّ ﷺ انزلهم المسجد ليكون أرقّ لقلوبهم، فاشترطوا على النبيّ ﷺ أن لا يُحشروا ولا يُعشّروا ولا يُجبوا ولا يستعمل عليهم من غيرهم فقال النبيّ ﷺ: «لا خير في دين ليس فيه ركوع».

(٢) تاريخ الطبري ٣/٩٧ ـ ٩٩.

قال ابن هشام: بفطورنا وسحورنا.

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيد بن أبي هند، عن مُطرّف بن عبد الله ابن الشِّخير، عن عثمان بن أبي العاص، قال: كان من آخر ما عهد إليّ رسول الله ﷺ حين بعثني على ثقيف أن قال: «يا عثمان، تجاوز في الصلاة، واقدُر الناسَ بأضعفهم، فإنّ فيهم الكبير، والصغير، والضعيف، وذا الحاجة»[1].

هدْم اللاّت: قال ابن إسحاق: فلما فرغوا من أمرهم، وتوجّهوا إلى بلادهم راجعين، بعث رسول الله ﷺ معها أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شُعبة، في هدم الطاغية. فخرجا مع القوم، حتى إذا قدِموا الطائف أراد المغيرة بن شُعبة أن يقدّم أبا سفيان، فأبى ذلك أبو سفيان عليه، وقال: أدخل أنت على قومك؛ وأقام أبو سفيان بماله بذي الهَدم فلما دخل المغيرة بن شُعبة علاها يضربها بالمِعْوَل، وقام قومه دونه، بنو معتّب، خشية أن يُرمى أو يُصاب كما أصيب عُروة، وخرج نساء ثقيف حُسَّراً يبكين عليها ويقلن:

لتبكيــن دُفَّـاع أسلمهـا الرَّضَّاع[2]

لـم يـحسنـوا المِصـاع[3]

قال ابن هشام: «لتبكين» عن غير ابن أسحاق.

قال ابن إسحاق: يقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس: واهالك! آهالك! فلما هدمها المغيرة، وأخذ مالها وحُلِيَّها أرسل إلى أبي سفيان وحُلِيّها مجموع، وما لها من الذَّهب والجَزْع[4].

وكان أبو مُلَيح بن عُروة وقارب بن الأسود قدِما على رسول الله ﷺ قبل

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٩/٤١ رقم ٨٣٥٨ بالسند المذكور، واللفظ: «أمّ قومك وأقدرهم بأضعفهم فإنّ فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة».

(٢) الرّضّاع: اللئام. كالرّضّع جمع راضع، وهو اللئيم الذي رضع اللؤم من ثدي أمّه، يريد أنه وُلد في اللؤم.

(٣) المِصاع: القتال بالسيوف.

(٤) تاريخ الطبري ٣/١٠٠، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٧٢.

وفد ثقيف، حين قُتل عُروة يريـدان فراق ثقيف، وأن لا يجـامعاهم على شيء أبداً، فأسلما؛ فقال لهمـا رسول الله ﷺ: «وخـالكما أبـا سفيان بن حـرب»، فقالا: وخالنا أبا سفيان بن حرب.

فلمـا أسلم أهل الـطائف ووجّه رسـول الله ﷺ أبا سفيـان والمغيرة إلى هدْم الطاغية، سأل رسول الله ﷺ أبو مُليـح بن عُروة أن يقضي عن أبيـه عُروة دَينـاً كان من مـال الطاغيـة، فقال رسـول الله ﷺ: «نعم»، فقال لـه قارب بن الأسود: وعن الأسود يا رسول الله فـاقضه، وعُـروة والأسود أخـوان لأب وأم؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنّ الأسود مات مشـركاً». فقـال قارب لـرسول الله ﷺ: فقال قارب لـرسول الله ﷺ: يـا رسول الله، لكن تصِـل مسلماً ذا قرابـة، يعني نفسه، إنّما الدَّيْن عليّ، وإنّما أنا الذي أُطلب به، فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيـان أن يقضي دَيْن عُروة والأسود من مـال الطاغيـة؛ فلما جمع المغـيرة مالهـا قال لأبي سفيان: إنّ رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقضي عن عُروة والأسودَ دينهما، فقضى عنهما[1].

كتابه عليه السلام لثقيف: وكـان كتاب رسـول الله ﷺ الذي كتب لهم: «بسم الله الـرحمن الرحيم: من محمـد النبيّ، رسول الله، إلى المؤمنين: إنّ عِضـاه[2] وجّ وَصَيْده لا يُعْضَـد[3]، من وُجد يفعـل شيئاً من ذلـك، فإنـه يُجلد وتُنزع ثيابه، فإن تعدّى ذلك فإنه يؤخـذ فيبلغ به إلى النبيّ محمـد، وإنّ هذا أمر النّبيّ محمد رسول الله».

وكتب خالد بن سعيـد: «بأمـر الرسـول محمد بن عبـد الله، فلا يتعـدّه أحد، فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله ﷺ»[4].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١٠٠٠ وفيه «فقضى منه ديْنهما».

(٢) العِضاه: شَجَر له شوك.

(٣) لا يُعضَـد: لا يُقطع أي أنـه حرام على غيـر أهله كتحـريم مكـة والمـدينـة، وقيـل وجّ: هي الطائف وقيل إنها وادٍ بها.

(٤) إمتـاع الأسماع للمقـريزي ٤٩٣/١، ٤٩٤، مجمـوعـة الـوثـائق السيـاسيـة للدكتـور محمـد حميد الله ٢٤٠، رقم ١٨٢.



حجّ أبي بكر بالناس سنة تسع
واختصاص النبي ﷺ عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه
بتأدية أول براءة عنه

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان وشوّالاً وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحجّ من سنة تسع، ليقيم للمسلمين حَجَّهم، والناس من أهل الشِّرك على منازلهم من حجّهم. فخرج أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من المسلمين.

ونزلت براءة في نقْض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد، الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم: أن لا يُصدّ عن البيت أحدٌ جاءه، ولا يخاف أحد في الشهر الحرام. وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل الشِرك، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله ﷺ وبين قبائل العرب خصائص، إلى آجال مسمّاة، فنزلت فيه وفيمن تخلّف من المنافقين عنه في تبوك، وفي قول من قال منهم، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون، منهم من سُمّي لنا ومنهم من لم يُسمَّ لنا، فقال عزّ وجلّ: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: أي لأهل العهد العام من أهل الشِرك ﴿فَسِيحُوا فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي الله، وأَنَّ الله مُخْزِي ٱلكَافِرِينَ. وَأَذَانٌ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ الحجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ الله بَرِيءٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾:

أي بعد هذه الحجّة ﴿فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ، وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. إِلاَّ ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: أي العهد الخاصّ إلى الأجل المسمَّى ﴿ثُمَّ لَمْ يَنْقِصُوكُمْ شَيْئاً، وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ، فَإِذَا ٱنْسَلَخَ ٱلأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾: يعني الأربعة التى ضرب لهم أجلاً ﴿فَٱقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ، وَخُذُوهُمْ واحْصُرُوهمْ وَٱقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ، فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا ٱلصَّلاةَ وَآتَوا ٱلزَّكَاةَ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: أي من هؤلاء الذين أمرتك بقتلهم ﴿ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ ٱللهِ، ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ، ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.

ثم قال: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام أن لا يخيفوكم ولا يخيفوهم في الحرمة، ولا في الشهر الحرام ﴿عَهْدٌ عِنْدَ ٱللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ، إِلاَّ ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، وهي قبائل من بني بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم يوم الحُدَيبية، إلى المدّة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش، فلم يكن نقضها إلاّ هذا الحيّ من قريش، وهي الدّيل من بني بكر بن وائل، الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم، فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بني بكر إلى مدّته ﴿فَمَا ٱسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: أي المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدّة من أهل الشرك العام ﴿لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً﴾.

قال ابن هشام: الإلّ: الخلف. قال أوس بن حجر، أحد بني أسيِّد بن عمرو بن تميم:

لولا بنو مالك والإلّ مرقبة ... ومالك فيهم الآلاء والشرف

وهذا البيت في قصيدة له. وجمعه: آلال، قال الشاعر:

فــلا إلّ مـــن الآلال بـيــنـي   وبينكم فــلا تــألُــن جهــداً

والـذّمّة: العهـد. قال الأجـدع بن مالـك الهمداني، وهـو أبو مسـروق الأجدع الفقيه:

وكـان علينا ذمّـة أن تجـاوزوا   من الأرض معروفاً إلينا ومنكراً

وهذا البيت في ثلاثة أبيات له، وجمعها: ذمم.

﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ. ٱشْتَرَوْا بِآيَاتِ ٱللهِ ثَمَناً قَلِيلاً، فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ، إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا ولا ذِمَّةً، وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ أي قـد اعتـدوا عليكم **﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا ٱلصَّلَاةَ وَآتَوُا ٱلزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي ٱلدِّينِ، وَنُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾**[1].

اختصاص علي بتأدية براءة: قال ابن إسحاق: وحـدّثني حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حُنيف، عن أبي جعفر محمـد بن عليّ رضوان الله عليـه، أنه قال: لما نزلت براءة على رسول الله ﷺ، وقد كان بعث أبـا بكر الصِّدّيق ليقيم للناس الحجّ، قيل له: يا رسول الله لـو بعثت بها إلى أبي بكـر، فقال: «لا يؤدّي عنّي إلاّ رجل من أهل بيتي»[2]، ثم دعا عليّ بن أبي طالب رضـوان الله عليه، فقال له: اخرج بهـذه القصّة من صـدر براءة، وأذّن في النـاس يوم النّحـر إذا اجتمعوا بمِنًى، وأنـه لا يدخـل الجنة كـافر، ولا يحـجّ بعـد العام مُشْرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهـو له إلى مدّته، فخرج عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه على ناقة رسول الله ﷺ

---

(١) سورة التوبة ـ من أول السورة حتى الآية ١١.

(٢) أخرج نحوه الترمذي في المناقب (٣٨٠٣) باب منـاقب علي بن أبي طالب رضي الله عنـه، عن إسماعيل بن موسى، أخبرنـا شريـك، عن أبي إسحاق، عن حُبشيّ بن جُنادة قال: قـال رسـول الله ﷺ: «عليّ منّي وأنا من عليّ ولا يؤدّي عنّي إلاّ أنـا أو عليّ». وقال: هـذا حديث حسن غريب صحيح. وابن ماجه في المقـدّمة (٤٤/١) رقم (١١٩) بـاب فضل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. وأحمد في المسند ١٦٤/٤ و ١٦٥.

العضباء، حتى أدرك أبا بكر بالطريق فلما رآه أبو بكر بالطريق قال: أأمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم مضيا. فأقام أبو بكر للناس الحجّ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحجّ، التي كانوا عليها في الجاهلية، حتى إذا كان يوم النحر، قام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فأذّن في الناس بالذي أمره به رسول الله ﷺ، فقال: أيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدّته؛ وأجّل الناس أربعة أشهر من يوم أذّن فيهم، ليرجع كلّ قوم إلى مأمنهم أو بلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمّة إلّا أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهد إلى مدّة، فهو له إلى مدّته. فلم يحجّ بعد ذلك العام مُشْرك، ولم يَطُف بالبيت عريان[1].

ثم قدِما على رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام، وأهل المدّة إلى الأجل المسمّى.

الأمر بجهاد المشركين: قال ابن إسحاق: ثم أمر الله رسوله ﷺ بجهاد أ هل الشرك، ممن نقض من أهل العهد الخاص، ومن كان من أهل العهد العام، بعد الأربعة الأشهر التي ضرب لهم أجلاً إلّا أن يعدوَ فيها عادٍ منهم، فيقتل بعدائه، فقال: **﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللهُ﴾**: أي من بعد ذلك **﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ، وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ ٱللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً، وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**[2].

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/١٦٨، ١٦٩.

(٢) سورة التوبة ـ الآيات ١٣ ـ ١٦.

قال ابن هشام: وليجة: دخيل، وجمعها: ولائج؛ وهو من ولج يلج: أي دخل يدخل، وفي كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[1]: أي يدخل، يقول: لم يتّخذوا دخيلاً من دونه يسرّون إليه غير ما يُظهرون، نحو ما يصنع المنافقون، يُظهرون الإيمان للذين آمنوا ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾[2] قال الشاعر:

واعلم بأنّك قد جعلت وليجة ساقوا إليك الحتْفَ غير مشُوب

القرآن يردّ على قريش ادّعاءهم عمارة البيت: قال ابن إسحاق: ثم ذكر قول قريش: إنّا أهل الحرم، وسُقاة الحجّ، وعُمّار هذا البيت، فلا أحد أفضل منّا؛ فقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ﴾: أي أنّ عمارتكم ليست على ذلك، وإنّما يعمر مساجد الله أي من يعمرها بحقّها ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ، وَأَقَامَ ٱلصَّلاَةَ وَآتَىٰ ٱلزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ ٱللهَ﴾: أي فأولئك عُمّارها ﴿فَعَسَىٰ أُولٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ وعسى من الله: حَقّ.

قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ﴾[3]

ثم القصّة عن عدوّهم، وما أنزل الله تعالى من نصره بعد تخاذلهم، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هٰذَا، وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ وذلك أنّ الناس قالوا: لتنقطعنّ عنّا الأسواق، فلتهلكنّ التجارة، وليذهبنّ ما كُنّا نصيب فيها من المرافق، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: أي من وجه غير ذلك ﴿إِنْ شَاءَ، إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، قَاتِلُوا ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ

---

(١) سورة الأعراف ـ الآية ٤٠.

(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٤.

(٣) سورة التوبة الآية ١٧ و ١٨ ومن ١٩.

الآخِـر، وَلا يُحَرِّمُـونَ مَا حَـرَّمَ الله وَرَسُولُـهُ وَلَا يَدِينُـونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الذِينَ أُوتُـوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا ٱلجِزْيَةَ عَنْ يَـدٍ وَهُمْ صَاغِـرُونَ﴾[١]: أي ففي هذا عـوَض ممّا تخوّفتم من قطع الأسواق، فعوّضهم الله بما قطع عنهم بأمـر الشرك، مـا أعطاهم من أعناق أهل الكتاب، من الجزية.

ما نزل في أهل الكتابين: ثم ذكـر أهـل الكتـابين بمـا فيهم من الشـرّ والفِرْية عليه، حتى انتهى إلى قولـه تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيـراً مِنَ ٱلأَحْبَارِ وَٱلـرُّهْبَانِ لَيَـأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلنَّـاسِ بِٱلْبَـاطِلِ وَيَصُـدُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ، والَّذِين يَكْنِـزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِيْ سَبِيلِ ٱللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢].

ما نزل في النَّسيء: ثم ذكـر النَّسيء؛ وما كـانت العرب أحـدثت فيه. والنّسيء ما كان يُحـلّ ممّا حـرّم الله تعالى من الشهـور، ويحرّم ممـا أحلّ الله منها؛ فقال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُور عِنْدَ ٱللهِ ٱثْنا عَشَرَ شَهْراً فِيْ كِتَابِ ٱللهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمٰـوَاتِ وَٱلأَرْضَ. مِنْهَا أَرْبَعَـةٌ حُرُمٌ، ذٰلِـكَ ٱلدِّينُ ٱلقَيِّمُ فَـلَا تَظْلِمُـوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾: أي لا تجعلوا حرامها حـلالاً، ولا حلالهـا حرامـاً؛ أي كما فعـل أهل الشرك ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيْءُ﴾ الذي كانوا يصنعون ﴿زِيَادَةٌ فِيْ ٱلكُفْـرِ، يُضَلُّ بِـهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللهُ، فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ ٱللهُ، زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ، وَٱللهُ لَا يَهْدِيْ ٱلقَوْمَ ٱلكَافِرِينَ﴾.

ما نزل في تبوك: ثم ذكر تبوك وما كان فيها من تثاقل المسلمين عنهـا، وما أعظموا من غزو الروم، حين دعاهم رسـول الله ﷺ إلى جهادهم، ونفـاق من نافق من المنافقين، حين دُعـوا إليه من الجهـاد، ثم ما نُعي من إحـداثهم في الإسلام، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَـا ٱلَّذِينَ آمَنُـوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيـلَ لَكُمُ ٱنْفِرُوا فِيْ سَبِيلِ ٱللهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلىٰ ٱلأَرْضِ﴾، ثم القصّـة إلى قولـه تعالى: ﴿يُعَـذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُـرُوهُ فَقَدْ نَصَـرَهُ

---

(١) سورة التوبة ـ من الآية ٢٩.

(٢) سورة التوبة ـ من الآية ٣٤.

آللهَ إِذْ أَخْرَجَهُ آلَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾[1].

ما نزل في أهل النفاق: ثم قال تعالى لنبيّه ﷺ، يذكر أهل النّفاق: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لاتَّبَعُوكَ، وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ، وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ آسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ، يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: أي إنّهم يستطيعون ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ، لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾؟... إلى قوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً، وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ، يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾[2].

قال ابن هشام: أوضعوا خلالكم: ساروا بين أضعافكم، فالإيضاع: ضرب من السير أسرع من المشي؛ قال الأجدع بن مالك الهمداني:

يصطادك الوَحد المُدِلّ بشأوه ... بشريج بين الشدّ والإيضاع[3]

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وكان الذين استأذنوه من ذوي الشرف، فيما بلغني، منهم: عبد الله بن أُبَيّ بن سَلول، والجَدّ بن قيس؛ وكانوا أشرافاً في قومهم، فثبّطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معه، فيُفسِدوا عليه جُنده، وكان في جُنده قوم أهل محبّة لهم، وطاعة فيما يدعونهم إليه، لِشَرَفهم فيهم. فقال تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ، لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾: أي من قبل أن يستأذنوك، ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾: أي ليخذلوا عنك أصحابك ويردّوا عليك أمرك ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾، وكان الذي قال ذلك، فيما سُمّي لنا، الجَدّ بن قيس، أخو بني سَلِمة، حين دعاه

---

(1) سورة التوبة - الآيات ٣٦ - ٤٠.

(2) سورة التوبة - من الآيات ٤٢ - ٤٧.

(3) يريد بالوحد: الفرس الواحد. شأوه: سبقه. الشريج: النوع. الشدّ والإيضاع نوعان من الجري.

رسول الله ﷺ إلى جهاد الروم. ثم كانت القصة إلى قوله تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَاتِ، فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا، وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[١]: أي إنّما نيّتهم ورضاهم وسخطهم لدُنياهم.

ما نزل في أصحاب الصدقات: ثم بيّن الصدقات لمن هي، وسمّى أهلها، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْعَامِلِينَ عَلَيْهَا، وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَفِي ٱلرِّقَابِ، وَٱلْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللهِ، وَابْنِ ٱلسَّبِيلِ، فَرِيضَةً مِنَ اللهِ، وَٱللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٢].

ما نزل فيمن آذوا الرسول: ثم ذكر غِشّهم وأذاهم النبيَّ ﷺ، فقال: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ، قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ، يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ، وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وكان الذي يقول تلك المقالة، فيما بلغني، نَبْتَل بن الحارث أخو بني عمرو بن عوف، وفيه نزلت هذه الآية، وذلك أنه كان يقول: إنّما محمد أُذُن، من حدَّثه شيئاً صدّقه، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾: أي يسمع الخير ويصدّق به.

ثم قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٣]. ثم قال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾[٤]، وكان الذي قال هذه المقالة وديعة بن ثابت، أخو بني أُميّة بن زيد، من بني عمرو بن عوف، وكان الذي عُفي عنه، فيما

---

(١) سورة التوبة ـ من الآية ٤٧ ـ ٥٨.

(٢) سورة التوبة الآية ٦٠.

(٣) سورة التوبة ـ الآيتان ٦١ و ٦٢.

(٤) سورة التوبة ـ الآية ٦٥ وبعض ٦٦.

بلغني: مخشّن بن حُمَيّر الأشجعيّ، حليف بني سَلِمة. وذلك أنه أنكـر منهم بعض ما سمع.

ثم القصّة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ ٱلكُفَّارَ وَٱلمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلمَصِيرِ، يَحْلِفُـونَ بِاللهِ مَا قَالُوا، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ ٱلكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمـا لَمْ يَنالُـوا، وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُـهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾... إلى قولـه: ﴿مِـنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[1]. وكان الذي قال تلك المقـالة الجُـلاس بن سُويـد بن صامت، فرفعها عليه رجل كان في حجْره، يقال له عُمير بن سعد، فأنكرها وحلف بالله مـا قالهـا، فلما نـزل فيهم القرآن تـاب ونزع، وحسُنت حـاله وتـوبتـه، فيمـا بلغني.

ثم قـال تعـالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَـاهَـدَ اللهَ لَئِنْ آتَـانَـا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّـدَّقَنَّ وَلَنَكُـونَنَّ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾[2]، وكـان الذي عـاهد الله منهم ثعلبـة بن حاطب، ومعتب بن قُشَير، وهما من بني عمر بن عوف.

ثم قـال: ﴿الَّـذِينَ يَلْمِـزُونَ ٱلمُـطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّـدَقَـاتِ، وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ، فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ، سَخِـرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3] وكان المطَّوِّعونَ من المؤمنين في الصدقـات عبد الـرحمن بن عوف، وعـاصم بن عـديّ أخـا بني العَجْـلان، وذلـك أن رسـول الله ﷺ رغّب في الصـدقة، وحضّ عليهـا فقام عبـد الرحمن بن عـوف، فتصدّق بـأربعـة آلاف دِرهم، وقام عاصم بن عديّ، فتصدّق بمائة وسْق من تمر، فلمزوهما وقالوا ما هذا إلا رياء، وكان الذي تصدّق بجهده أبو عُقَيل أخـو بني أُنَيف، أتى بصاع من تمر، فأفرغها في الصدقة، فتضاحكوا بـه، وقالـوا: إنّ الله لغنيّ عن صاع أبي عُقَيل.

---

(١) سورة التوبة ـ الأيتان ٧٣ و ٧٤.

(٢) سورة التوبة ـ الآية ٧٥.

(٣) سورة التوبة ـ الآية ٧٩.

ثم ذكر قول بعضهم لبعض، حين أمر رسول الله ﷺ بالجهاد، وأمر بالسير إلى تبوك، على شدّة الحَرّ وجدب البلاد، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي ٱلْحَرِّ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ، فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾. إلى قوله: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾[1].

ما نزل بسبب الصلاة على ابن أُبَيّ: قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة، عن ابن عباس، قال؛ سمعت عمر بن الخطاب يقول: لما تُوفي عبد الله بن أُبَيّ، دعي رسول الله ﷺ للصلاة عليه، فقام إليه، فلما وقف عليه يريد الصلاة، تحوّلت حتى قمت في صدره، فقلت: يا رسول الله، أتصلّي على عدوّ الله عبد الله بن أُبَيّ بن سلول؟ القائل كذا يوم كذا، والقائل كذا يوم كذا؟ أعدّد أيامه، ورسول الله ﷺ يتبسّم حتى إذا أكثرتُ قال: يا عمر، أخّر عني، إني قد خُيّرت فاخترت، قد قيل لي: ﴿ٱستغفِر لَهُمْ أو لا تَسْتَغْفِرْ، إنَّ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ ٱللهُ لَهُمْ﴾[2]، فلو أعلم أنّي إن زدْت على السبعين غُفر له، لزدْت. قال: ثم صَلّى رسول الله ﷺ، ومشى معه حتى قام على قبره، حتى فرغ منه. قال؛ فعجبت لي ولجرأتي على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم. فوالله ما كان إلّا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ، إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[3] فما صلّى رسول الله ﷺ بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى.

ما نزل في المستأذنين والمعذّرين والبكّائين ومنافقي الأعراب: قال ابن إسحاق: ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَأْذَنَكَ أُولُوا ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾[4]. وكان ابن أُبَيّ من أولئك، فنعى الله ذلك

---

(١) سورة التوبة ـ من الآية ٨١ ـ إلى بعض آية ٨٥.

(٢) سورة التوبة ـ من الآية ٨٠.

(٣) سورة التوبة ـ الآية ٨٤.

(٤) سورة التوبة ـ من الآية ٨٦.

عليه، وذكره منه، ثم قال تعالى: ﴿لَكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَأُولَئِكَ لَهُمُ ٱلخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ هُمُ ٱلمُفْلِحُونَ. أَعَدَّ الله لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا. ذَلِكَ ٱلفَوْزُ ٱلعَظِيمُ. وَجَاءَ ٱلمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ، وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا الله وَرَسُولَهُ﴾[1]... إلى آخر القصّة. وكان المعذّرون، فيما بلغني نفراً من بني غِفار، منهم خفاف بن أيماء بن رَحضة، ثم كانت القصّة لأهلِ العُذْر، حتى انتهى إلى قوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوكَ لِتَحْمِلَهُمْ، قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾. وهم البكّائون.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ، رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ ٱلخَوَالِفِ، وَطَبَعَ الله عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الخوالف: النساء. ثم ذكر حلفهم للمسلمين واعتذارهم، فقال: ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللهَ لَا يَرْضَى عَنِ ٱلقَوْمِ ٱلفَاسِقِينَ﴾[2].

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربّصهم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾: أي من صدقة أو نفقة في سبيل الله ﴿مَغْرَماً وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَائِرَ، عَلَيْهِم دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ، وَٱللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

ما نزل في المخلِصين من الأعراب: ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلأَعْرَابِ مَنْ يُؤمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ الله وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ، أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾[4].

---

(١) سورة التوبة ـ الآية ٨٨ ـ ٩٠.
(٢) سورة التوبة ـ الآيات ٩٢ ـ ٩٦.
(٣) سورة التوبة ـ الآية ٩٨.
(٤) سورة التوبة ـ ومن الآية ٩٩.

ما نزل في السابقين من المهاجرين والأنصار: ثم ذكر السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار، وفضلهم، وما وعدهم الله من حسن ثوابه إيّاهم، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان فقال: **﴿رَضِيَ آللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾**[1]، ثم قال تعالى: **﴿ومِمَّن حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقونَ وَمِنْ أهل المدينة مَرَدُوا على النِّفاقِ﴾**: أي لجّوا فيه: وأبوا[1] غيره **﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾**، والعذاب الذي أوعده الله تعالى مرّتين، فيما بلغني غمّهم بما هم فيه من أمر الإسلام، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة، ثم عذابهم في القبور إذا صاروا إليها، ثم العذاب العظيم الذي يردون إليه، عذاب النار والخلد فيه. ثم قال تعالى: **﴿وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ، خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وآخر سَيِّئاً، عَسَى الله أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، إنَّ الله غَفورٌ رَحِيم﴾**.

ثم قال تعالى: **﴿خُذْ مِنْ أمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهم بِها﴾**. إلى آخر القصّة. ثم قال تعالى: **﴿وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأمْرِ الله: إمَّا يُعَذِّبُهُمْ وإمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾**، وهم الثلاثة الذين خُلّفوا، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرهم حتى أتت من الله توبتهم. ثم قال تعالى: **﴿إنَّ الله آشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أنْفُسَهُمْ وأمْوالَهُم بأنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾**[2] ثم كان قصّة الخبر عن تبوك، وما كان فيها إلى آخر السورة.

وكانت براءة تُسمّى في زمان النبيّ ﷺ وبعده المبعثِرة، لما كشفت من سرائر الناس. وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

حسّان يعدّد مغازيه ﷺ شِعراً

وقال حسّان بن ثابت يعدّد أيام الأنصار مع النبيّ ﷺ، ويذكر مواطنها معه في أيام غزوه:

---

(١) سورة التوبة ـ من الآية ١٠٠.

(٢) سورة التوبة ـ من الآية ١٠١ ـ ١١١.

قال ابن هشام: وتُروى لابنه عبد الرحمن بن حسّان:

ألستُ خيرَ مَعَدّ كلّها نَفَراً ... ومعشراً إنْ هم عُمُّوا وإن حُصِلوا[١]

قوم همُ شَهِدوا بدْراً بأجْمعهم ... مع الرسول فما ألَوا وما خذلوا[٢]

وبايعوه فلم ينكُث به أحدٌ ... منهم ولم يكُ في إيمانهم دَخَل[٣]

ويومَ صبَّحهم في الشِّعب من أُحُدٍ ... ضرْبٌ رصينٌ كحَرّ النار مشتعل[٤]

ويم ذي قَرَد يوم استثار بهم ... على الجياد فما خاموا وما نكلوا[٥]

وذا العُشَيرة جاسوها بخَيلهم ... مع الرسول عليها البِيضُ والأسل[٦]

ويومَ وَدَّان أجْلَوا أهله رَقَصاً ... بالخيل حتى نهانا الحَزْن والجبل[٧]

وليلةً طلبوا فيها عدوَّهم ... لله والله يَجْزيهم بما عملوا

وغزوةً يوم نجْدٍ ثمّ كان لهم ... مع الرسول بها الأسلاب والنفل

وليلةً بحُنَين جالدُوا معه ... فيها يَعُلُّهم بالحرب إذ نهلوا[٨]

وغزوة القاع فرّقنا العدوَّ به ... كما تُفرّق دون المَشْرب الرَّسَلُ[٩]

ويوم بُويع كانوا أهلَ بَيْعته ... على الجِلاد فآسَوْه وما عَدَلوا

وغزوةَ الفتح كانوا في سريّته ... مُرابطين فما طاشوا وما عجلوا

ويومَ خيبر كانوا في كتيبته ... يمْشون كلّهُم مُستبسل بَطَل

بالبِيض تُرْعش في الأيمان عاريةٌ ... تعْوَجّ في الضَّرب أحياناً وتعتدل

ويومَ سار رسول الله محتسباً ... إلى تبوكَ وهم راياتُه الأُوَل

---

(١) حصلوا: أصلها بتشديد الصاد وخففها لضرورة الشعر. ومعنى حصلوا: جمعوا.

(٢) ألَوا: قصروا.

(٣) دخل: فساد.

(٤) رصين: ثابت.

(٥) خام: جبن وتراجع.

(٦) جاسوها: وطئوها. البيض: السيوف. الأسل: الرماح.

(٧) الرقص: نوع من المشي. الحزن: الأرض الغليظة المرتفعة.

(٨) يعلّهم: يكرّر عليهم، من العلل وهو الشرب الثاني. نهلوا: شربوا الشرب الأول.

(٩) الرَسل: الإبل.

وساسةُ الحرب إنْ حربٌ بَدَتْ لهم حتّى بدا لهمُ الإقبال والقفل[1]
أولئك القوم أنصارُ النبيّ وهم قومي أصير إليهم حين أتّصل
ماتوا كِراماً ولم تُنْكَثْ عُهودهم وقتلُهم في سبيل الله إذ قُتلوا

قال ابن هشام: عجز آخرها بيتاً عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

كنّا ملوك الناس قبل محمدٍ فلمّا أتى الإسلامُ كان لنا الفضلُ
وأكرَمنا الله الذي ليس غيرَه إلَهٌ بأيّامٍ مضتْ ما لها شَكْل
بنَصْر الإله والرسول ودِينه وأَلبَسْناه اسماً مضى ما له مِثل
أولئك قومي خيرُ قومٍ بأسرهم فما عدّ من خيرٍ فقومي له أهل
يُربّون بالمعروف معروف من مضى وليس عليهم دون معروفهم قُفْل[2]
إذا اختَبطوا لم يُفحشوا في نديّهم وليس على سُؤّآلهم عندهم بُخْل[3]
وإن حاربوا أو سالموا لم يُشَبَّهوا فحربهم حتْفٌ وسِلْمهم سهل
وجارُهم مُوفٍ بعلياءَ بيتُه له ـ ما ثوى فينا ـ الكرامة والبذل
وحاملُهم مُوفٍ بكل حَمالة تحمّل لا غُرْم عليها ولا خَذْل
وقائلُهم بالحقّ إن قال قائلٌ وحلْمهمُ عَوْد وحُكمهمُ عدل[4]
ومنّا أمير المسلمين حياتَه ومن غسّلته من جَنابته الرُّسل[5]

قال ابن هشام: وقوله: «وألبسناه اسماً» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

قومي أولئك إنْ تسألي كرام إذا الضيف يوماً ألم

---

(١) القَفْل: الرجوع.
(٢) يربون: يصلحون.
(٣) اختبطوا: قصدوا.
(٤) عود: متكرّر.
(٥) أمير المسلمين: هو سعد بن مُعاذ فإنّ الأنصار تزعم أنّ الرسول قال للمسلمين جميعاً مهاجرين وأنصار قوموا إلى سيّدكم. أما من غسّلته الملائكة. هو حنظلة المدعو غسيل الملائكة وهو أنصاريّ.

عظامُ القُدور لأيسارهم يكبون فيها المُسِنّ السَّنِم[1]

يؤاسون جارَهم في الغِنى ويحْمون مولاهم إنْ ظُلم

فكانوا ملوكاً بأرضيهمُ يُنادون عضْباً بأمرٍ غُشُم

ملوكاً على الناس، لم يُملكوا من الدهر يوماً كحِلّ القَسَم[2]

فأنبُوا بعادٍ وأشياعِهم ثمودَ وبعضِ بقايا إرَم[3]

بيثرِبَ قد شيّدوا في النَّخيل حُصوناً ودُجِّن فيها النعم[4]

نواضحَ قد علّمتها اليهو دُ: عَلْ - إليك وقَوْلاً هَلُم[5]

فيما اشتَهْوا من عصيرِ القِطا ف والعيشِ رخواً على غيرهم

فسِرْنا إليهم بأثقالنا على كلّ فَحْلٍ هِجانٍ قطِم[6]

جَنَبْنا بهنّ جياد الخُيو ل قد جَلّلوها جِلالِ الأَدَم[7]

فلما أناخُوا بجنْبيْ صِرار وشدُّوا السُّرُوج بلَيّ الحُزُم

فما راعهم غيرُ معْجِ الخيو ل والزَّحفُ من خلفهم قد دَهِم[8]

فطاروا سِراعاً وقد أفزِعوا وجئنا إليهم كأسْد الأَجُم

على كل سَلْهبة في الصَّبا ن لا يَشْتكين نحولَ السّأم[9]

وكُل كُمَيْتٍ مُطار الفؤاد أمينِ الفصُوص كمثل الزُّلم[10]

عليها فوارسُ قد عُوّدوا قِراعَ الكُماة وضرْبَ البُهم[11]

---

(١) الأيسار: من يدخلون في الميسر. السنم: عظيم السنام.

(٢) حلّ القسم: يُراد بها المدّة القصيرة.

(٣) أنبوا: أنبئوا.

(٤) دجن: اتخذت في البيوت.

(٥) النواضح: الإبل التي يُسقى عليها الماء. عل: كلمة تزجر بها الإبل.

(٦) الهجان: الأبيض. قطم: المشتهي الضراب.

(٧) جَنَبْنا: قدنا إلى جنبنا. جلدوها: غطوها. الأدم: الجلد.

(٨) معج: سرعة.

(٩) السلهبة: الفرس السريعة.

(١٠) مطار: ذكي. أمين الفصوص: ماقوي من العظام. الزلم: القدح.

(١١) البهم: الأبطال الشجعان.

ملوك إذا غَشَمُوا في البلاد لَا يَنْكُلون ولكن قُدُم[1]
فأُبْنا بساداتهم والنساء وأولادُهم فيهمُ تُقْتَسم
ورِثنا مساكنهم بعدَهم وكنّا ملوكاً بها لم نَرِمْ
فلما أتانا الرسولُ الرشيد بالحقّ والنور بعد الظلم
قلنا صدقتَ رسولَ المليك هلمَّ إلينا وفينا أقِم
فنشهدَ أنّك عبدُ الأله أُرسِلت نوراً بدين قِيَم
فأنا وأولادُنا جُنَّةٌ نَقِيك وفي مالنا فاحْتكِم
فنحن أولئك إن كذبوك فنادِ نداءً ولا تَحْتَشِم
وناد بما كنتَ أخفيتَه نداءً جِهاراً ولا تكتم
فصار الغُواةُ بأسيافهم إليه يظنّون أن يُخْتَرَم[2]
فقُمنا إليهم بأسيافنا نجالدُ عنه بُغاةَ الأُمَم
بكلّ صقيل له مَيْعةٌ رقيقِ الذُّباب عضوض خَذِم[3]
إذا ما يصادِفُ صُمّ العظام لم ينْبُ عنها ولم ينْثَلم
فذلك ما ورَّثتنا القُروم مجْداً تليداً وعِزّاً أَشَمّ[4]
إذا مرّ نسْلٌ كفَى نَسلُه وغادر نسلا إذا ما انفصم[5]
فما إنْ من الناس إلّا لنا عليه وإن خاس فضلُ النّعم[6]

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاريّ بيته:

فكانوا ملوكا بأرْضِيهم يُنادون غُضْباً بأمر غُشُم

وأنشدني:

بيثربَ قد شيّدوا في النَّخيل حصوناً ودُجّن فيها النَّعم

---

(١) غشموا: اشتدّ ظلمهم.
(٢) يخترم: يهلك.
(٣) له مَيْعة أي مصقول يشبه المائعات في بريقه وصفائه. الذباب حدّ السيف خذم: قاطع.
(٤) القروم: السادة. التلبد: القديم. الأشمّ: العالي.
(٥) الفصم: القرض.
(٦) خاس: غدر.

وبيته. . . «وكل كُميت مطار الفؤاد» عنه.

ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كلّ وجه.

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة: أنّ ذلك في سنة تسع، وأنها كانت تُسمّى سنة الوفود.

قال ابن إسحاق: وإنّما كانت العرب تَربّص بالإسلام أمر هذا الحيّ من قريش وأمر رسول الله ﷺ، وذلك أنّ قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم، وأهل البيت الحرام، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقادة العرب لا ينكرون ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه، فلما افتُتحت مكة، ودانت له قريش، ودوّخها الإسلام وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته، فدخلوا في دين الله، كما قال عزّ وجلّ: أفواجاً، يضربون إليه من كلّ وجه، يقول الله تعالى لنبيّه ﷺ: **﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللهِ وَٱلْفَتْحُ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللهِ أَفْوَاجاً، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾**(1): أي فاحمد الله على ما أظهر من دِينكَ، واستغفره إنه كان تَوَّاباً.

قدوم وفد بني تميم ونزول الحُجُرات(2)

رجال الوفد: فقدِمت على رسول الله ﷺ وفود العرب، فقدِم عليه

---

(1) سورة النصر.

(2) تاريخ الطبري ٣/١١٥، الطبقات الكبرى ١/١٩٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٧٥، تاريخ خليفة ٩٣، والكامل في التاريخ ٢/٢٨٧، ونهاية الأرب ١٨/٣٢، وعيون الأثر ٢/٢٠٣، وسيرة ابن كثير ٤/٧٩، وعيون التواريخ ١/٣٦٥.

عُطارد بن حاجب بن زُرارة بن عُدَس التميميّ، في أشراف بني تميم، منهم الأقرع بن حابس التميمي والزّبرقان بن بدر التميميّ، أحد بني سعد، وعمرو ابن الأهتم، والحَبْحاب بن يزيد[1].

قال ابن هشام: الحُتات وهو الذي آخى رسول الله ﷺ بينه وبين معاوية ابن أبي سفيان، وكان رسول الله ﷺ قد آخى بين نفر من أصحابه من المهاجرين، بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان بن عفّان وعبد الرحمن بن عوف، وبين طلحة بن عُبيد الله والزُّبير بن العوّام، وبين أبي ذَرّ الغِفَاريّ والمِقْداد بن عمرو البُهْرانيّ، وبين معاوية بن أبي سفيان والحتات بن يزيد المجاشعيّ فمات الحتات عند معاوية في خلافته، فأخذ معاوية ما ترك وراثة بهذه الأُخُوَّة، فقال الفرزدق لمعاوية:

أبوك وعمّي يا معاوي أورثا ... تراثاً فيحتاز التراث أقاربه
فما بالُ ميراثِ الحتاتِ أكَلْتَه ... وميراث حرب جامد لك ذائبه[2]

قال ابن إسحاق: وفي فد بني تميم نُعيم بن يزيد، وقيس بن الحارث، وقيس بن عاصم، أخو بني سعد، في وفدٍ عظيم من بني تميم.

قال ابن هشام: وعُطارد بن حاجب، أحد بني دارم بن مالك بن حنظلة ابن زيد بن تميم، والأقرع بن حابس، أحد بني دارم بن مالك، والحُتَات بن يزيد، أحد بني دارم بن مالك، والزّبرقان بن بدر، أحد بني بهدلة بن عوف ابن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تميم، وعمرو بن الأهتم، أحد بني مِنْقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تميم، وقيس بن عاصم، أحد بني مِنْقر بن عُبيد بن الحارث.

قال ابن إسحاق: ومعهم عُيَينة بن حصْن بن حُذَيفة بن بدر الفَزاريّ،

---

(١) أنظر عنه في الاستيعاب ١/٣٩٦، الإصابة ١/٣١١ رقم ١٦١٢، أسد الغابة ١/٣٧٩ وهو بضم الحاء المهملة، وفتح التاء المخفّفة.

(٢) الاستيعاب ١/٣٩٦، أسد الغابة ١/٣٧٩، الإصابة ١/٣١١.

وقد كان الأقرع بن حابس، وعُيَينة بن حصْن شهِدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحُنيناً والطائف.

أصحاب الحُجُرات: فلما قدِم وفد بني تميم كانا معهم، فلما دخل وفد بني تميم المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء حُجُراته: أنْ اخرُج إلينا يا محمّد، فآذى ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم، فخرج إليهم، فقالوا: يا محمد، جئناك نفاخرك. فأذَن لشاعرنا وخطيبنا؛ قال: قد أذِنت لخطيبكم فليقُل.

كلمة عطارد: فقام عُطارد بن حاجب فقال:

الحمد لله الذي له علينا الفضل والمنّ، وهو أهله، الذي جعلنا ملوكاً ووهب لنا أموالاً عظاماً، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزّ أهل المشرق وأكثره عدداً، وأيسره عدّة، فمن مثلنا في الناس وأولي فضلهم؟! فمن فاخر فليعدّد مثل ما عدّدْناه، ولو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكنّا نحيا من الإكثار فيما أعطانا، وإنّا نُعرف بذلك.

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا، وأمرٍ أفضل من أمرنا، ثم جلس[1].

ثابت بن قيس يردّ على عُطارد: فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشمّاس، أخي بني الحارث بن الخزرج: «قم، فأجِب الرجلَ في خطبته». فقام ثابت، فقال:

الحمد لله الذي السمٰوات والأرض خلْقه، قضى فيهنّ أمره، ووسِع كرسيُّه علمه، ولم يك شيء قطّ إلاّ من فضله، ثم كان من قدرته أنْ جعلنا ملوكاً، واصطفى من خير خلقه رسولاً، أكرمه نسباً، وأصدقه حديثاً، وأفضله حَسَباً، فأنزل عليه كتابه وأتمّه على خلقه، فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فآمن برسول الله ﷺ المهاجرون من قومه وذوي

---

(1) تاريخ الطبري ٣/١١٦، الطبقات الكبرى ١/٢٩٤.

رحِمِه، أكرم النـاس حَسَباً، وأحسن النـاس وجوهـاً، وخير النـاس فعالاً. ثم كـان أول الخلق إجابـة، واستجاب لله حين دعـاه رسول الله ﷺ نحن، فنحن أنصـار الله ووزراء رسولـه، نقـاتـل النـاس حتى يؤمنـوا بـالله، فمن آمن بـالله ورسوله منع ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً، وكان قتْله علينا يسيراً. أقول قولي هذا واستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم[1].

الزّبرقان يفتخر بقومه؛ فقام الزبرقان بن بدر، فقال:

نَحْنُ الكـرامُ فـلا حَيٌّ يُعـادلُنـا ... منّـا الملوكُ وفينـا تُنْصَب البيَـعُ[2]
وكم قَسَـرْنـاه مـن الأحيـاء كـلّهم ... عنـد النِّهابِ وفضـلُ العِـزِّ يُتَّبَـعُ
ونحن نُـطْعم عنـد القحْط مطـعَمنا ... من الشِّـواء إذا لم يؤنس القَـزَع[3]
بمـا تـرى النـاس تـأتينـا سَـراتُهُم ... من كـلّ أرضٍ هُويـاً ثم تَصْـطَنـع[4]
فننحـرالكُـوم عَبْـطاً في أُرُومَتِنـا[5] ... للنـازلين إذاً مـا أنـزلـوا شبعـوا
فـلا تَـرَانـا إلى حيّ نُفـاخـرهمْ ... إلّا استفـادُوا وكـاد الـرأسُ يُقْتَـطع
فمن يفـاخـرنـا[6] في ذاك نعرفـه ... فيـرجـع القـوم[7] والأخبـار تُستمـع
إنّـا أبَيْنـا ولا يـأبَـى لنـا أحـد ... إنّـا كـذلـك عنـد الفخـر نـرتفـع[8]

قال ابن هشام: ويُروى:

منّـا الملـوك وفينـا تُقسـم الـربـع[9]

ويُروى:

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١١٦، الطبقات الكبرى ١/٢٩٤.
(٢) البِيَع: أماكن العبادة.
(٣) القزع: السحاب ليس فيه مطر.
(٤) هوياً: سراعاً.
(٥) الكوم: النوق عظام الأسنمة. عبطاً: بلا سبب. الأرومة: الكرم.
(٦) في تاريخ الطبري «يقادرنا».
(٧) في تاريخ الطبري «القول».
(٨) الربع والمرباع: ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية.
(٩) الأبيات كلها ما عدا الأخير، في تاريخ الطبري ٣/١١٦، ١١٧، ومنها أربعة أبيات في تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٧٦.

من كلّ أرض هواناً ثم نتبع

رواه لي بعض بني تميم، وأكثر أهل العلم بالشِعر يُنكرها للزّبرقان.

حسّان يردّ على الزّبرقان: قال ابن إسحاق: وكان حسّان غائباً، فبعث إليه رسول الله ﷺ قال حسّان: جاءني رسوله، فأخبرني أنه إنّما دعاني لأجيب شاعر بني تميم، فخرجت إلى رسول الله ﷺ وأنا أقول[1]:

مَنَعنا رسولَ الله إذ حلّ وسْطَنا ... على أنف راض من معد وراغم[2]

منعناه لمّا حلّ بين بُيُوتنا ... بأسيافنا من كلّ باغ[3] وظالم

ببيتٍ حَريدٍ عِزُّه وثَراؤُه ... بجابيةِ الجَوْلانِ وسْطَ الأعاجم[4]

هل المجد إلاّ السّؤدُد العَوْد والنّدَى[5] ... وجاهُ الملوك واحتمالُ العظائم[6]

قال: فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ، وقام شاعر القوم، فقال ما قال، عرّضت في قوله، وقلت على نحو ما قال. قال: فلما فرغ الزّبرقان، قال رسول الله ﷺ لحسّان بن ثابت: «قُم يا حسّان، فأجِب الرجلَ فيما قال». فقام حسّان، فقال:

إنّ الذّوائبَ[7] من فِهرٍ وإخْوتهم ... قد بيّنوا سُنّة للناس تُتَّبَعُ

يرضى بهم كلُّ من كانت سريرتُه ... تقوى الإله وكلُّ الخير يُصْطنع

قومٌ إذا حاربوا ضرّوا عدوَّهم ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

سَجِيَّةٌ[8] تلك منهم غير مُحْدَثَةٍ ... إنّ الخلائق فاعلم شَرُّها البِدَع

---

(١) الأبيات في الديوان ـ ص ٢٤٦.

(٢) في تاريخ الطبري «على كل باغ من معدّ وراغم».

(٣) في تاريخ الطبري «عاد».

(٤) الحريد: الفريد في العزّ. الجَوْلان: بلد بسوريا والمراد انّ عزّهم قديم متّصل بحضارة الغساسنة في الشام.

(٥) السودد: المجد. والعَود: المتكرّر.

(٦) الديوان، تاريخ الطبري ٣/١١٧.

(٧) الذوائب: السادة الأشراف.

(٨) السجيّة: الطبيعة.

إن كان في الناس سبّاقون بعدهُمُ ... فكلُّ سبْقٍ لأدنى سبقِهِمْ تَبَع

لا يرقعُ النَّاس ما أوْهَتْ[1] أكُفُّهمُ ... عند الدفاع ولا يُوهُون ما رقعوا

إنْ سابَقُوا النَّاس يوماً فاز سَبْقُهمُ ... أو وازنوا أهلَ مجدٍ بالنَّدى مَتَعُوا[2]

أعِفَّةٌ ذُكِرت في الوحي عِفَّتُهمْ ... لا يَطبعونَ ولا يُرْدِيهمُ طمع[3]

لا يَبْخَلُون على جارٍ بفضلهمُ ... ولا يَمَسُّهم من مَطْمَعٍ طَبَع[4]

إذا نَصَبْنا لحيٍّ لم نَدِبَّ لهم ... كما يدِبُّ إلى الوحْشِيَّة الذّرع[5]

نَسْمو إذا الحربُ نالَتْنا مخالبُها ... إذا الزَّعانِفُ من أظْفارها خَشَعوا[6]

لا يفخرون إذا نالوا عدوّهم ... وإن أصيبوا فلا خُورٌ ولا هُلع[7]

كأنّهم في الوَغَى والموتُ مُكْتنِعٌ ... أُسدٌ بحَلْية في أرساغها فَدَع[8]

خذْ منهم ما أتى عَفْواً إذا غَضِبوا ... ولا يكن همَّك الأمرُ الذي منعوا

فإنّ في حربهم - فاترُك عَداوَتَهمْ - ... شرّاً يُخاضُ عليه السّمُّ والسَّلَع[10]

أكرِمْ بقومٍ رسول الله شِيعَتهم ... إذا تفاوتت[11] الأهواء والشِّيَع

أهدَى لهم مِدْحتي قلبٌ يُؤازرُهُ ... فيما أحَبَّ لسانٌ حائكٌ صنع

فإنّهم أفضلُ الأحياء كلّهمُ ... إن جَدّ بالناس جِدُّ القوْلِ أو شَمَعوا[12]

---

(١) أوهت: هدمت.

(٢) متعوا: زادوا وارتفعوا.

(٣) لا يطبعون: لا يتدنّسون.

(٤) طبع: دنس.

(٥) نصبنا: أظهرنا العداوة. الذرع: ولد بقرة الوحش.

(٦) نسمو: ننهض. الزعانف: يريد بها: أطراف الناس. خشعوا: تذللوا.

(٧) في تاريخ الطبري «لا فخر إن هم أصابوا من عدوّهم».

(٨) الخور: الضعفاء.

(٩) مكتنع: قريب. حلية: مكان باليمن كانت تكثر فيه الأسود. الأرساغ جمع رسغ: مفصل ما بين الساق والقدم. فدع: اعوجاج.

(١٠) السلع: نبات سام.

(١١) في تاريخ الطبري «تفرّقت».

(١٢) شمعوا: هزلوا: والأبيات في الديوان، وتاريخ الطبري (١١٨/٣، ١١٩ ومنها أربعة أبيات في (٨) تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٧٧.

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد:

يـرضى بها كـلّ من كانت سـريـرتُـهُ   تقـوى الإله وبـالأمر الـذي شـرعـوا

شعر آخر للزّبرقان بن بدر: **وقال ابن هشام**: حدّثني بعض أهـل العلم بالشِعر من بني تميم: أنّ الزّبرقان بن بدر لمـا قدِم على رسـول الله ﷺ في وفد بني تميم قام فقال:

أتينـاك كيمـا يعلم النّـاسُ فضْلَنـا   إذا احتفلوا عنـد احتضـار المـواسم

بـأنّـا فُـروع النـاس في كـلّ مـوطن   وأنْ ليس في أرض الحجـاز كـدارم

وأنّـا نَـذُود المعلّمين إذا آنْتَـخـوا   ونضـرب رأسَ الأصْيـد المتفـاقم[1]

وأنّ لنـا المِربـاعُ في كـلّ غـارةٍ   نُغيـر بنجـدٍ أو بـأرض الأعـاجم

شِعر آخر لحسّان في الردّ على الزّبرقان: فقام حسّان بن ثابت فأجابه، فقال:

هل المجد إلاّ السُّؤدُد العَـوْد والنَّدى   وجـاهُ الملوكِ واحتمـالُ العـظائم

نصَـرنـا وآوينـا الـنبيّ محمـداً   على أنْف راضٍ مـن مَعَـدٍّ وراغـم

بـحـيّ حَـريـدٍ أصـلُهُ وثَـراؤُه   بجـابية الجَـوْلان وسْط الأعـاجم

نصـرنـاه لمّـا حلّ وسْط ديـارنـا   بـأسيـافنـا من كـلّ بـاغٍ وظالم[2]

جـعلنـا بَنِيـنَـا دونـه وبنـاتنا   وطِبْنـا لـه نفسـاً بفَيْء المغـانم

ونحن ضـربنا النـاسَ حتى تتـابعـوا   على دينه بـالمُـرْهِفات الصَّـوارم

ونحن ولـدنـا من قـريش عـظيمَهـا   ولَـدْنـا نَبيَّ الخيـر من آلِ هـاشم[3]

بني دارم لا تـفخَـروا إنّ فـخـركم   يعـودُ وبـالاً عنـد ذِكـر المكـارم

هـبلتُمْ علينـا تَـفـخَـرون وأنـتـم   لنـا خَـوْلٌ مـا بين ظِئْرٍ وخـادم؟[4]

---

(١) المعلّمون: الشجعان الذين يضعون عليهم علامة يُعرفون بها. الأصيد: المتكبّر. المتفاقم: المتعاظم.

(٢) انظر شرح الأبيات السابقة.

(٣) ذلك أنّ امّ عبد المطّلب. من أهل يثرب.

(٤) هبلتم: ثكلتم. الخَوَل: العبيد والخدم. الظئر: المُرْضعة غير ولدها.

فــإن كنتم جئتــم لحقْن دمــائكــم وأمــوالكم أن تُقسَمـوا في المقــاسم
فــلا تـجـعـلوا لله نــدّاً وأسْـلِمــوا ولا تلبســوا زيًّــاً كــزِيّ الأعــاجم

إسلام الوفد: قال ابن أسحاق: فلما فرغ حسّان بن ثابت من قوله، قال الأقـرع بن حابس: وأبي، إنّ هـذا الرجـل لمُؤْتّى له[1]، لخـطيبُه أخْـطَبُ من خطيبنا، ولَشاعرُه أشْعَر من شاعرنا، ولأصواتُهم أحلى من أصواتنا. فلما فـرِغ القوم أسلموا، وجوّزهم رسول الله ﷺ، فأحسن جوائزهم[2].

شعر ابن الأهتم في هجاء قيس: وكان عمرو بن الأهتم قـد خلفه القـوم في ظهرهم[3]، وكان أصغرهم سنّاً، فقال قيس بن عاصم، وكان يبغض عمرو ابن الأهتم: يا رسول الله، إنه قد كان رجل منّا في رجالنا، وهو غـلام حَدَث، وأُزْرِي به، فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما أعـطى القوم، فقـال عمرو بن الأهتم حين بلغه أنّ قيساً قال ذلك يهجوه:

ظَلِلْتَ مفتــرِشَ الهَلْبــاء[4] تَشتِمُـني عند الرسـول فلم تَصدُقْ ولم تُصِبِ
سُـدْنـاكم سُــودَداً رَهْـواً وسُــودَدُكم بـادٍ نـواجـذه مُقْـعٍ على الــذَّنَب[5]

قال ابن هشام: بقي بيت واحد تركناه، لأنه أقذع فيه[6].

قال ابن إسحاق: وفيهم نزل من القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[7].

---

(١) مُؤَتّى له: أي موفّق.
(٢) تاريخ الطبري ١١٩/٣.
(٣) ظهرهم: إبلهم.
(٤) الهلباء في الأصل: شعر الذنب ويريد به هنا مؤخرته.
(٥) رهْوا: متّسعاً. النواجذ: الأسنان. مُقْع: جالس على الذَّنَب: يريد به هنا مؤخّرته.
(٦) في تاريخ الطبري ١١٩/٣ بيت ثالث:
إنْ تُـبْـغِـضـونـا فـإنّ الـروم أصلكُـم والـروم لا تـمـلك الـبـغـضـاءَ لـلعــرب
(٧) سورة الحجرات ـ الآية ٤.

قصة عامر بن الطفيل وأَرْبَد بن قيس في الوفادة عن بني عامر

رؤساء الوفد: وقدِم على رسول الله ﷺ وفد بني عامر، فيهم عامر بن الطُّفَيل، وأربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم.

عامر يدبّر الغدر بالرسول: فقدِم عامر بن الطُّفيل عدوّ الله، على رسول الله ﷺ، وهو يريد الغدر به، وقد قال له قومه: يا عامر، إنّ الناس قد أسلموا فأسلم قال: والله لقد كنت آليت أن لا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي، أفأنا أتبع عقِب هذا الفتى من قريش؟ ثم قال لأربد: إذ قدِمنا على الرجل، فإني سأشغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعْلُهُ بالسيف؛ فلما قدِموا على رسول الله ﷺ، قال عامر بن الطُّفيل: يا محمد، خالّني[1]، قال: «لا والله حتى تؤمن بالله وحده». قال: يا محمد خالّني. وجعل يكلّمه وينتظر من أربد ما كان أمره به، فجعل أربد لا يُحِير شيئاً؛ قال: فلما رأى عامر ما يصنع أربد، قال: يا محمد خالّني قال: «لا، حتّى تؤمن بالله وحده لا شريك له». فلما أبى رسول الله ﷺ قال: أما والله لأملأنّها عليك خيلاً ورجالاً؛ فلما ولّى قال رسول الله ﷺ: «اللّهمّ اكفني عامر بن الطُّفَيل». فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ، قال عامر لأربد: ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك. وأيْمُ الله لا أخافك بعد اليوم أبداً. قال: لا أبالك؛ لا تَعْجل عليّ، والله ما هممت بالذي أمرتني به من أمره إلّا دخلتَ بيني وبين الرجل، حتى ما أرى غيرك،أفأضربك بالسيف؟

موت عامر بدعاء الرسول عليه: وخرجوا راجعينَ إلى بلادهم، حتى

---

(١) خالّني: أي اتّخذني خليلاً.

إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطُّفيل الطاعون في عُنُقه، فقتله الله في بيت امرأة من بني سلول، فجعل يقول: يا بني عامر، أغُدّة كغُدّة البَكْر[1] في بيت امرأةٍ من بني سلول[2]؟!.

قال ابن هشام: ويقال أغُدّة كغُدّة الإبل، وموتاً في بيت سَلُوليّة.

موت أربد بصاعقة: قال ابن إسحاق: ثم خرج أصحابه حين واروه، حين قدِموا أرض بني عامر شاتين، فلما قدِموا أتاهم قومهم فقالوا: ما وراءك يا أربد؟ قال: لا شيء والله، لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددْت أنه عندي الآن، فأرميه بالنّبل حتى أقتله، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جَمَله صاعقة، فأحرقهما. وكان أربد بن قيس أخا لَبِيد بن ربيعة لأمّه.

ما نزل في عامر وأربد: قال ابن هشام: وذكر ريد بن أسلم، عن عطاء ابن يسار، عن ابن عباس قال: وأنزل الله عزّ وجلّ في عامر وأربد: ﴿اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾[3] إلى قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾[4].

قال: المعقِّبات: هي من أمر الله يحفظون محمداً، ثم ذكر أربد وما قتله الله به، فقال: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ إلى قوله: ﴿شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾[5].

شعر لَبِيد في بكاء أربد: قال ابن إسحاق: فقال لَبِيد يبكي أربد:

ما إن تُعدِّي المَنونُ من أحدِ ... لا والدٍ مُشْفِقٍ ولا ولدِ

---

(١) الغدة: مرض يصيب الإبل تموت منه. البكر: الفتى من الإبل.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي (٥/٤٠) باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة وحديث عضل والقارة.. الخ.
(٣) سورة الرعد ـ الآية ٨.
(٤) سورة الرعد ـ آخر الآية ١١.
(٥) سورة الرعد ـ من الآية ١٣.

أخشى علـى أرْبَـدَ الحُتـوفَ ولا أرهـبُ نَـوْءَ السِّـمـاكِ والأسـدِ
فـعيـنُ هـلاَّ بَكَـيـتِ أرْبَـدَ إذْ قُمنـا وقـام النِّسـاء في كَبَـد[1]
إن يَشْغَبـوا لا يُبـالِ شغْبُهـمُ أو يقصِـدوا في الحُكُـوم يَقْتصـد
حُـلْوٌ أريـبُ وفـي حـلاوتـه مُـرٌّ لـطيفُ الأحشـاء والكبِـد
وعـيـن هـلا بـكـيـت أربـد إذ ألـوت ريـاح الشتـاء بـالعضـد
وأصـبحـتْ لاقِحـاً مُـصرَّمـةً حتّـى تجـلَّتْ غـوابـرُ المُـدَدِ[2]
أشـجـعُ من لـيثِ غـابـةٍ لَحِـم ذو نَهْمـةٍ في العُـلا ومُنْتَقَـد[3]
لا تـبلُغُ الـعيـنُ كُـلَّ نَـهْمتهـا ليلةَ تُـمْسي الجيـادُ كـالقِـدَاد[4]
البـاعـثُ النَّـوْحَ في مـآتِـمـهِ مثـلَ الظِّبـاء الأبكـارِ بـالجرَدِ[5]
فجَّعني البـرقُ والصَّـواعـقُ بـالـ ـفـارس يـوم الكـريهـة النُّجُـد
والحـارِبِ الجـابـرِ الحـريبَ إذا جـاءَ نَكيبـاً وإن يَعُـد يَعُـد[6]
يعفـو على الجَهْـدِ والسؤالِ كمـا يُنبتُ غيثُ الـربيع ذو الـرَّصَـد[7]
كـلّ بـني حُـرَّةٍ مـصيـرُهُـمُ قُـلٌّ وإن أكـثـرَتْ مـن الـعـددِ
إن يُغْبَـطُوا يُـهْبَـطُوا وإن أَمِرُوا يـومـاً فـهم لـلهـلاك والـنَّـفَـد

قـال ابن هشام: بيتـه: «والحارب الجـابـر الحـريب» عن أبي عُبيـدة، وبيته: «يعفو على الجهد»: عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال لَبيد أيضاً يبكي أربد:

ألا ذهـب المُـحـافِظُ والمُـحـامي ومـانـعُ ضيْمهـا يـومَ الخِصـامِ
وأيـقـنـتُ الـتـفـرُّقَ يـومَ قـالـوا تُقُسِّـم مـالُ أرْبَـدَ بـالـسـهـام

---

(١) الكَبَد: المشقّة.
(٢) مصرّمة: لا لبن فيها. الغوابر: البقايا.
(٣) لحم: كثير أكل اللحم. منتقد: يصير بالأمور.
(٤) القِدَد: السيور تصنع من الجلد.
(٥) النّوح: جماعة النساء النائحة. الجرد: الأراضي القاحلة.
(٦) الحارب: السالب. والنكيب: المصاب.
(٧) يعفو: يعطي. الرصد: الكلأ القليل.

تُطيرُ عدائدَ الأشراكِ شَفْعاً وِوتْراً والزّعامةَ للغُلام[1]
فودِّع بالسّلام أبا حُريزٍ وقلَّ وداعُ أرْبَدَ بالسلام
وكنتَ إمامَنا ولنا نِظاماً وكان الجَزْعُ يُحْفظُ بالنّظام[2]
وأربدُ فارسُ الهَيْجا إذا ما تقعَّرت المشاجرُ بالفِئام[3]
إذا بَكَر النّساء مُرَدَّفاتٍ حواسِرَ لا يُجِئْنَ على الخِدام[4]
فواءَلَ يومَ ذلك مَن أتاه كما وأَلَ المُحِلُّ إلى الحرام[5]
ويَحمدُ قِدْرَ أرْبدَ من عَرَاها إذا ما ذُمَّ أربابُ اللِّحام
وجارتُهُ إذا حَلَّتْ لَدَيْه لها نَفَلٌ وحظٌ من سَنام
فإن تقعُدْ فمكْرُمةٌ حَصانٌ وإن تَظْعَنْ فمُحْسِنةُ الكلام
وهل حُدِّثْتَ عن أَخَوَيْن داما على الأيام إلّا ابني شَمام[6]
وإلّا الفرقَدَين وآلَ نعْشٍ خوالدَ ما تُحَدَّثُ بانْهِدام[7]

قال ابن هشام: وهي في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وقال لَبِيد أيضاً يبكي أربد:

انْعَ الكريمَ للكريم أربداً إنْعَ الرئيسَ واللَّطيفَ كَبِدا
يُحْذِي ويُعْطي ماله ليُحمدا أدْماً يُشبِّهْنَ صُواراً أبَّدا[8]
السابِلَ الفضلِ إذا ما عُدِّدا ويملأُ الجفنةَ مَلْئاً مَددا[9]

---

(١) العدائد: الأنصباء. الأشراك: الشركاء.
(٢) الجزع: الخرز اليماني.
(٣) المشاجر: نوع من الهودج. الفئام: ما يفرش في الهودج.
(٤) يجئن: يعطين. الخدام مفردها خدمة، الساق.
(٥) وأل: ألجأ.
(٦) ابنا شمام: جبلان.
(٧) الفرقدان: نجمان نيران. وآل نعش يقصد بنات نعشى الكبرى والصغرى: مجموعات من النجوم.
(٨) يحذى: يعطى. الأدم: الإبل البيض. الصور: القطيع من بقر الوحش. أبّدا: نافرة.
(٩) الجفنة: وعاء يصنع من خشب الأبنوس.

رِفْهَاً إذا يأتي ضَرِيكٌ وَرَدا ... مثلُ الذي يَقْرُو جُمُدا[1]
يزدادُ قُرباً منهمُ أنْ يُوعَدا ... أورثْتَنا تُراثَ غيرِ أنكَدا
غِيًّاً ومالاً طارِفاً وولَدا ... شَرْخاً صُقوراً يافعاً وأمردا[2]

وقال لَبِيد أيضاً:

لن تُفنيا خَيراتِ أر ... بَد فابْكيا حتَّى يعودا
قولا هُو البطل المُحا ... مي حين يُكْسَون الحديدا
ويصُدُّ عنّا الظّالمي ... ـن إذا لَقِينا القومَ صِيدا[3]
فاعتاقَه ربّ البريّـ ... ـة إذ رأى أن لا خلودا[4]
فثَوى ولم يُوجَع ولم ... يُوصَب وكان هو الفقيدا

وقال لَبِيد أيضاً:

يذكّرني بأرْبدَ كلُّ خصْم ... ألدَّ تُخالُ خُطَّته ضِرارا[5]
إذا اقتصدوا فمقْتصد كريمٌ ... وإن جارُوا سواءَ الحقّ جارا
ويهدي القومَ مطَّلِعاً إذا ما ... دليلُ القوم بالمَوْماة حارا[6]

قال ابن هشام: آخرها بيتاً عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال لَبِيد أيضاً:

أصبحتُ أمْشي بعد سلمى بن مالكٍ ... وبعد أبي قَيس وعُروة كالاجَبّ[7]
إذا ما رأى ظِلَّ الغُراب أضجّه ... حِذاراً على باقي السّناسن والعَصَبْ[8]

قال ابن هشام: وهذان البيتان في أبيات له.

---

(١) رفها: متكرراً. الضريك: الفقير. الغيل: أكمة الأسد. يقرو: يتتبع. جمد: اسم جبل.
(٢) شرخاً: شباباً. اليافع: الغلام قارب البلوغ. والأمرد: الذي لما تنبت لحيته.
(٣) الصيد: المتكبرون.
(٤) اعتاقه: أعاقه عن أن يبلغ غايته.
(٥) ألد: قوى الخصومة.
(٦) الموماة: الصحراء.
(٧) الأجب: مقطوع السنام.
(٨) أضجه: صاح عليه. السناسن: فقار الظهر.

قدوم ضِمام بن ثعلبة وافداً عن بني سعد بن بكر

قال ابن إسحاق: وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ رجلاً منهم، يقال له ضِمام بن ثعلبة.

إسلامه: قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن الوليد بن نُوَيفع، عن كُرَيب، مولى عبد الله بن عباس، عن ابن عباس، قال: بعثت بنو سعد بن بكر ضِمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ، فقدِم عليه، وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه؛ وكان ضِمام رجلاً جلْداً أشعر ذا غديرتين(1)، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه، فقال: أيكم ابن عبد المطّلب؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «أنا ابن عبد المطلب». قال: أمحمد؛ قال: نعم؛ قال: يابن عبد المطّلب، إنّي سائلك ومُغَلِّظٌ عليك في المسئلة، فلا تجدنّ في نفسك، قال: «لا أجد في نفسي، فسَل عمّا بدا لك»، قال: أنشدك الله إلٰهك وإلٰه مَن كان قبلك، وإلٰه من هو كائن بعدك، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نُشرك به شيئاً، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه» قال: «اللّهم نعم»، قال: فأنشدك الله إلٰهك وإلٰه مَن كان قبلك، وإلٰه من هو كائن بعدك، آلله أمرك أن نصلّي هذه الصلوات الخمس؟ قال: «اللّهم نعم»، قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة. الزكاة والصيام والحجّ وشرائع الإسلام كلّها، ينشده عند كل فريضة منها، كما ينشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإنّي أشهد أن لا إلٰه إلّا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله؛ وسأؤدّي هذه الفرائض، وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص. ثم انصرف إلى بعيره راجعاً. قال: فقال رسول الله ﷺ: «إنْ صدق ذو العَقيصتين دخل الجنة».

دعوة قومه للإسلام: قال: فأتى بعيره فأطلق عقاله، ثم خرج حتى قدِم

---

(1) غديرتين: ذُؤَابتين من شَعْر.

على قومه، فاجتمعوا إليه. فكان أول ما تكلّم به أن قال: بئست اللّات والعُزّى! قالوا: مَه يا ضِمام اتّق البَرَص، اتّق الجُنون! قال: ويلكم! إنّهما والله لا يضرّان ولا ينفعان، إنّ الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به، وما نهاكم عنه. قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلاّ مسلماً.

قال: يقول عبد الله بن عباس: فما سمعنا بوافدٍ قدِم كان أفضل من ضِمام بن ثعلبة[1].

قدوم الجارود[2] في وفد عبد القيس

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله ﷺ الجارود بن عمرو بن حنش أخو عبد القيس.

قال ابن هشام: الجارود بن بِشْر بن المُعَلّى في وفد عبد القيس وكان نصرانياً.

إسلامه: قال ابن إسحاق: حدّثني من لا أتّهم، عن الحسن، قال: لما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلّمه: فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، ودعاه، ورغّبه فيه، فقال: يا محمد، إنّي قد كنت على دِين، وإنّي تاركٌ ديني لدينك، أفتضمن لي ديني؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «نعم أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه». قال: فأسلم وأسلم أصحابه، ثم سأل رسول الله ﷺ

---

(١) قصّة ضِمام في الصحيحين من حديث أنس. أخرجه البخاري في كتاب العلم (١/٢٣) باب القراءة والعرض على المحدّث. ومسلم في كتاب الإيمان (٢٣/١٧) باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله وشرائع الدين.. وانظر طبقات ابن سعد ١/٢٩٩، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٦٨٠.

(٢) أنظر عنه في أسد الغابة ١/٢٦٠، ٢٦١، والاستيعاب ١/٢٤٧ ـ ٢٤٩، والإصابة ١/٢١٦، ٢١٧، رقم ١٤٠٢.

الحملان، فقال: «والله ما عندي ما أحملكم عليه». قال: يا رسول الله، فإنّ بيننا وبين ضَوالٍ من ضَوَالّ الناس؛ أَفَنَتَبَلّغ عليها إلى بلادنا؟ قال: «لا، إيّاك وإيّاها، فإنّما تلك حَرَق النار».

موقفه من ردّة قومه: فخرج من عنده الجارود راجعاً إلى قومه، وكان حَسَن الإسلام، صلْباً على دينه، حتى هلك وقد أدرك الردّة، فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الغَرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر[1]، قام الجارود فتكلّم، فتشهد شهادة الحقّ، ودعا إلى الإسلام فقال: أيها الناس، إنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأكفِّر[2] من لم يشهد[3].

قال ابن هشام: ويُروى: وأكفي من لم يشهد.

إسلام المنذر بن ساوي: قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرميّ قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوي العبدي، فأسلم فحسُن إسلامه، ثم هلك بعد رسول الله ﷺ قبل ردّة أهل البحرين، والعلاء عنده أميراً لرسول الله ﷺ على البحرين[4].

قدوم وفد بني حنيفة ومعهم مُسَيلمة الكذّاب

وقدِم على رسول الله ﷺ وفد بني حنيفة، وفيهم مُسَيلمة بن حبيب الحنفي الكذّاب.

قال ابن هشام: مُسيلمة بن ثُمامة، ويُكَنّى أبا ثُمامة.

قال ابن إسحاق: فكان منزلهم في دار بنت الحارث امرأة من الأنصار،

---

(١) أسمه المنذر: وسُمّي الغرور لأنه غرّ قومه يوم حرب الرّدة (الروض الأنف).

(٢) في تاريخ الطبري ١٣٧/٣ «وأنهى».

(٣) تاريخ الطبري ١٣٦/٣، ١٣٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٨٢، وانظر طبقات ابن سعد ٣١٤/١، ٣١٥.

(٤) تاريخ الطبري ١٣٧/٣.

ثم من بني النجّار، فحدثني بعض علمائنا من المدينة: أنّ بني حنيفة أتت به رسول الله ﷺ تستره بالثياب، ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه. معه عَسِيب من سَعَف النّخْل، في رأسه خُوصات؛ فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، وهم يسترونه بالثياب، كلّمه وسأله، فقال له رسول الله ﷺ: «لو سألتني هذا العَسِيب ما أعطيتُكَه»[1].

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة أنّ حديثه كان على غير هذا، زعم أنّ وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ، وخلّفوا مُسَيلمة في رِحالهم، فلما أسلموا ذكروا مكانه، فقالوا: يا رسول الله إنّا قد خلّفنا صاحباً لنا في رِحالنا وفي ركابنا يحفظها لنا، قال: فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم، وقال: «أما إنه ليس بشرِّكم مكاناً»[2]؛ أي لحِفْظه ضَيْعة أصحابه، وذلك الذي يريد رسول الله ﷺ.

تنبّؤ مُسَيلمة: قال؛ ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ: وجاءوه بما أعطاه، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدّ عدوّ الله وتنبّأ وتكذّب لهم، وقال: إنّي أُشْرِكت في الأمر معه. وقال لوفده الذين كانوا معه: ألم يقل لكم حين ذكرتموني له: أما إنّه ليس بشرّكم مكاناً، ما ذاك إلاّ لِما كان يعلم أنّي قد أشركت في الأمر معه، ثم جعل يسجع لهم الأساجيع، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة[3] للقرآن: «لقد أنعم الله على الحُبْلَى، أخرج منها نَسْمة تسعى، من بين صِفاق[4] وحَشَى». وأحلّ لهم الخمر والزّنا، ووضع عنهم الصلاة، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبيّ، فأصفقت[5] معه حنيفة على ذلك، فالله أعلم أيّ ذلك كان[6].

---

(١) تاريخ الطبري ١٣٧/٣ وفيه «لو سألتني هذا العَسِيب الذي في يدي ما أعطيتك».
(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣١٧/١.
(٣) مضاهاة: مشابهة.
(٤) الصفاق ما رقّ من البطن.
(٥) أصفقت: اجتمعت.
(٦) تاريخ الطبري ١٣٧/٣، ١٣٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٨٢، ٦٨٣، وانظر طبقات ابن =

قدوم زيد الخيل في وفد طيّء

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيّء، فيهم زيد الخيل، وهو سيّدهم، فلما انتهوا إليه كلّموه، وعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام، فأسلموا، فحسُن إسلامهم، وقال رسول الله ﷺ، كما حدّثني من لا أتّهم من رجال طيّء؛ ما ذكر لي رجل من العرب، بفضل، ثم جاءني، إلاّ رأيته دون ما يقال فيه، إلاّ زيد الخيل: فإنه لم يبلغ كلّ ما كان فيه، ثم سمّاه رسول الله ﷺ زيد الخير، وقطع له فَيْداً وأرَضِين معه؛ وكتب له بذلك. فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعاً إلى قومه: فقال رسول الله ﷺ: «إن يَنْج زيد من حُمَّى المدينة» فإنه قال: قد سمّاها رسول الله ﷺ باسم غير الحُمَّى، وغير أم مَلْدَم[1] فلم يُثبِته - فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه، يقال له فَرْدَة، أصابته الحُمَّى بها فمات، ولما أُحسّ زيد بالموت قال:

أَمُـرْتَحِل قومي المَشارقَ غُـدْوةً ... وأُتـركُ فـي بيتٍ بفَـرْدة مُنْجِـدِ

ألا رُبَّ يـومٍ لـو مـرِضْتُ لَعَـادني ... عـوائـدُ من لم يُبْـرَ منهنّ يَجْهَـدِ

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه، التي قطع له رسول الله ﷺ، فحرَّقتها بالنار[2].

قدوم عديّ بن حاتم

وأما عديّ بن حاتم فكان يقول، فيما بلغني: ما من رجل من العرب

= سعد ١/٣١٦، ٣١٧.

(١) والاسم الذي ذهب عن الراوي من أسماء الحُمَّى، وهو أمّ كَلَبة، قاله أبو عُبيدة في مقاتل الفرسان، ولم أره، ولكن رأيت البَكْريّ ذكره في باب أفرده من أسماء البلاد، ولها أيضاً اسم سوى هذه الأسماء ذكره ابن دُرَيد في الجمهرة، قال: سَبَاط، من أسماء الحُمّى على وزن رَقاش، وأما أم مَلْدَم، فيقال بالدال، وبالذال وبكسر الميم وفتحها، وهو من اللدْم وهو شدّة الضرب، ويحتمل أن يكون أم كلبة هذا الاسم مغيّراً من كُلبة بضمّ الكاف، والكُلبة شدّة الرّعْدة، وكلب البرد شدائده، (أنظر الروض ٤٥/٢٢٧).

(٢) تاريخ الطبري ١٤٥/٣، ١٤٦، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٨٦، ٦٨٧، وانظر الطبقات لابن سعد ٣٢١/١.

كان أشدّ كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به منّي، أمّا أنا فكنت امرءاً شريفاً وكنت نصرانياً، وكنت أسير في قومي بالمرباع[1]، فكنت في نفسي على دين وكنت ملكاً في قومي، لما كان يصنع بي. فلمّا سمعت برسول الله ﷺ كرهته، فقلت لغلام كان لي عربيّ، راعياً لإبلي: لا أبا لك، أعدُد لي من إبلي أجمالاً ذُللاً[2] سِماناً، فاحتبسْها قريباً منّي، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطيء هذه البلاد فآذني، ففعل، ثم إنه أتاني ذات غداة، فقال: يا عديّ. ما كنتَ صانعاً إذ غشِيَتْك خيلُ محمد، فاصنعه الآن، فإنّي قد رأيت رايات، فسألت عنها، فقالوا: هذه جيوش محمد. قال: فقلت: فقرّب إليّ أجمالي، فقرّبها، فاحتملت بأهلي وولدي، ثم قلت: ألحق بأهل ديني من النصارى بالشام؛ فسلكت الجوشية، ويقال: الحوشية ـ فيما قال ابن هشام ـ وخلفت بنتاً[3] لحاتم في الحاضر؛ فلما قدِمت الشام أقمت بها.

أسْر الرسول ابنة حاتم: وتُخالفني خيل لرسول الله ﷺ، فتصيب ابنةَ حاتم، فيمن أصابت، فقُدِم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طيّء وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام، قال: فجُعِلت بنت حاتم في حظيرة بباب المسجد، كانت السبايا يُحْبسْن فيها، فمرّ بها رسول الله ﷺ، فقامت إليه وكانت امرأة جَزْلةً، فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد فامنُن عليّ منَّ الله عليك. قال: «ومن وافدك»؟ قالت: عديّ بن حاتم. قال: «الفارّ من الله ورسوله»؟ قالت: ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني، حتى إذا كان من الغد مرّ بي، فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس. قالت: حتى إذا كان بعد الغد مرّ بي وقد يئست منه، فأشار إليّ رجل من

---

(١) أي أخذ ربع الغنيمة وكذلك كان يفعل الرؤساء في الجاهلية.

(٢) الذلل: السهلة. وهي الجمال السهلة التي قد رُوِّضت.

(٣) يقول السهيلي: اسمها سفانة، لأني وجدت في خبر عن امرأة حاتم تذكر فيه سخائه قالت: فأخذ حاتم عديّاً يعلّله من الجوع، وأخذت أنا سفانة، ولا يُعرف لعديّ ولد، انقرض عِقبه، ولحاتم عقِب من قِبَل عبد الله بن حاتم، ذكره القُتَبيّ، ولا يُعرف له بنت إلّا سفانة، فهي إذاً هذه المذكورة في السيرة. والله أعلم. (الروض الأنف ٤/٢٢٨).

خلفه أنْ قومي فكلّميه، قالت: فقمت إليه، فقلت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنُن عليّ منّ الله عليك؛ فقال رسول الله ﷺ: «قد فعلت، فلا تَعْجلي بخروجٍ حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة، حتّى يبلّغك إلى بلادك، ثم آذنيني». فسألت عن الرجل الذي أشار إليّ أن أكلّمه، فقيل: عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأقمت حتى قدِم ركب من بَلّي أو قُضاعة، قالت: وإنّما أريد أن آتي أخي بالشام. قالت: فجئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، قد قدِم رهْطٌ من قومي، لي فيهم ثقة وبلاغ. قالت: فكساني رسول الله ﷺ، وحملني، وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدِمت الشام.

قال عديّ: فوالله إنّي لقاعدٌ في أهلي، إذ نظرت إلى ظعينة[1] تصوّب إليَّ تؤمُّنا، قال: فقلت: ابنة حاتم، قال: فإذا هي هي، فلمّا وقفت عليّ انْسَلَحَت[2] تقول: القاطع الظالم، احتملْتَ بأهلك وولدك، وتركت بقيّة والدك عورتك، قال: قلت: أي أُخَيَّة، لا تقولي إلاّ خيراً، فوالله مالي من عُذر، لقد صنعت ما ذكرت. قال: ثم نزلت فأقامت عندي، فقلت لها ـ وكانت إمرأة حازمة ـ ماذا تَرين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبيّاً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تذلّ في عزّ اليمن، وأنت أنت. قال: قلت: والله إنّ هذا الرأي[3].

قال: فخرجت حتى أُقدِم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه، وهو في مسجده، فسلّمت عليه، فقال: «من الرجل»؟ فقلت: عديّ بن حاتم؛ فقام رسول الله ﷺ، فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إليه، إذ لقِيَتْه امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلّمه في حاجتها؛

---

(١) الظعينة: المرأة في الهودج.
(٢) انْسَلَحت: أخذت تَلوم.
(٣) في تاريخ الطبري ٣/١١٤ «إن هذا للرأي».

قال: قلت في نفسي: والله ما هـذا بملك؛ قال: ثم مضى بي رسـول الله ﷺ حتى إذا دخل بي بيته، تناول وسادة من أدم محشوّة ليفاً، فقذفها إليّ؛ فقال: «اجلس على هذه»، قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها. فقال: «بـل أنت،» فجلست عليهـا، وجلس رسول الله ﷺ بـالأرض؛ قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: «إيه يا عديّ بن حـاتم! ألم تك ركـوسيّاً»؟ قـال: قلت بلى، قـال: «أولم تكن تسير في قـومك بـالمِرْبـاع»؟ قال: قلت: بلى، قال: «فإنّ ذلك لم يكن يحلّ لك في دينك»؛ قـال قلت: أجل والله، وقـال: «وعـرفت أنه نبيّ مُـرْسَل، يَعلم مـا يُجهل»؛ ثم قـال: «لعلّك يـا عـديّ إنّمـا يمنعك من دخولٍ في هذا الدّين ما ترى من حـاجتهم، فوالله ليـوشكنّ المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه؛ ولعـلّك إنّما يمنعك من دخـولٍ فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلّة عددهم، فوالله ليوشكنّ أن تسمع بالمرأة تخـرج من القـادسيـة على بعيـرهـا حتى تـزور هـذا البيت، لا تخـاف؛ ولعلّك إنّمـا يمنعـك من دخولٍ فيـه أنك تـرى أنّ المُلْك والسلطان في غيـرهـم، وايْم الله ليوشكنّ أن تسمع بـالقصور البِيض من أرض بـابل قـد فُتحت عليهـم»؛ قال: فأسلمت.

وكان عديّ يقـول: قد مضت اثنتـان وبقيت الثالثـة، والله لتكوننّ، قـد رأيت القصور البِيض من أرض بابـل قد فُتِحت، وقـد رأيت المرأة تخـرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحجّ هذا البيت، وايْم الله لتكون الثالثة، ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه(١).

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١١٢ ـ ١١٥، تاريخ الإسلام (المغازي) ٢٨٧، ٢٨٨
والحديث أخرجه ابن حجر في الإصابة ٢/٤٦٨ رقم ٥٤٧٥، وأخـرج البخاري نحـوه في كتـاب المناقب (٤/١٧٥، ١٧٦) بـاب علامـات النبوّة في الإسـلام، من طريق النضـر، عن أسرائيل، عن سعد الطائي، عن مُحِلّ بن خليفة، عن عديّ بن حاتم.

قدوم فروة بن مُسَيْك المُراديّ

قال ابن إسحاق: وقدِم فروة بن مُسَيْك المُراديّ على رسول الله ﷺ مفارِقاً لملوك كِنْدة، ومُباعداً لهم، إلى رسول الله ﷺ.

وقد كان قُبيل الإسلام بين مراد وهَمْدانْ وقعة؛ أصابت فيها هَمْدان من مُراد ما أرادوا؛ حتى أثخنوهم في يوم كان يقال له: يوم الردْم[1]، فكان الذي قاد هَمْدان إلى مُراد: الأجدع بن مالك في ذلك اليوم.

قال ابن هشام: الذي قاد همدان في ذلك اليوم مالك بن حُريم الهمداني.

قال ابن إسحاق: وفي ذلك اليوم يقول فروة بن مُسَيك:

مَرَرْنا على لُفَاة[2] وهُنَّ خُوصٌ[3] ... ينازعن الأعِنَّة يَنْتَحينا[4]

فإنْ نَغلِبْ فغلّابونَ قِدْماً ... وإن نُغْلَبْ فغيرُ مُغَلَّبينا[5]

وما إن طِبْنا جُبْنٌ ولكن[6] ... مَنَايانا وطُعْمةُ حيناً فحينا

كذاك الدَّهْرُ دولته سِجالٌ ... تَكرُّ صُروفُهُ حيناً فحينا

فبينا ما نُسرُّ به ونَرْضى[7] ... ولو لُبِسَت غَضَارَتُه[8] سِنينا

---

(١) في تاريخ الطبري ٣/١٣٤ و ١٣٥ «الرَّزْم».

(٢) لُفاة: بالضمّ في أوله كما أثبته ياقوت في معجم البلدان ٥/١٩، وأثبته البكري بكسر أوله في معجم ما استعجم ٤/١١٥٩.

(٣) خُوص: غائرات العيون.

(٤) ينتحين: يعترضن ويتعمّدْن.
وهذا البيت لم يرد في المطبوع من تاريخ الطبري، فربّما سقط سهواً.

(٥) المعنى: أن نغلب الناس فهذا من طبيعتنا وما تعوّدنا عليه منذ القدم، أما وقد انهزمنا مرة فلن تتكرّر. وذلك أن همدان ظهرت عليهم في يوم الردم. وفي تاريخ الطبري ٣/١٣٥:
وانْ تُهـزَم فغيرُ مُهَـزَّمِينا

(٦) في تاريخ الطبري:
وإن نُقتل فلا جُبْنٌ ولكن
وطبنا: شأننا وعادتنا.

(٧) في تاريخ الطبري:
فبيناهُ يُسَرُّبه ويَرضى

(٨) الغضارة: الطراوة.

إذ انـقـلـبـت بـه كـرّاتُ دهْـرٍ فـألفيتَ آلألَى غُـبِـطوا[1] طَحِينـا
فمن يُغْبَط بـرَيْـب الـدَّهْـر مِنهم يجِـدْ رَيْبَ الـزَّمـان لـه خَئـونـا
فـلو خَـلَدَ الـمـلوكُ إذن خَـلَدْنـا ولـو بـقي الـكـرام إذَن بـقِـيـنـا
فـأفْنى ذلكُمْ سَـرَوات[2] قـومـي كـمـا أفْـنـى الـقـرونَ الأوّلـيـنـا

قـال ابن هشـام: أول بيت منهـا، وقـولـه: «فـإن نُغْلَب» عن غيـر ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: ولما توجّـه فروة بن مُسَيْـك إلى رسول الله ﷺ مفـارِقاً لملوك كِنْدة، قال:

لمـا رأيت ملوك كِنْـدَة أعـرَضَـت كالرِّجْل خان الرِّجْل عِـرْقُ نسائهـا[3]
قـرَّبْتُ[4] راحلتي أؤُمُّ محـمـداً أرجـو فـواضِلهـا وحُسْنَ ثـرائهـا

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبيدة: «أرجو فواضله وحسن ثنائها».

قـال ابـن إسحـاق: فـلمـا انتهـى إلـى رسـول الله ﷺ، قـال لـه رسول الله ﷺ، فيما بلغني: «يا فروة، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردْم»؟ قال: يا رسول الله، من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الـردْم لا يسوء ذلـك! فقال رسـول الله ﷺ له: «أمـا إنّ ذلك لم يـزدْ قومـك في الإسـلام إلاّ خيراً».

واستعمله النبيّ ﷺ على مُراد وزُبَيد ومَذحِج كلّها، وبعث معه خالد بن سعيـد بن العـاص على الصـدقـة، فكـان معـه في بـلاده حتى تُـوُفّي رسول الله ﷺ[5].

---

(١) غُبِطوا: حسُنت حالتهم.
(٢) سَرَوات: أشراف.
(٣) عِرْق النسا: عرق مستبطن في الفخذ، وهو مقصور، مدّه لضرورة الشعر.
(٤) في تاريخ الطبري «يمَّمْت».
(٥) تاريخ الطبري ٣/١٣٤ ـ ١٣٦، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٨٩.

قدوم عمر بن مَعَد يكرب في أناسٍ من بني زُبَيْد

وقدِم على رسول الله ﷺ عمرو بن مَعدِ يكرب في أناسٍ من بني زُبيد، فأسلم؛ وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشُوح المراديّ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ: يا قيس إنّك سيّد قومك، وقد ذُكر لنا أنّ رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز، يقول إنّه نبيّ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فإنْ كان نبيّاً كما يقول، فإنّه لن يخفى عليك، وإذا لقِيناه اتّبعناه، وإن كان غير ذلك علِمنا عِلْمه، فأبى عليه قيس ذلك، وسفّه رأيه، فركب عمرو بن مَعدِ يكرب حتى قدِم على رسول الله ﷺ، فأسلم، وصدّقه، وآمن به.

فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عَمْراً، وتحطّم عليه[1]، وقال: خالفني وترك رأيي فقال عمرو بن مَعدِ يكرب في ذلك:

أمرتك يوم ذي صنعا ء أمراً بادياً رَشَدُهْ
أمرْتُكَ باتّقاء الله والمعروف تتعده[2]
خرجتَ من المنَى مثل الـ حمير غره وتده[3]
تمنّاني على فرسٍ عليه جالساً أسدُه
عليَّ مُفاضةٌ كالنَّهْـ ي أخلصَ ماءَه جَدَدُه[4]
تَرُدُّ الرُّمحَ مَثْنيّ السِّـ نانِ عوائراً قِصَدُه[5]
فلو لاقيْتني للقيـ ـتَ[6] لَيثاً فوقه لِبَدُه[7]

---

(١) تحطّم عليه: اشتدّ عليه.

(٢) في تاريخ الطبري «مَا تعده».

(٣) في تاريخ الطبري:
خرجت من المنى مثل الـ حمار أعاره وَتِدُه

(٤) مُفاضة: أي درع مُفاضة، وهي الواسعة. النَّهي. غدير الماء. الجَدَد: الأرض الصلبة.

(٥) عوائر: متطايرة. القِصَد: القِطَع المتطايرة من الرمح.

(٦) في تاريخ الطبري «فلو لاقيتني لاقيت».

(٧) اللِبَد: الشعر الذي على أكتاف ورءوس الأسودْ. المفرد: لِبدَة.

تـلاقي شَنْبثاً شَثْنَ الـ ـبـراثِنِ نـاشِـزاً كَتَـدُه[1]
يسـامي القِرْنَ إنْ قِـرْنٌ تيـمَّـمَـهُ فـيعـتـضِـدُه[2]
فـيـأخـذُه فـيـرفـعُـه فيخـفِضُـه فـيقـتصِـدُه[3]
فـيـدْمَغـه فـيـحـطِمُـهُ فـيخْضِـمـه فـيـزدرِدُه[4]
ظلومُ الشِّـرْك فيـمـا أحـ رزَتْ أنـيـابُـهُ ويـدُه[5]

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبيدة:

أمـرتـك يـوم ذي صنعا ء أمـراً بـيِّـنـاً رَشَـدُه
أمـرتـك بـاتِّـقـاء الله تـأتـيـه وتَـتَّـعِـدُه
فكنت كـذي الحمير غـر رَه مـمـا بـه وتِـدُه

ارتداد عمرو بعد موت الرسول: قال ابن إسحاق: فـأقام عمـر بن مَعد يكـرب في قومـه من بني زُبَيد وعليهم فـروة بن مُسَيك، فلمـا تُوُفّي ﷺ ارتـدّ عمرو بن مَعد يكرب وقال حين ارتدّ:

وجـدنـا مُـلْك فـروةَ شَـرَّ مُـلْكٍ حِـمـاراً سـافَ مُنْخـره بـثَـفْـر[6]
وكـنـتَ إذا رأيـتَ أبـا عُـمَـيْـرٍ تـرى الحُـوَلاَء من خُبْثٍ وغـدْر[7]

قال ابن هشام: قوله بثفر، عن أبي عُبيدة.

---

(١) الشَنْبَث: الذي لا يزايل خصْمه. الشَثن: غليظ الأصابع. البراثن: مخالب الأسد. ناشز: مرتفع. الكَتَد: ما بين الكتفين.

(٢) يعتضده: يضمه تحت عضُده فيصرعه.

(٣) يقتصده: يصرعه.

(٤) يدْمَغه: يشجّ رأسه حتى يصل الجرح إلى أمّ دماغه. يحطِمُه: يكسره. يخضمه: يأكله. يزدرده: يبتلعه.

(٥) زاد في تاريخ الطبري خمسة أبيات ١٣٤/٣ عما عنا. وفي تاريخ الطبري ١٣٤/٣ «مُنْخَرهُ بقَذْر».

(٦) سلف: شمّ. الثفر: البهائم كالرَّحِم للنساء.

(٧) الحُوَلاء: ما يخرج من الأخلاط مع الولد ساعة الولادة، يشبّه من يهجوه أنه في الخبث والقذارة مثل الحُوَلاء.

قدوم الأشعث بن قيس في وفد كِنْدَة

قال ابن إسحاق: وقدِم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس، في وفد كِنْدَة، فحدّثني الزُّهْري بن شهاب أنه قدِم على رسول الله ﷺ في ثمانين راكباً من كِنْدة، فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجدَه، وقد رجَّلوا[1] جُمَمَهم[2] وتكحّلوا، وعليهم جُبَب الحِبَرَة، وقد كفَّفوها[3] بالحرير، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال: «ألم تُسْلِموا»؟ قالوا: بلى، قال: «فما بال هذا الحرير في أعناقكم»، قال: فشقُّوه منها، فألقوْه.

ثم قال له الأشعث بن قيس: يا رسول الله نحن بنو آكل المُرار، وأنت ابن آكل المُرار، قال فتبسّم رسول الله ﷺ، وقال: «ناسبوا بهذا النّسب العباسَ بن عبد المطّلب، وربيعة بن الحارث»، وكان العباس وربيعة رجُلين تاجرين وكانا إذا شاعا في بعض العرب، فسُئلا ممّن هما، قالا: نحن بنو آكل المُرار، يتعزّزان بذلك، وذلك أنّ كِنْدة كانوا ملوكاً. ثم قال لهم: «لا، بل نحن بنو النضْر بن كِنانة، لا نقفوا[4] أُمَّنا، ولا ننتفي من أبينا»، فقال الأشعث بن قيس: هل فرغتم يا معشر كِنْدَة؟ والله لا أسمع رجلاً يقولها إلّا ضربته ثمانين[5].

قال ابن هشام: الأشعث بن قيس من ولد آكل المُرار من قِبل النساء، وآكل المُرار: الحارث بن عمرو بن حُجْر بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كِنْدي، ويقال كِنْدة، وإنّما سُمّي آكل المُرار، لأنّ

---

(١) رجّلوا: مشّطوا.

(٢) الجُمَمْ جمع: جُمّة. مجتمع شَعر مُقَدَّم الرأس.

(٣) كفّفوا: طرّزوا حروفها.

(٤) لا نقفوا أُمّنا: لا نتبع نَسَبَ أمّنا. وقد أصاب الأشعث في بعض قوله فقد كان من جدّات الرسول ﷺ من هي من ذلك القبيل، منهنّ دعد بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث الكِنْديّ، وهي أمّ كلاب بن مُرّة، وقيل: بل هي جدّة كلاب، أمّ أمّه هند. (الروض الأنف ٤/٢٢٨).

(٥) تاريخ الطبري ٣/١٣٨، ١٣٩.

عمرو بن الهبولة الغسّاني أغار عليهم، وكان الحارث غائباً، فغنم وسبى، وكان فيمن سبى أمّ أناس بنت عوف بن مُحلّم الشيباني، امرأة الحارث بن عمرو فقالت لعمرو في مسيره: لكأنّي برجل أدلم[1] أسود، كأنّ مشافره مشافر بعير آكل مُرار[2] قد أخذ برقبتك، تعني الحارث، فسُمّي آكل المُرار، والمُرار: شجر. ثم تبِعه الحارث في بني بكر بن وائل، فلحِقه، فقتله، واستنقذ امرأته، وما كان أصاب. فقال الحارث بن حِلِّزة اليَشْكُريّ لعمرو بن المنذر، وهو عمرو بن هند اللخميّ:

وأقدناك ربّ غسّان بالمنـ ـذر كرْهاً إذ لا تُكال الدماءُ

لأنّ الحارث الأعرج الغسّاني قتل المنذر أباه، وهذا البيت في قصيدة له. وهذ الحديث أطول مما ذكرت، وإنّما منعني من استقصائه ما ذكرت من القطْع[3]: ويقال بل آكل المُرار: حُجْر بن عمرو بن معاوية، وهو صاحب هذا الحديث، وإنّما سُمّي آكل المُرار، لأنه أكل هو وأصحابه في تلك الغزوة شجراً يقال له المُرار[4].

قدوم صُرَد بن عبد الله الأزْدي مُسلِماً

وقدِم على رسول الله ﷺ صُرَد بن عبد الله الأزدي، فأسلم، وحسُن إسلامه في وفدٍ من الأزد، فأمّره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه. وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشِرك، من قِبَل اليمن.

قتاله أهل جُرَش: فخرج صُرَد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله ﷺ، حتى نزل بجُرَش، وهي يومئذ مدينة معلّقة، وبها قبائل من قبائل اليمن، وقد

---

(١) الأدلم: مسترخي الشفتين.

(٢) المُرار: نبات شديد المرورة إذا أكله البعير تقبّضت شفتاه من المرارة.

(٣) أي قطع سيرة رسول الله ﷺ.

(٤) أنظر أيضاً عن وفد كندة: الطبقات لابن سعد ١/٣٢٧.

ضَـوَتْ[1] إليهم خثعم، فدخلوهـا معهم حين سمعـوا بسيـر المسلمين إليهم، فحاصروهم فيها قريباً من شهر، وامتنعوا فيها منـه ثم رجع عنهم قـافلاً، حتى إذا كـان إلى جبل لهم يقـال له شَكَـر، ظنّ أهـل جُـرَش أنـه إنّمـا ولّى عنهم منهـزمـاً، فخـرجـوا في طلبـه، حتى إذا أدركـوه عـطف عليهم، فقتلهم قتْـلاً شديداً.

إخبار الرسول بما حدث: وقد كـان أهل جُـرَش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يـرتادان وينـظران، فبينا همـا عند رسـول الله ﷺ عشيّة بعـد صلاة العصـر، إذ قال رسـول الله ﷺ: «بأيّ بـلاد الله شَكْر»؟ فقـام إليـه الجُرَشيّان فقالا: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له كَشْر؛ وكذلك يسمّيه أهل جُرَش، فقال: «إنّه ليس بكَشْر، ولكنّه شَكْر»؛ قالا: فما شـأنه يـا رسول الله؟ قال: إنّ بُدْن الله لَتُنْحَر عنده الآن»، قـال: فجلس الرجـلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان، فقال لهما: ويْحكما! إنّ رسول الله ﷺ لينعي لكما قومَكما فقوما إلى رسـول الله ﷺ، فاسـألاه أن يدعـو الله أن يرفـع عن قومكمـا؛ فقامـا إليه فسـألاه ذلك، فقـال: «اللّهم ارفـع عنهم»، فخـرجـا من عنـد رسـول الله ﷺ راجعَين إلى قومهما، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صُـرَد بن عبد الله، في اليوم الذي قال فيه رسـول الله ﷺ ما قـال، وفي السـاعـة التي ذكر فيهـا ما ذكر.

إسلام أهل جرش: وخرج وفـد جُرَش حتى قـدِموا على رسـول الله ﷺ فـأسلمـوا، وحمى لهم حِمىً حـول قـريتهم، على أعـلام معلومـة، للفَـرَس والراحلة وللمثيرة، وبقرة الحرْث، فمن رعاه من الناس فما لهم سُحْت؛ فقال في تلك الغزوة رجل من الأزد. وكانت خثعم تصيب من الأزد في الجاهليـة، وكانوا يَعْدُون[2] في الشهر الحرام:

(١) ضَوَت: لجأت.
(٢) في تاريخ الطبري «يغزون».

يـا غـزوةً مـا غَـزَوْنـا غيرَ خـائبـةٍ   فيهـا البغـالُ وفيهـا الخيـلُ والحُمُـرُ
حتى أتينـا حُمَيْـراً في مصـانعهـا[1]   وجمعَ خَثْعَمَ قد شاعت[2] لها النُّذُر
إذا وضعتُ غـليـلاً[3] كنـت أحمِـلُه   فمـا أبـالي أدانـوا بعْـدُ أم كفـروا[4]

قدوم رسول ملوك حِمْيَر بكتابهم

وقدِم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حِمْيَر، مقدَمه من تَبوك، ورسولهم إليه بإسلامهم، الحارث بن عبـد كلال ونُعيم بن عبـد كلال. والنعمـان قَيْل[5] ذي رُعين ومعافر وهمدان؛ وبعث إليه زُرعـة ذو يزن مـالك بن مُـرّة الرَّهـاويّ بإسلامهم، ومفارقتهم الشِّركَ وأهلَه.

كتاب الرسول إليهم: فكتب إليهم رسول الله ﷺ:

«بسم الله الـرحمن الرحيم: من محمـد رسول الله النبيّ، إلى الحـارث ابن‌عبد كُلال، وإلى نُعيم بن عبد كُلال، وإلى النعمان، قَيْل ذي رُعَين ومَعافر وهمْدان. أما بعد ذلكم، فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو، أمـا بعد، فإنه قد وقع بنا رسولكم منقَلَبنـا[6] من أرض الروم، فلقِينَـا بالمـدينة، فبلّغ مـا أرسلتم به، وخبّرنا ما قِبَلكم، وأنبـأنا بـإسلامكم وقتْلكم من المشـركين، وأنّ الله قـد هداكم بهُـداه[7]، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسولـه، وأقمتم الصـلاة، وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من المغانم خُمس الله، وسهم الرسول وصفيّـه[8]، وما كُتب على المؤمنين من الصـدقـة من العَقـار[9]، عُشـر مـا سَقَت العين وسَقَت

---

(١) المصانع: القرى.
(٢) في تاريخ الطبري «ساغت».
(٣) الغليل: حرارة الجوف.
(٤) تاريخ الطبري ٣/١٣٠، ١٣١.
(٥) القَيْل: ملك إقليم.
(٦) في تاريخ الطبري ٣/١٢٠ «مقفلَنَا».
(٧) في تاريخ الطبري ٣/١٢١ «بهداة».
(٨) أصل الصفيّ: ما يصطفيه القائد من الغنيمة قبل القسمة.
(٩) العقار: الأرض.

السماء، وعلى ما سَقى الغَرْب[1]، نصف العُشر؛ وأنّ في الإبـل الأربعين ابنة لَبُون، وفي ثلاثين من الإبـل ابن لَبُون ذكَـر، وفي كل خمس من الإبـل شاة، وفي كل عشر من الإبـل شاتـان[2]، وفي كلّ أربعين من البقـر بقرة؛ وفي كـلّ ثـلاثين من البقر تَبيـعٌ، جَذَعٌ أو جَـذَعـة؛ وفي كـلّ أربعين من الغنم سـائمـة وحدها، شاة. وإنّها فريضة الله التي فـرض على المؤمنين في الصدقـة؛ فمن زاد خيراً فهو خير له، ومن أدّى ذلـك وأشهد على إسـلامه، وظـاهر المؤمنين على المشركين، فإنه من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وله ذمّـة الله وذمّة رسوله، وإنّه من أسلم من يهوديّ أو نصرانيّ، فـإنه من المؤمنين، لـه ما لهم، وعليه ما عليهم؛ ومن كان على يهوديّته أو نصرانيّته فإنه لا يُرَدّ[3] عنهـا، وعليه الجزية، على كلّ حال ذكر أو أنثى، حرٍّ أو عبد، دينـار وافٍ، من قيمة المعافر[4] أو عِوَضه[5] ثياباً، فمن أدّى ذلك إلى رسول الله ﷺ فـإنه لـه ذمّة الله وذمّة رسوله، ومن منعه فإنه عدوّ لله ولرسوله.

أما بعد، فـإنّ رسول الله محمـداً النبيّ أرسل إلى زرعـة ذي يزن أنْ إذا إتاكم[6] رُسلي فأوصيكم بهم خيراً: مُعاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالـك ابن عُبادة، وعُقبة بن نمر، ومالك بن مُرّة وأصحـابهم. وأن اجمعُوا مـا عندكم من الصدقة والجزية من مخالِفيكم، وأبلِغُوها[7] رُسُلي، وإنّ أميرهم مُعـاذ بن جبل، فلا ينقلبنّ إلاّ راضياً.

أما بعد. فإنّ محمداً يشهد أن لا إله إلاّ الله وأنـه عبده ورسـوله، ثم إنّ مـالـك بن مُـرَّة الـرَّهـاويّ قـد حـدّثني أنـك أسلمت من أول حِمْيَـر، وقتلت

---

(١) الغرب: الدلو.

(٢) ما بين القوسين ساقط من طبعة دار الجيل ٤/١٧٥.

(٣) في تاريخ الطبري «لا يُفْتَن».

(٤) المعافر: نوع من ثياب اليمن. وعبارة الطبري «أو قيمته من المعافر».

(٥) في تاريخ الطبري «عرضُهُ».

(٦) في تاريخ الطبري «أتتكم».

(٧) في تاريخ الطبري «وبلّغوها».

المشركين فأبشر بخيرٍ وآمرك بحِمْيَر خيراً، ولا تخونوا ولا تَخاذلوا[1]، فإنّ رسول الله هو وليّ[2] غنيّكم وفقيركم، وإنّ الصدقة لا تحلّ لمحمد ولا لأهل بيته، إنّما هي زكاة يزكّي بها[3] على فقراءٌ المسلمين وابن السبيل. وإنّ مالكاً قد بلّغ الخَبَر، وحفظ الغيب، وآمركم به خيراً، وإنّي قد أرسلت[4] إليكم من صالحي أهلي وأولي دينهم[5] وأولي عِلمهم، وآمرك بهم خيراً، فإنّهم منظور إليهم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[6].

وصيّة الرسول مُعاذاً حين بعثه إلى اليمن: قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حُدّث: أنّ رسول الله ﷺ حين بعث مُعاذاً، أوصاه وعهِد إليه، ثم قال له: «يسّر ولا تعسّر وبشّر ولا تنفّر[7]، وإنّك ستقَدم على قوم من أهل الكتاب، يسئَلونك ما مفتاح الجنة؛ فقل: شهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له»؛ قال: فخرج مُعاذ، حتى إذا قدِم اليمن قام بما أمره به رسول الله ﷺ، فأتته امرأة من أهل اليمن، فقالت: يا صاحب رسول الله؛ ما حقّ زوج المرأة عليها؟ قال: ويْحكِ! إنّ المرأة لا تقدر على أن تؤدّي حقّ زوجها، فاجهدي نفسك في أداء حقّه ما استطعت، قالت: والله لئن كنتَ

---

(١) في تاريخ الطبري «تخذلوا».

(٢) في تاريخ الطبري «مولى».

(٣) في تاريخ الطبري «لا تحلّ لمحمد ولا لأهله، إنّما هي زكاة يتزكّى بها».

(٤) في تاريخ الطبري «بعثت».

(٥) في تاريخ الطبري «ديني».

(٦) نصّ الكتاب في تاريخ الطبري ١٢٠/٣ - ١٢٢، وتاريخ اليعقوبي ٨٧/٢ - ٨٩، وكنز العمال، ٢ عمود ٦١٦٠، ومجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله - ص ١٨٠ - ١٨٢ رقم ١٠٩ باختلاف في الألفاظ وبعض العبارات.

(٧) أخرج مسلم في كتاب الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، من طريق أبي أسامة، عن بُرَيدة بن عبد الله، عن أبي بُردة، عن أبي موسى قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أموره قال: «بشّروا ولا تنفّروا ويسّروا ولا تعسّروا». وفي حديث عن أنس (١٧٣٤/٨) قال رسول الله ﷺ: «يسّروا ولا تعسّروا وسكّنوا ولا تنفّروا». والبخاري في كتاب العلم ٢٥/١ باب ما كان النبيّ ﷺ يتخوّلهم بالموعظة والعلم كيلا ينفروا. وأبو داود في كتاب الأدب (٤٨٣٥) باب في كراهية المراء.

صاحب رسول الله ﷺ إنّك لتعلم ما حقّ الزوج على المرأة. قال: ويْحَكِ؟ لو رجعتِ إليه فوجدته تنثعب[1] منخراه قَيْحاً ودماً، فمصصْتِ ذلك حتى تُذْهبيه ما أدَّيتِ حقَّه[2].

إسلام فروة بن عمرو الجُذاميّ

قال ابن إسحاق: وبعث فروة بن عمرو بن النافرة الجذاميّ، ثم النُّفاثي، إلى رسول الله ﷺ بإسلامه، وأهدى له بغلةً بيضاء. وكان فروة عاملاً للروم على مَن يليهم من العرب، وكان منزله مُعان وما حولها من أرض الشام.

حبْس الروم له وشِعره ومقتله: فلما بلغ الرومَ ذلك من إسلامه، طلبوه حتّى أخذوه، فحبسوه عندهم، فقال في محبسه ذلك:

طرقت سُلَيمى مُوهِناً أصحابي ... والرومُ بين الباب والقِرْوان[3]
صدّ الخيال وساءه ما قد رأى ... وهممتُ أن أُغفي وقد أبكاني
لا تكحُلِنَّ العينَ بعديَ إثْمداً ... سَلْمى ولا تَدِينَنّ للإتْيان
ولقد علمت أبا كُبَيشة أنّني ... وسْطَ الأعِزّة ولا يُحصَ لساني[4]
فَلئِن هلكتُ لتفقِدُنَّ أخاكم ... ولئن بَقيتُ لَتعْرِفُنَّ مكاني
ولقد جمعت أجلّ ما جمَع الفتى ... من جَوْدة وشجاعة وبيان

فلما أجمعت الروم لصَلْبه على ماءٍ لهم، يقال له عَفْراء بفلسطين، قال:

ألا هل أتى سلمى بأنّ حَليلها ... على ماء عَفرا فوق إحدى الرواحل
على ناقة لم يَضْرِب الفحلُ أُمَّها ... مُشَذَّبة أطرافُها بالمناجل[5]

---

(١) تنثعب: تسيل.
(٢) أنظر حلية الأولياء ١/٢٤٠، ٢٤١ في وصية الرسول ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن.
(٣) الموهن: نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه. قروان: مثل صفوان: حُويض من خشب تسقى فيه الدّوابّ وتلغ فيه الكلاب وفي المثل ما فيها لاعي قِرْو: أي لاعق قِرْو.
(٤) لا يُحصَ: لا يُقطع.
(٥) المشذَّبة: التي أُزيلت أغصانها.

فزعم الزُّهْريّ بن شهاب، أنهم لمّا قدّموه ليقتلوه. قال:

بلِّغ سَــراةَ المسلمين بــأنّني سَلْم لـربّي أعـظُمي ومقـامي

ثم ضربوا عُنقه وصلبوه علي ذلك الماء، يرحمه الله تعالى.

إسلام بني الحارث بن كعب
على يدي خـالد بن الـوليد لمّـا سار إليهم

قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى، سنة عشر، إلى بني الحارث بن كعب بنجْران وأمـره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً، فإن استجابوا فاقبل منهم، وإن لم يفعلوا فقاتلْهم، فخرج خالد حتى قدِم عليهم، فبعث الرُّكبان يضربـون في كـلّ وجه، ويـدعون إلى الإسـلام، ويقولـون: أيها النـاس، أسلِموا. فـأسلم الناس، ودخلوا فيما دُعوا إليه، فأقام فيهم خـالد يعلّمهم الإسـلام وكتاب الله وسُنَّة نبيّه ﷺ، وبذلك كان أمره رسول الله ﷺ إنْ هم أسلموا ولم يقاتلوا.

ثم كتب خـالـد بن الـوليـد: إلى رســول الله ﷺ، «بسم الله الـرحمن الرحيم. لمحمد النبيّ رسـول الله ﷺ من خالـد بن الوليـد، السلام عليـك يا رسول الله وبركـاته، فـإنّي أحمد إليـك الله الذي لا إلٰـه إلاّ هو، أمـا بعد: يـا رسول الله صلّى الله عليك، فإنّك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب، وأمرتني إذا أتيتهم ألاّ أقاتلهم ثلاثة أيام، وأن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا أقمتُ فيهم، وقبلت منهم، وعلّمتهم معالم الإسلام وكتـاب الله وسُنَّة نبيّـه، وإن لم يُسلموا قاتلتهم. وإنّي قـدِمْت عليهم فدعـوتهم إلى الإسلام ثـلاثة أيـام، كما أمرني رسول الله ﷺ، وبعثت فيهم رُكبـاناً قـالوا: يـا بني الحـارث، أسلِمـوا تَسلَموا، فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مُقيمٌ بين أظهُرهم، آمـرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عمّا نهاهم الله عنه، وأعلّمهم معالم الإسلام وسُنَّة النبيّ ﷺ حتى يكتب إليّ رسول الله ﷺ، والسلام عليك يا رسول اللهِ ورحمة الله وبركاته»[1].

(١) النص في إمتاع الإسماع للمقريزي ٥٠١/١، ومجموعة الوثائق السياسية للدكتـور محمـد=

فكتب إليه رسول الله ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد النبيّ رسول الله إلى خالد بن الوليد. سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو. أمّا بعد: فإنّ كتابك جاءني مع رسولك تخبر أنّ بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام، وشهدوا أن لا إله إلاّ الله. وأنّ محمداً عبد الله ورسوله، وأنْ قد هداهم الله بهُداه، فبشِّرْهم وأنذِرهم، وأَقْبِل ولْيُقْبِل معك وفْدُهم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»[1].

قدوم خالد مع وفدهم على الرسول: فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ، وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب، منهم قيس بن الحُصَيْن ذي الغُصَّة[2]، ويزيد بن عبد المَدَان، ويزيد بن المُحَجَّل، وعبد الله بن قُراد[3] الزّيادي، وشداد بن عبد الله القناني، وعمرو بن عبد الله الضِّبابيّ[4].

فلما قدِموا على رسول الله ﷺ فرآهم. قال: «من هؤلاء القوم الذين كأنّهم رجال الهند». قيل: يا رسول الله، هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب؛ فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سلّموا عليه، وقالوا: نشهد أنّك رسول الله، وأنه لا إله إلاّ الله، قال رسول الله ﷺ: «وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله»، ثم قال رسول الله ﷺ: أنتم الذين إذا زُجروا استقدموا، فسكتوا،

= حميد الله ١٣١ رقم ٧٩.

(١) النص في صبح الأعشى للقلقشندي ٣٦٧/٦، ومجموعة الوثائق ١٣٢ رقم ٨٠، وانظر طبقات ابن سعد ٣٣٩/١.

(٢) ذو الغُصَّة: سُمّي بذلك لغُصّةٍ في حلْقه لا يكاد يبين منها، واسمه الحُصَين بن يزيد بن شداد الحارثي. ذكره عمر بن الخطّاب يوماً فقال: لا تزاد امرأة في صداقها عن كذا وكذا ولو كانت بنت ذي الغُصَّة. (الروض الأنف ٢٢٨/٤).

(٣) في تاريخ الطبري ١٢٧/٣ «قُريط».

(٤) الضِّبابيّ من ضباب بكسر الضّاد في بني الحارث بن كعب بن مَذْحِج، وضِباب أيضاً في قريش وهو ابن حُجير بن عبد بن مُعَيص بن عامر أخو حُجْر بن عبد. والضِباب في بني عامر بن صعصعة، وهم ضِباب ومُضَبّ وحِسْل وحُسَيل بنو معاوية بن كلاب، وأما الضَباب بالفتح ففي نسب النابغة الذبياني ضَباب بن يربوع بن غَيظ؛ وأما الضُباب بالضم فزَيد ومُنَجّا ابنا ضُباب من بني بكر، ذكره الدارقُطْني. (الروض الأنف ٢٢٨/٤، ٢٢٩).

فلم يراجعْه منهم أحد، ثم أعادها الثانية، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثالثة، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الرابعة، فقال يزيد بن عبد المَدَان: نعم يا رسول الله، نحن الذين إذا زُجروا استقدموا، قالها أربع مِرار؛ فقال رسول الله ﷺ: «لو أنّ خالداً لم يكتب إليّ أنّكم أسلمتم ولم تقاتلوا، لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم»؛ فقال يزيد بن عبد المَدَان: أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالداً، قال: «فمن حمدتم»؟ قالوا: الله عزّ وجلّ الذي هدانا بك يا رسول الله؛ قال: «صدقتم». ثم قال رسول الله ﷺ: «بم كنتم تَغلبون من قاتلكم في الجاهلية»؟ قالوا: لم نكن نغلب أحداً؛ قال: «بلى»، قد كنتم تغلبون من قاتلكم»؛ قالوا: كنّا نغلب من قاتلنا؛ يا رسول الله إنّا كنّا نجتمع ولا نفترق، ولا نبدأ أحداً بظلم، قال: «صدقتم». وأمّر رسول الله ﷺ على بني الحارث بن كعب قيس بن الحُصَين.

فرجع وفد بني الحارث إلى قومهم في بقّيةٍ من شوّال؛ أو في صدر ذي القعدة، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلّا أربعة أشهر، حتى تُوُفّي رسول الله ﷺ، ورحِم وبارك، ورضي وأنعم[1].

الرسول يبعث عمرو بن حزم بعهده إليهم: وقد كان رسول الله ﷺ بعث إليهم بعد أن ولّى وفدهم عمرو بن حزم، ليفقّههم في الدّين، ويعلّمهم السُّنّة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده، وأمره فيه بأمر: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا بيان من الله ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[2] عهد من محمد النبيّ رسول الله لعمرو ابن حزم، حين بعثه إلى اليمن، أمره بتقوى الله في أمره كلّه فإنّ الله مع الذين ٱتّقَوْا والذين هم مُحسنون، وأمره أن يأخذ بالحقّ كما أمره الله، وأن يبشّر الناس بالخير، ويأمرهم به ويعلّم الناس القرآن، ويفقّههم فيه وينهى الناس،

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٣/١٢٦ ـ ١٢٨، وطبقات ابن سعد ١/٣٣٩، ٣٤٠.
(٢) أول سورة المائدة.

فلا يمسّ القرآن إنسان إلّا وهو طاهر، ويخبر الناس بالذي لهم، والذي عليهم، ويلين للناس في الحقّ، ويشتدّ عليهم في الظلم، فإنّ الله كره الظُلم، ونهى عنه، فقال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[1]، ويبشّر الناس بالجنة وبعملها، ويُنذر الناس النار وعملها، ويستألف الناس حتى يفقهوا في الدّين، ويعلّم الناس معالم الحجّ وسُنّته وفريضته، وما أمر الله به، والحجّ الأكبر: الحجّ الأكبر، والحجّ الأصغر: هو العُمرة؛ وينهى الناس أن يصلّي أحد في ثوب واحدٍ صغير، إلّا أن يكون ثوباً يثني طرفيه على عاتقيه وينهى الناس أن يحتبي أحد في ثوب واحد يفضي بفرْجه إلى السماء؛ وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه في قفاه؛ وينهى إذا كان بين الناس هَيْج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر، وليكن دعواهم إلى الله عزّ وجلّ وحده لا شريك له؛ فمن لم يدع إلى الله؛ ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطفوا بالسيف؛ حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له؛ ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجُلهم إلى الكعبين ويمسَحون برءوسهم كما أمرهم الله؛ وأمر بالصلاة لوقتها؛ وإتمام الركوع والسجود والخشوع؛ ويغلّس بالصبح؛ ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس، وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة؛ والمغرب حين يقبل الليل؛ لا يؤخّر حتى تبدو النجوم في السماء؛ والعشاء أول الليل؛ وأمر بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها؛ والغُسْل عند الرواح إليها؛ وأمره أن يأخذ من المغانم خُمس الله؛ وما كُتب على المؤمنين في الصدقة من العَقار عُشر ما سقت العَين وسقت السماء؛ وعلى ما سقى الغَرْب نصف العُشر؛ وفي كلّ عَشْر من الإبل شاتان، وفي كلّ عشرين أربع شياه، وفي كلّ أربعين من البقر بقرة؛ وفي كلّ ثلاثين من البقر تَبيع؛ جَذَع أو جَذَعَة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها، شاة. فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة. فمن زاد خيراً فهو خير له، وأنه

---

(١) سورة هود - الآية ١٨.

من أسلم من يهوديّ أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه، ودان بدين الإسلام. فإنه من المؤمنين، له مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم، ومن كان على نصرانيّته أو يهوديّته فإنه لا يُردّ عنها، وعلى كلّ حالم: ذكرٍ أو أنثى، حرٍّ أو عبدٍ، دينار وافٍ أو عِوضه ثياباً. فمن أدّى ذلك، فإنّ له ذمّة الله وذمّة رسوله، ومن منع ذلك، فإنّه عدوّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً، صلوات الله على محمد، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته»[1].

قدوم رفاعة بن زيد الجُذاميّ

وقدِم على رسول الله ﷺ في هدنة الحُدَيبية، قبل خيبر، رفاعة بن زيد الجُذاميّ ثم الضُّبَيْبيّ، فأهدى لرسول الله ﷺ غلاماً، وأسلم، فحسُن إسلامه، وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً إلى قومه وفي كتابه:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله، لرفاعة بن زيد. إنّي بعثته إلى قومه عامّة، ومن دخل فيهم، يدعوهم إلى الله ورسوله، فمن أقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله، ومن أدبر فله أمان شهرين»[2].

فلما قدِم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا، ثم ساروا إلى الحَرَّة: حَرّة الرجْلاء، ونزلوها.

قدوم وفد همْدان

قال ابن هشام: وقدِم وفد همدان على رسول الله ﷺ، فيما حدّثني من أثق به، عن عمرو بن عبد الله بن أُذينة العبدي، عن أبي إسحاق السّبيعيّ، قال: قدِم وفد همدان على رسول الله ﷺ، منهم مالك بن نَمَط، وأبو ثور، وهو

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١٢٨، ١٢٩، وفتوح البلدان ١/٨٣، ٨٤، وإمتاع الأسماع ١/٥٠١، ٥٠٢، ومجموعة الوثائق ١٧٣ ـ ١٧٥ رقم ١٠٥.

(٢) تاريخ الطبري ٣/١٤٠، صبح الأعشى ٦/٣٨٢، والمغازي للواقدي ٢/٥٥٧، والمعجم الكبير للطبراني ٥/٤٦ رقم ٤٥٦٢، ومجموعة الوثائق ٢٣٣، ٢٣٤ رقم ١٧٥.

ذو المشعار، ومالك بن أيفع، وضِمام بن مالك السَّلماني، وعُميرة بن مالك الخارفيّ، فلقوا رسول الله ﷺ مَرْجِعه من تَبوك وعليهم مقطَّعات الحِبَرَات[1]، والعمائم العدنية، برحال المَيْس[2] على المَهْرية[3] والأرحبية[4] ومالك بن نمط ورجل آخر يرتجزان بالقوم، يقول أحدهما:

همدان خير سوقه وأقْيَال ليس لها في العالمين أمثال[5]
محلّها الهضْب ومنها الأبطال لها إطابات بها وآكال[6]

ويقول الآخر:

إليك جاوزْن سوادَ الرّيف في هَبَوات الصَّيف والخريف[7]
مخطَّمات بحبالِ اللّيف

فقام مالك بن نَمَط بين يديه، فقال: يا رسول الله، نصية[8] من همدان، من كلّ حاضر وبادٍ، أتوْك على قُلُص نَواجٍ[9]، متّصلة بحبائل الإسلام، لا تأخذهم في الله لومة لائم، من مِخْلاف خارف ويام وشاكر[10] أهل السود والقود، أجابوا دعوة الرسول، وفارقوا الإلهات الأنصاب، وعهدهم لا ينقض ما أقامت لعلع، وما جرى اليعفور بصَلَع[11].

فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فيه:

---

(١) المقطّعات: المخيطة. الحِبَرات: بُرود يمنية.
(٢) المَيْس: خشب متين تُصنع منه الرحال.
(٣) المهرية: إبل نجيبة تُنسب إلى مُهرة قبيلة باليمن.
(٤) الأرحبية: تُنسب إلى أرحب: مكان.
(٥) السوقة: الشعب. والأقيال: رؤساء الأقاليم.
(٦) الإطابات: ما طاب من الأموال. والآكال: ما يأخذه الملك من الشعب كالضرائب.
(٧) السواد: القرى. الهبوات: الغبار.
(٨) النصية: خيار القوم.
(٩) القُلُص: الإبل الشابة. نَواج: مسرعة.
(١٠) المخلاف المدينة، وما بعدها أسماء قبائل. وأضاف ابن سعد في الطبقات ١/٣٤١ «أهل الهضْب» و«حقاف الرمل».
(١١) لعلع: مجموعة من الجبال. اليعفور: ولد الظبية. صلع: مكان.

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من رسول الله محمد، لمِخْلاف خارف وأهل جِناب الهضْب وحِقاف الرمل، مع وافدها ذي المشعار مالك بن نَمَط، ومن أسلم من قومه، على أنّ لهم فِراعها ورِهاطها[1]، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون عِلافها ويرعون عافيها[2]، لهم بذلك عهد الله وذمام رسوله، وشاهدُهم المهاجرون والأنصار»[3]. فقال في ذلك مالك بن نَمَط:

ذكرت رسول الله في فحمة الدُّجى ... ونحن بأعلى رَحْرَحان وصَلْدَدِ[4]

وهُن بنا خُوصٌ طلائحُ تَغْتلي ... برُكبانها في لاحبٍ متمدّدِ[5]

على كلّ فَتْلاءِ الذِّراعين جَسْرَةٍ ... تمرّ بنا مرّ الهِجَفِّ الخَفَيْدَدِ[6]

حلفتُ بربّ الراقصات إلى مِنًى ... صوادرَ بالرُّكْبان من هضَب قَرْدَدِ[7]

بأنّ رسول الله فينا مُصَدَّق ... رسول أتى من عند ذي العرش مُهتدي

فما حملتْ من ناقةٍ فوق رَحْلها ... أشدَّ على أعدائه من محمّد

وأعطى إذا ما طالِبُ العُرْف جاءه ... وأمضَى بحدّ المَشْرفيّ المهنَّد

---

(١) فِراعها: أعاليها. وهاطها: أسافلها.

(٢) العلاف: ثمر الطح. عافها: ما كثُر من نباتها.

(٣) والنص في مجموعة الوثائق يختلف عما هنا:
«لكم فراعها ووِهاطها وعَزازها، تأكلون عِلافها وترعون عَفاءها. لنا من دِفْئهم وصِرامهم ما سلّموا بالميثاق والأمانة. ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحَوري، وما عليهم فيها الصالغ والقارِح».
أنظر النص في صبح الأعشى ٣٧٤/٤، والعقد الفريد ١٣٤/١، شرح المواهب ١٧٠/٤، ١٧١، وأسد الغابة ٢٩٤/٤، ٢٩٥، وتاريخ اليعقوبي ٨٩/٢، ولسان العرب (مادة ـ حور)، ومجموعة الوثائق ١٩١، ١٩٢ رقم ١١٣.

(٤) رَحْرحان: وصلْدد: موضعان.

(٥) الخُوص: غائرات العيون. طلائح: متعبة. تغتلي: تَنْشط في سيرها. اللاحب: الطريق الواضح.

(٦) الجَسْرة: الناقة القويّة على السير. الهجف: ذَكَر النَّعام القويّ وكذلك الخَفَيْدد.

(٧) الراقصات: الإبل الراقصات، والرقص: ضرب من السير. الصوادر: الرواجع. والقَرْدَد: الأرض المرتفعة.

ذكر الكذّابَين مُسَيْلمة الحنفي والأسود العنْسيّ

قال ابن إسحاق: وقد كان تكلّم في عهد رسول الله ﷺ الكذّابان مُسَيْلمة بن حبيب باليمامة في بني حنيفة، والأسود بن كعب العنْسي بصنعاء[1].

قال ابن إسحاق: حدّثني يزيد بن عبد الله بن قُسَيط، عن عطاء بن يَسار أو أخيه سليمان بن يَسار، عن أبي سعيد الخُدْريّ، قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على منبره، وهو يقول: «أيّها الناس، إنّي قد رأيت ليلة القدر، ثم أُنسيتُها، ورأيت في ذراعيّ سِوَارَين من ذهب، فكرهتهما، فنفختهما فطارا، فأوّلتهما هذين الكذابين: صاحب اليمن، وصاحب اليمامة»[2].

الرسول يتحدّث عن الدّجّالين: قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم، عن أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجّالاً، كلّهم يدّعي النبوّة»[3].

خروج الأمراء والعمّال على الصّدقات

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعمّاله على الصدقات، إلى كلّ ما أوطأ الإسلام من البلدان، فبعث المهاجر بن أبي أُميّة بن المغيرة إلى صنعاء. فخرج عليه العنْسيّ وهو بها، وبعث زياد بن لَبِيد، أخا

---

(1) أنظر عن ردّة الأسود في المعرفة والتاريخ ٣/٢٦٢.

(2) أخرجه ابن ماجه في تعبير الرؤيا (٣٩٢٢) باب تعبير الرؤيا، عن أبي بكر بن أبي شيبة، حدّثنا محمد بن بشر، حدّثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت في يدي سوارين من ذهب، فنفختهما فأوّلتهما هذين الكذّابين: مسَيْلمة والعنْسي». وأحمد في المسند ٢/٣٣٨ و ٣٤٤، ورواه البخاري في المغازي ٥/١٢٠ قصة الأسود العنسي.

(3) أخرج أحمد في المسند ٢/١٠٤ من طريق إياد يعني ابن لقيط، عن عبد الرحمن بن نعيم الأعرجي، في حديث عمر رضي الله عنه عن المتعة، وفيه: «والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليكوننّ قبل المسيح الدّجال كذّابون ثلاثون أو أكثر..».

بني بياضة الأنصاريّ، إلى حضْرَمَوْت وعلى صدقاتها؛ وبعث عديّ بن حاتم على طيّء وصدقاتها، وعلى بني أسد؛ وبعث مالك بن نُوَيرة ـ قال ابن هشام: اليَرْبُوعي ـ على صدقات بني حنظلة، وفرّق صدقة بني سعد على رجلين منهم، فبعث الزِّبرقان بن بدر على ناحية منها، وقيس بن عاصم على ناحية، وكان قد بعث العلاء بن الحضْرميّ على البحرين، وبعث عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى أهل نجران، ليجمع صدقتهم ويقدم عليه بجزيتهم[1].

كتاب مُسَيْلمة إلى رسول الله والجواب عنه

وقد كان مُسيلمة بن خبيب، قد كتب إلى رسول الله ﷺ: «من مُسيلمة رسولِ الله، إلى محمد رسول الله: سلام عليك؛ أما بعد، فإنّي قد أُشْركت في الأمر معك، وإنّ لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكنّ قريشاً قوم يعتدون»[2].

فقدِم عليه رسولان له بهذا الكتاب.

قال ابن إسحاق: فحدّثني شيخ من أشجع، عن سلمة بن نُعيم بن مسعود الأشجعيّ، عن أبيه نُعيم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتابه؛ «فما تقولان أنتما»؟ قالا: نقول كما قال، فقال: «أما والله لولا أنّ الرُّسُل لا تُقتل لضربت أعناقكما».

ثم كتب إلى مسيلمة: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مُسَيلِمة الكذّاب: السَّلام على من اتّبع الهدى. أما بعد، فإنّ الأرض لله يُورِثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتّقين»[3].

وذلك في آخر سنة عشر.

---

(١) تاريخ الطبري ١٤٧/٣.

(٢) تاريخ الطبري ١٤٦/٣، وإمتاع الأسماع ٥٠٨/١، صبح الأعشى ٤٦٨/٧، مجموعة الوثائق ٢٥٦، ٢٥٧ رقم ٢٠٥.

(٣) تاريخ الطبري ١٤٦/٣، مجموعة الوثائق ٢٥٧ رقم ٢٠٥.



حَجَّة الوداع[1]

تجهّز الرسول: قال ابن إسحاق: فلما دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة تجهّز للحجّ، وأمر الناس بالجهاز له.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن محمد، عن عائشة زوج النبيّ ﷺ، قالت؛ خرج رسول الله ﷺ إلى الحجّ لخمس ليالٍ بقين من ذي القعدة[2].

استعماله على المدينة أبا دُجانة: قال ابن هشام: فاستعمل على المدينة أبا دُجانة السّاعديّ ويقال: سِباع بن عُرْفُطة الغِفاريّ[3].

حكم الحائض في الحجّ: قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الرحمن بن

---

(١) أنظر عنها في: تاريخ الطبري ٣/١٤٨ ـ ١٥٢، والمغازي لعروة ٢٢٢، وصحيح البخاري ٥/١٢٣ ـ ١٢٨، والمغازي للواقدي ٣/١٠٨٨ ـ ٢:١٨، وتاريخ خليفة ٩٤، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٧٢ ـ ١٧٩، وأنساب الأشراف ١/٣٦٨ ـ ٣٧١، والبدء والتاريخ ٤/٢٤٢، والكامل في التاريخ ٢/٣٠٢، ٣٠٣، وعيون التواريخ ١/٣٩٤، وعيون الأثر ٢/٢٧٢ ـ ٢٧٥، وسيرة ابن كثير ٤/٢١١ ـ ٤٢٦، ونهاية الأرب ١٧/٣٧١ ـ ٣٧٨، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٧٠١ ـ ٧١١.

(٢) تاريخ الطبري ٣/١٤٨، تاريخ الإسلام ٧٠١.

(٣) أنظر عنه في طبقات ابن سعد ٢/١٣ رقم ٣٠٨٠.

القاسم، عن أبيه القاسم بن محمد، عن عائشة، قالت: لا يذكر ولا يذكر الناس إلّا الحجّ، حتى إذا كان بسَرف وقد ساق رسول الله ﷺ معه الهدْي، وأشراف من أشراف الناس، وأمر الناس أن يَحلّوا بعُمْرة، إلّا من ساق الهَدْي؛ قالت: وحضْت ذلك اليوم، فدخل عليّ وأنا أبكي؛ فقال: «ما لكِ يا عائشة؟ لعلك نفِسْتِ؟ قالت: قلت: نعم، والله لوددْت أنّي لم أخرج معكم عامي في هذا السفر؛ فقال: لا تقولِنّ ذلك، فإنّك تقضين كلّ ما يقضي الحاجّ إلّا أنّك لا تطوفين بالبيت». قالت: ودخل رسول الله ﷺ بمكة، فحلّ من كان لا هدْي معه، وحلّ نساؤه بعُمرة، فلما كان يوم النَّحْر أُتيت بلحم بقرٍ كثير، فطُرح في بيتي، فقلت: ما هذا؟ قالوا: ذبح رسول الله ﷺ عن نسائه البقر، حتى إذا كانت ليلة الحَصْبة، بعث بي رسول الله ﷺ مع أخي عبد الرحمن بن أبي بكر فأعمرني من التنعيم، مكان عُمرتي التي فاتتني[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني نافع، مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله ابن عمر، عن حفصة بنت عمر، قالت: لما أمر رسول الله ﷺ نساءه أن يحللن بعُمرة، قلن: فما يمنعك يا رسول الله أن تحلّ معنا؟ فقال: «إنّي أهديت ولبّدت[2]، فلا أحلّ حتى أنحر هدْيي»[3].

---

(١) الحديث في صحيح البخاري في كتاب المغازي (١٢٣/٥، ١٢٤) باب حجّة الوداع، عن إسماعيل بن عبد الله، حدّثنامالك،عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في حجّة الوداع، فأهلَلْنا بعُمرة، ثم قال لنا رسول الله ﷺ: «من كان عنده هدْي فليُهلّ بالحجّ مع العمرة ثم لا يحلّ حتى يحلّ منهما جميعاً» فقدمْت معه مكة وأنا حائض ولم أطُف بالبيت ولا بين الصفا والمروة، فشكوت إلى رسول الله ﷺ فقال: «انقضي رأسك وامتشطي وأهلّي بالحجّ ودعي العمرة»، ففعلت، فلما قضينا الحج أرسلني رسول الله ﷺ مع عبد الرحمن بن أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنهما إلى التنعيم فاعتمرت، فقال: هذه مكان عُمْرتك. قالت: فطاف الذين أهلّوا بالعُمرة بالبيت وبين الصف والمرْوَة ثم حلّوا ثم طافوا طوافاً آخر بعد أن رجعوا من منىً وأمّا الذين جمعوا الحجّة والعمرة فإنّما طافوا طوافاً واحداً. والخبر في تاريخ الطبري ١٤٨/٣.

(٢) لبّد: جعل في رأسه ﷺ صمغاً لئلاّ يتشعّث.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢٨٥/٦ بسنده ونصّه، وانظر له ١٢٤/٢.

موافاة عليّ في قفوله من اليمن رسول الله في الحجّ: قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي نَجِيح: أن رسول الله ﷺ كان بعث علياً رضي الله عنه إلى نَجْرَان، فلقِيه بمكة وقد أحرم، فدخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنها، فوجدها قد حلّت وتهيّأت، فقال؛ ما لكِ يا بنت رسول الله؟ قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نحلّ بعُمرة فحللنا. ثم أتى رسول الله ﷺ، فلما فرغ من الخبر عن سفره، قال له رسول الله ﷺ: «انطلِق فطُفْ بالبيت، وحلّ كما حلّ أصحابك»؟ قال: يا رسول الله إنّي أهللتُ كما أهللتَ؛ فقال: «ارجع فاحلل كما حلّ أصحابك»؛ قال: يا رسول الله، إنّي قلت حين أحرمت: اللّهم إنّي أُهِل بما أهلّ به نبيّك وعبدك ورسولك محمد ﷺ؛ قال: «فهل معك من هدْي»؟ قال: لا. فأشركه رسول الله ﷺ في هدْيه، وثبت على إحرامه مع رسول الله ﷺ، حتى فرغا من الحجّ ونحر رسول الله ﷺ الهدْي عنهما[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عَمرة، عن بُرَيدة بن طلحة بن يزيد بن رُكانة، قال: لما أقبل عليّ رضي الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله ﷺ بمكة، تعجّل إلى رسول الله ﷺ واستخلف على جُنده الذين معه رجل من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا كلّ رجل من القوم حُلّة من البَزّ الذي كان مع عليّ رضي الله عنه. فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل؛ قال: ويلك! ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجمّلوا به إذا قدِموا في الناس؛ قال: ويلك! انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله ﷺ. قال: فانتزع الحلل من الناس، فردّها في البزّ، قال: وأظهر الجيش شكواه لما صُنع بهم[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الله بن عبد الرحمن بن حزم بن مَعْمَر

---

(١) تاريخ الطبري ١٤٨/٣، ١٤٩.

(٢) تاريخ الطبري ١٤٩/٣.

ابن حـزم، عن سليمان بن محمـد بن كعب بن عُجرة، عن عمّتـه زينب بنت كعب، وكـانت عنـد أبي سعيـد الخُـدْرِيّ، عن أبي سعيـد الخُـدْرِيّ، قـال: اشتكى الناس عليّاً رضوان الله عليه، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيبـاً، فسمعته يقـول: «أيها النـاس، لا تشكوا عليّاً، فوالله إنـه لأخشن في ذات الله، أو في سبيل الله، من أن يُشكى»(1).

خُطبة الوداع: قال ابن إسحـاق: ثم مضى رسول الله ﷺ على حجّـه، فـأرى الناس منـاسكهم، وأعلمهم سُنَن حَجّهم، وخطب النـاس خُطبتـه التي بيَّن فيها ما بيّن، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيّهـا الناس، اسمعـوا قولي، فـإنّي لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعـد عامي هذا بهذا الموقف أبداً، أيّها الناس، إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلتقـوا ربَّكم، كحُرمة يومكم هـذا، وكحُرمة شهركم هـذا، وإنّكم ستلقَـون ربَّكم، فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدِّها إلى من ائْتَمَنـه عليهـا، وإنّ كـلَّ ربـا مـوضـوع، ولكن لكم رؤوس أمـوالكم، لا تَـظلِمون ولا تُـظلمون قضى الله أنّـه لا ربا، وإنّ ربـا عباس بن عبـد المطّلب موضوع كلّه، وأنّ كلّ دم كان في الجـاهلية مـوضوع، وأنّ أوّل دمـائكم أضع دم ابن ربيعـة بن الحارث بن عبـد المطّلب، وكـان مسترضَعـاً في بني ليث، فقتلته هُذَيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية. أمـا بعد أيّهـا الناس، فـإنّ الشيطان قد يئس من أن يُعبـد بأرضكم هـذه أبداً، ولكنّـه إن يُطَع فيمـا سوى ذلـك فقد رضي بـه مما تحقـرون من أعمـالكم فـاحـذروه على دينكم، أيّهـا الناس: ﴿**إنَّ النَّسيءَ زِيَادَةٌ فِي ٱلكُفْـرِ، يُضَلُّ بِـهِ ٱلَّذِينَ كَفَـرُوا، يُحلُّونَهُ عَـاماً ويُحرِّمُونَهُ عَاماً، لِيُواطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللهُ، وَيُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ ٱللهُ**﴾ وإنَّ الزَّمَانَ

---

(1) أخرجه أحمد في المسند ٣/٨٦ بالسند نفسه، والنص، دون «من أن يُشكى». وتاريخ الطبري ٣/٢١٤٩.

(2) سورة التوبة ـ الآية ٣٧.

قَدِ ٱسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱللهُ السَّمـوات والأرض، و﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُـورِ عِنْدَ ٱللهِ ٱثْنَـا عَشَرَ شَهْـراً فِي كِتَابِ ٱللهِ يَـوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ، مِنْهَـا أَرْبَعَـةٌ حُرُمٌ﴾[1] ثلاثة متوالية، ورجب مُضَرٍ[2]، الـذي بين جُمادى وشعبـان. أما بعـد أيُّها الناس، فإنّ لكم على نسائكم حقّاً؛ ولهنّ عليكم حقّاً، لكم عليهنّ أن لا يُوطِئْن فَرْشَكم أحداً تكرهونه، وعليهنّ أن لا يـأتين بفاحشـة مبيِّنة، فـإن فعلْن فـإنّ الله قد أذِن لكم أن تهجـروهنّ في المضـاجـع وتضـربـوهنّ ضـربـاً غيـر مُبَـرِّح[3]، فإنِ انتهيْن فلهنّ رزقهنّ وكِسْـوتهنّ بالمعـروف، واستوصـوا بالنسـاء خيراً، فإنّهنّ عندكم عَوَانٍ[4] لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً، وإنّكم إنّما أخـذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمات الله، فاعقلوا أيّها الناس قـولي، فإنّي قـد بلّغت، وقد تـركت فيكم ما إنِ اعتصمتم بـه فلن تضلّوا أبداً، أمـراً بيِّنـا، كتـابَ الله وسُنَّة نبيّـه، أيّها النـاس، اسمعـوا قـولي واعقلو ه، تعلمُنّ أنّ كـلّ مسلم أخُ للمسلم، وأنّ المسلمين إخوة، فلا يحـلّ لامرىء من أخيـه إلاّ ما أعـطاه عن طِيب نَفْسٍ منه، فـلا تظلمُنَّ أنفسكم، اللّهمّ هل بلّغتُ»؟.

فـذُكر لي أنّ النـاس قالـوا: اللّهم نعم، فقـال رسـول الله ﷺ: «اللهمّ اشْهد»[5].

قـال ابن إسحاق: وحـدّثني يحيى بن عبّاد بن عبـد الله بن الزُبيـر، عن أبيه عبّاد قال: كان الـرجل الـذي يصرخ في النـاس بقول رسـول الله ﷺ وهو

---

(١) سورة التوبة ـ الآية ٣٦.

(٢) رجب مُضَر، إنّما قال ذلك لأنّ ربيعـة كانت تحـرّم شهر رمضـان، وتسمّيه: رجباً من رَجَبْت الرجل ورجَّبتـه إذا عظّمتـه، ورجّبت النخلة إذا دعّمتها، فبيّن عليـه السلام أنـه رجب مُضَر لا رجب ربيعة، وأنه الذي بين جُمادى وشعبان. (الروض الأنف ٤/٢٤٨).

(٣) غير مبرح: غير شديد.

(٤) عوان: أسيرات، مفردها: عانيه.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الحج (١٤٧/٢١٨) من حديث طويل في باب حجّة النبيّ ﷺ. وأبو داود في المنـاسك (١٩٠٥) بـاب صفة حجّـة النبيّ ﷺ. والـطبـري في التـاريـخ ١٥٠/٣، ١٥١، وابن سعد ١٨١/٢.

بعَرَفة، ربيعة بن أُميّة بن خَلَف قال: يقول لـه رسول الله ﷺ: قـل يا أيّهـا الناس، إنّ رسول الله ﷺ يقول: «هلا تدرون أيّ شهر هذا»؟ فيقـول لهم، فيقولـون: الشهر الحرام، فيقـول: «قل لهم: إنّ الله حـرّم عليكم دماءكم وأمـوالكم إلى أن تلْقَـوا ربَّكم كحُـرْمـة شهـركم هـذا»، ثم يقـول: «قـل يا أيّها النـاس، إنّ رسـول الله ﷺ يقول: هـل تدرون أيّ بلد هـذا»؟ قـال: فيصـرخ بـه، قـال: فيقولون: البلد الحرام، قال: فيقـول: قل لهم: «إنّ الله قـد حرّم عليكم دمـاءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربّكم كحُرمة بلدكم هذا»، قال: ثم يقول: قل: «يأيّها النـاس، إنّ رسول الله ﷺ يقـول: «هل تـدرون أيّ يوم هـذا»؟ قال: فيقـولـه لهم. فيقـولون: يـوم الحجّ الأكبـر، قال: فيقـول: قل لهم: إنّ الله قـد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربّكم كحُرْمة يومكم هذا»[1].

قـال ابن إسحـاق: حـدّثني ليث بن أبي سُلَيم، عن شهـر بن حَـوْشب الأشعـريّ، عن عَمـرو بن خـارجـة قـال: بعثني عتّـاب بن أُسَيْـد إلى رسـول الله ﷺ في حاجـة، ورسول الله ﷺ واقف بعَـرَفـة، فبلّغتـه، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله ﷺ وإنّ لغامها[2] ليقع على رأسي، فسمعتـه وهو يقـول: «أيّها الناس، إنّ الله أدّى إلى كـلّ ذي حقٍّ حقّه وإنّـه لا تجوز وصيّـة لوارث، والـولد للفـراش، وللعاهـر الحَجْر[3]، ومن ادّعى إلى غيـر أبيـه أو تـولّى غيـر

---

(١) تـاريخ الطبري ١٥١/٣، ١٥٢، وأخـرج البخـاري في كتـاب الحـدود (١٥/٨) بـاب ظهـر المؤمن حِمىً إلّا في حدٍّ أو حقٍّ. قال: حدّثني محمد بن عبـد الله، حدّثنـا عاصم بن عليّ، حدّثنا عاصم بن محمد، عن واقـد بن محمد سمعت أبي، قـال عبد الله: قـال رسول الله ﷺ في حجّة الوداع: «ألا أيّ شهر تعلمونه أعظم حرمة. قالوا: ألا شهرنا هذا. قال: ألا أيّ بلدٍ تعلمونه أعظم حرمة. قالوا: ألا بلدنا هذا. قال: ألا أيّ يوم تعلمونه أعظم حرمة. قـالوا: ألا يومنا هذا. قال: فإنّ الله تبارك وتعالى قد حرّم دماءكم وأموالكم وأعراضكم ألا بحقّها كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ألا هل بلّغت، ثـلاثاً، كـلّ ذلك يجيبـونه ألا نعم قال: ويحكم أو ويلكم لا ترجعُنّ بعدي كُفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعضٍ.

(٢) اللغام: الرغوة التي تخرج من فم الناقة.

(٣) حديث الولد للفراش، عند البخاري في البيـوع من حديث عـائشة رضي الله عنهـا، في باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه. (٤٩/٣) وأخرجها في كتاب الوصايا (١٨٧/٣) باب =

مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرْفاً ولا عدلاً».

تعاليم الرسول عليه السلام للحاجّ: قال ابن إسحاق: وحدّثني عبْد الله بن أبي نَجِيح: أنّ رسول الله ﷺ حين وقف بعَرَفة، قال: «هذا الموقف، للجبل الذي هو عليه وكل عَرَفة موقف». وقال حين وقف على قزح[1] صبيحة المُزْدَلِفة: «هذا الموقف، وكلّ المُزْدَلِفة موقف». ثم لما نحر بالمنحر بمِنَى قال: «هذا المنحر، وكلّ مِنَى منْحر»[2] فقضى رسول الله ﷺ الحجّ وقد أراهم مناسكهم، وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجّهم: من الموقف، ورمْي الجمار، وطواف بالبيت، وما أحلّ لهم من حجّهم، وما حرّم عليهم، فكانت حجّة البلاغ، وحجّة الوداع، وذلك أنّ رسول الله ﷺ لم يحجّ بعدها[3].

= قول الموصي لوصيّه تَعاهدْ ولدي وما يجوز للوصيّ من الدعوى. وفي المغازي ٩٦/٥ باب. مقام النبيّ ﷺ بمكة زمن الفتح. وفي الفرائض ٩/٧ باب الولد للفراش حرّة كانت أو أَمَة. و(١٢/٧) باب من ادّعى أخاً أو ابن أخ. والأحكام (١١٦/٨) باب من قُضي له بحق أخيه فلا يأخذه. وهو في صحيح مسلم، وسنن أبي داود، والجامع الصحيح للترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجة، وسنن الدارمي، وموطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد. (انظر معجم ألفاظ الحديث ١٠٩/٥ مادّة فرش).

(١) قزَح: جبل بالمُزْدَلِفة.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج (١٤٩) باب ما جاء أن عرفة كلها موقف: عن عمر بن حفص بن غياث، عن أبيه، عن جابر، في حديثه أن رسول الله ﷺ قال: «نحرت هاهنا، ومنى كلها منحر، فانحروا في رحالكم. ووقفت هاهنا وعرفة كلها موقف. ووقفت هاهنا، وجمْع كلها موقف». وأبو داود في كتاب مناسك الحج (١٩٠٧) باب صفة حجّة النبيّ ﷺ. و(١٩٣٥) باب الصلاة بجَمْع. والنسائي في المناسك ٢٥٦/٥ باب رفع اليدين في الدعاء بعرفة. و ٢٦٥/٥ باب فيمن لم يدرك صلاة الصبح مع الإمام بالمزدلفة. والترمذي في كتاب الحج (٨٨٦) باب ما جاء أن عرفة كلها موقف. وابن ماجة في كتاب المناسك، (٣٠١٠) و(٣٠١٢) باب الموقف بعرفة و (٣٠٤٨) باب الذبح. والدارمي في المناسك، باب (٥٠)، ومالك في الموطأ(٨٧٨) و(٨٧٩) باب الوقوف بعرفة، والمزدلفة. وأحمد في المسند ٧٢/١، ٧٥، ٨٦، ٨١، ١٥٧، ٣٢١/٣، ٣٢٦، ٨٢/٤.

(٣) تاريخ الطبري (١٥٢/٣).



بعث أُسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحاق: ثم قفل رسول الله ﷺ، فأقام بالمدينة بقية ذي الحجّة والمحرَّم وصفر، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام، وأمّر عليهم أُسامة بن زيد بن حارثة مولاه، وأمره أن يُوطيء الخَيل تُخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهّز الناس، وأوعب[1] مع أُسامة بن زيد المهاجرون الأوّلون[2].

بعْث رسول الله ﷺ إلى الملوك

قال ابن هشام: وقد كان رسول الله ﷺ بعث إلى الملوك رُسُلاً من أصحابه، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام.

قال ابن هشام: حدّثني من أثق به، عن أبي بكر الهُذليّ قال: بلغني أنّ رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذات يوم بعد عُمرته التي صُدّ عنها يوم الحُدَيبية، فقال: «أيُّها الناس إنّ الله قد بعثني رحمة وكافّة، فلا تختلفوا عليَّ كما اختلف الحواريُّون على عيسى بن مريم»، فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريُّون يا رسول الله؟ قال: «دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه، فأمّا من بعثه بعثاً قريباً فرضي وسَلِم، وأمّا من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه وتثاقل، فشكا ذلك عيسى إلى الله، فأصبح المتثاقلون وكلّ واحد منهم يتكلّم بلغة الأمة التي بُعث إليها».

أسماء الرسل وأسماء من أرسل إليهم:[3] فبعث رسول الله ﷺ رُسُلاً من أصحابه، وكتب معهم كتُباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام. فبعث دِحْية بن خليفة الكلبيّ إلى قيصر، ملك الروم، وبعث عبد الله بن حُذافة السَّهْميّ إلى كسرى، ملك فارس، وبعث عمرو بن أُميَّة الضَّمْريّ إلى

---

(١) أوعب: اجتمع.

(٢) تاريخ الطبري ١٨٤/٣.

(٣) أنظر: تاريخ خليفة ٧٩، البدء والتاريخ ٢٢٨/٤، ٢٢٩.

النّجـاشيّ، ملك الحبشة، وبعث حـاطب بن أبي بلتعة إلى المُقَـوْقِس، ملك الإسكندرية، وبعث عمرو بن العاص السَّهْميّ إلى جَيْفر وعيّاد ابني الجلنـدي الأزْديّين، ملكي عُمان، وبعث سَليط بن عمرو، أحد بني عامر بن لُؤَيّ، إلى ثُمـامة بن أثـال، وهَوْذة بن عليّ الحنفيَّين، ملكيْ اليمـامة، وبعث العـلاء بن الحضْـرميّ إلى المنذر بن سـاوي العبدي، ملك البحـرين، وبعث شجاع بن وهْب الإسديّ إلى الحارثِ بن أبي شَمِر الغسّانيّ، ملك تخوم الشام.

قـال ابن هشام: بعث شجـاع بن وهْب إلى جَبَلَة بن الأيهم الغسّـانيّ، وبعث المهاجر بن أبي أُميّة المخزوميّ إلى الحارث بن عبد كَـلاَل الحِمْيَرِيّ، ملك اليمن.

قال ابن هشام: أنا نسيت سَلِيطاً وثُمامة وهَوْذة والمنذر.

قال ابن إسحاق: حدّثني يزيد بن أبي حبيب المصري: أنـه وجد كتـاباً فيـه ذكر من بعث رسـول الله ﷺ إلى البلدان وملوك العرب والعجم، ومـا قال لأصحابه حين بعثهم قـال: فبعثت به إلى محمـد بن شهاب الـزُّهْري فعـرفه، وفيه: أنّ رسول الله ﷺ خـرج على أصحابـه فقال لهم: «إنّ الله بعثني رحمـة وكافّة، فأدّوا عنّي يرحمكم الله، ولا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريّون على عيسى بن مـريم»، قالـوا: كيف يا رسـول الله كان اختـلافهم؟ قال: «دعـاهم لمثل ما دعـوتكم له، فـأمّا من قـرُب به فـأحبّ وسلم، وأما من بعُـد به فكـره وأبى، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله، فأصبحوا وكلّ رجل منهم يتكلّم بلغة القوم الذين وُجِّه إليهم».

أسماء رُسُل عيسى: قـال ابن إسحاق: وكـان من بعث عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريّين والأتباع، الذين كانـوا بعدهم في الأرض: بـطرس الحَوَاريّ، ومعه بُولُس، وكان بولس من الأتباع، ولم يكن من الحـواريّين إلى روميـة، وأندرائس ومنتـا إلى الأرض التي يأكـل أهلها النـاس، وتـومـاس إلى أرض بابل، من أرض المشـرق، وفيلبُّس إلى أرض قَرْطـاجنَّة وهي إفـريقية،

ويُحنَّس، إلى أفْسُوس، قرية الفِتْية أصحاب الكهف، ويعقوبُس إلى أورشليم وهي إيلياء، قرية بيت المقدس، وابن ثلماء إلى الأعرابية، وهي أرض الحجاز، وسيمُن إلى أرض البربر، ويهوذا، ولم يكن من الحواريّين، جُعل مكان يُودس.

ذكر جملة الغزوات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدّثنا زياد بن عبد الله البكّائي، عن محمد بن إسحاق المطّلبي: وكان جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه سبْعاً وعشرين غزوة منها، غزوة ودّان، وهي غزوة الأبواء، ثم غزوة بُواط، من ناحية رَضْوَى، ثم غزوة العُشَيرة، من بطن يَنْبُع، ثم غزوة بدر الأولى، بطلب كُرْز بن جابر، ثم غزوة بني سُلَيم، حتى بلغ الكُدْر، ثم غزوة السَّويق، بطلب أبا سفيان بن حرب، ثم غزوة غَطفان، وهي غزوة ذي أمر، ثم غزوة بَحْران، معدن بالحجاز، ثم غزوة أُحُد، ثم غزوة حمراء الأسد، ثم غزوة بني النضير، ثم غزوة الرقاع ومن نخل، ثم غزوة بدر الآخرة، ثم غزوة دُومة الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بني قُرَيظة، ثم غزوة بني لِحْيان، من هُذَيل، ثم غزوة ذي قَرَد، ثم غزوة بني المُصْطلِق من خُزاعة، ثم غزوة الحُدَيبية، لا يريد قتالاً، فصدَّه المشركون، ثم غزوة خَيبر، ثم غزوة القضاء، ثم غزوة الفتح، ثم غزوة حُنَين، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تَبُوك. قاتل منها في تسع غزوات: بدر، وأُحُد، والخندق، وقُريظة، والمُصْطلِق، وخَيبر، والفتح، وحُنين، والطائف[1].

---

(١) تاريخ الطبري ١٥٣/٣، وانظر المعرفة والتاريخ ٢٦١/٣، ٢٦٢، وتاريخ اليعقوبي ٦٩/٢ وغيره.

ذكر جملة السّرايا والبعوث

وكانت بُعوثه ﷺ وسراياه ثمانياً وثلاثين، من بين بعث وسريّة: غزوة عُبيدة بن الحارث أسفل من ثنيّة ذي المَرْوة، ثم غزوة حمزة بن عبد المطّلب ساحل البحر، من ناحية العِيص؛ وبعض الناس يقدّم غزوة حمزة قبل غزوة عُبيدة؛ وغزوة سعد بن أبي وقّاص الخرّار، وغزوة عبد الله بن جحش نخلة، وغزوة زيد بن حارثة القَرَدة، وغزوة محمد بن مَسلمة: كعب بن الأشرف، وغزوة مَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغَنَويّ الرجيع، وغزوة المنذر بن عمرو بئر مَعُونة، وغزوة أبي عُبيدة بن الجرّاح ذا القَصَّة، من طريق العراق، وغزوة عمر بن الخطّاب تربة من أرض بني عامر، وغزوة عليّ بن أبي طالب اليمن، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي، كلب ليث، الكَدِيد، فأصاب بني الملوَّح[1].

غزوة غالب بن عبد الله الليثي بني الملوّح: وكان من حديثها أنّ يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس، حدّثني عن مسلم بن عبد الله بن خبيْب الجُهَني، عن المنذر[2]، عن جُنْدب بن مَكيث الجُهَني، قال: بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبي، كلب بن عوف بن ليث، في سريّة كنت فيها، وأمره أن يشنّ الغارة على بني الملوّح، وهم بالكَديد، فخرجنا، حتى إذا كنّا بقُدَيد لقينا الحارث بن مالك، وهو ابن البرصاء الليثي، فأخذناه، فقال: إنّي جئت أريد الإسلام، ما خرجت إلاّ إلى رسول الله ﷺ؛ فقلنا له: إن تك مسلماً فلن يضيرك رباط ليلة، وإن تك على غير ذلك كنّا قد استوثقنا منك، فشددناه رباطاً، ثم خلّفنا عليه رجلاً[3] من أصحابنا أسود، وقلنا له: إن عازَّك[4] فاحتزّ رأسه.

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١٥٤ وفيه «وأصاب بلمُلوّح».
(٢) المنذر، ليس في السند عند ابن سعد ٢/١٤٢.
(٣) عند ابن سعد «رويجلاً».
(٤) عازَّك: غالبك. وفي طبقات ابن سعد: «نازعك».

قال: ثُمّ سرنا حتى أتينا الكَديد عند غروب الشمس، فكنّا[1] في ناحية الوادي، وبعثني أصحابي ربيئة[2] لهم، فخرجت حتى آتي تلاً مشرفاً على الحاضر[3]، فأسندت فيه[4]، فعلوت على رأسه، فنظرت إلى الحاضر، فوالله إنّي لمنبطح على التلّ، إذ خرج رجل منهم من خِبائه، فقال لامرأته: إنّي لأرى على التلّ سواداً ما رأيته في أول يومي، فانظري إلى أوعيتك هل تفقدين منها شيئاً، لا تكون الكلاب جرّت بعضها؛ قال: فنظرت، فقالت: لا، والله ما أفقد شيئاً؛ قال: فناوليني قوسي وسهمين، فناولته، قال: فأرسل سهماً، فوالله ما أخطأ جنبي، فأنزعه، فأضعه، وثبتّ مكاني، قال: ثم أرسل الآخر، فوضعه في منكبي، فأنزعه فأضعه، وثبتّ مكاني، فقال لامرأته: لو كان ربيئة لقوم لقد تحرّك، لقد خالطه سهماي لا أبا لكِ، إذا أصبحتِ فابتغيهما، فخذيهما، لا يمضغهما عليّ الكلاب. قال: ثم دخل.

قال: وأمهلناهم، حتى إذا اطمأنّوا وناموا، وكان في وجه السَّحَر، شَنَنّا عليهم الغارة، قال: فقتلنا، واستقْنا النَّعَم، وخرج صريخ القوم، فجاءنا دهم[5] لا قِبَل لنا به، ومضينا بالنَّعَم، ومررنا بابن البرصاء وصاحبه، فاحتملناهما معنا؛ قال: وأدركنا القوم حتى قربُوا منّا، قال: فما بيننا وبيْنهم إلّا وادي قُدَيد، فأرسل الله الوادي بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى، من غير سحابة نراها، لامطر، فجاء بشيء ليس لأحدٍ به قوّة، ولا يقدر على أن يجاوزه، فوقفوا ينظرون إلينا، وإنّا لنسوق نَعَمَهم، ما يستطيع رجل أن يُجيز إلينا، ونحن نحدوها سراعاً، حتى فُتناهم فلم يقدروا على طلبنا.

قال: فقدِمنا بها على رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدّثني رجل من أسلم، عن رجل منهم: أنّ شعار

---

(١) عند ابن سعد «فكمنّا».

(٢) الربيئة: الطليعة الذي يتجسّس الأخبار.

(٣) الحاضر: من ينزلون على الماء.

(٤) أسندت: ارتفعت.

(٥) الدهم: الجماعة الكثيرة.

أصحاب رسول الله ﷺ كان تلك الليلة: أمت أمت. فقال راجز من المسلمين وهو يحدوها:

أَبَى أبُو القَاسِمِ أنْ تَعَزَّبى ... في خَضِلٍ نباتُهُ مُغْلَوْلِبِ[1]

صُفْرٍ أعاليهِ كَلَوْنِ المُذهَبِ[2]

قال ابن هشام: ويروى: «كلون الذهب».

تم خبر الغزاة، وعدت إلى ذكر تفاصيل السَّرايا والبعوث.

تعريف ببعض الغزوات: قال ابن إسحاق: وغزوة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بني عبد الله بن سعد من أهل فَدَك؛ وغزوة أبي العَوْجاء السُّلميّ أرض بني سُلَيم، أصيب بها هو وأصحابه جميعاً؛ وغزوة عُكّاشة بن مِحْصَن الغَمرة؛ وغزوة أبي سَلَمة بن عبد الأسد قَطَناً، ماء من مياه بني أسد، من ناحية نجد، قُتل بها مسعود بن عُروة، وغزوة محمد بن مَسلمة، أخي بني حارثة، القُرطاء من هوازن؛ وغزوة بشير بن سعد بني مُرَّة بفَدَك، وغزوة بشير ابن سعد ناحية خيبر[3]، وغزوة زيد بن حارثة الجَمُوم من أرض بني سُليم، وغزوة زيد بن حارثة جُذام، من أرض خُشَيْن.

قال ابن هشام: عن نفسه، والشافعي، عن عمرو بن حبيب، عن ابن إسحاق: من أرض حِسْمَى[4].

غزوة زيد بن حارثة إلى جُذام[5]: قال ابن إسحاق: وكان من حديثها كما حدّثني من لا أتّهم، عن رجال من جُذام كانوا علماء بها، أنّ رفاعة بن زيد

---

(١) تعزّبي: تغيّبي في المرعى. الخَضِلّ: الأخضر المُبتَلّ. المُغْلَوْلِب: الكثير.

(٢) الخبر والرجز في طبقات ابن سعد ٢/١٤٢، ١٢٥، وانظر البدء والتاريخ ٤/٢٣٠، والمحبّر ١١٩، وتاريخ خليفة ٧٨، وأنساب الأشراف ١/٣٧٩، رقم ٨٠٤.

(٣) في تاريخ الطبري ٣/١٥٥ «وغزوة بشير بن سعد أيضاً إلى يُمْن وجناب بلد من أرض خيبر، وقيل يُمن وجَبار، أرض من أرض خيبر.

(٤) وهي كذلك في تاريخ الطبري ٣/١٥٥.

(٥) المحبّر ١٢١، تاريخ اليعقوبي ٢/٧١، أنساب الأشراف ١/٣٧٧ رقم ٧٩٠.

الجُذاميّ، لما قدِم على قومه من عند رسول الله ﷺ بكتابه يدعوهم إلى الإسلام، فاستجابوا له، لم يلبث أن قدِم دِحْية بن خليفة الكلبيّ من عند قيصر صاحب الروم، حين بعثه رسول الله ﷺ إليه ومعه تجارة له، حتى إذا كانوا بوادٍ من أوديتهم يقال له شَنَار، أغار على دِحية بن خليفة الهُنَيد بن عوص، وابنه عوص بن الهُنَيد الضّلعيّان. والضّليع: بطن من جُذام، فأصابا كلَّ شيء كان معه، فبلغ ذلك قوماً من الضُبَيْب، رهْط رفاعة بن زيد، ممن كان أسلم وأجاب، فنفروا إلى الهُنَيد وابنه، فيهم من بني الضُّبَيْب، النُّعمان بن أبي جعال، حتى لقوهم، فاقتتلوا، وانتمى يومئذ قُرَّة بن أشقر الضَّفاري ثم الضّلعيّ، فقال: أنا ابن لُبْنَى، ورمى النُّعمان بن أبي جعال بسهم، فأصاب رُكبته؛ فقال حين أصابه: خذها وأنا ابن لُبْنَى، وكانت له أمّ تدعى لُبْنَى، وقد كان حسّان بن ملّة الضُّبَيْبي قد صحِب دِحْية بن خليفة قبل ذلك، فعلّمه أمَّ الكتاب.

قال ابن هشام: ويقال: قُرّة بن أشقر الضّفاريّ، وحيّان بن ملّة.

قال ابن إسحاق: حدّثني من لا أتّهم، عن رجالٍ من جُذام، قال: فاستنقذوا ما كان في يد الهُنَيد وابنه، فردّوه على دِحْية، فخرج دِحْية، حتى قدِم على رسول الله ﷺ، فأخبره خبره، واستسقاه دم الهُنَيد وابنه، فبعث رسول الله ﷺ إليهم زيد بن حارثة، وذلك الذي هاج غزوة زيد جُذام، وبعث معه جيشاً، وقد وجّهت غَطَفان من جُذام ووائل ومن كان من سَلامان وسعد بن هذيم، حين جاءهم رفاعة بن زيد بكتاب رسول الله ﷺ، حتى نزلوا الحَرَّة الرَّجْلاء[1]، ورفاعة بن زيد بكُراع رَبّه[2]، لم يعلم ومعه ناس

---

(١) حَرَّة الرَّجْلاء: الصلبة الشديدة، وقيل هي التي أعلاها أسود وأسفلها أبيض. ويقال للطريق الخشن. رجيل. وهو علم لحَرّة في ديار بني القَيْن بن جَسر بين المدينة والشام. (معجم البلدان ٢٤٦/٢).

(٢) كُراع رَبّه: بالضّم في أوله. وكراع كل شيء: طَرَفه. وما سال من أنف الجبل أو الحَرَّة. وربّة: بلفظ ربّة البيت أو ربّة المال أي صاحبته. في ديار جُذام. كذا ضبطه ابن الفرات بخطّه. (معجم البلدان ٤٤٣/٤).

من بني الضُّبَيب، وسائر بني الضُّبَيْب بوادي مَدَان[1]، من ناحية الحَرَّة، مما يسيل مشرِّقاً، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأَوْلاج[2]، فأغار بالماقص من قِبَل الحَرَّة، فجمعوا ما وجدوا من مال أو ناس، وقتلوا الهُنَيد وابنه ورجلين من بني الأجنف.

قال ابن هشام: من بني الأحنف.

قال ابن إسحاق: في حديثه: ورجلاً من بني الخصيب. فلما سمعت بذلك بنو الضُّبَيب والجيش بفَيْفاء[3] مَدانٍ ركب نفر منهم، وكان فيمن ركب معهم حسّان بن ملّة، على فرسٍ لسُوَيد بن زيد، يقال لها العُجاجة، وأُنَيف ابن ملّة على فرس لملّة يقال لها: رُغال؛ وأبو زيد بن عمرو على فرس يقال لها شَمِر، فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش، قال أبو زيد وحسّان لأُنَيف بن ملّة: كُفَّ عنّا وانصرف، فإنّا نخشى لسانك، فوقف عنهما، فلم يبعدا منه حتى جعلت فرسه تبحث بيديها وتوثّب، فقال: لأنا أضَنّ بالرجلين منك بالفرسين، فأرخى لها، حتى أدركهما، فقالا له: أما إذا فعلت ما فعلت فكُفَّ عنّا لسانك، ولا تشأمنا اليوم، فتواصوا أن لا يتكلّم منهم إلّا حسّان بن ملّة، وكانت بينهم كلمة في الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض، إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال: بوري أو ثوري؛ فلما برزوا على الجيش، أقبل القوم يبتدرونهم فقال لهم حسّان: إنّا قوم مسلمون، وكان أول من لقِيهم رجل على فرس أدهم، فأقبل يسوقهم، فقال أُنَيف: بوري، فقال حسّان: مهلاً. فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسّان: إنّا قوم مسلمون، فقال له زيد فاقرءوا أمّ الكتاب، فقرأها حسّان، فقال زيد بن حارثة: نادوا في الجيش أنّ الله قد حرّم

---

(١) المَدَان: بفتح أوله. وادٍ في بلاد قضاعة بناحية حَرَّة الرجلاء، وقيل الرجْلَى، يسير مشرقاً من الحَرَّة. (معجم البلدان ٥/٧٤).

(٢) الأولاج: بالفتح. أنظر معجم البلدان ١/٢٨٢.

(٣) فَيْفاء: بالفتح، وتكرير الفاء. المفازة التي لا ماء فيها، وجمعها الفيافي. (معجم البلدان ٤/٢٨٥).

علينا ثغرة[1] القوم التي جاءوا منها إلاّ من خَتَر[2].

قال ابن إسحاق: وإذا أخت حسّان بن ملّة، وهي امرأة أبي وَبَر بن عدِيّ بن أُميّة بن الضُّبَيْب في الأسارى، فقال له زيد: خذها، وأخذت بحِقْويه[3] فقالت أم الفزر الضلْعية: أتنطلقون ببناتكم وتَذَرون أمّهاتكم؟ فقال أحد بني الخصيب: إنّها بنو الضُّبَيب وسحر ألسنتهم سائر اليوم، فسمعها بعض الجيش، فأخبر بها زيد بن حارثة، فأمر بأخت حسّان، ففُكَّت يداها من حقْويه، وقال لها: اجلسي مع بنات عمّك حتى يحكم الله فيكنّ حكمه، فرجعوا، ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذي جاءوا منه؛ فأمسوا في أهليهم، واستعتموا ذوداً[4] لسُوَيد بن زيد، فلما شربوا عتمتهم[5] ركبوا إلى رفاعة بن زيد تلك الليلة: أبو زيد بن عمرو، وأبو شمّاس بن عمرو، وسُويد ابن زيد، وبَعْجة بن زيد، وبَرْذَع بن زيد، وثعلبة بن زيد، ومُخرَّبة بن عدِيّ، وأُنَيف بن ملّة، وحسّان بن ملّة، حتى صبّحوا سَحَراً رفاعة بن زيد بكراع رَبّه، بظهر الحَرّة، على بئر هنالك من حَرَّة ليلى، فقال له حسّان بن ملّة: إنّك لجالس تحلب المِعْزَى ونساء جُذام أسارى قد غرّها كتابك الذي جئت به، فدعا رفاعة بن زيد بحملٍ له، يشدّ رَحْله وهو يقول:

هــل أنــت حــيٌّ أو تنــادي حيّــاً

ثم غدا وهم معه بأُميّة بن ضَفارة أخي الخصيبيّ المقتول، مُبكرين من ظهر الحَرَّة، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليالٍ، فلما دخلوا المدينة، وانتهوا إلى المسجد، نظر إليهم رجل من الناس، فقال: لا تُنِيخوا إبِلَكم، فتقطع أيديهنّ، فنزلوا عنهنّ وهنّ قيام، فلمّا دخلوا على رسول الله ﷺ ورآهم

---

(١) الثغرة: ما يحمونه من جانبهم.
(٢) ختر: نقض العهد.
(٣) حقْويه: خصريه.
(٤) استعتموا: انتظروا إلى العتمة. الذود. جماعة الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة.
(٥) عتمتهم: لبنهم الذي يشربونه في التعتمة.

ألاح[1] إليهم بيده: «أن تعالَوا من وراء الناس»، فلما استفتح رِفاعة بن زيد المنطق، قام رجل من الناس فقال: يا رسول الله، إنّ هؤلاء قوم سَحَرة، فردّدها مرّتين، فقال رِفاعة بن زيد: رحِم الله من لم يحذنا[2] في يومه هذا إلاّ خيراً. ثم دفع رِفاعة بن زيد كتابه إلى رسول الله ﷺ كان كتبه له. فقال: دونك يا رسول الله قديماً كتابُه، حديثاً غدره. فقال رسول الله ﷺ: «اقرأه يا غلام، وأعْلِنْ»، فلما قرأ كتابه استخبره، فأخبروهم الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «كيف أصنع بالقتلى»؟ ـ ثلاث مرات ـ. فقال رفاعة: أنت يا رسول الله أعلم، لا نحرّم عليك حلالاً ولا نحلّل لك حراماً، فقال أبو زيد بن عمرو: أطلِق لنا يا رسول الله من كان حيّاً، ومن قُتل فهو تحت قدميّ هذه؛ فقال له رسول الله ﷺ: «صدق أبو زيد، اركب معهم يا عليّ»، فقال له عليّ رضي الله عنه: إنّ زيداً لن يطيعني يا رسول الله، قال: فخذ سيفي هذا، فأعطاه سيفه، فقال عليّ: ليس لي يا رسول الله راحلة أركبها، فحملوه على بعير لثعلبة بن عمرو، يقال له مِكْحال، فخرجوا، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبي وَبَر، يقال لها: الشِّمِر، فأنزلوه عنها، فقال: يا عليّ، ما شأني؟ فقال: ما لهم عرفوه فأخذوه، ثم ساروا فلقوا الجيش بفَيْفاء الفَحْلتين، فأخذوا ما في أيديهم[3]، حتى كانوا ينزعون لَبِيد المرأة من تحت الرَّحْل؛ فقال أبو جعال حين فرغوا من شأنهم:

وعاذلةٍ ولم تعذُل بطِبٍّ[4] ... ولولا نحنُ حُشّ بها السَّعيرُ
تُدافع في الأسارى بابنَتَيها ... ولا يُرْجَى لها عِتْق يسير
ولو وُكِلَتْ إلى عُوصٍ وأوسٍ ... لحار[5] بها عن العِتْق الأمور

---

(١) ألاح: أشار.
(٢) لم يحذنا: لم يعطنا.
(٣) الخبر في طبقات ابن سعد ٢/٨٨ بعنوان سرية زيد بن حارثة إلى جِسْمى.
(٤) بطبّ: برفق.
(٥) حار: رجع.

ولـو شهِـدَتْ ركـائبَنَـا بمِصْـرٍ تُحـاذِرُ أن يُعَـلَّ[1] بهـا المسيـر

وَرَدْنـا مَـاءَ يثْـربَ عـن حِفـاظٍ لِـرَبْـعٍ إنّـه قَـرَب ضَـريـر[2]

بكـلِّ مُجـرَّب كـالسِّيـد نَهْـدٍ على أقتـاد نـاجيـة صَبـور[3]

فِـدًى لأبـي سُلَيمي كـلُّ جيش بيثْـربَ إذ تنـاطحت النُّحُـور

غـداةَ تَـرَى المُجَـرَّب مُستكينـاً خـلافَ القـومِ هـامتُـه تـدور

قال ابن هشام: قوله: «ولا يُرجَى لها عِتْق يسير». وقوله: «عن العِتْق الأمور». عن غير ابن إسحاق.

تمّت الغزاة، وعُدنا إلى تفصيل ذكر السَّرايا والبعوث.

غزوة زيد الطَّرَف: قال ابن أسحاق: وغزوة زيد بن حارثة أيضاً الطَّرَف من ناحية نخل. من طريق العراق[4].

غزوة زيد بن حارثة بني فَزَارة: وغزوة زيد بن حارثة أيضاً وادي القرى؛ لقي به بني فَزَارة، فأصيب بها ناس من أصحابه، وارتُثَّ[5] زيد من بين القتلى، وفيها أصيب ورد بن عمرو بن مَداش، وكان أحد بني سعد بن هُذَيل، أصابه أحد بني بدر[6].

قال ابن هشام: سعد بن هُذَيم.

قال ابن إسحاق: فلما قدِم زيد بن حارثة آلى أن لا يمسّ رأسَه غُسْلٌ

---

(١) يُعلّ: يكرر.

(٢) الربع: ورود الإبل إلى الماء لأربعة أيام. القرب السير في طلب الماء. ضرير: مضر.

(٣) السيد: الذئب. النهد: الغليظ. أقتاد: أدوات الرحل. الناجية: أي ناقة صبور.

(٤) كانت في جمادى الآخرة سنة ست من مُهاجَر الرسول ﷺ. انظر عنها في الطبقات لابن سعد ٢/٨٧، والمحبّر ١٢٢، وتاريخ اليعقوبي ٢/٧٢، وأنساب الأشراف ١/٣٧٧ رقم ٧٨٩.

(٥) ارتُثَّ: حُمل جريحاً من المعركة وبه رمق.

(٦) كانت الغزوة في شهر رجب سنة ست من مهاجر الرسول ﷺ. طبقات ابن سعد ٢/٨٩) والمحبّر ١١٩، وتاريخ خليفة ٧٧، وتاريخ اليعقوبي ٢/٧١، وأنساب الأشراف ١/٣٧٧، ٣/٨ رقم ٧٩١ و ٧٩٤، والبدء والتاريخ ٤/٢٢٢.

من جَنابة حتى يغـزو بني فَزارة، فلمـا استبلّ من جـراحته بعثـه رسول الله ﷺ إلى بني فَزارة في جيش، فقتلهم بوادي القرى، وأصاب فيهم، وقتل قيس بن المُسَحّر اليَعْمُريّ مَسْعَدة بن حكمة بن مالك بن حُـذيفة بن بـدر، وأسرت أمّ قِرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر، كانت عجوزاً كبيـرة عند مـالك بن حُـذيفة بن بدر، وبنت لها، وعبد الله بن مَسْعدة. فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحّر أن يقتل أمّ قِرفة، فقتلها قتلاً عنيفاً، ثم قـدِموا على رسـول الله ﷺ بابنـة أمّ قِرفـة وبابن مَسْعَدة.

وكـانت بنت أمّ قِرْفـة لسَلَمـة بن عمـرو بن الأكْـوع، وكـان هـو الـذي أصابها، وكانت في بيت شرفٍ من قومها، كانت العرب تقول: «لو كنت أعـزّ من أم قِرْفة ما زِدْت». فسألها رسول الله ﷺ سَلَمة، فوهبها له، فأهداها لخاله حَزْن بن أبي وهْب، فولدت له عبد الرحمن بن حَزْن.

فقال قيس بن المسحّر في قتل مَسْعَدَة:

سعيتُ بـورد مثـل سعْي ابن أمّـه   وإنّي بـوردٍ في الحيـاة لـثـائـر[1]
كَـرَرْتُ عليـه المُهْـرَ لمّـا رأيتُـهُ   علـى بـطلٍ من آل بـدرٍ مُـغـاوِرِ
فـركّبْتُ فيـه قَعْضَبِيّـاً كـأنّـه   شِهـابٌ بمَعْـراة يُـذَكّى لِنـاظِـرِ[2]

غـزوة عبـد الله بن رواحـة لقتل اليُسَيـر بن رِزام: وغـزوة عبـد الله بن رَواحـة خيبر مـرّتين: إحداهمـا التي أصـاب فيهـا اليسيـر بن رِزام. قـال ابن هشام: ويقال ابن رازم[3].

وكان من حديث اليُسَيـر بن رِزام[4] أنه كـان بخيبر يجمـع غَطفـان لغزو

---

(١) الثائر: الآخذ بثأره.
(٢) قَعْضَبِياً: سِناناً منسوب إلى قَعْضَب، رجـل كـان يصنعهـا. مَعْـراة: مكـان لا يستـره شيء. يُذكّى: يُشْعل.
(٣) وفي طبقات ابن سعد ٩٢/٢ «زارم» بتقديم الزاي.
(٤) في طبقات ابن سعد «أسَيْر بن زارم».

رسـول الله ﷺ، فبعـث إليـه رسـول الله ﷺ عبـد الله بن رَواحــة في نفـر من أصحابه، منهم عبد الله بن أُنَيس، حليف بني سَلِمَة؛ فلما قدِموا عليه كلّموه، وقرّبوا له، وقالوا له: إنّك إنْ قدِمت على رسول الله ﷺ استعملك وأكرمـك، فلم يزالوا بـه، حتى خرج معهم في نفـرٍ من يهود، فحمله عبـد الله بن أُنيس على بعيره، حتى إذا كان بالقَرْقَرَة من خيبر، على ستّـة أميال، نـدم اليُسَير بن رِزام على مسيره إلى رسول الله ﷺ، ففطِن به عبـد الله بن أُنَيس، وهو يـريد السيف، فاقتحم به، ثم ضربه بالسيف فقطع رِجْله، وضربه اليُسَير بمِخْرَش[1] في يده من شَوْحَط[2]، فأمَّه[3] ومال كلّ رجل من أصحاب رسـول الله ﷺ على صاحبه من يهود فقتله، إلاّ رجلاً واحداً أفلت على رِجْليه، فلمـا قدِم عبـد الله ابن أُنَيس على رسول الله ﷺ تفل على شجَّته، فلم تقحْ ولم تُؤْذِه[4].

غزوة ابن عُتَيك خيبر: وغزوة عبد الله بن عُتَيك خيبر، فأصـاب بها أبـا رافع بن أبي الحُقَيْق[5].

غزوة عبد الله بن أُنَيس لقتل خالـد بن سُفيان بن نُبَيح الهُذَليّ: وغـزوة عبد الله بن أُنَيس خالد بن سفيان بن نُبيح، بعثه رسول الله ﷺ إليه وهـو بنخلة أو بعُرَنَة، يجمع لرسول الله ﷺ الناس ليغزوه، فقتله[6].

قـال ابن إسحـاق: حـدّثني محمـد بن جعفـر بن الـزُبَيـر، قـال: قــال

---

(١) المِخْرش: عصا معقوفة.

(٢) الشوحط: نوع من الشجر.

(٣) أمّه: اصاب امّ رأسه.

(٤) أنظر الغزوة في طبقات ابن سعد ٩٢/٢ بعنوان «سرية عبد الله بن رواحة إلى أُسَيْر بن زارم». وهي في تـاريخ الـطبـري ١٥٥/٣، والمحبّر ١١٩، ١٢١، وتـاريـخ خليفـة ٧٧، وتـاريـخ اليعقوبي ٧٤/٢.

(٥) أنـظر الغزوة في طبقـات ابن سعد ٩١/٢ ويسمّيهـا سريـة عبد الله بن عَتيـك إلى أبي رافـع. وتاريخ الطبري ١٥٥/٣، أنساب الأشراف ٣٧٦/١ رقم ٧٧٩ و٣٧٨/١ رقم ٧٩٥.

(٦) تاريخ الطبري ١٥٦/٣، المحبّر ١١٩، تاريـخ خليفة ٧٧، تـاريخ اليعقـوبي ٧٤/٢، أنساب الأشراف ٣٧٦/١ رقم ٧٨٠، البدء والتاريخ ٢٢٢/٤.

عبد الله بن أُنَيس: دعاني رسول الله ﷺ، فقال: «إنّه قد بلغني أنّ ابن سُفيان بن نُبَيح الهُذَليّ يجمع لي الناس ليغزُوَني، وهو بنخلة، أو بعُرَنَة، فأْتِه فاقتُلْه». قلت: يا رسول الله، انعتْه لي حتى أعرفه. قال: «إنّك إذا رأيته أذكَرَكَ الشيطان، وآية ما بينك وبينه أنّك إذا رأيته وجدت له قُشَعْريرة». قال: فخرجت متوشّحاً سيفي، حتى دفعت إليه وهو في ظعن[1] يرتاد لهنّ منزلاً، وحيث كان وقت العصر: فلما رأيته وجدت ما قال لي رسول الله ﷺ من القُشَعْريرة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن تكون بيني وبينه مجاولة تشغلني عن الصلاة، فصلّيت وأنا أمشي نحوه، أومىء برأسي، فلما انتهيت إليه، قال: مَن الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل، فجاءك لذلك. قال: أجل، إنّي لفي ذلك. قال: فمشيت معه شيئاً، حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف، فقتلته، ثم خرجت، وتركت ظعائنه مُنْكَبَّاتٍ عليه؛ فلما قدِمت على رسول الله ﷺ فرآني، قال: «أفلح الوجه»؛ قلت: قد قتلته يا رسول الله ﷺ. قال: «صدقت».

ثم قام بي، فأدخلني بيته، فأعطاني عصاً، فقال: «أمسِك هذه العصا عندَكَ يا عبد الله بن أُنَيس». قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ، وأمرني أن أُمسِكها عندي. قالوا: ما هذه العصا؟ قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ، وأمرني أن أُمسِكها عندي. قالوا: أفلا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله لِمَ ذلك؟ قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، لِمَ أعطيتني هذه العصا؟ قال: «آية بيني وبينك يوم القيامة. إنّ أقلّ النّاس المتخصِّرون[2] يومئذٍ»، قال: فقرنها عبد الله بن أُنَيس بسيفه، فلم تزل معه حتى مات، ثم أُمِر بها فضُمّت في كَفَنه، ثم دُفنا جميعاً[3].

---

(١) الظعن: النساء في الهوادج.

(٢) المتخصّرون: المتّكئون على المخاصر. مفردها مخصرة العصا.

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ١٥٦/٣، ١٥٧.

قال ابن هشام: وقال عبد الله بن أُنَيس في ذلك:

تركتُ ابنَ ثَوْر كالحوارِ وحوله ... نوائحُ تَفْري كلَّ جَيْبٍ مُقَدَّدِ[1]
تناولتُهُ والظُّعْنُ خلفي وخلفَهُ ... بأبيضَ من ماءِ الحديدِ مُهَنَّدِ[2]
عَجُومٍ لِهامِ الدّارِعين كأنَّه ... شِهابُ غضًى من مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدِ[3]
أقول له والسيفُ يَعْجُم رأسَهُ ... أنا ابنُ أُنَيْس فارساً غيرَ قُعْدُدِ[4]
أنا ابنُ الذي لم يُنْزِلِ الدّهْرَ قِدْرَه ... رحيبُ فِناءِ الدّارِ غيرُ مُزَنَّدِ[5]
وقلتُ له خُذْها بضربة ماجدٍ ... حَنيف على دين النبيّ محمد
وكنتُ إذا همّ النبيّ بكافر ... سبقتُ إليه باللسانِ وباليد

تمّت الغزاة، وعُدنا إلى خبر البعوث.

بعض غزوات أُخَر: **قال ابن إسحاق:** وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رَواحة مُؤْتة من أرض الشام، فأُصيبوا بها جميعاً[6].

وغزوة كعب بن عُمَير الغِفَاريّ ذات أطلاح، إلى أرض الشام، أُصيب بها هو وأصحابه جميعاً[7].

وغزوة عُيَيْنة بن حصْن بن حُذَيفة بن بدر بني العنبر من بني تميم[8].

غزوة عُيَيْنة بن حصْن بني تميم: وكان من حديثهم أنّ رسول الله ﷺ

---

(١) الحوار: ولد الناقة. تفري: تقطع.
(٢) الظعن: الهوادج، فيها النساء.
(٣) عجوم: عضوض: الغضى: شجر سريع الالتهاب.
(٤) غير قعدد: غير لئيم.
(٥) المزند: البخيل.
(٦) طبقات ابن سعد ٢/١٢٨ ـ ١٣٠، تاريخ اليعقوبي ٢/٧٢، أنساب الأشراف ١/٣٨٠ رقم ٨٠٨.
(٧) المحبّر ١٢٠، طبقات ابن سعد ٢/١٢٧، تاريخ اليعقوبي ٢/٧٥، أنساب الأشراف ١/٣٨٠ رقم ٨٠٧، البدء والتاريخ ٤/٢٣٠.
(٨) تاريخ الطبري ٣/١٥٧، المحبّر ١٢٥، تاريخ اليعقوبي ٢/٧٤.

بعثه إليهم، فأغار عليهم، فأصاب منهم أُناساً، وسبى منهم أُناساً[١].

فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أنّ عائشة قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إنّ عليَّ رَقَبة من ولد إسماعيل. قال: «هذا سبْي بني العنبر يقدُم الآن، فنُعطيك منهم إنساناً فتُعْتِقينه».

قال ابن إسحاق: فلما قُدِم بسبْيهم على رسول الله ﷺ، ركب فيهم وفد من بني تميم، حتى قدِموا على رسول الله ﷺ، منهم ربيعة بن رُفَيع، وسَبْرة بن عمرو والقعقاع بن مَعْبد، ووَرْدان بن مُحرز، وقيس بن عاصم، ومالك بن عمرو، والأقرع بن حابس، وفراس بن حابس؛ فكلّموا رسول الله ﷺ؛ فأعتق بعضاً، وأفدى بعضاً. وكان ممّن قُتل يَومئذٍ من بني العنبر: عبد الله وأخوان له، بنو وهْب، وشدّاد بن فراس، وحنظلة بن دارم، وكان ممّن سُبي من نسائهم يومئذ: أسماء بنت مالك، وكأس بنت أرِيّ، ونَجْوَة بنت نهد، وجُمَيعة بنت قيس، وعَمرة بنت مَطر[٢]. فقالت في ذلك اليوم سلمى بنت عتّاب:

لَعَمْري لقد لاقت عديُّ بن جُنْدَب ... من الشر مَهواةً شديداً كَئودها[٣]
تكنّفها الأعداء من كلّ جانبٍ ... وغُيِّب عنها عِزُّها وجُدُودها[٤]

قال ابن هشام: وقال الفرزدق في ذلك:

وعندَ رسول الله قام ابنُ حابسٍ ... بخُطَّةِ سَوّارٍ إلى المجْد حازم[٥]
له أطلَقَ الأسرى التي في حِبالهِ ... مُغَلَّلَةً أعناقُها في الشَّكائم
كفى أُمّهات الخالفينَ عليهمُ ... غِلاءَ المُفادي أو سِهامَ المَقاسِم[٦]

---

(١) تاريخ الطبري ١٥٧/٣ وفيه «وسبى منهم سبياً».
(٢) تاريخ الطبري ١٥٧/٣، المحبّر ١٢٥.
(٣) المهواة: المكان المنخفض بين جبلين. الكئود: الصعبة.
(٤) الجدود: الخطوط.
(٥) الخطة: الخصلة. السوار: الوثاب.
(٦) الخالفين: المتخلفين.

وهـذه الأبيـات في قصيــدة لـه. وعــديّ بن جُنْدَب من بني العنبــر، والعنبر بن عمرو بن تميم.

غـزوة غـالب بن عبـد الله أرض بني مُـرّة: قـال ابن إسحـاق: وغــزوة غالب بن عبد الله الكلبي كلب ليث ـ أرض بني مُرّة، فأصـاب بها مـرداس بن نَهِيـك، حليفاً لهم من الحُـرَقَة، من جُهَينـة، قتله أُسامـة بن زيد، ورجـل من الأنصار[1].

قال ابن هشام: الحُرَقة، فيما حدّثني أبو عبيدة.

قال ابن إسحاق: وكان من حديثه عن أُسامة بن زيد، قـال. أدركته أنـا ورجـل من الأنصار فلمـا شهرنـا عليه السـلاح، قال أشهـد أن لا إلّه إلّا الله. قال: فلم ننزع عنه حتى قتلناه؛ فلما قدِمْنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبـره؛ فقال: «يا أُسامة، مَن لك بلا إلّه إلّا الله»؟ قال: قلت: يا رسول الله، إنـه إنّما قالها تعوُّذاً بها من القتل. قال: «فمَن لك بها يا أُسامـة»؟ قال: فـوالذي بعثـه بـالحقّ ما زال يـردّدها عليَّ حتى لـودِدْت أنّ مـا مضى من إسـلامي لم يكن، وأنّي كنت أسلمت يومئذ، وأنّي لم أقتلْه؛ قال: قلت: أنظِرْني يـا رسول الله، إنّي أُعـاهد الله أن لا أقتـل رجلاً يقـول لا ألّه إلّا الله أبـداً، قال: تقـول بعدي يا أُسامة»؛ قال: قلت بعدك[2].

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل[3]: وغزوة عمـرو بن العاص ذات

---

(1) تاريخ الطبري ١٥٧/٣.

(2) طبقـات ابن سعد ١١٩/٢ بعنـوان: «سريـة غالب بن عبـد الله الليثي إلى المَيْفعة»، وتـاريخ الطبري ١٥٧/٣، والبدء والتاريخ ٢٢٨/٤، وأنساب الأشراف ٣٧٩/١ رقم ٨٠١.

(3) أنـظر عنها في: المغـازي لعروة ٢٠٧، والمغـازي للواقدي ٧٦٩/٢، وجـوامع السيـرة ٢٠، وتـاريخ الـطبري ١٥٨/٣، وطبقـات ابن سعـد ١٣١/٢، وعيـون الأثـر ١٥٧/٢، والبـدايـة والنهاية لابن كثير ٢٧٣/٤، والمحبّر لابن حبيب ١٢١، ١٢٢، والكامل في التاريخ ٢٣٢/٢، ونهاية الأرب ٢٨٣/١٧، ٢٨٤، والبدء والتاريخ ٢٣٢/٤، وأنساب الأشراف ٣٨٠/١، ٣٨١ رقم ٨١٠، وعيـون التواريـخ ٢٨٥/١، ٢٨٦، وتـاريـخ الإسـلام (المغـازي) ٥١٣ ـ ٥١٧، وتاريخ اليعقوبي ٧٥/٢.

السلاسل من أرض بني عُذْرة. وكان من حديثه أنّ رسول الله ﷺ بعثه يستنفر العرب إلى الشام. وذلك أنّ أُمّ العاص بن وائل كانت امرأة من بَلِيّ، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يستألفهم لذلك، حتى إذا كان على ماء بأرض جُذام يقال له السلسل، وبذلك سُمّيت تلك الغزوة غزوة ذات السلاسل؛ فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمدّه، فبعث إليه رسول الله ﷺ أبا عُبيدة بن الجرّاح في المهاجرين الأوّلين، فيهم أبو بكر وعمر؛ وقال لأبي عُبَيدة حين وجّهه: «لا تختلفا»، فخرج أبو عُبيدة حتى إذا قدِم عليه، قال له عمرو إنّما جئتَ مَدَداً لي؛ قال أبو عُبيدة: لا، ولكنّي على ما أنا عليه، وأنت على ما أنت عليه، وكان أبو عُبيدة رجلاً ليّناً سَهْلاً، هيّناً عليه أمر الدنيا، فقال له عمرو: بل أنت مَدَد لي؛ فقال أبو عُبَيدة يا عمرو، إنّ رسول الله ﷺ قال لي: «لا تختلفا»، وإنّك إن عصيتني أطعتُك[1]؛ قال: فإنّي الأمير عليك، وأنت مَدَد لي، قال: فدونك. فصلّى عمرو بالناس.

قال: وكان من الحديث في هذه الغزاة، أنّ رافع بن أبي رافع الطّائيّ، وهو رافع بن عُميرة، كان يحدّث فيما بلغني عن نفسه، قال: كنت امرءاً نَصرانياً، وسُمِّيت سَرْجَس، فكنت أَدَل النّاس وأَهْداهم بهذا الرمل، كنت أدفن الماء في بيض النعام بنواحي الرمل في الجاهلية، ثم أُغير على إبل الناس، فإذا أدخلتها الرمل غلبت عليها، فلم يستطع أحد أن يطلبني فيه، حتى أمُرّ بذلك الماء الذي خبّأت في بيض النعام فأستخرجه، فأشرب منه؛ فلما أسلمت خرجت في تلك الغزوة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، قال: فقلت: والله لأختارنّ لنفسي صاحباً، قال: فصحِبت أبا بكر، قال: فكنت معه في رَحْله، قال: وكانت عليه عَباءة له فَدَكِيّة، فكان إذا أنزلنا بسطها وإذا ركِبْنا لبسها، ثم شكّها عليه بخلالٍ له، قال: وذلك الذي له يقول أهل نجد حين ارتدّوا كُفّاراً: نحن نبايع ذا

---

(١) المغازي لعروة ٢٠٧، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥١٣، ٥١٤.

العَباءة؟! قال: فلما دَنونا من المدينة قافلين، قال قلت: يا أبا بكر، إنّما صحِبتُك لينفعني الله بك، فانصحْني وعلّمني، قال: لو لم تسألني ذلك لفعلت، قال آمرك أن توحّد الله ولا تُشْرك به شيئاً، وأن تقيم الصلاة، وأن تؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ هذا البيْت، وتغتسل من الجنابة، ولا تتأمّر على رجل من المسلمين أبداً. قال: قلت: يا أبا بكر، أما أنا والله فإنّي أرجو أن لا أُشرك بالله أحداً أبداً، وأمّا الصلاة فلن أتركها أبداً إن شاء الله، وأما الزكاة فإن يكُ لي مال أؤدِّها إن شاء الله، وأما رمضان فلن أتركه أبداً إن شاء الله، وأما الحجّ فإنْ أستطع أحجّ إن شاء الله تعالى، وأما الجَنابة فسأغتسِل منها إن شاء الله، وأما الإمارة فإنّي رأيت الناس يا أبا بكر لا يَشْرُفون عند رسول الله ﷺ وعند الناس إلّا بها، فلِمَ تنهاني عنها؟ قال: إنّك إنّما استَجْهَدْتني لأجهد لك، وسأُخبرك عن ذلك: إنّ الله عزَّ وجلَّ بعث محمداً ﷺ بهذا الدِّين، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعاً وكرهاً، فلما دخلوا فيه كانوا عُوَّاذ الله وجيرانه، وفي ذمّته فإيّاك لا تَخْفِرِ الله في جيرانه فيُتْبعك الله في خَفْرته، فإنّ أحدكم يُخفر في جاره، فيظلُّ ناتئاً عَضَلُه غَضِباً لجاره إن أُصيبت له شاة أو بعير، فالله أشدّ غضباً لجاره. قال: ففارقته على ذلك.

قال: فلما قُبض رسول الله ﷺ، وأُمِّر أبو بكر على الناس، قال: قدِمت عليه، فقلت له: يا أبا بكر، ألم تَكُ نهيتني عن أن أتأمّر على رجلين من المسلمين؟ قال: بلى، وأنا الآن أنهاك عن ذلك؛ قال: فقلت له: فما حملك على أن تلي أمرَ الناس؟ قال: لا أجد من ذلك بُدّاً، خشيت على أُمة محمد ﷺ الفُرقة.

قال ابن إسحاق: أخبرني يزيد بن أبي حبيب أنه حدّث عن عوف بن

---

(١) لا تخفر الله: لا تنقض عهده.

مالك الأشجعيّ، قال: كنت في الغزاة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، قال: فصحِبت أبا بكر وعمر، فمررت بقوم على جَزُور لهم قد نحروها، وهم لا يقدرون على أن يُعْضُوها[1]، وقال: وكنت امرءاً لبقاً جازراً، قال؛ فقلت: أتُعطوني منها عُشيراً[2] على أن أقسمها بينكم؟ قالوا: نعم، قال: فأخذت الشفرتين، فجزّأتها مكاني، وأخذت منها جزءاً، فحملته إلى أصحابي، فاطّبخناه فأكلناه. فقال لي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: أنّى لك هذا اللحم يا عوف؟ قال: فأخبرتهما خبره فقالا: والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا، ثم قاما يتقيّآن ما في بطونهما من ذلك؛ قال: فلما قفل الناس من ذلك السفر، كنت أول قادم على رسول الله ﷺ، قال: فجئته وهو يصلّي في بيته؛ قال فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته؛ قال: «أعَوْفَ بنَ مالك»؟ قال: قلت نعم، بأبي أنت وأمّي؛ قال: «أصاحب الجَزُور»؟ ولم يزدني رسول الله ﷺ على ذلك شيئاً.

غزوة ابن أبي حَدْرَد بطن إضَم[3] وقتل عامر بن الأضبط الأشْجَعيّ: قال ابن إسحاق: حدّثني يزيد بن عبد الله بن قُسَيط، عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد، عن أبيه عبد الله بن أبي حدرد، قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضَم في نفر من المسلمين، فيهم أبو قَتادة الحارث بن رِبْعيّ، ومحلِّم بن

---

(١) يعضوها: يقتسموها أجزاء.

(٢) العشير: جزء من عشرة أجزاء.

(٣) أنظر عنها في تاريخ الطبري ١٥٨/٣، وطبقات ابن سعد ١٣٣/٢ وهي باسم «سرية أبي قتادة بن ربعيّ الأنصاري إلى بطن إضم»، والبدء والتاريخ ٢٢٨/٤٤، والمحبّر ١٢٢، وأنساب الأشراف ٣٨١/١ رقم ٨١٣، وتاريخ اليعقوبي ٧٥/٢، ونهاية الأرب ٢٨٥/١٧، ٢٨٦، وإمتاع الأسماع للمقريزي ٣٥٦/١، وعيون الأثر ١٦١/٢، ١٦٢ وتاريخ الإسلام (المغازي) ٥٢٠.

وإضَم: بالكسر ثم الفتح، ماء يَطَؤه الطريق بين مكة واليمامة عند السُمَيْنة. ويقال: هو وادٍ بجبال تهامة، وهو الوادي الذي فيه المدينة، ويُسمّى من عند المدينة: القناة، ومن أعلى منها عند السدّ يسمّى الشظاة، ومن عند الشظاة إلى أسفل يُسمّى إضماً إلى البحر. (معجم البلدان ٢١٤/١، ٢١٥).

جثّامة بن قيس، فخرجنا حتى إذا كنّا ببطن إضَم، مرّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعيّ، على قَعُودٍ له ومعه مُتَيع[1] له، ووطْب من لبن[2]. قال: فلما مرّ بنا سلّم علينا بتحيّة الإسلام، فأمسكنا عنه، وحمل عليه محلّم بن جثّامة، فقتله لشيءٍ كان بينه وبينه، وأخذ بعيره، وأخذ مُتَيعه. قال: فلما قدِمْنا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر، نزل فينا: ﴿ يَا أَيُّها ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا، وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً، تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[3]. . . إلى آخر الآية.

قال ابن هشام: قرأ أبو عمرو بن العلاء: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً ﴾ لهذا الحديث.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير، قال: سمعت زياد بن ضُمَيرة بن سعد السُّلميّ يحدّث، عن عُروة بن الزُّبير، عن أبيه، عن جدّه، وكانا شهدا حُنَيناً مع رسول الله ﷺ، قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ الظهرَ، ثم عمد إلى ظلّ شجرة، فجلس تحتها، وهو بحُنَين، فقام إليه الأقرع بن حابس، وعُيَيْنة بن حصْن بن حُذَيفة بن بدر، يختصمان في عامر بن أضبط الأشجعيّ: عُيَينة يطلب بدم عامر، وهو يومئذ رئيس غَطفان، والأقرع بن حابس يدفع عن محلّم بن جثّامة، لمكانه من خِنْدف، فتداولا الخصومة عند رسول الله ﷺ، ونحن نسمع، فسمعنا عُيَيْنة بن حَصْن وهو يقول: والله يا رسول الله ﷺ لا أدعه حتى أُذيق نساءه من الحُرْقة مثل ما أذاق نسائي، ورسول الله ﷺ يقول: «بل تأخذون الدِّيَةَ خمسين في سفرنا هذا وخمسين إذا رجعنا»، وهو يأبى عليه، إذا قام رجل من بني ليث، يقال له: مُكيثر، قصير مجموع - قال ابن هشام: مُكَيْتل - فقال: والله يا رسول الله ما

---

(١) المُتَيع: تصغير متاع.
(٢) الوطْب: وعاء اللبن.
(٣) سورة النساء - الآية ٩٤.

وجدت لهذا القتيـل شبَهاً في غُـرّة الإسلام[1] إلّا كغَنم وردت فـرُميت أُولاها، فنفرت أُخْراها، اسْنُن اليوم، وغيّر غداً قال: فرفع رسول الله ﷺ يـده. فقال: «بل تأخذون الدِّية خمسين في سفرنا هذا، وخمسين إذا رجعنا». قال: فقبِلوا الدِيَة. قال ثم قالوا: أين صاحبكم هذا، يستغفر له رسول الله ﷺ قـال: فقام رجـل آدم[2] ضَرْب[3] طـويل، عليـه حُلّة له، قـد كان تهيّـأ للقتل فيهـا، حتى جلس بين يـدي رسول الله ﷺ، فقـال له: «مـا اسمك»؟ قـال: أنـا محلّم بن جثّامة، قال: فرفـع رسول الله ﷺ يـده، ثم قال: «اللهمّ لا تغفـر لمحلّم بن جثّامة، ثلاثاً. فقام وهو يتلقّى دمعه بفضل ردائـه. قال: فـأما نحن فنقـول فيما بيننـا: إنّا لنـرجو أن يكـون رسول الله ﷺ قـد استغفـر لـه، وأمـا مـا ظهـر من رسول الله ﷺ فهذا[4].

قال ابن إسحاق: فحدّثني من لا أتّهم عن الحَسَن البصْريّ، قـال: قال رسول الله ﷺ حين جلس بين يديه: «أمّنته بالله ثم قتلته»!؟ ثم قال له المقـالة التي قال: قال: فوالله ما مكث محلّم بن جثّـامة إلّا سبعـاً حتى مات، فلفَـظَتْه ـ والـذي نفس الحسن بيده ـ الأرض ثم عـادوا له فلفَـظَتْه الأرض، ثم عـادوا فلفَظَتْه، فلما غلب قومه عمدوا إلى صُدَّين[5] فسطَحوه بينهما، ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه. قال: فبلغ رسول الله ﷺ شأنه، فقال: «والله إنّ الأرض لتطّابق على مَن هو شرّ منه، ولكن الله أراد أن يعـظكم في حُرْم مـا بينكم بما أراكم منه».

قـال ابن إسحاق: وأخبـرنا سـالم أبو النَّضْـر أنـه حُـدّث: أنّ عُيَيْـنة بن

---

(١) غُرّة الإسلام: أوله.
(٢) الآدم: الأسمر.
(٣) ضرْب: خفيف اللحم.
(٤) أنسـاب الأشـراف ١/٣٨٥، ٣٨٦، وتـاريـخ الإسـلام (المغـازي) ٤٥٤، ٤٥٥، والبـداية والنهاية ٤/٢٢٤، ٢٢٥، وسنن أبي داود ٤/١٧١، ١٧٢ في كتاب الآيات، باب الإمام يـأمر بالعفو في الدم، وتاريخ خليفة ٨٥.
(٥) صُدَّين: جبلين.

حصْن وقيساً حين قال الأقرع بن حابس وخلا بهم: يا معشر قيس، منعتم رسول الله ﷺ قتيلاً يستصلح به الناس، أفأمنتم أن يلعنكم رسول الله ﷺ، فيلعنكم الله بلعنته، أو أن يغضب عليكم فيغضب الله عليكم بغضبه؟ والله الذي نفس الأقرع بيده لَتُسَلِّمنّه إلى رسول الله ﷺ فليصْنَعَنَّ فيه ما أراد، أو لآتينَّ بخمسين رجلاً من بني تميم يشهدون بالله كلّهم، لقُتل صاحبكم كافراً؟ ما صلّى قطّ، فلأُطُلَّنَّ دمه[1] فلما سمعوا ذلك، قبلوا الدِّيَة.

قال ابن هشام: محلِّم في هذا الحديث كلّه عن غير ابن إسحاق، وهو محلِّم بن جثّامة بن قيس الليثيّ.

وقال ابن إسحاق: ملجَّم، فيما حدّثناه زياد عنه.

غزوة ابن أبي حَدْرَد[2] لقتل رِفاعة بن قيس الجُشَميّ: قال ابن إسحاق: وغزوة ابن أبي حدرد الأسلميّ الغابة[3].

وكان من حديثها فيما بلغني، عمّن لا أتّهم، عن ابن أبي حدرد، قال: تزوّجتُ امرأة من قومي؟ وأصدقتها مائتيْ درهم، قال: فجئت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحي؛ فقال: «وكم أصدقت»؟ فقلت: مائتي درهم يا رسول الله، قال: «سبحان الله، لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن وادٍ ما زدتم. والله ما عندي ما أعينك به»؟ قال: فلبثت أياماً، وأقبل رجل من بني جُشَم، يقال له: رِفاعة بن قيس، أو قيس بن رفاعة، في بطنٍ عظيم من بني جُشَم، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة، يريد أن يجمّع قيساً على حرب رسول الله ﷺ وكان ذا اسم في جُشَم وشرف. قال: فدعاني رسول الله ﷺ

---

(١) أُطُلَّنَّ دمه: أجعل دمه باطلاً فلا يؤخذ بثأره.

(٢) أنظر عنها في تاريخ الطبري ٣/٣٤، ٣٥، وتاريخ خليفة ٨٥، والمحبّر ١٢٣، وتاريخ الإسلام (المغازي) ٤٥٢، ٤٥٣.

(٣) الغابة: موضع قرب المدينة من ناحية الشام، وفيه أموال لأهل المدينة. (معجم البلدان ٤/١٨٢).

ورجلين معي من المسلمين، فقال: اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم. قال: وقدّم لنا شارفاً[1] عجفاء فحمل عليها أحدنا، فوالله ما قامت به ضَعْفاً حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم، حتى استقلّت وما كادت ثم قال: تبلّغوا عليها واعتقبوها.

قال: فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر عُشَيْشية[2] مع غروب الشمس. قال: كمنت في ناحية، وأمرت صاحبيَّ، فكمنّا في ناحية أخرى من حاضر القوم؛ وقلت لهما: إذا سمعتماني قد كبّرت وشددت في ناحية العسكر فكبّرا وشُدّا معي. قال: فوالله إنّا لكذلك ننتظر غِرَّة[3] القوم، أو أن نصيب منهم شيئاً. قال: وقد غشيَنا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء، وقد كان لهم راعٍ قد سرّح في هذا البلد، فأبطأ عليهم حتى تخوّفوا عليه. قال: فقام صاحبهم ذلك رفاعة بن قيس، فأخذ سيفه، فجعله في عُنقه، ثم قال: والله لأتبعنّ أثر راعينا هذا، ولقد أصابه شرّ؛ فقال له نفر ممّن معه: والله لا تذهب، نحن نكفيك؛ قال: والله لا يذهب إلاّ أنا، قالوا: فنحن معك، قال: والله لا يتبعني أحد منكم قال: وخرج حتى يمرّ بي. قال: فلما أمكنني نفحته بسهمي، فوضعته في فؤاده. قال: فوالله ما تكلّم، ووثبت إليه، فاحتززت رأسه. قال: وشددت في ناحية العسكر، وكبّرت، وشدّ صاحباي وكبّرا. قال: فوالله ما كان إلاّ النجاء ممّن فيه، عندك، عندك، بكلّ ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم، وما خفّ معهم من أموالهم. قال: واستقنا إبلاً عظيمة، وغنماً كثيرة، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ. قال: وجئت برأسه أحمله معي. قال: فأعانني رسول الله ﷺ من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيراً في صَداقي، فجمعتُ إليَّ أهلي[4].

---

(١) الشارف: الناقة المُسِنَّة.

(٢) عشيشة: تصغير عشية على غير القياس.

(٣) الغِرّة: الغفلة.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٤، ٣٥ (حوادث سنة ٨ هـ.)، تاريخ الإسلام (المغازي) ٤٥٢، ٤٥٣، البداية والنهاية ٤/٢٢٣، ٢٢٤، عيون الأثر ٢/١٦٢، ١٦٣.

غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دُومة الجندل: قال ابن إسحاق: وحدّثني مَن لا أتّهم، عن عطاء بن أبي رباح، قال: سمعت رجلاً من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطّاب، عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اعتمّ، قال: فقال عبد الله: سأُخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم: كنت عاشر عشرة رهْط من أصحاب رسول الله ﷺ في مسجده: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ. وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، ومُعاذ بن جبل، وحُذَيفة بن اليمان، وأبو سعيد الخُدْريّ، وأنا مع رسول الله ﷺ، إذ أقبل فتىً من الأنصار، فسلّم على رسول الله ﷺ، ثم جلس، فقال: يا رسول الله، صلى الله عليك، أيّ المؤمنين أفضل؟ فقال: «أحسنهم خُلُقاً»؛ قال: فأيّ المؤمنين أكْيس؟ قال: «أكثرهم ذكراً للموت، وأحسنهم استعداداً له قبل أن ينزل به، أولئك الأكياس»، ثم سكت الفتى، وأقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر المهاجرين، خمس خصال إذا نزلن بكم ـ وأعوذ بالله أن تدركوهنّ ـ إنه لم تظهر الفاحشة في قوم قطّ حتى يعلنوا بها إلّا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع، التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا؛ ولم يُنقصوا المكيال والميزان إلّا أُخذوا بالسنين[1] وشدّة المؤنة وجَوْر السلطان؛ ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلّا مُنعوا القطْر من السماء، فلولا البهائم ما مُطِروا؛ وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلّا سُلّط عليهم عدوّ من غيرهم، فأخذ بعض ما كان في أيديهم، وما لم يحكم أئمّتهم بكتاب الله وتجبّروا فيما أنزل الله إلّا جعل الله بأسهم بينهم»[2].

ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهّز لسريّةٍ بعثه عليها، فأصبح وقد اعتمّ بعمامة من كرابيس[3] سوداء، فأدناه رسول الله ﷺ منه، ثم نقضها، ثم

---

(١) السنن: الجدْب.

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن (٤٠٢١٩) باب العقوبات، عن محمود بن خالد الدمشقي، عن سليمان بن عبد الرحمن أبي أيوب، عن ابن أبي مالك، عن أبيه، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عمر، بنحوه.

(٣) الكرابيس: الأقطان. واحده كربوس.

عمّمه بها، وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحواً من ذلـك، ثم قال: «هكـذا يا بن عوف فاعتمّ، فإنّـه أحسن وأعرف»، ثم أمـر بلالاً أن يـدفع إليـه اللواء. فدفعه إليه، فحمد الله تعالى. وصلّى على نفسه، ثم قال: خُذه يا بن عوف، اغزوا جميعاً في سبيل الله، فقاتِلوا مَن كفـر بالله، لا تغلّوا[1] ولا تغـدروا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا وليـداً، فهـذا عهـد الله وسيـرة نبيّـه فيكم». فـأخـذ عبـد الرحمن بن عوف اللواء[2].

قال ابن هشام: فخرج إلى دُومة الجندل.

غـزوة أبي عُبيـدة بن الجـرّاح إلى سيف البحـر[3]: قـال ابن إسحـاق: وحدّثني عُبادة بن الوليد بن عُبـادة بن الصّامت، عن أبيـه، عن جَدّه عُبـادة بن الصّـامت، قـال: بعث رسـول الله ﷺ سـريّـة إلى سِيف البحـر، عليهم أبـو عُبيدة بن الجرّاح، وزوّدهم جـراباً من تمـر، فجعل يقـوّتهم إيّاه، حتى صـار إلى أن يعدّه عليهم عدداً، فقال: ثم نفد التمر حتى كان يعطي كلّ رجل منهم كـلّ يوم تمـرة. قال: فقسّمهـا يـومـاً بيننـا. قـال: فنقصت تمـرة عن رجـل، فوجدنا فقْدهـا ذلك اليـوم. قال: فلمـا جَهدنـا الجوع أخـرج الله لنا دابّـة من البحر، فأصبنـا من لحمها ووَدَكهـا[4]، وأقمنا عليهـا عشرين ليلة، حتى سمنّـا وابتللنـا[5]، وأخذ أميـرنا ضلعـاً من أضلاعهـا، فوضعهـا على طريقـه، ثم أمر بأجسم بعيرٍ معنـا، فحمل عليـه أجسم رجل منّـا، قال: فجلس عليـه، قال:

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/٨٩.

(٢) لا تغلّوا: لا تخونوا في المغنم.

(٣) سيف البحر بكسر أوله. ساحلة أو جانبه. وتُعرف الغزوة أيضاً سَريّـة الخبط. أنظر عنهـا في: المغازي للواقدي ٢/٧٧٤، وطبقات ابن سعد ٢/١٣٢، وتـاريخ الطبري ٣/٣٣، وأنسـاب الأشـراف ١/٣٨١ رقم ٨١١، والبـدء والتـاريـخ ٤/٢٣٢، والمحبّـر ١١٨، ونهـايـة الأرب ١٧/٢٨٤، ٢٨٥، وشـرح المـواهب ٢/٢٤٠، وعيـون الأثـر ٢/١٦٠، والبـدايـة والنهـايـة ٤/٢٧٦، وعيون التواريخ ١/٢٨٦، ٢٨٧، والسيرة الحلبية ٢/٣١٥، وذكرها الطبري، ثانية باختصار ٣/١٥٨.

(٤) الوَدَك: الشحم، والدَّسم.

(٥) ابتللنا: أخذنا الراحة.

فخرج من تحتها وما مسّت رأسه. قال: فلما قدِمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبرها، وسألناه عمّا صنعنا في ذلك من أكلنا إياه، فقال: «رزقٌ رزقكُمُوه الله»[1].

بعث عمرو بن أُميّة الضَّمْريّ لقتال أبي سفيان بن حرب وما صنع في طريقه: قال ابن هشام: ومما لم يذكره ابن إسحاق[2] من بُعوث رسول الله ﷺ وسراياه بعث عمرو بن أُميّة الضَّمْري، بعثه رسول الله ﷺ، فيما حدّثني مَن أثق به من أهل العلم بعد مقتل خبيب بن عدِيّ وأصحابه إلى مكة، وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب، وبعث معه جبّار بن صخر الأنصاريّ فخرجا حتى قدِما مكة، وحبسا جملَيهما بشِعب[3] من شعاب يأجَج[4]، ثم دخلا مكة ليلاً؛ فقال جبار لعمرو: لو أنّا طفنا بالبيت وصلّينا ركعتين؟ فقال عمرو: إنّ القوم إذا تعشّوا جلسوا بأفنيتهم؛ فقال: كلاّ، إن شاء الله؛ فقال عمرو: فطفنا بالبيت، وصلّينا، ثم خرجنا نريد أبا سفيان، فوالله إنّا لنمشي بمكة إذ نظر إليّ رجل من إهل مكة فعرفني، فقال عمرو بن أُميّة: والله إنْ قدِمَها إلاّ لشرّ؛ فقلت لصاحبي: النّجاء، فخرجنا نشتدّ، حتى أصعدنا في جبل، وخرجوا في طلبنا، حتى إذا علَونا الجبل يئسوا منّا، فرجعنا، فدخلنا كهفاً في الجبل، فبتنا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح (١٩٣/٥) باب إباحة ميتة البحر.

(٢) يقول السهيلي في الروض الأنف (٢٥٣/٤) وذكر الشيخ الحافظ أبو بحر سفيان بن العاص رحمه الله في هذا الموضع قال: نقلت من حاشية نسخة من كتاب السِيَر منسوبة بسماع أبي سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم وأخوته محمد وأحمد ابني عبد الله بن عبد الرحيم ما هذا نصّه: وجدت بخطّ أخي قول ابن هشام: هذا مما لم يذكره ابن إسحاق (هو غلط منه) قد ذكره ابن إسحاق عن جعفر بن عمر بن أمية فيما حدّث أسد عن يحيى بن زكريا عن ابن إسحاق، والقائل في الحاشية: وجدت بخطّ أخي هو: أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحيم. وفي الكتاب المذكور قول أبي بكر المذكور في غزوة الطائف بعد قوله: فولدت له داود بن أبي مرة. إلى هاهنا، انتهى سماعي من أخي، وما بقي من هذا الكتاب سمعته من ابن هشام نفسه.

(٣) الشِعب: الطريق بين جبلين.

(٤) يأجَج: جبل بمكة.

فيه، وقد أخذنا حجارة دوننا؛ فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرساً له، ويخلي عليها[1]، فغشِينا ونحن في الغار. فقلت؛ إن رآنا صاح بنا، فأخذنا فقتلنا.

قال: ومعي خنجر قد أعددته لأبي سفيان، فأخرج إليه، فأضربه على ثدْيه ضربة، وصاح صيحة أسْمعَ أهل مكة، وأرجع فأدخل مكاني، وجاءه الناس وهو بآخر رمق فقالوا: مَن ضربك؟ فقال: عمرو بن أُميّة، وغلبه الموت، فمات مكانه، ولم يدلل على مكاننا، فاحتملوه. فقلت لصاحبي، لما أمسينا: النّجاء؛ فخرجنا ليلاً من مكة نريد المدينة، فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خبيب بن عدِيّ؛ فقال أحدهم: والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أُميّة، لولا أنّه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أُميّة، قال: فلما حاذى الخشبة شدّ عليها، فأخذها فاحتملها، وخرجا شدّاً، وخرجوا وراءه، حتى أتى جرفاً بمهبط مسيل يأجَج، فرمى بالخشبة في الجُرف، فغيّبه الله عنهم، فلم يقدروا عليه، قال: وقلت لصاحبي: النّجاء النّجاء، حتى تأتي بعيرك فتقعد عليه، فإنّي سأشغل عنك القوم، وكان الأنصاريّ لا رجلة له[2].

قال: ومضيت حتى أخرج على ضجنان، ثم أويت إلى جبل، فأدخل كهفاً، فبينا أنا فيه، إذ دخل عليّ شيخ من بني الدّيل أعور، في غُنَيمة له، فقال: مَن الرجل؟ فقلت: من بني بكر، فمَن أنت؟ قال: من بني بكر. فقلت: مرحباً، فاضطّجع، ثم رفع عقيرته، فقال:

ولستُ بمسلمٍ ما دمتُ حيّاً ... ولا دانٍ لدِين المُسْلمينا

فقلت في نفسي: ستعلم، فأمهلته، حتى إذا نام أخذت قوسي، فجعلت سِيَتها[3] في عينه الصحيحة، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم، ثم

---

(١) يخلي: يجمع الخلي. وهو ما ينبته الربيع.

(٢) لا رِجلة له: ضعيف المشي على رِجليه.

(٣) سيتها: طرفها.

خرجت النَّجاء، حتى جئت العَرج[1]، ثم سلكت رَكُوبه[2]، حتى إذا هبطت النقيع[3]، إذا رجلان من قريش من المشركين، كانت قريش بعثتهما عيناً إلى المدينة ينظران ويتحسّسان، فقلت استأسرا، فأبيا، فأرمي أحدهما بسهم فأقتله، وأستأمر الآخر، فأُوثقه رباطاً، وقدِمت به المدينة[4].

سريّة زيد بن حارثة إلى مَدْين: قال ابن هشام: وسرية زيد بن حارثة إلى مَدْين[5]. ذكر ذلك عبد الله بن حسن بن حسن، عن أُمّه فاطمة بنت الحسين بن عليّ رضوان الله، أنّ رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة نحو مَدْين، ومعه ضُمَيرة مولى عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأخ له. قالت: فأصاب سبْياً من أهل مِيناء[6]، وهي السواحل، وفيها جماع من الناس، فبيعوا، ففُرّق بينهم، فخرج رسول الله ﷺ وهم يبكون، فقال: «ما لهم»؟ فقيل: يا رسول الله، فُرِّق بينهم، فقال رسول الله ﷺ: «لا تبيعوهم إلاّ جميعاً»[7].

قال ابن هشام: أراد الأمهات والأولاد.

سريّة سالم بن عُمير لقتل أبي عَفَك[8]: قال ابن إسحاق: وغزوة

---

(١) العرج: واد بالحجاز.

(٢) ركوبة: ثنية بين الحرمين.

(٣) النقيع: موضع ببلاد مزينة.

(٤) الخبر في طبقات ابن سعد ٢/٩٣، ٩٤، وأنساب الأشراف ١/٣٧٩، ٣٨٠ رقم ٨٠٥، وتاريخ اليعقوبي ٢/٧٣، والمحبّر ١١٩.

(٥) مَدْيَن: بفتح أوله وسكون ثانيه. على بَحْر القُلْزُم محاذية لتبوك على نحوٍ من ستّ مراحل. (معجم البلدان ٥/٧٧) أنظر عن الغزوة في عيون الأثر ٢/١٠٩.

(٦) ميناء: بالكسر ثم السكون. هي السواحل وهي من أوائل نواحي مصر. (معجم البلدان ٥/٢٤٥، ٢٤٦).

(٧) الحديث له شاهد عند ابن ماجه في كتاب التجارات (٢٢٤٨) باب النهي عن التفريق بين السبي. رواه من طريق جابر، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود قال: كان النبيّ ﷺ إذا أتي بالسبي أعطى أهل البيت جميعاً، كراهية أن يفرّق بينهم.

(٨) المغازي للواقدي ١/١٧٤، ١٧٥، طبقات ابن سعد ٢/٢٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ١٣٨، عيون الأثر ١/٢٩٢، نهاية الأرب ١٧/٦٦، أنساب الأشراف ١/٣٧٣ رقم ٧٧٣.

سالم بن عُمَير لقتل أبي عَفَك، أحد بني عمرو بن عوف ثم من بني عبيدة، وكان قد نجم [1] نفاقه، حين قتل رسول الله ﷺ الحارث بن سُويد بن صامت، فقال:

لقد عشت دهراً وما إنْ أرى | من الناس داراً ولا مَجْمعا
أبرّ عهوداً وأوفى لمن | يعاقد فيهم إذا ما دعا [2]
من أولاد قَيْلة [3] في جمْعهم | يهدّ الجبالَ ولم يخضعا [4]
فصدَّعهم راكبٌ جاءهم | حلال حرام لشتّى معا [5]
فلو أنّ بالعزّ صدَّقتُمُ | أو الملك تابعتُمُ تُبَّعا [6]

فقال رسول الله ﷺ: مَن لي بهذا الخبيث، فخرج سالم بن عُمير، أخو بني عمرو بن عوف، وهو أحد البكّائين، فقتله؟ فقالت أُمامة المزَيرية [7] في ذلك:

تُكَذِّب دينَ اللهِ والمرءَ أحْمَدا | لعمرُ الذي أَمْنَاكَ أن [8] بئسَ ما يُمْني [9]
حباكَ حنيفٌ آخرَ الليلِ طعنةً | أبا عَفَكٍ خُذْها على كِبَرِ السِّنِّ [10]

---

(١) نجم: وضح.
(٢) البيت في مغازي الواقدي:
أجَمّ عقولاً وآليّ إلى | مُنيبٍ سِراعاً إذا ما دعا
(٣) قَيْلة: أم الأوس والخزرج.
(٤) هذا البيت ليس عند الواقدي.
(٥) البيت عند الواقدي:
فسلَّبهم أمرهم راكبٌ | حراماً حلالاً لشتَّى معا
(٦) البيت عند الواقدي: وصدَّهم فرّقهم.
فلو كان بالمُلك صدَّقتُمُ | وبالنصر تابعتُمُ تُبَّعا
(٧) وفي مغازي الواقدي ١/١٧٥ «النَّهْديّة».
(٨) عند الواقدي «إذ».
(٩) أَمْناك: أنساك.
(١٠) في مغازي الواقدي زيادة بيت ثالث:
فإنّي وإنْ أعلمْ بقاتلك الذي | أباتك حِلْسَ الليل من إنس آوجنّي

غـزوة عُمَيْرِ بن عـديّ الخـطْمي لقتـل عَصْمـاء بنت مـروان[1]: وغـزوة عُميـر بن عدِيّ الخـطْميّ[2] عَصْماءَ بنت مـروان، وهي من بني أُميّة بن زيـد، فلما قُتل أبو عَفَك نافقت، فذكر عبد الله بن الحـارث بن الفُضَيل، عن أبيـهِ، قال: وكانت تحت رجل من بني خطمة، ويقال له يزيد بن زيد فقالت، تَعيب الإسلام وأهلَه:

بـاسْتِ بني مـالـكٍ والنَّبيتِ	وعَوْف وباسْتِ بني الخزرجِ
أطعتم أتـاويَّ[3] من غيـركم	فـلا من مُراد ولا مَـذْحِـج
تـرجُّونـه بعـد قتْـل الـرُّءوسِ	كمـا يُـرتَجَى مَرَقُ المنضَـج
ألا أنـفٌ يـبـتـغـي غِـرَّةً[4]	فيقـطعُ من أمـلِ المُـرتجِي[5]

قال: فأجابها حسّان بن ثابت، فقال:

بـنـو وائـل وبـنـو واقـف	وخطْمة دون بني الخزرجِ
متى مـا دعت سَفَهـاً ويْحَهـا	بعـوْلتهـا والمـنـايـا تَجِي
فهـزَّت فتىً مـاجـداً عِـرْقُـهُ	كـريمُ المداخـلِ والمخـرجِ
فضـرَّجهـا من نَجِيعِ الـدِّمـا	ء بعـد الهـدوِّ فلم يُحْـرجِ[6]

فقـال رسول الله ﷺ حين بلغـه ذلك: «ألا آخِـذٌ لي من ابنـة مـروان»؟ فسمع ذلك من قول رسول الله ﷺ عُمير بن عدِيّ الخطْميّ، وهو عنـده؛ فلما أمسى من تلك الليلة سـرى عليهـا في بيتهـا فـقتـلهـا، ثم أصبـح مـع رسـول الله ﷺ، فقال: يـا رسـول الله، إنّي قـد قتلتهـا. فقـال: «نصـرت الله

---

(١) المغازي للواقدي ١/١٧٢ ـ ١٧٤، طبقات ابن سعد ٢/٢٧، ٢٨، أنساب الأشراف ١/٣٧٣ رقم ٧٧٢، تاريخ الإسلام (المغازي) ١٣٦، عيون الأثر ١/٢٩٣.

(٢) هو عُمير بن عديّ بن خرشة بن أُميّة بن عامر بن خطمة، كان أبوه شاعراً، وهو أول من أسلم من بني خطْمة. ولم يشهد بدراً لضرارته. (الإصابة ٣/٣٣، ٣٤).

(٣) الأتاوي: الغريب.

(٤) الأنف: المترفع. الغرة: الغفلة.

(٥) هذا البيت ليس عند الواقدي.

(٦) الهدو: منتصف الليل: أو بعد ساعة منه. يحرج: يأثم.

ورسوله يا عُمير»، فقال: هل عليّ شيء من شأنها يا رسول الله؟ فقال: «لا ينتطح فيها عَنْزان»[1].

فرجع عُمير إلى قومه، وبنو خطْمة يومئذٍ كثير مَوْجُهم[2] في شأن بنت مروان، ولها يومئذٍ بنون خمسة رجال، فلما جاءهم عُمير بن عدِيّ من عند رسول الله ﷺ؛ قال: يا بني خطْمة، أنا قتلت ابنة مروان، فكِيدوني جميعاً ثم لا تُنظِرونِ. فذلك اليوم أول ما عزّ الإسلام في دار بني خطْمة، وكان يستخفي بإسلامهم فيهم مَن أسلم، وكان أول مَن أسلم من بني خطْمة عُمير بن عديّ، وهو الذي يُدعى القارىء، وعبد الله بن أوس، وخُزَيمة بن ثابت، وأسلم يوم قُتلت ابنة مروان، رجال من بني خطْمة، لما رأوا من عزّ الإسلام.

أسْر ثُمامة بن أُثَال الحنفي وإسلامه[3]: بلغني عن أبي سعيد المَقْبُرِيّ، عن أبي هريرة أنه قال: خرجتْ خيل لرسول الله ﷺ، فأخذت رجلاً من بني حنيفة، لا يشعرون مَن هو، حتى أتوا به رسول الله ﷺ؛ فقال: «أتدرون مَن أخذتم؛ هذا ثُمامة بن أُثال[4] الحنفي، أحسِنوا إساره». ورجع رسول الله ﷺ إلى أهله؛ فقال: «اجمعوا ما كان عندكم من طعام، فابعثوا به إليه»، وأمر بلَقْحته[5] أن يُغدى عليه بها ويُراح؛ فجعل لا يقع من ثُمامة موقعاً ويأتيه رسول الله ﷺ فيقول: «أسلِم يا ثُمامة»، فيقول: إيهاً[6] يا محمد، إن تقتل

---

(١) لا ينتطح فيها عنْزان: أي إنّ الأمر شأنه هيّن، لا يكون فيه طلب ثأر ولا اختلاف.

(٢) موجهم: اختلاطهم واختلافهم.

(٣) تاريخ الطبري ١٥٦/٣، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٥٠، ٣٥١ باسم: «سرية نجد». قيل إنها كانت في المحرّم سنة ستّ»، وذكرها ابن كثير في بداية حوادث سنة ستّ من الهجرة، وقال هي سرية محمد بن مسلمة قِبَل نجد. (البداية والنهاية ١٤٩/٤)، أنساب الأشراف ٣٧٦/١ رقم ٧٨١.

(٤) أُثال: بضمّ الهمزة. (الإكمال ١٧/١ بالهامش).

(٥) اللقَحة: الناقة التي لها لبن.

(٦) إيهاً: حسْبك.

تقتل ذا دمٍ وإن تُرِدِ الفداءَ فسلْ ما شئت، فمكث ما شاء الله أن يمكث؛ ثم قال النبيّ ﷺ يوماً: «أطلِقوا ثُمامة»، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع، فتطهّر فأحسن طهوره، ثم أقبل فبايع النبيّ ﷺ على الإسلام؛ فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأتونه من الطعام، فلم ينل منه إلاّ قليلاً، وباللقحة فلم يُصب من حلابها إلاّ يسيراً فعجب المسلمون من ذلك فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك: «ممّ تعجبون»؟ أمِن رجل أكل أول النهار في مَعِيٍ كافر، وأكل آخر النهار في مَعِيّ مسلم! إنّ الكافر يأكل في سبعة أمعاء، وإن المسلم يأكل في معيٍّ واحد».

قال ابن هشام: فبلغني أنه خرج معتمِراً، حتى إذا كان ببطن مكة لبّى، فكان أول مَن دخل مكة يلبّي، فأخذته قريش، فقالوا: لقد اخترت علينا، فلما قدّموه ليضربوا عُنقه؛ قال قائل منهم: دَعوه فإنكم تحتاجون إلى اليمامة لطعامكم، فخلّوه، فقال الحنفيّ في ذلك:

ومنّا الذي لبّى بمكة مُعلناً برغم أبي سفيان في الأشْهُر الحُرُمِ

وحُدِّثت أنه قال لرسول الله ﷺ، حين أسلم: لقد كان وجهك أبغض الوجوه إليّ، ولقد أصبح وهو أحبّ الوجوه إليّ. وقال في الدِّين والبلاد مثل ذلك.

ثم خرج معتمراً، فلما قدِم مكة، قالوا: أصَبَوْت يا ثُمام؟ فقال: لا، ولكنّي اتّبعت خير الدِّين، دين محمد، ولا والله لا تصل إليكم حبّة من اليمامة حتى يأذَن فيها رسول الله ﷺ. ثم خرج إلى اليمامة، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئاً، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: إنك تأمر بصِلة الرَّحِم، وإنّك قد قطعت أرحامنا، وقد قتلت الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع، فكتب رسول الله ﷺ إليه أن يُخلّي بينهم وبين الحَمْل[1].

---

(١) أخرج البخاري في كتاب المغازي ٥/١١٧، ١١٨ باب وفد بني حنيفة وحديث ثُمامة بن أثال، قال: حدّثنا عبد الله بن يوسف، حدّثنا الليث، قال: حدّثني سعيد بن أبي سعيد أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبيّ ﷺ خيلاً قِبَل نجد، فجاءت برجلٍ من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبيّ ﷺ فقال: =

سريّة علقمة بن مجزّز[1]: وبعث رسول الله ﷺ علقمة بن مُجّزز.

لما قُتل وقّاص بن مجزّز المُدْلِجيّ يوم ذي قَـرَد، سأل علقمـة بن مجزّز رسول الله ﷺ أن يبعثه في آثار القوم، ليدرك ثأره فيهم.

فـذكر عبـد العزيـز بن محمـد، عن محمـد بن عمـرو بن علقمـة، عن عمـرو بن الحَكَم بن ثـوبـان، عن أبي سـعيـد الـخُـدْريّ، قـال: بعـث رسول الله ﷺ علقمة بن مجزّز ـ قال أبو سعيد الخُـدْريّ: وأنا فيهم ـ حتى إذا بلغنـا رأس غَزاتنـا أو كنّا ببعض الـطريق، أذِن لطائفـة من الجيش، واستعمل عليهم عبد الله بن حُذافة السَّهْميّ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، وكـانت فيه دُعابة، فلما كان ببعض الطريق أوقد ناراً، ثم قال للقوم: أليس لي عليكم السمع والطاعة؟ قالوا: بلى؛ قال: أفما أنا آمـركم بشيءٍ إلاّ فعلتموه؟ قـالوا: نعم، قال: فإنّي أعزم عليكم بحقّي وطاعتي إلاّ تـواثبتم في هذه النـار؛ قال: فقام بعض القوم يحتجز[2]، حتى ظنّ أنهم واثبون فيها، فقال لهم: اجلسـوا،

= ما عندك يا ثُمامة؟ فقال: عندي خير يـا محمد، إن تقتلني تقتـل ذا دمٍ، وإن تُنعم تُنعم على شاكر، وإن كنت تـريد المـال فسلْ منه ما شئت. فتُـرك حتى إذا كان الغـد، ثم قال لـه: ما عندك يا ثُمـامة؟ فقـال: ما قلت لـك إن تُنعم تُنعم على شاكـر، فتركـه حتى كان بعـد الغد، قـال: ما عندك يا ثُمامة؟ قال: عندي ما قلت لك. فقـال: أطلقوا ثُمـامة، فـانطلق إلى نجْـلٍ قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمداً رسـول الله، يا محمـد، والله ما كـان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهـك، فقـد أصبح وجهـك أحبّ الوجـوه إليّ. والله ما كـان من بلدٍ أبغض إليّ من بلدك، فـأصبح بلدك أحبّ البلاد إليّ، وإنّ خيلك أخذتني وأنا أريد العُمرة، فماذا ترى؟ فبشّره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر. فلما قَـدِم مكة قـال لـه قـائـل: صَبَـوْتَ! قـال: لا والله، ولكنْ أسلمت مـع محمـد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبّة حنطة حتى يأذن فيها النبيّ ﷺ.

وأخـرجه مسلم في كتـاب الجهاد والسيـر، باب ربط الأسيـر وحبسـه وجـواز المنّ عليـه.

وانظر: الإصابة ٢٠٣/١ في ترجمة ثمامة.

(١) المغـازي للواقدي ٩٨٣/٣، طبقـات ابن سعد ١٦٣/٢، تـاريخ الإسـلام (المغازي) ٦٢٣، ٦٢٤، أنساب الأشراف ٣٨٢/١ رقم ٨٢١، عيون الأثر ٢٠٧/٢ (وفيه سرية علقمة بن محرز المـدلجي إلى الحبشة)، عيـون التواريـخ ٣٦٠/١، ٣٦١ (وفيـه علقمـة بن مجـزر)، البـدء والتاريخ ٢٣٩/٤، نهاية الأرب ٣٥١/١٧.

(٢) يحتجز: يشدّ ثوبه على خصره.

فإنّما كنت أضحك معكم، فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ بعد أن قدِموا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «مَن أمركم بمعصية منهم فلا تطيعوه»[1].

وذكر محمد بن طلحة أنَّ علقمة بن مجزّز رجع هو وأصحابه ولم يلق كيداً.

سرية كُرْز بن جابر لقتل البجليّين[2] الذين قتلوا يَساراً: حدّثني بعض أهل العلم، عمّن حدّثه، عن محمد بن طلحة، عن عثمان بن عبد الرحمن، قال: أصاب رسول الله ﷺ في غزوة محارب وبني ثعلبة عبداً يقال له يَسار، فجعله رسول الله ﷺ في لِقاحٍ له كانت ترعى في ناحية الجمّاء[3]، فقدِم على رسول الله ﷺ نفر من قيس كبّة من بُجَيلة، فاستوبئوا، وطحلوا[4]، فقال لهم رسول الله ﷺ: «لو خرجتم إلى اللقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها»، فخرجوا إليها.

فلما صحُّوا وانطوت بطونهم، عَدَوْا على راعي رسول الله ﷺ يَسار، فذبحوه وغرزوا الشوك في عينيه، واستاقوا اللِقاح. فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم كُرْز بن جابر، فلحِقهم، فأتى بهم رسولَ الله ﷺ مَرْجِعَه من غزوة ذي قَرَد، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسَمَلَ أعيُنَهم[5].

---

(١) المغازي للواقدي ٣/٩٨٤، طبقات ابن سعد ٢/١٦٣، سنن ابن ماجه ٢/٩٥٥، ٩٥٦ في كتاب الجهاد، باب لا طاعة في معصية الله (٢٨٦٣) وهو بالسند المذكور هنا، وبنصّه باختلاف في الألفاظ، وآخره «من أمركم منهم بمعصية الله فلا تطيعوه». وهو في مسند أحمد ٣/٦٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٢/٩٣ (وفيه: سرية كُرز بن جابر الفِهريّ إلى العُرَنيّين).

(٣) الجمّاء: جُبَيل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجُرْف. (معجم البلدان ٢/١٥٨).

(٤) استوبئوا: أصيبوا بالأوبئة. طحلوا: أصيبوا بداء الطحال.

(٥) طبقات ابن سعد ٢/٩٣، المغازي للواقدي ٢/٥٦٨، تاريخ خليفة ٥٧، أنساب الأشراف ١/٣٧٨، ٣٧٩ رقم ٧٩٦، نهاية الأرب ١٧ج٢١٣، ٢١٤، تاريخ الإسلام (المغازي) ٣٥٦، ٣٥٧، البداية والنهاية ٤/١٧٩، ١٨٠، عيون التواريخ ١/٢٥٣، وقد أخرج البخاري حديث هذه الغزوة في كتاب المغازي، باب قصّة عُكْلٍ وعُرَيْنة (٥/٧٠، ٧١) ومسلم في =

غـزوة عليّ بن أبي طـالب إلى اليمن[1]: وغـزوة عليّ بن أبي طـالب رضوان الله عليه إلى اليمن، غزاها مرّتين.

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المدني: بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب إلى اليمن، وبعث خالد بن الوليد في جُندٍ آخر، وقال: «إنِ التقيتما فالأمير عليّ بن أبي طالب».

وقد ذكر ابن إسحاق بعْث خالد بن الوليد في حديثه، ولم يذكره في عدّة البعوث والسَّرايا، فينبغي أن تكون العدّة في قوله تسعة وثلاثين.

بعث أُسامة بن زيد إلى أرض فلسطين وهو آخر البعوث: **قال ابن إسحاق**: وبعث رسول الله ﷺ أُسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام، وأمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء والداروم، من أرض فلسطين، فتجهّز الناس، وأوعب مع أُسامة المهاجرون الأولون[2].

قال ابن هشام: وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ.

= كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والدّيات، (٣/١٢٩٦ ـ ١٢٩٨) باب حكم المحاربين المرتدّين. (١٦٧١) وانظر كتاب الحدود عند البخاري، وكتاب المحاربين من أهل الكفر والرِّدَّة، باب: لم يُسَق المحاربون والمرتدّون حتى ماتوا. وباب سمْر النبيّ ﷺ أعين المحاربين.

(١) طبقات ابن سعد ٢/١٦٩، ١٧٠، المغازي للواقدي ٣/١٠٧٩ ـ ١٠٨٣، أنساب الأشراف ١/٣٨٤ رقم ٨٢٦، البدء والتاريخ ٤/٢٤١، المحبّر ١٢٥.

(٢) سبق أن ذكر المؤلّف هذا الخبر بعد خطبة الوداع. فليُراجع.

ابتداء شكوى رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق: فبينا الناس على ذلك ابتُدِيء رسول الله ﷺ بشكواه الذي قبضه الله فيه، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته، في ليالٍ بقين من صفر، أو في أول شهر ربيع الأول، فكان أول ما ابتُدِيء به من ذلك، فيما ذكر لي، أنه خرج إلى بقيع الغرقد، من جوف الليل، فاستغفر لهم، ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح ابتُدِيء بوجعه من يومه ذلك.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن جُبير، مولى الحَكَم بن أبي العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبي مُوَيْهبة، مولى رسول الله ﷺ، قال: بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل، فقال: «يا أبا مُوَيهبة، إنّي قد أُمِرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلق معي»، فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهُرهم، قال: «السّلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنيء لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفِتَن كقِطع الليل المظلم، يتبع آخرها أوّلها، الآخرة شرّ من الأولى»؛ ثم أقبل عليّ، فقال: «يا أبا مُوَيهبة، إنّي قد أُوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخُلْد فيها، ثم الجنّة، فخُيِّرْت بين ذلك وبين لقاء ربّي والجنّة قال: فقلت: بأبي أنت وأُمّي، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخُلْد فيها، ثم الجنة؛ قال: لا والله يا أبا مُوَيْهبة، لقد اخترت

لقاء ربّي والجنة»، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذي قبضه الله فيه[1].

تمريضه في بيت عائشة: قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عُتْبة، عن محمد بن مسلم الزُّهْري؛ عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود، عن عائشة زوج النبيّ ﷺ قالت: رجع رسول الله ﷺ من البقيع، فوجدني وأنا أجد صُداعاً في رأسي، وأنا أقول: وارأساه، فقال: «بل أنا والله يا عائشة وارأساه». قالت: ثم قال: «وما ضَرَّكِ لو مُتِّ قبلي، فقمتُ عليكِ وكفَّنْتُكِ، وصلَّيتُ عليكِ ودفنْتُك»؟ قالت: قلت: والله لكأنّي بك، لو قد فعلت ذلك، لقد رجعت إلى بيتي، فأعْرستَ فيه ببعض نسائك، قالت: فتبسّم رسول الله ﷺ، وتتامّ به وجعه، وهو يدور على نسائه، حتى استعزّ به[2]، وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه، فاستأذنهنّ في أن يمرض في بيتي، فأذِنَّ له[3].

ذِكْر أزواجه ﷺ[4]

قال ابن هشام: وكنَّ تسعاً: عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر بن

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/٢٠٤، تاريخ الطبري ٣/١٨٨، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٧١٦، ٧١٧، أنساب الأشراف ١/٥٤٤، نهاية الأرب ١٨/٣٦٢، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٥، سيرة ابن كثير ٤/٤٤٣، ٤٤٤.

(٢) استعزّ به: غلبه.

(٣) أنظر: طبقات ابن سعد ٢/٢٣٢، والمصنّف لعبد الرزاق ٥/٤٢٩، ٤٣٠، ومصنّف ابن أبي شيبة ١٤/٥٦٠ رقم ١٨٨٨٥، ودلائل النبوّة للبيهقي ٢/٧٢٣، وتاريخ الطبري ٣/١٨٨، ١٨٩ و١٩٥، وأنساب الأشراف ١/٥٤٤، ٥٤٥، والكامل في التاريخ ٢/٣١٨، ونهاية الأرب ١٨/٢٦٣، ٢٦٤، وتاريخ الإسلام (السيرة ـ بتحقيقنا) ٥٤٧، ٥٤٨، سيرة ابن كثير ٤/٤٤٥ ـ ٤٤٧، وعيون الأثر ٢/٣٣٦، والمغازي لعروة ٢٢٢، والبدء والتاريخ ٤/٢٤٢.

(٤) أنظر عن عدد أزواج النبيّ ﷺ وأسمائهن:
تسمية أزواج النبيّ ﷺ، لأبي عبيدة معمر بن المثنّى ـ ص ٤٤ وما بعدها، وطبقات ابن سعد ٨/٥٢ وما بعدها، وتاريخ الطبري ٣/١٦٠ وما بعدها، وتاريخ اليعقوبي ٢/٨٤ ـ ٨٦، والمحبّر لابن حبيب ٧٧ ـ ٩٩، وأنساب الأشراف ١/٣٩٦ وما بعدها، والاستيعاب لابن عبد البر ١/٤٤ وما بعدها، وذيل المذيل للطبري ٦٠٠ وما بعدها، وصفة الصفوة لابن=

الخطّاب، وأُمّ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وأُمّ سَلَمة بنت أبي أُميّة بن المغيرة، وسَوْدة بنت زمْعة بن قيس، وزينب بنت جحش بن رئاب، وميمونة بنت الحارث بن حَزْن، وجُويرية بنت الحارث بن أبي ضِرار، وصفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب، فيما حدّثني غير واحد من أهل العلم.

خديجة: وكان جميع مَن تزوّج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة: خديجة بنت خُوَيلد، وهي أول مَن تزوّج، زوّجه إيّاها أبوها خُويلِد بن أسد، ويقال أخوها عمرو بن خُوَيلد[1]، وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكرة، فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلّهم إلاّ إبراهيم، وكانت قبله عند أبي هالة بن مالك[2]، أحد بني أُسيد بن عمرو بن تميم، حليف بني عبد الدار، فولدت له هند بن أبي هالة، وزينب بنت أبي هالة، وكانت قبل أبي هالة عند عَتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فولدت له عبد الله، وجارية.

قال ابن هشام: جارية من الجواري، تزوّجها صَيْفيّ بن أبي رفاعة.

عائشة: وتزوّج رسول الله ﷺ عائشة بنت أبي بكر الصِّدِّيق بمكة، وهي بنت سبع سنين، وبنى بها بالمدينة، وهي بنت تسع سنين أو عشر، ولم

= الجوزي ١/٧٧، ونهاية الأرب ١٨/١٧٠ وما بعدها، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/٣٠٧ ـ ٣١٠، وتهذيب الكمال للمزّي ١/٢٠٣، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ق ١ ج ٢/٣٤١، وتاريخ الإسلام للذهبي (السيرة ـ بتحقيقنا) ٥٩٢ ـ ٥٩٩، والبداية والنهاية لابن كثير ٢/٢٩٣ وما بعدها، وتهذيب تاريخ دمشق ١/٢٩٣، وتاريخ دمشق (السيرة) ١٣٦ ـ ١٩٨، والسير والمغازي لابن إسحاق ٢٤٥ ـ ٢٦٩، والسمط الثمين للمحبّ الطبري ١٣٩ وما بعدها.

(١) وقيل بل عمرو بن أميّة عمّها وكان شيخاً كبيراً وهو الصحيح، على ما في نهاية الأرب ١٦/٩٨ وعند ابن سعد في الطبقات ١/١٣٢ هو عمرو بن أسد بن عبد العُزّى، وهو يومئذ شيخ كبير لم يبق لأسد لصُلبه يومئذ غيره، ولم يلد عمرو بن أسد شيئاً.
وينفي الواقدي الأقوال الأخرى فيقول: «فهذا كله عندنا غلط ووهْم. والثبت عندنا المحفوظ عن أهل العلم أن أباها خويلد بن أسد مات قبل الفجار. وأنّ عمّها عمرو بن أسد زوّجها رسول الله ﷺ. (طبقات ابن سعد ١/١٣٣).

(٢) هو أبوهالة بن زُرارة بن نبّاش بن زُرارة بن حبيب بن سلامة. . (تاريخ الطبري ٣/١٦١).

يتـزوّج رسول الله ﷺ بكْـراً غيرهـا، زوّجه إيّـاها أبـوها أبـو بكـر، وأصـدقهـا رسول الله ﷺ أربعمائة دِرْهم[1].

سَوْدَة: وتزوّج رسول الله ﷺ سَودة بنت زُمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مـالك بن حِسْـل بن عامـر بن لُؤَيّ، زوّجه إيّـاها سليط بن عمـرو، ويقال أبـو حـاطب بن عمـرو بن عبـد شمس بن عبـد ود بن نصـر بن مالك بن حسل، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم.

قال ابن هشام: ابن إسحاق يخالف هذا الحديث، يذكر أنّ سليـطاً وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة في هذا الوقت[2].

وكـانت قبله عنـد السكـران بن عمـرو بن عبــد شمس بن عبـد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل.

زينب بنت جحش: وتـزوّج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بن رئـاب الأسدية. زوّجه إيّاهـا أخوهـا أبو أحمـد بن جحش، وأصدقهـا رسول الله ﷺ أربعمائة درهم، وكـانت قبله عند زيـد بن حارثـة، مولى رسـول الله ﷺ ففيها أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا** ﴾[3].

أُمّ سَلَمَـة: وتـزوّج رسـول الله ﷺ أُمّ سَلَمـة بنت أبي أُميّـة بن المغيـرة المخـزوميّة واسمهـا هند؛ زوّجـه إيّاهـا سَلَمة بن أبي سَلَمـة ابنها، وأصـدقها

---

(١) أنظر؛ صحيح البخاري في فضائل أصحاب النبيّ ﷺ، بـاب تزويـج النبيّ ﷺ عائشـة. وفي النكاح، باب إنكاح الرجل ولده الصغار. وباب تزويج الأب ابنتـه من الإمام، وبـاب الدعـاء للنساء اللاتي يهـدين العروس للعـروس. وباب من بنى بـامرأة وهي بنت تسـع سنين. وباب البنـاء بالنهـار بغير مـركب ولا نيران. ومسلم (١٤٢٢) في النكـاح، باب تـزويج الأب البكـر الصغيـرة، وأبو داود في النكـاح (١٢٢١) باب في تـزويج الصغـار، ورقم (٤٩٣٣، ٤٩٣٤، ٤٩٣٥، ٤٩٣٦، ٤٩٣٧) في الأدب، بـاب في الأرجوحـة. والنسائي (٨٢/٦) في النكـاح، باب إنكاح الرجل ابنته الصغيرة. و(جامع الأصول لابن الأثير ٤٠٧/١١).

(٢) أنـظر السير والمغـازي لابن إسحاق ٢٥٤ وفيـه أنّ النبيّ ﷺ تزوّجهـا بعد خـديجـة رضي الله عنها، ثم تزوّج عائشة بعدها. (٢٥٥).

(٣) سورة الأحزاب من الآية ٣٧، وانظر عنها في السير والمغازي لابن إسحاق ٢٦٢.

رسول الله ﷺ فراشاً حشْوه ليف، وقـدْحاً، وصحْفـة، ومجشّة[1]؛ وكـانت قبله عند أبي سَلَمة بن عبد الأسد، واسمه عبد الله، فولدت له سَلَمة وعمر وزينب ورُقيَّة[2].

حفصـة: وتزوّج رسـول الله ﷺ حفصة بنت عمـر بن الخطّاب، زوّجـه إيّاها أبوها عمر بن الخطّاب، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائـة دِرهم، وكانت قبله عند خُنيس بن حُذافة السَّهْميّ[3].

أم حبيبـة: وتـزوّج رسـول الله ﷺ أُمّ حبيبـة، واسمهـا رَمْلة بنت أبي سفيـان بن حرب، زوّجـه إيّاهـا خـالـد بن سعيـد بن العـاص، وهمـا بـأرض الحبشة، وأصدقها النجاشيّ عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار، وهو الذي كان خطبها على رسول الله ﷺ، وكانت قبله عند عُبيد الله بن جحش الأسديّ[4].

جُوَيْرية بنت الحارث: وتزوّج رسول الله ﷺ جُـوَيْريـة بنت الحارث بن أبي ضِرار الخُزاعيّة، كانت في سبـايا بني المُصْـطَلِق من خُزاعـة، فوقعت في السهم لثـابت بن قيس بن الشمّاس الأنصـاريّ، فكاتبهـا على نفسهـا، فـأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتـابتها. فقـال لها: «هـل لكِ في خيـرٍ من ذلك»؟ قـالت: وما هـو؟ قال: «أقضي عنـك كتـابتـك وأتـزوّجـك»؟ فقـالت: نعم، فتزوّجها.

قـال ابن هشام: حـدّثنا بهـذا الحديث زيـاد بن عبـد الله البكّـائي، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزُّبير، عن عُروة، عن عائشة.

قـال ابن هشـام: ويقـال: لمـا انصـرف رسـول الله ﷺ من غـزوة بني المصطلق ومعه جُوَيرية بنت الحارث، فكان بذات الجيش، دفع جُويـرية إلى

---

(١) المجشّة: الرَّحى.

(٢) أنظر: السير والمغازي لابن إسحاق ٢٦٠، ٢٦١.

(٣) السير والمغازي ٢٥٧.

(٤) السير والمغازي ٢٥٩، تاريخ الطبري ١٦٥/٣.

رجل من الأنصار وديعة وأمره بـالاحتفاظ بهـا، وقدِم رسـول الله ﷺ المدينـة، فـأقبل أبـوها الحـارث بن أبي ضِرار بفـداء ابنته، فلمـا كان بـالعقيق نظر إلى الإبـل التي جاء بهـا للفداء، فـرغب في بعيرين منهـا، فغيّبهما في شِعْبٍ من شعـاب العقيق، ثم أتى النبيَّ ﷺ، فقـال: يـا محمـد، أصبتم ابنتي، وهـذا فِداؤها، فقال رسول الله ﷺ: «فـأين البعيران اللّذان غيّبْت بـالعقيق في شِعْب كذا وكذا»؟ فقال الحارث: أشهـد أن لا إله إلّا الله، وأنّـك رسول الله، صلّى الله عليك، فوالله ما اطّلع على ذلك إلّا الله تعـالى، فأسلم الحـارث، وأسلم معه ابنان له وناس من قومه، وأرسل إلى البعيرين، فجـاء بهما، فـدفع الإبـل إلى النبيّ ﷺ، ودفعت إليه ابنته جُويرية، فأسلمت وحسُن إسلامها، وخـطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها فزوّجه إيّاها، وأصـدقها أربعمـائة درهم، وكـانت قبل رسول الله ﷺ عند ابن عمّ لها يقال له عبد الله.

قـال ابن هشـام: ويقـال اشتـراهـا رسـول الله ﷺ من ثـابت بن قيس، فأعتقها وتزوّجها، وأصدقها أربعمائة درهم[1].

صفيّـة بنت حُيَيّ: وتزوّج رسـول الله ﷺ صفيّـة بنت حُيَيّ بن أخـطب، سباها من خيبر، فاصطفاها لنفسه، وأولم رسول الله ﷺ وليمة، مـا فيها شحم ولا لحم، كـان سـويقـاً وتمـراً، وكـانت قبله عنـد كِنـانـة بن الـربيـع بن أبي الحُقَيق[2].

ميمـونة بنت الحـارث: وتزوّج رسـول الله ﷺ ميمونـة بنت الحارث بن حَزْن بن بُجَير بن هُـزَم بن رُوَيبة بن عبـد الله بن هلال بن عـامر بن صعصعـة، زوّجـه إيّاهـا العباس بن عبـد المطّلب، وأصـدقها العبّـاس عن رسول الله ﷺ أربعمائة درهم، وكانت قبله عند أبي رُهْم بن عبد العُزّى بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصـر بن مالـك بن حِسْل بن عـامـر بن لُؤَيّ؛ ويقـال: إنّهـا التي وهبت

---

(١) أنظر السير والمغازي ٢٦٣.

(٢) السير والمغازي ٢٦٤.

نفسها للنبيّ ﷺ، وذلك أنّ خِطبة النبيّ ﷺ انتهت إليها وهي على بعيرها، فقالت: البعير وما عليه لله ولرسوله؛ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾[1].

ويقال: إنّ التي وهبت نفسها للنبيّ ﷺ زينب بنت جحش، ويقال أمّ شَرِيك، غَزِيّة بنت جابر بن وهْب من بني مُنقذ بن عمرو بن مُعَيص بن عامر بن لُؤَيّ، ويقال: بل هي امرأة من بني سامة بن لُؤَيّ، فأرجأها رسول الله ﷺ[2].

زينب بنت خُزَيمة: وتزوّج رسول الله ﷺ زينب بنت خُزَيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مَناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت تُسمّى أُم المساكين؛ لرحمتها إيّاهم، ورقّتها عليهم، زوّجه إيّاها قُبيصة بن عمرو الهلاليّ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم. وكانت قبله عند عُبيدة[3] بن الحارث بن عبد المطّلب بن عبد مَناف، وكانت قبل عُبيدة عند جهْم بن عمرو بن الحارث، وهو ابن عمّها.

فهؤلاء اللاّتي بنى بهنّ رسول الله ﷺ إحدى عشرة، فمات قبله منهنّ ثنتان: خديجة بنت خُوَيلد، وزينب بنت خُزَيمة. وتُوُفّي عن تسع قد ذكرناهنّ في أول هذا الحديث، وثنتان لم يدخل بهما: أسماء بنت النُّعمان الكِنْديّة، تزوّجها فوجد بها بياضاً فمتّعها[4] وردّها إلى أهلها[5]، وعَمرة بنت يزيد الكلابية وكانت حديثةَ عهدٍ بكُفْر؛ فلما قدِمت على رسول الله ﷺ، استعاذت من رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «منيعٌ عائذ الله»، فردّها إلى أهلها.

---

(١) سورة الأحزاب ـ الآية ٥٠.

(٢) السير والمغازي ٢٦٦.

(٣) في السير والمغازي ٢٥٨: وكانت قبله عند الحصين بن الحارث أو عند أخيه الطُفيل بن الحارث بن عبد المطّلب بن عبد مناف.

(٤) متعها: أعطاها ما تتمتّع به.

(٥) طبقات ابن سعد ١٤٨/٨ المحبّر ٩٦، تسمية أزواج النبيّ ٦٩.

ويقال: إنّ التي استعاذت من رسول الله ﷺ كِنْدية بنت عمّ لأسماء بنت النُّعمان، ويقال إنّ رسول الله ﷺ دعاها، فقالت: إنّا قوم نُؤْتَى ولا نأتي؛ فردّها رسول الله ﷺ إلى أهلها[1].

القُرَشيات منّهنّ: القُرَشيات من أزواج النبيّ ﷺ ستّ: خديجة بنت خُويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ.

وعائشة بنت أبي بكر بن أبي قُحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب.

وحفصة بنت عمر بن الخطّاب بن نُفَيل بن عبد العُزّى بن عبد الله بن قُرط بن رياح بن رزاح بن عدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ.

وأُمّ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرْب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ.

وأُمّ سَلَمة بنت أبي أُميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ.

وسَوْدة بنت زُمْعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيّ[2].

العربيّات وغيرهنّ: والعربيات وغيرهنّ سبع: زينب بنت جحش بن رئاب بن يَعمر بن صبرة بن مُرّة بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد بن خُزَيمة.

وميمونة بنت الحارث بن حَزن بن بُجَير بن هُزَم بن رُوَيبة بن عبد الله بن

---

(١) اختلف أهل العلم في الزوجات اللّاتي طلّقهن وأسباب ذلك. أنظر: تسمية أزواج النبيّ ٦٩ و ٧٠، وطبقات ابن سعد ١٤١/٨، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، وذيل المذيّل للطبري ٦١٤، والمحبّر لابن حبيب ٩٦، وأسد الغابة لابن الأثير ٥٦٤/٥، وتاريخ الإسلام (السيرة) للذهبي ٥٩٤، ٥٩٥، وعيون الأثر ٣١١/٢، والسمط الثمين ١٢٦.

(٢) تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٩٣، تسمية أزواج النبي لأبي عبيدة ٧٧.

هـلال بن عـامـر بن صعصعـة بن معـاويـة بن بكـر بن هـوازن بن منصــور بن عِكرمة بن خصفة بن قيس بن عَيْلان.

وزينب بنت خُزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمـرو بن عبد مَنـاف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية.

وجُوَيرية بنت الحارث بن أبي ضِرار الخُزاعيّة، ثم المُصْطَلِقِيّة.

وأسماء بنت النعمان الكِنْديّة.

وعَمرة بنت يزيد الكلابية.

ومن غير العربيّات: صَفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب، من بني النضير[1].

---

(١) رُوي عن قَتادة أن رسـول الله ﷺ تـزوّج خمس عشـرة امـرأة، ودخـل بثـلاث عشـرة منهنّ، واجتمع عنده منهنّ إحدى عشرة وقُبض عن تسـع. تسمية أزواج النبيّ ﷺ لأبي عبيـدة ٧٧، المحبّر ٩٨، تاريخ الإسلام (السيرة)٥٩٢.

ويقول خادم العلم الشريف الفقير إلى الله تعالى محقّق هذا الكتاب «عمر بن عبـد السلام تـدمـري» إنّ المؤلف ـ رحمـه الله ـ لم يـذكـر في الأزواج: «قُتَيلة» وهي أخت الأشعث بن قيس، ومات قبل أن يخبـرهـا فبرّأها الله منه (طبقات ابن سعد ١٤٧/٨، ١٤٨. تسمية أزواج النبيّ ﷺ ٧٢، ٧٣، تاريخ الإسلام (السيرة ٥٩٣٢) و«فاطمة بنت الضحّاك» وقد اختُلف في اسمها. (تسمية أزواج النبي ٧٠، وذيل المذيّـل ٦١١ و ٦١٢، وطبقات ابن سعـد ١٤١/٨، وتاريخ الإسلام (السيرة ٥٩٤٢).

و«سناء بنت الصلْت السلميّة» وماتت قبل أن يصـل إليها. (تسميـة أزواج النبيّ ٧٣، ٧٤، المحبّر ٩٣، طبقات ابن سعد ١٤٩/٨، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٩٥، أسد الغابة ٤٨٢/٥) وقيل «سناء بنت سفيـان الكلابيـة» في خبر لا يصـحّ. (طبقات ابن سعـد ١٤٩/٨) و«مُلَيكة بنت كعب» وكانت تُذْكـر بجمالٍ بـارع، فقيل إنهـا استعاذت منه ﷺ فطلّقهـا. (طبقات ابن سعـد ١٤٨/٨، ١٤٩، تاريخ الإسلام (المغـازي) ٥٩٥، ٥٩٦) و«العاليـة بنت ظبيان» من بني كلاب، وفارقها. (طبقات ابن سعـد ١٤٣/٨، تاريـخ الإسلام (السيـرة) ٥٩٦) و«خولـة بنت هُـذَيل الثعلبيـة» حُمِلت إليه من الشـام فماتت في الـطريق، فنكح خـالتها «شَـرَاف بنت فضـالـة». فمـاتت في الـطريق أيضاً. (طبقـات ابن سعـد ١٦٠/٨، ١٦١، نهـايـة الأرب ١٩٨/١٨، تاريخ الإسلام (المغازي) ٥٩٦).

قال الحافظ الذهبي بعد ذِكره لأسماء زوجات النبيّ ﷺ: «هذا ونحوه إنّما أوردتـه للتعجُّب لا للتقدير». (تاريخ الإسلام ـ السيـرة ـ ٥٩٧).

وقـال ابن عبـد البـرّ في الاستيعـاب ٣٤/١: «وأمّـا اللواتي اختُلف فيهنّ ممّن ابتنى بهـا

تمريض رسول الله ﷺ في بيت عائشة

قال ابن إسحاق: حدّثني يعقوب بن عُتبة، عن محمد بن مسلم الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن عُتبة، عن عائشة زوج النبيّ ﷺ، قالت: فخرج رسول الله ﷺ يمشي بين رجُلين من أهله: أحدهما الفضل بن العبّاس. ورجل آخر، عاصباً رأسه، تخطّ قدماه حتى دخل بيتي.

قال عبيد، فحدّثت هذا الحديث عبدَ الله بنَ العباس، فقال: هل تدري من الرجل الآخر قال: قلت: لا؟ قال: عليّ بن أبي طالب[1].

اشتداد المرض: ثم غمر رسول الله ﷺ، واشتدّ به وجعه، فقال: «هريقوا عليَّ سبع قِرَب من آبارٍ شتّى، حتى أخرج إلى الناس فأعْهد إليهم، قالت: فأقعدناه في مِخْضَب[2] لحفصة بنت عمر، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول: «حسبكم حسبكم»[3].

خطبة للنبيّ وتفضيله أبا بكر: **قال ابن إسحاق:** وقال الزُّهْريّ: حدّثني أيّوب بن بشير: أنّ رسول الله ﷺ خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، ثم كان أول ما تكلّم به أنه صلّى على أصحاب أُحُد، واستغفر لهم، فأكثر

وفارقها، أو عقد عليها ولم يدخل بها، أو خطبها ولم يتمّ له العقد معها، فقد اختُلف فيهنّ وفي أسباب فراقهنّ اختلافاً كثيراً، يوجب التوقّف عن القطع بالصحة في واحدة منهنّ».

(١) أنظر: طبقات ابن سعد ٢/٢٣٢، والمصنّف لعبد الرزاق ٥/٤٢٩، ٤٣٠، ومصنّف ابن أبي شيبة ١٤/٥٦٠ رقم ١٨٨٨٥، وأنساب الأشراف ١/٥٤٤، ٥٤٥، ودلائل النبوّة للبيهقي ٢/٧٢٣، وتاريخ الطبري ٣/١٨٨، ١٨٩، ١٩٥، ٥٤٥، ونهاية الأرب ١٨/٦٢٣، ٢٦٤، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٧، ٥٤٨، وسيرة ابن كثير ٤/٤٤٥ ـ ٤٤٧، وعيون الأثر ٢/٣٣٦.

(٢) المِخْضَب: إناء يُغْتَسَل به.

(٣) أخرجه البخاري في الوضوء (١/٥٧) باب الغُسْل والوضوء في المِخْضَب والقدح والخشب والحجارة، وفي الطب (٧/١٨) باب (حدّثنا بشر بن محمد..) في المغازي (٥/١٣٩) باب فرض النبيّ ﷺ ووفاته. وأحمد في المسند ٦/١٥١ و٢٢٨، والطبري في التاريخ ٣/١٨٩، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٩.

الصلاة عليهم، ثم قال: «إنّ عبداً من عباد الله خيّره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله». قال: ففهمها أبو بكر وعرف أن نفسه يريد، فبكى وقال: بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا، فقال: «على رِسلك يا أبا بكر»، ثم قال: «انظروا هذه الأبواب اللافظة[1] في المسجد، فسُدُّوها إلاّ بيت أبي بكر، فإنّي لا أعلم أحداً كان أفضل في الصُّحْبة عندي يداً منه»[2].

قال ابن هشام: ويُروى: إلاّ باب أبي بكر.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله، عن بعض آل أبي سعيد بن المُعَلّى: أنّ رسول الله ﷺ، قال يومئذ في كلامه هذا: «فإنّي لو كنت متَّخِذاً من العباد خليلاً لاتّخذت أبا بكر خليلاً، ولكنْ صُحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده»[3].

أمْره بإنفاذ بعث أُسامة: وقال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبَير، عن عُروة بن الزُّبير وغيره من العلماء، أنّ رسول الله ﷺ استبطأ الناس في بعث أُسامة بن زيد، وهو في وجعه، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، وقد كان الناس قالوا في إمرة أُسامة: أمّر غلاماً حَدَثاً على جِلّة المهاجرين والأنصار.

فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل، ثم قال: «أيّها الناس، أنفِذوا بعث أُسامة، فَلَعَمْري لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله، وإنّه لخَليق للإمارة، وإن كان أبوه لخليقاً لها»[4].

---

(١) اللافظة: النافذة.

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة (١/١١٩، ١٢٠) باب الخَوْخة والممرّ في المسجد، وفي فضائل أصحاب النبيّ ﷺ (٤/١٩٠، ١٩١) باب قول النبيّ ﷺ: سُدُّوا الأبواب إلاّ باب أبي بكر. والترمذي في المناقب (٣٧٣٥) مناقب أبي بكر الصّديق رضي الله عنه. و(٣٧٤٠)، وأحمد في المسند ٢/٢٦ و٣/١٨، وعبد الرزاق في المصنّف ٥/٤٣١، والبلاذري في أنساب الأشراف ١/٥٤٧، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٩.

(٣) رواه الترمذي في المناقب (٣٧٣٩) باب رقم (٥١).

(٤) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبيّ ﷺ (٤/٢١٣) باب ذكر أسامة بن زيد، وفي =

قال: ثم نزل رسـول الله ﷺ، وانكمش[1] الناس في جَهـازهم، واستعزّ برسول الله ﷺ وجعه، فخرج أُسامة، وخـرج جيشه معـه حتى نزلـوا الجُرْف، من المـدينـة على فـرسـخ، فضـرب بـه عسكـره، وتتـامّ إليـه النـاس، وثقُـل رسول الله ﷺ، فأقام أُسامة والناس، لينظروا ما الله قاضٍ في رسول الله ﷺ.

وصايته بالأنصار: وقال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ: وحدّثني عبد الله بن كعب بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال يوم صلّى واستغفر لأصحاب أُحُد، وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذٍ: «يا معشر المهاجرين، استـوصوا بـالأنصار خيـراً، فإنّ النـاس يزيـدون، وإنّ الأنصار على هيئتهـا لا تزيـد، وأنهم كانـوا عيْبتي[2] التي أويت إليها، فأحسِنوا إلى مُحسنهم، وتجاوزوا عن مُسيئهم»[3].

قال عبد الله: ثم نزل رسول الله ﷺ، فدخل بيته، وتتامّ به وجعه، حتى غُمر.

اللُّدود[4]: قـال عبد الله: فـاجتمـع إليـه نسـاء من نسـائـه: أُمّ سَلَمـة، وميمونة، ونساء من نساء المسلمين، منهنّ أسماء بنت عُمَيس، وعنده العباس

= المغازي (٨٤/٥) باب غزوة زيد بن حارثة. و(١٤٥/٥) باب بعث النبيّ ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنهمـا في مـرضـه الـذي تُـوفّي فيـه. وفي كتـاب الأيمـان (٢١٧/٧) بـاب قـول النبيّ ﷺ: وايْم الله. وفي الأحكام (١١٧/٨) باب من لم يكترث بطعن من يعلم في الأمـراء حديثاً.

ومسلم في فضائل الصحابة (٦٣ و٦٤/٢٤٢٦) باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رضي الله عنهما. والترمذي في المناقب (٣٩٠٤) باب مناقب زيـد بن حارثـة رضي الله عنه. وأحمـد في المسند ٢/٢٠، ٨٩، ١٠٦، ١١٠ وابن سعـد في الطبقـات ٢/١٩٠، والـذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) ٧١٤.

(١) انكمش الناس في جهازهم: أسرعوا فيه.

(٢) عيبتي: مكمن سرّي.

(٣) أخـرجه أحمـد في المسند ٣/٢٤١ من حـديث أنس بن مالـك قـال: سمعت رسـول الله ﷺ يقول: «استوصوا بالأنصار خيراً أو قـال معروفـاً. اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم». وابن سعد ٢/٢٥١.

(٤) اللدود: مجموعة من سبعة أدوية مخلوطـة يُجعل في جـانب الفم في داخله ويُحكّ بـالأصبع قليلاً.

عمّـه، فأجمعـوا أن يلدّوه، وقال العبـاس: لألُدَّنّـه. قال: فلدّوه، فلمـا أفـاق رسول الله ﷺ، قال: «مَن صنع هذا بي»؟ قالوا: يا رسول الله، عمّـك، قال: «هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض»، وأشار نحو أرض الحبشة؛ قال: «ولِمَ فعلتم ذلك»؟ فقال عمّه العباس: خشينا يا رسول الله ﷺ أن يكون بك ذات الجَنْب، فقال: «إنَّ ذلك لَدَاء مـا كان الله عـزّ وجلّ ليقـذفني به، لا يبقَ في البيت أحد إلاّ لُدَّ إلاّ عمّي»، فلقد لُدَّت ميمونة وإنّها لَصائمـة، لقَسَم رسول الله ﷺ، عقوبةً لهم بما صنعوا به[1].

دعاؤه لأسامة بالإشـارة: قال ابن إسحـاق: وحدّثني سعيـد بن عُبيد بن السبـاق، عن محمد بن أُسـامـة، عن أبيـه أُسـامـة بن زيـد، قـال: لمـا ثقُـل رســول الله ﷺ هبــطتُ وهبط النــاس معي إلى المــدينــة، فـدخلت على رسول الله ﷺ، وقد أصمت فلا يتكلّم، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليّ، فأعرف أنه يدعو لي[2].

قال ابن إسحاق: وقال ابن شهاب الزُّهْريّ: حدّثني عُبيد بن عبد الله بن عُتبة، عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ كثيـراً ما أسمعـه يقول: «إنّ الله لم يقبض نبياً حتى يخيّره، قـالت: فلما حُضـر رسول الله ﷺ كـان آخر كلمـة سمعتها وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى[3] من الجنة»، قـالت: فقلت: إذاً والله

---

(١) أنـظر طبقات ابن سعـد ٢/٢٣٢، والمصنَّف لعبد الـرزاق ٥/٤٢٩، ٤٣٠، ومصنّف ابن أبي شيبـة ١٤/٥٦٠ رقم ١٨٨٨٥، وأنسـاب الأشـراف ١/٥٤٤، ٥٤٥، ودلائـل النبـوّة للبيهقي ٢/٧٢٣. وتاريخ الطبري ٣/١٨٨، ١٨٩، ١٩٥، ونهاية الأرب ١٨/٢٦٣، ٢٦٤، وتـاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤٨، وسيرة ابن كثير ٤/٤٤٥ ـ ٤٤٧، وعيون الأثر ٢/٣٣٦.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/٢٤٣ بنحوه.

(٣) اللهم الـرفيق الأعلى: وهذا منتـزع من قولـه تبارك وتعـالى: ﴿فَـأُولَـٰئِـكَ مَـعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ إلى قولـه سبحانـه: ﴿وَحَسُنَ أُولَـٰئِكَ رَفِيقـاً﴾ فهذا هـو الرفيق الأعلى، ولم يقل الرُفقاء لأنّ هل الجنة يدخلونهـا على قلب رجل واحـدٍ، وهي تتضمّن معنى التوحيد الذي يجب أن يكون آخر كلام المؤمن، فإنه قال: ﴿مع الذين أنعم الله عليهم﴾ وهم أصحـاب الصراط المستقيم، وهم أهـل لا إلـه إلاّ الله، قـال الله تعـالى: ﴿ٱهْـدِنَـا ٱلصِّـرَاطَ =

لا يختارنا، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا: «إنّ نبيّاً لم يُقبض حتى يُخيّر»[1].

أبو بكر يصلّي بالناس: قال الزُّهْري: وحدّثني حمزة بن عبد الله بن عمر، أنّ عائشة قالت: لما استعزّ برسول الله ﷺ قال: «مُرُوا أبا بكر فليُصلّ بالناس». قالت: قلت: يا نبيّ الله، إنّ أبا بكر رجل رقيق، ضعيف الصوت، كثير البكاء إذا قرأ القرآن. قال: «مُروه فلْيُصلِّ بالناس». قالت: فعدت بمثل قولي، فقال: «إنّكنّ صواحب يوسف، فمُرُوه فلْيُصَلِّ بالناس»، قالت: فوالله ما أقول ذلك إلاّ أنّي كنت أحبّ أن يصرف ذلك عن أبي بكر، وعرفت أنّ الناس لا يحبّون رجلاً قام مقامه أبداً، وأنّ الناس سيتشاءمون به في كلّ حَدَث كان، فكنت أحبّ أن يُصرف ذلك عن أبي بكر[2].

= ﴿الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ثم بيّن في الآية المتقدّمة من الذين أنعم الله عليهم فذكرهم، وهم الرفيق الأعلى الذين ذكرهم ـ رسول الله ﷺ ـ حين خُيِّر فاختار، وبعض الرُّواة يقول عن عائشة في هذا الحديث. فأشار بإصبعه، وقال: في الرفيق، وفي رواية أخرى أنه قال: اللهم الرفيق، وأشار بالسبّابة، يريد التوحيد، فقد دخل بهذه الإشارة في عموم قوله عليه السلام من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، ولا شك أنه عليه السلام في أعلى درجات الجنة ولو لم يُبشر، ولكن ذكرنا هذا لئلاّ يقول القائل: لم لم يكن آخر كلامه: لا إله إلا الله. وأول كلمة تكلّم بها رسول الله ﷺ وهو مسترجع عند حليمة أن قال: الله أكبر. قاله الواقدي.

وأما آخر ما أوصى به عليه السلام بأن قال: «الصلاة وما ملكت أيْمانكم»، حرّك بها لسانه وما يكاد يبين، وفي قوله. مَلَكَت أيمانكم قولان: قيل: أراد الرفق بالمملوك، وقيل: أراد الزكاة، أنها في القرآن مقرونة بالصلاة، وهي من مِلْك اليمين، قاله الخطّابي».

(1) أخرجه البخاري في المغازي (٥/١٣٨، ١٣٩) باب مرض النبيّ ﷺ ووفاته، وفي الرقائق (٧/١٩٢) باب سكرات الموت، وفي الدعوات (٧/١٥٥) باب دعاء النبيّ ﷺ: اللّهم الرفيق الأعلى. ومسلم في السلام (٢١٩١) باب استحباب رقْية المريض. وفي فضائل الصحابة (٢٤٤٤) باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها. وابن ماجه في الجنائز (١٦١٩) باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ. ومالك في الموطأ ١٥٩ رقم (٥٦٥) جامع الجنائز. وأحمد في المسند ٦/٤٥، ٤٨، ٧٤، ٨٩، ١٠٨، ١٢٠، ١٢٦، ٢٠٠، ٢٣١، ٢٧٤، وابن سعد في الطبقات ٢/٢١٠ والبلاذري في أنساب الأشراف ١/٥٤٨، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٥٨.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الأذان (١/١٧٤، ١٧٥) باب من أسمع الناس تكبير الإمام، وباب الرجل يأتمّ بالإمام ويأتمّ الناس بالمأموم. وباب إذا بكى الإمام في الصلاة. وأخرجه ابن =

قال ابن إسحاق: وقال ابن شهاب: حدّثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أبيه، عن عبد الله بن زَمْعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد، قال: لما استُعِزّ برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفرٍ من المسلمين، قال: دعاه بلال إلى الصلاة، فقال: «مُروا من يصلّي بالناس». قال: فخرجت فإذا عمر في الناس. وكان أبو بكر غائباً؛ فقلت: قم يا عمر فصلِّ بالناس قال: فقام، فلما كبّر، سمع رسول الله ﷺ صوته، وكان عمر رجلاً مجهراً، قال: فقال رسول الله ﷺ: «فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون»؛ قال: فبعث إلى أبي بكر، فجاء بعد أن صلّى عمر تلك الصلاة، فصلّى بالناس. قال: قال عبد الله بن زَمْعة. قال لي عمر: ويْحك، ماذا صنعت بي يا بن زَمْعة، والله ما ظننت حين أمرتني إلّا أنّ رسول الله ﷺ أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صلّيت بالناس. قال: قلت والله ما أمرني رسول الله ﷺ بذلك ولكنّي حين لم أرَ أبا بكر رأيتك أحقّ مَن حضر بالصلاة بالناس[1].

اليوم الذي قبض الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق: وقال الزُّهْريّ: حدّثني أنس بن مالك. أنه لما كان يوم الاثنين الذي قبض الله فيه رسوله ﷺ، خرج إلى الناس، وهم يصلُّون الصبح، فرفع الستر، وفتح الباب، فخرج رسول الله ﷺ، فقام على باب عائشة، فكاد المسلمون يفتتنون في صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه فَرَحاً

= ماجه في إقامة الصلاة (١٢٣٢) باب ما جاء في صلاة رسول الله ﷺ في مرضه. وأحمد في المسند ٦/ ٢١٠، وابن سعد في الطبقات ٢/ ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٢٥، والطبري في التاريخ ٣/ ١٩٧، والبلاذري في الأنساب ١/ ٥٥٤، والذهبي في تاريخ الإسلام ـ السيرة ٥٥٢.

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٢٢٠، ٢٢١.

به، وتفرّجوا[1]، فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم؛ قال: فتبسّم رسول الله ﷺ سروراً لِما رأى من هيئتهم في صلاتهم، وما رأيت رسول الله ﷺ أحسن هيئةً منه تلك الساعة، قال: ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أنّ رسول الله ﷺ قد أفرق من وجعه فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن القاسم بن محمد، أنّ رسول الله ﷺ قال حين سمع تكبير عمر في الصلاة: «أين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون»، فلولا مقالة قالها عمر عند وفاته، لم يشكّ المسلمون أنّ رسول الله ﷺ قد استخلف أبا بكر، ولكنّه قال عند وفاته: إن أَسْتَخْلف فقد استخْلف مَن هو خير منّي، وإن أتركهم فقد تركهم مَن هو خير منّي، فعرف الناس أنّ رسول الله ﷺ لم يستخلف أحداً، وكان عمر غير مُتّهم على أبي بكر[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مُلَيْكة، قال: لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله ﷺ عاصباً رأسه إلى الصبح، وأبو بكر يصلّي بالناس، فلما خرج رسول الله ﷺ تفرّج الناس، فعرف أبو بكر أنّ الناس لم يصنعوا ذلك إلاّ لرسول الله ﷺ، فنكص عن مُصَلاّه، فدفع رسول الله ﷺ في ظهره، وقال: صلّ بالناس، وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه، فصلّى قاعداً عن يمين أبي بكر، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس، فكلّمهم رافعاً صوته، حتى خرج صوته من باب المسجد، يقول: «أيها الناس، سُعِّرت

---

(١) أي أفرجوا له مكاناً. وتوسّعوا.

(٢) أنظر طبقات ابن سعد ٢/٢١٧، تاريخ الطبري ٣/١٩٨.

(٣) أنظر طبقات ابن سعد ٢/٢٧٤، وأخرجه البخاري في الأحكام (٨/١٢٦) باب الاستخلاف. ومسلم في الإمارة (١٨٢٣) باب الاستخلاف وتركه. وأبو داود في الخراج والإمارة (٢٩٣٩) باب في الخليفة يستخلف. والترمذي في الفتن (٢٣٢٧) باب ما جاء في الخلافة. وأحمد في المسند ١/١٣، ٤٣، ٤٦، ٤٧، وتاريخ الإسلام ٥٨٤.

النار، وأقبلت الفِتَن كقِطع الليل المظْلم، وإنّي والله ما تمسكون عليّ بشيء؛ إنّي لم أحلّ إلاّ ما أحلّ القرآن؛ ولم أُحرِّم إلاّ ما حرّم القرآن».

قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه، قال له أبو بكر، يا نبيّ الله إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما تحب، واليوم يوم بنت خارجة، أفآتيها؟ قال: نعم؛ ثم دخل رسول الله ﷺ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح[1].

شأن عليّ والعبّاس قبل وفاته: قال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ: وحدّثني عبد الله بن كعب بن مالك، عن عبد الله بن عباس، قال: خرج يومئذ عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله ﷺ، فقال له الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ قال أصبح بحمد الله بارئاً، قال: فأخذ العباس بيده، ثم قال: يا عليّ، أنت والله عبد العصا بعد ثلاث، أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله ﷺ، كما كنت أعرفه في وجه بني عبد المطّلب؛ فانطلِقْ بنا إلى رسول الله ﷺ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه، وإن كان في غيرنا، أمرناه فأوصى بنا الناس. قال: فقال له عليّ: إنّي والله لا أفعل؛ والله لئن مُنعناه لا يؤتيناه أحدٌ بعده[2].

فتُوُفّي رسول الله ﷺ حين اشتدّ الضّحاء من ذلك اليوم.

سِواك الرسول قبل وفاته: قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عُتبة، عن الزُّهْريّ، عن عُروة، عن عائشة، قال: قالت: رجع إليّ رسول الله ﷺ في ذلك اليوم حين دخل من المسجد، فاضطجع في حِجْري، فدخل عليّ رجل من آل أبي بكر، وفي يده سِواك أخضر. قالت: فنظر رسول الله ﷺ إليه في يده نظراً عرفت أنه يريده قالت: فقلت: يا رسول الله، أتحبّ أن أُعطيك هذا السِواك؟ قال: «نعم»، قالت: فأخذته فمضغته له حتى ليّنته، ثم أعطيته

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١٩٨، ١٩٩.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/٢٤٥ بلفظ مقارب.

إياه: قالت: فاستنّ به كأشدّ ما رأيته يستنّ بسِواك قطّ، ثم وضعه[1]، ووجدت رسول الله ﷺ يثقُل في حجْري، فذهبت أنظر في وجهه، فإذا بصره قد شخص، وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى من الجنة»: قالت: فقلت: خُيِّرت فاخترتَ والذي بعثك بالحقّ. قالت: وقُبض رسول الله ﷺ[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه عبّاد، قال: سمعت عائشة تقول: مات رسول الله ﷺ بين سَحْري وفي دولتي، لم أظلم فيه أحداً فمن سَفَهي وحداثة سنّي أنّ رسول الله ﷺ قُبض وهو في حِجْري، ثم وضعت رأسه على وسادة، وقمت ألتدم[3] مع النساء، وأضرب وجهي[4].

مقالة عمر بعد وفاته: قال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ: وحدّثني سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة، قال: لما تُوُفّي رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطّاب، فقال: إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله ﷺ قد تُوُفِّي، وإنّ رسول الله ﷺ ما مات، ولكنّه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات؛ والله ليرجعنّ رسول الله ﷺ كما رجع موسى، فليقطعنّ أيدي رجالٍ وأرجلهم زعموا أنّ رسول الله ﷺ مات[5].

---

(١) فيه من الفقه: التنظّف والتطهّر للموت، ولذلك يُستحبّ الاستحداد لمن استشعر القتل أو الموت كما فعل خبيب أحد أصحابه ﷺ حيثما أراد المشركون قتله وقصّته موجودة. فيما سبق من السيرة ـ لأنّ المصلّي مُناج لربّه؛ فالنظافة من شأنهما. وكان السواك المذكور في هذا الحديث من عَسِيب نخل فيما روى بعضهم، والعرب تستاك بالعسيب، وكان أحبّ السواك إلى رسول الله ﷺ صرع الأراك. (الروض الأنف ٤/٢٧١).

(٢) أخرج البخاري في المغازي (٥/١٤٢) نحوه في باب مرض النبيّ ﷺ ووفاته. والطبري ٣/١٩٩، والبلاذري في أنساب الأشراف ١/٥٤٩، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٦١.

(٣) ألتدم: أضرب صدري.

(٤) رواه أحمد في المسند ٦/٢٧٤، والطبري في تاريخه ٣/١٩٩، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٦٢.

(٥) الطبري في تاريخه ٣/٢٠٠.

شأن أبي بكر بعد وفاته: قال وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر، وعمر يكلّم الناس، فلم يلتفت إلى شيءٍ حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة، ورسول الله ﷺ مُسَجًّى في ناحية البيت، عليه بُرْد حِبَرَة، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ. قال: ثم أقبل عليه فقبّله، ثم قال: بأبي أنت وأُمّي، أمّا الموتة التي كتب الله عليك فقد ذُقْتَها، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبداً. قال: ثم ردّ البُرْد على رسول الله ﷺ، ثم خرج يكلّم الناس، فقال: على رِسلك يا عمر، أنصِتْ، فأبى إلاّ أن يتكلّم، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أيّها الناس، إنه مَن كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات، ومَن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت. قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ ٱللهَ شَيْئاً، وَسَيَجْزِي ٱللهُ ٱلشَّاكِرِينَ** ﴾[1].

قال: فوالله لكأنّ الناس لم يعلموا أنّ هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذٍ؛ قال: وأخذها الناس عن أبي بكر، فإنّما هي في أفواههم؛ وقال: فقال أبو هريرة: قال عمر: والله ما هو إلاّ أن سمعت أبا بكر تلاها، فعُقِرت[2] حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رِجلاي، وعرفت أنّ رسول الله ﷺ قد مات[3].

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١٤٤.

(٢) عُقِرت: دُهِشت فلم أستطع التقدّم أو التأخر.

(٣) أخرج نحوه البخاري في الجنائز ٢/٧٠، ٧١ باب الدخول على الميّت بعد الموت..، وفي المغازي ٥/١٤٢، ١٤٣ باب مرض النبيّ ﷺ ووفاته. والنسائي في الجنائز ٤/١١ باب تقبيل الميت. وأحمد في المسند ٦/١١٧.

أمر سقيفة بني ساعدة

قال ابن إسحاق: ولما قُبض رسول الله ﷺ انحاز هذا الحيّ من الأنصار إلى سعد بن عُبادة في سقيفة بني ساعدة، واعتزل عليّ بن أبي طالب والزُبير بن العوّام وطلحة بن عُبيد الله في بيت فاطمة، وانحاز بقيّة المهاجرين إلى أبي بكر، وانحاز معهم أُسَيد بن حُضَير، في بني عبد الأشهل، فأتى آتٍ إلى أبي بكر وعمر؛ فقال: إنّ هذا الحيّ من الأنصار مع سعد بن عُبادة في سقيفة بني ساعدة، قد انحازوا إليه، فإنْ كان لكم بأمر الناس حاجة فأدرِكوا قبل أن يتفاقم أمرهم، ورسول الله ﷺ في بيته لم يُفرغ من أمره قد أغلق دونه الباب أهله. قال عمر: فقلت لأبي بكر: انطلِق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، حتى ننظر ما هم عليه.

قال ابن إسحاق: وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار، أنّ عبد الله بن أبي بكر، حدّثني عن ابن شهاب الزُهْريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس، قال: أخبرني عبد الرحمن بن عوف، قال: وكنت في منزله بمِنَى أنتظره، وهو عند عمر في آخر حجّة حجّها عمر، قال: فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر، فوجدني في منزله بمِنَى أنتظره، وكنت أُقْرِئه القرآن، قال ابن عباس، فقال لي عبد الرحمن بن عوف: لو رأيت رجلاً أتى أميرَ المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في فلان يقول: والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً، والله ما كانت بيعة أبي بكر إلّا فلتة فتمّت، قال: فغضب عمر، فقال: إنّي إن شاء الله لقائم العشيّة في الناس، فمحذّرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمرَهم، قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإنّ الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، وإنّهم هم الذين يغلبون على قُربك، حين تقوم في الناس، وإنّي أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها أولئك عنك كلّ مطير، ولا يَعوها ولا يضعوها على موضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنّها

دار السُّنَّة، وتخلص بأهل الثقة وأشراف الناس فتقول ما قلت بالمدينة متمكِّناً، فيعي أهل الفقه مقالتك، ويضعوها على مواضعها، قال: فقال عمر: أما والله إن شاء الله لأقومنّ بذلك أول مقام أقومه بالمدينة.

عمر يذكر البيعة لأبي بكر: قال ابن عباس: فقدِمْنا المدينة في عقِب ذي الحجّة، فلما كان يوم الجمعة عجّلت الرَّواح حين زالت الشمس، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل جالساً إلى ركن المنبر فجلست حذْوه تمس ركبتي رُكبته، فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطّاب فلما رأيته مقبلاً، قلت لسعيد بن زيد: ليقولنّ العشيّة على هذا مقالة لم يقلْها منذ استُخلف، قال: فأنكر عليّ سعيد بن زيد ذلك، وقال: ما عسى أن يقول مما لم يقل قبله، فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذّنون، قام فأثنى على الله بما هو أهل له، ثم قال: أما بعد، فإنّي قائل لكم اليوم مقالة قد قُدّر لي أن أقولها، ولا أدري لعلّها بين يدي أجلي، فمن عقلها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعيها فلا يحلّ لأحد أن يكذب عليّ؛ إنّ الله بعث محمداً، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجْم، فقرأناها وعلمناها ووعيناها، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان يقول قائل: والله ما نجد الرجْم في كتاب الله، فيضلّوا بترك فريضة أنزلها الله، وإنّ الرجم في كتاب الله حقّ على مَن زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، وإذا قامت البيّنة، أو كان الحبل أو الاعتراف، ثم إنّا قد كنّا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم إلا أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا تُطْروني كما أُطْري عيسى بن مريم، وقولوا: عبد الله ورسوله»؛ ثم إنّه قد بلغني أنّ فلاناً قال: والله لو قد مات عمر بن الخطّاب لقد بايعت فلاناً، فلا يغرنّ امرءاً أن يقول: إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمّت، وإنّها قد كانت كذلك إلاّ أنّ الله قد وقى شرّها، وليس فيكم مَن تنقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، فمن بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين، فإنّه لا بيعة له هو ولا الذي بايعه تَغِرّة أن يُقتلا، إنه كان من خبرنا

حين تُوُفّي الله نبيّه ﷺ أنّ الأنصار خالفونا، فاجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني ساعدة، وتخلّف عنّا عليّ بن أبي طالب والزُبَير بن العوّام ومَن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نؤمّهم حتى لقِيَنا منهم رجلان صالحان، فذكرا لنا ما تمالأ عليه القوم، وقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ قلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، قالا: فلا عليكم ألاّ تقربوهم يا معشر المهاجرين، اقضوا أمركم. قال: قلت: والله لنأتينّهم. فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا بين ظهرانيهم رجل مزَّمّل فقلت: مَن هذا؟ فقالوا: سعد بن عُبادة، فقلت: ماله؟ فقالوا: وجع. فلما جلسنا نشهد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو له أهل، ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منّا، وقد دفّت دافّة[1] من قومكم، قال: وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا، ويغْصبونا الأمر، فلما سكت أردت أن أتكلّم، وقد زوَّرت[2] في نفسي مقالة قد أعجبتني، أُريد أن أُقدِّمها بين يدي أبي بكر، وكنت أُداري منه بعض الحدّ[3]، فقال أبو بكر: على رِسلك يا عمر، فكرهت أن أُغضبه، فتكلّم، وهو كان أعلم منّي وأوقر، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني من تزويري إلاّ قالها في بديهته، أو مثلها أو أفضل، حتى سكت؛ قال: أما ما ذكرتم فيكم من خير، فأنتم له أهل، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلاّ لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين؛ فبايعوا أيُّهما شئتم، وأخذ بيدي وبيد أبي عُبيدة بن الجرّاح وهو جالس بيننا، ولم أكره شيئاً مما قاله غيرها، كان والله أن أُقدّم فتُضرب عنقي، لا يقرّبني ذلك إلى إثم، أحبّ إليّ من أن أتأمّر على قومٍ فيهم أبو بكر.

---

(١) الدّافة: الجماعة من الناس تأتي من بلد إلى بلد.

(٢) زوّرت: أعددت.

(٣) الحدّ: الحِدّة التي كان يتّصف بها عمر رضي الله عنه.

قال قائل من الأنصار: أنا جُذَيْلها[1] المُحَكَّك وعُذَيْقُها المُرَجَّب[2]، منّا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش. قال: فكثُر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى تخوّفتُ الاختلاف، فقلت: ابسطْ يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعته، ثم بايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار، ونَزَوْنا[3] على سعد بن عُبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عُبادة، قال: فقلت: قتل الله سعد بن عُبادة[4].

قال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ: أخبرني عُروة بن الزُّبَير أنّ أحد الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عُويم بن ساعدة، والآخر معن بن عَدِيّ، أخو بني العَجْلان. فأما عُويم بن ساعدة، فهو الذي بلغنا أنه قيل لرسول الله ﷺ من الذين قال الله عزّ وجلّ لهم: ﴿ **فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ** ﴾[5]؟ فقال رسول الله ﷺ: «نِعم المرء منهم عُويم بن ساعدة». وأما معن بن عَدِيّ، فبلَغنا أنّ الناس بكوا على رسول الله ﷺ حين توفّاه الله عزّ وجلّ، وقالوا: والله لودِدْنا أنّا متنا قبله إنّا نخشى أن نُفتتن بعده. قال معن بن عدِيّ: لكنّي والله ما أُحبّ أنّي مُتّ قبله حتى أصدّقه ميّتاً كما صدّقته حيّاً؛ فقُتل معن يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر، يوم مُسَيْلمة الكذّاب[6].

خطبة عمر بعد البيعة لأبي بكر: قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريّ، قال: حدّثني أنس بن مالك، قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر، فتكلّم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إنّي كنت قلت لكم أمس مقالة ما كانت مما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهداً عهد إليّ رسول الله ﷺ

---

(١) الجُذَيل: تصغير جَذْل: عود من الحطب في مبرك الإبل تحتكّ به فتستريح.
(٢) العُذَيق: تصغير عذْق النخلة: والمُرَجّب من الترجيب وهو بناء يساعده لكثرة حمله.
(٣) نزونا: وثبنا.
(٤) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٣/٢٠٣ ـ ٢٠٦.
(٥) سورة التوبة ـ الآية ١٠٨.
(٦) تاريخ الطبري ٣/٢٠٦، ٢٠٧.

ولكنّي قد كنت أرى أنّ رسول الله ﷺ سيدبّر أمرنا؛ يقول: يكون آخرنا وإنّ الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لِما كان هداه له، وإنّ الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله ﷺ، وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامّة، بعد بيعة السقيفة.

خطبة أبي بكر بعد البيعة: فتكلّم أبو بكر، فحمد الله، وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإنّي قد وُلّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني؛ وإن أسأت فقوّموني؛ الصدق أمانة، والكذِب خيانة، والضعيف فيكم قويّ عندي حتى أُريح عليه حقّه إن شاء الله، والقويّ فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحقّ منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلّا ضربهم الله بالذُّلّ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قطُّ إلّا عمّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني حسين بن عبد الله، عن عِكرِمة، عن ابن عباس، قال: والله إنّي لأمشي مع عمر في خلافته وهو عامد إلى حاجة له، وفي يده الدِّرّة، وما معه غيري، قال وهو يحدّث نفسه، ويضرب وحشي[2] قدمه بدِرّته، قال: إذ التفتَ إليَّ، فقال: يا بن عباس هل تدري ما كان حملني على مقالتي التي قلت حين تُوُفّي رسول الله ﷺ؟ قال: قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين، أنت أعلم، قال فإنّه واللهِ، إن كان الذي حملني على ذلك إلّا أنّي كنت أقرأ هذه الآية: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً** ﴾[3]، فوالله، إن كنت لأظنّ أنّ رسول الله ﷺ سيبقى في أُمّته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها، فإنّه

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢١٠.

(٢) وحشي: خارج.

(٣) سورة البقرة ـ الآية ١٤٣.

لَلَّذي حملني على أن قلتُ ما قلت[1].

جُهاز رسول الله ﷺ ودَفْنه

مَن تولّى غسله: قال ابن إسحاق: فلما بويع أبو بكر رضي الله عنه، أقبل الناس على جَهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء، فحدّثني عبد الله بن أبي بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا: أنّ عليّ بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطّلب، والفضل بن العباس، وقُثَم بن العباس، وأُسامة بن زيد، وشُقران مولى رسول الله ﷺ، هم الذين ولوا غَسْله، وأنّ أوس بن خَوْليّ، أحد بني عوف بن الخزرج، قال لعليّ بن أبي طالب: أنشدك الله يا عليّ وحظّنا من رسول الله ﷺ، وكان أوس من أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بدر، قال: ادخل، فدخل فجلس، وحضر غسْل رسول الله ﷺ، فأسنده عليّ بن أبي طالب إلى صدره، وكان العباس والفضل وقُثم يقلبونه معه، وكان أُسامة بن زيد وشُقران مولاه، هما اللذان يصبّان الماء عليه، وعليّ يغسّله، قد أسنده إلى صدره، وعليه قميصه يدلّكه به من ورائه، لا يُفضي بيده إلى رسول الله ﷺ، وعليّ يقول: بأبي أنت وأُمّي، ما أطيبك حيّاً وميّتاً. ولم يُرَ من رسول الله ﷺ شيء مما يُرى من الميّت[2].

كيفية غَسْله: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه عبّاد، عن عائشة، قالت: لما أرادوا غَسْل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه. فقالوا: والله ما ندري أَنُجَرِّد رسولَ الله ﷺ من ثيابه كما نُجَرِّد موتانا، أو نغسّله وعليه ثيابه؟ قالت: فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم، حتى ما منهم رجل إلاّ ذقنه في صدره، ثم كلّمهم مكلّم من ناحية البيت لا يدرون مَن هو: أن اغسلوا النبيَّ وعليه ثيابه، قالت: فقاموا إلى رسول الله ﷺ، فغسّلوه وعليه قميصه،

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢١١.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٢١١، ٢٩٢، طبقات ابن سعد ٢/٢٧٧، وله شاهد في سنن ابن ماجه في كتاب الجنائز (١٤٦٧) باب ما جاء في غسل النبيّ ﷺ.

يصبّون الماء فوق القميص، ويدلّكونه والقميص دون أيديهم[1].

تكفينه: قال ابن إسحاق: فلما فُرغ من غَسل رسول الله ﷺ كُفِّن في ثلاثة أثواب، ثوبين صُحَاريّين[2] وبُرد حِبَرة، أُدرج فيها إدراجاً، كما حدّثني جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه عليَ بن الحسين والزُهْريّ، عن عليّ بن الحسين[3].

القبر: قال ابن إسحاق: وحدّثني حسين بن عبد الله، عن عِكرِمة، عن ابن عباس، قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ، وكان أبو عُبيدة بن الجرّاح يَضْرَح[4] كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد بن سُهيل هو الذي يحفر لأهل المدينة، [وكان][5] يلْحَد، فدعا العباس رجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عُبيدة بن الجراح، وللآخر اذهب إلى أبي طلحة، اللّهمّ خِرْ لرسول الله ﷺ، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة، فجاء به، فلحَد لرسول الله ﷺ[6].

الصلاة عليه ودفنه: فلما فُرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء، وُضع في سريره في بيته، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه. فقال قائل: ندفنه في مسجده، وقال قائل: بل ندفنه مع أصحابه، فقال أبو بكر: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض نبيّ إلاّ دُفن حيثُ يُقبض»؛ فرُفع

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٣/٢١٢، وأخرجه أبو داود في الجنائز (٣١٤١) باب في سير الميّت عند غسله، وأحمد في المسند ٢/٢٦٧، والبلاذري في أنساب الأشراف ١/٥٦٩، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧٤، ٥٧٥.
وأخرجه ابن ماجه في الجنائز (١٤٦٦) باب ما جاء في غسل النبيّ ﷺ، من طريق يزيد بن عبد الله أبي بردة، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بُريدة، عن أبيه، وقال الهيثمي: إسناده ضعيف لضعف أبي بردة.

(٢) ثوب صُحاريّ: منسوب إلى صُحار، وهي مدينة باليمن.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٢١٢، وانظر طبقات ابن سعد ٢/٢٨٤.

(٤) يَضْرح: يشقّ الأرض ليجعلها ضريحاً.

(٥) عن تاريخ الطبري ٣/٢١٣.

(٦) تاريخ الطبري ٣/٢١٣.

فراش رسول الله ﷺ الذي تُوُفّي عليه، فحُفِر له تحته، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ يصلّون عليه أرسالاً، دخل الرجال، حتى إذا فرغوا أُدخِل النساء، حتى إذا فرغ النساء أُدخِل الصّبيان، ولم يؤمّ الناس على رسول الله ﷺ أحد[1].

ثم دُفِن رسول الله ﷺ من وسط الليل ليلة الأربعاء[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر، عن امرأته فاطمة بنت عُمارة، عن عَمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة، عن عائشة رضي الله عنها: جوف الليل من ليلة الأربعاء.

من تولّى دفْنه: وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب، والفضل بن عباس، وقُثَم بن عباس، وشُقران مولى رسول الله ﷺ[3].

وقد قال أوس بن خَوْليّ لعليّ بن أبي طالب: يا عليّ، أنشدك الله، وحظّنا من رسول الله ﷺ، فقال له: انزل، فنزل مع القوم، وقد كان مولاه شُقران حين وضع رسول الله ﷺ في حُفرته وبنى عليه قد أخذ قطيفة، وقد كان رسول الله ﷺ يلبسها ويفترشها، فدفنها في القبر، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك أبداً.

قال: فدُفنت مع رسول الله ﷺ[4].

أحدث الناس عهداً به: وقد كان المغيرة بن شُعبة يدّعي أنه أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ يقول: أخذت خاتمي، فألقيته في القبر، وقلت:

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢١٣، وأخرجه ابن ماجه في الجنائز (١٦٢٨) باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ. وابن سعد في الطبقات ٢/٢٨٩، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٧٨، ٥٧٩.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٢١٣.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٢١٣، المعارف لابن قتيبة ١٦٦، طبقات ابن سعد ٢/٣٠٠، أنساب الأشراف ١/٥٧٧، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٨١.

(٤) تارخ الطبري ٣/٢١٤، المعارف ١٦٦، أنساب الأشراف ١/٥٧٦.

إنّ خاتمي سقط منّي، وإنّما طرحته عمداً لأمسّ رسول الله ﷺ، فأكون أحدث الناس عهداً به ﷺ[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني أبي إسْحاق بن يَسار، عن مِقْسَم أبي القاسم، مولى عبد الله بن الحارث بن نَوْفل، عن مولاه عبد الله بن الحارث، قال: اعتمرت مع عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه في زمان عمر أو زمان عثمان، فنزل على أُخته أمّ هانىء بنت أبي طالب، فلما فرغ من عُمرته رجع فسُكب له غُسْل، فاغتسل، فلما فرغ من غُسْله دخل عليه نفر من أهل العراق، فقالوا: يا أبا الحسن، جئنا نسألك عن أمر نحبّ أن تخبرنا عنه؟ قال: أظنّ المغيرة بن شُعبة يحدّثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ. قالوا: أجل، عن ذلك جئنا نسألك؛ قال: كذب؛ قال: أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ قُثَم بن عباس[2].

خميصة الرسول السوداء: قال ابن إسحاق: وحدّثني صالح بن كَيْسان، عن الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة، أنّ عائشة حدّثته، قالت: كان على رسول الله ﷺ وسام خميصة[3] سوداء حين اشتدّ به وجَعُه، قالت: فهو يضعها مرّةً على وجهه، ومرّة يكشفها عنه، ويقول: «قاتل الله قوماً اتّخذوا قُبور أنبيائهم مساجد»، يحذَر من ذلك على أُمّته[4].

قال ابن إسحاق: وحدّثني صالح بن كَيْسان، عن الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة، عن عائشة، قالت: كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال: «لا يُتْرك بجزيرة العرب دِينان»[5].

---

(١) الحديث منقطع. وهو في طبقات ابن سعد ٢/٣٠٢ و٣٠٣، وأنساب الأشراف ١/٥٧٧، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٨٢.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٢١٤.

(٣) خميصة سوداء: ثوب خزّ أو صوف معلَّم.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٢١٤، وأخرج نحوه البخاري في الجنائز (٢/٩١) باب ما يُكره من اتخاذ المساجد في القبور.

(٥) تارخ الطبري ٣/٢١٥.

افتتان المسلمين بعد موته: قال ابن إسحاق: ولما تُوُفِّي رسول الله ﷺ عظُمت به مصيبة المسلمين، فكانت عائشة، فيما بلغني، تقول: لما تُوُفِّي رسول الله ﷺ عظُمت به مصيبة المسلمين. فكانت عائشة، فيما بلغني، تقول: لما تُوُفِّي رسول الله ﷺ وسلم ارتدّ العرب، واشرأبّت اليهودية والنصرانية، ونَجَم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية، لفقْد نبيّهم ﷺ، حتى جمعهم الله على أبي بكر.

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة وغيره من أهل العلم أنّ أكثر أهل مكة لما تُوُفّي رسول الله ﷺ همُّوا بالرجوع عن الإسلام، وأرادوا ذلك، حتى خافهم عتّاب بن أُسيد[1]، فتوارى فقام سُهيل بن عمرو، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ، وقال: إنّ ذلك لم يزد الإسلام إلّا قوّة فمن رابنا ضربنا عُنُقه، فتراجع الناس وكفّوا عمّا همُّوا به، وظهر عتّاب بن أُسَيْد[1].

فهذا المقام الذي أراد رسول الله ﷺ في قوله لعمر بن الخطّاب: «إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمّه».

حسّان بن ثابت يرثي الرسول: وقال حسّان بن ثابت يبكي رسول الله ﷺ فيما حدّثنا ابن هشام، عن أبي زيد الأنصاريّ:

بطَيْبة رَسْمٌ للرسول ومعهدُ ... منير وقد تَعْفو الرسوم وتَهْمُد[2]

ولا تمتحي الآياتُ من دار حُرمةٍ ... بها منبر الهادي الذي كان يَصْعد

وواضحُ آثارٍ وباقي معالمٍ ... ورَبْع له فيه مُصلّى ومسجد

بها حُجُرات كان ينزلُ وسْطَها ... من الله نورٌ يُستضاء ويوقد

معارف لم تُطْمَس على العهد آيُها ... أتاها البِلَى فالآي منها تَجدّد

عرفت بها رَسْم الرسول وعهدَه ... وقبراً بها واراه في التُّرْب مُلْحِد

---

(١) كان عتّاب والياً على مكة. أنظر عنه في عمرة الجعرانة من هذا الجزء.

(٢) الرسم: ما بقي من آثار الديار. تعفو: تدرس، تمهد: تبلي.

ظللت بها أبكي الرسولَ فأسْعدَت ... عيونٌ ومِثْلاها من الجفن تُسْعد[1]
يُذَكِّرْن آلاءَ الرسولِ وما أرى ... لها مُحْصياً نفسي فنفسي تبلّد
مُفَجِّعَةً قد شفَّها فَقْدُ أحمد ... فظلّت لآلاء الرسول تُعَدِّد[2]
وما بلغت من كلّ أمر عَشيرَه ... ولكنْ لنفسي بعدُ ما قد تَوَجَّد[3]
أطالتْ وقوفاً تذْرِفُ العين جُهدَها ... على طَلَل القبرِ الذي فيه أحمد
فبُوركتَ يا قبرَ الرسول وبُوركَتْ ... بلادٌ ثَوى فيها الرشيدُ المُسدّد
وبُورك لَحْدٌ منك ضمّن طيّبا ... عليه بناءٌ من صفيح مُنَضَّدُ[4]
تَهيل عليه التُّرْبَ أيدٍ وأَعْينٌ ... عليه وقد غارت بذلك أسْعُد
لقد غيَّبوا حِلْماً وعلماً ورحمة ... عشيّة عَلّوهُ الثرى لا يُوسَّد
وراحوا بحُزنٍ ليس فيهم نبيِّهم ... وقد وهَنت منهم ظُهور وأعضُد
يُبَكُّون من تبكي السمواتُ يومه ... ومن قد بَكَته الأرضُ فالناس أكمد
وهل عَدَلت يوماً رزيّةُ هالكٍ ... رزيّةَ يومٍ ماتَ فيه محمد؟!
تقطّع فيه منزلُ الوحي عنهمُ ... وقد كان ذا نورٍ يغور ويُنجد[5]
يدلّ على الرحمن مَن يقتدي به ... ويُنقِذ من هول الخزايا ويُرشد
إمام لهم يَهديهمُ الحقَّ جاهداً ... معلّم صدْق إن يُطيعوه يُسْعَدوا
عفُوٌّ عن الزّلّاتِ يَقْبل عُذْرَهم ... وإن يُحسنوا فالله بالخير أجْود
وإنْ ناب أمرٌ لم يقوموا بحمْله ... فمن عنده تيسير ما يتشدّد
فبينا هم في نعمة الله بينهم ... دليلٌ به نَهْج الطريقة يُقْصد
عزيز عليه أن يَجُوروا عن الهدى ... حريصٌ على أن يَستقيموا ويهتدوا
عَطوفٌ عليهم لا يُثَنِّي جناحَه ... إلى كَنَف يحْنو عليهم وَيمْهَد[6]

---

(١) أسعدت: أعانت.
(٢) شفّها: أضعفها.
(٣) عشيره: عشره. توجد: من الوجد وهو الحزن.
(٤) الصفيح: الحجارة. منضّد: بعضه فوق بعض.
(٥) يغور: من الغور وهو ما انخفض من الأرض وينجد من النجد وهو ما ارتفع من الأرض.
(٦) الكنف: الجانب.

فبينـا هم في ذلـك النّـور إذ غـدا | إلى نورهم سَهمٌ من الموت مُقصِد[1]
فـأصبح محمـوداً إلى الله راجعـاً | يُبَكّيه حتى المرسـلات ويُحْمـد[2]
وأمست بـلادُ الحُرْم وَحشـاً بقاعُها | لغَيبـة ما كـانت من الـوحي تَعْهـد
قفـاراً سوى معمـورة اللّحدِ ضـافَها | فقيـدٌ يُبَكّيـه بَـلاط وغَـرقـد[3]
ومسجـده فـالمُـوحشـاتُ لفقـده | خـلاءٌ لـه فيـه مقـام ومَقـعـد
وبـالجمرة الكبـرى لـه ثَمَّ أَوْحشتْ | ديـارٌ وعَـرْصـات ورَبْع ومـولـد
فبكّـي رسـولَ الله يـا عيـنُ عبـرةً | ولا أعـرفَنْك الـدهـر دمعك يجْمـد
ومـالـك لا تبكين ذا النعمـة التي | على النـاس منها سـابغ يُتَغَمّـد
فجُـودي عليـه بـالـدمـوع وأَعْـوِلي | لفقـد الـذي لا مثلُه الـدهـرَ يـوجـد
ومـا فقـد المـاضُـون مثـلَ محمـد | ولا مثله حتى القيـامـة يُفْـقَـدِ
أَعـفَّ وأَوفَـى ذمّـة بـعـد ذمّـةٍ | وأقـربَ منـه نـائـلاً لا يُنَكّـد[4]
وأبـذلَ مـنـه الـطّريـف وتـالِـد | إذا ضنّ مِعْـطاء بمـا كـان يُتْـلَد[5]
وأكـرم صِيتـاً في البيـوت إذا انتمى | وأكـرَم جَـدّاً أبـطحيـا يُسَـوَّد[6]
وأمنـعَ ذِروات وأثبـت في الـعُـلا | دعـائم عـزّ شـاهقـات تُشَيّـد[7]
وأثبتَ فـرعـاً في الفـروع ومَنْبتـاً | وعُـوداً غذاه المُـزْن فالعُـود أغيد[8]
ربّـاه ولـيـداً فـاسـتـمّ تـمـامُـه | على أكـرم الخيـرات ربٌّ ممجّـد
تنـاهت وصـاة المسلميـن بكـفـه | فلا العلم محبوس ولا الـرأي يفند[9]

---

(١) مقصد: مصيب: اسم فاعل من أقصد.
(٢) المرسلات: الملائكة.
(٣) ضافها: نزل بها. البلاط: ما استوى من الأرض: الغرقد: شجر.
(٤) لا يُنَكّد: لا يكدّر.
(٥) الطريف: ما استُحدث من المال. التالد: المال الموروث. يتلد: يكتسب قديماً.
(٦) الصيت: الذِكْر الحسن. الأبطحيّ: المنسوب إلى أبطح مكة.
(٧) الذروات: الأعالي.
(٨) المزن: السحاب. أغيد: ناعم.
(٩) يفند: يخطأ.

أقــول ولا يُـلْقى لـقــوليَ عــائــب ... من النـاس إلّا عازب العقـل مُبْعد[1]
وليس هــوايَ نــازعــاً عن ثنــائــه ... لـعلّي بـه فـي جنّـة الـخُلْد أَخْلد
مـع المصطفى أرجـو بـذاك جِـواره ... وفي نَيْـل ذاك اليـوم أسعى وأجهـد

وقال حسّان بن ثابت أيضاً، يبكي رسول الله ﷺ:

مــا بــال عينك لا تنـام كـأنّمـا ... كُحِلَتْ مـآقيهـا بكُحْـل الأرْمَـدِ
جَـزَعاً على المَهْـديّ أصبح ثـاوياً ... يـا خيـر من وطيء الحَصى لا تبعـد
وجهي يقيـك التُّـرْبَ لهفي ليتـني ... غُيِّبت قبلك في بقيـع الـغـرقـد[2]
بـأبي وأُمّي مَـنْ شَهِـدتُ وفـاتَـه ... في يــوم الاثنين الـنبـيّ المـهتـدي
فـظللت بــعــد وفــاتــه متـبـلّداً ... مــتـلدّدا يــا لــيـتــنـي لــم أُولـد
أأُقيم بعــدَكَ بــالـمــديـنــة بينهم ... يــا ليتني صُبّحـت سَمَّ الأسـود[3]
أو حــلّ أمــر الله فينـا عــاجــلاً ... في رَوحــةٍ من يــومنــا أو من غــد
فتقــوم ســاعـتنــا فنَلقـى طيّبـاً ... مَحْضـاً ضـرائبـه كـريم المَحتِـد[4]
يــا بِكْـرَ آمنـةَ المبارك بِكْـرُهـا ... ولـدتـه مُحْصَنَـة بسعـد الأسْعُـد
نــوراً أضــاء على البــريّـة كلّهـا ... من يُهـد للنّـور المبــاركَ يَهتــدي
يــا ربّ فـاجمعنــا معـاً ونبيَّنـا ... في جنّـة تَشْني عيـون الـحُسَّـد[5]
في جنّــة الفـردوس فـاكتُبهـا لنـا ... يـا ذا الجـلال وذا العـلا والسُّودَد
واللهِ أسمــع مــا بقيت بـهــالــكِ ... إلا بـكيتُ على الـنّبيّ محمـد[6]
يــا ويــح أنصــار النّبـيّ ورهْــطِه ... بعــد المغيَّب في ســواء الـمَلْحـد
ضـاقت بالأنصار البـلادُ فـأصبحوا ... سُــوداً وجــوهُـهم كلون الإثـمـد
ولــقــد وَلــدنــاه وفيــنــا قـبـرُه ... وفضــول نِعمته بنـا لم نجحَـد[7]

---

(١) عازب العقل: بعيد العقل غائبه.
(٢) بقيع الغرقد: مدافن أهل المدينة.
(٣) صبّحت سمّ الأسود: أي سقيت صباحاً سمّ الأسود، والأسود نوع من الحيّات.
(٤) الضرائب: الطبائع. المحتد: الأصل.
(٥) تَشْني: تُبعد.
(٦) والله أسمع: أي والله لا أسمع.
(٧) يريد بولدنا: أنّ أخوال والد الرسول الله ﷺ من بني النّجار.

والله أكـرمـنـا بـه وهـدى بـه أنصـاره في كـلّ سـاعـة مَشْهـد
صلّى الإلـه ومن يَحُفُّ بـعـرشـه والـطيّبـون على المُبـارك أحمـد

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت يبكي رسول الله ﷺ:

نَبِّ المسـاكينَ أنّ الخيـر فـارقهم مـع النبيّ تـولّى عنهُـمُ سَحَـرا[1]
من ذا الـذي عنده رَحْلي وراحلتي ورزقُ أهلي إذا لم يُؤْنِسـوا المَـطَرا
أم من نُعـاتِب لا نخْشَى جنادعَـه إذا اللسـان عتا في القـول أو عثرا[2]
كـان الضّيـاء وكـان النـورَ نَتْبَعُـه بعـد الإلـه وكـان السمـع والبصـرا
فـليتـنـا يـوم واروه بـمـلْحـدِه وغـيّبـوه وألـقـوا فـوقَـه المَـدَرا
لـم يتـرك الله منّـا بـعـده أحـداً ولـم يعِشْ بـعـده أُنثى ولا ذَكَـرا
ذلّـت رقـابُ بني النّجّـار كلّهـمِ وكـان أمراً من أمـر الله قـد قُـدِرا
واقتسـم الفَـيْءَ دون النـاس كـلّهِم وبـدّدوه جِهـاراً بـينـهـم هَـدَرا

وقال حسّان بن ثابت يبكي رسول الله ﷺ أيضاً:

آليت مـا في جميع النـاس مجتهـداً منّـي ألـيـةَ بَـرٍّ غـيـر إفـنـاد[3]
تـالله مـا حَمَلَتْ أنثى ولا وضعتْ مثـلَ الـرسـول نبيّ الأمّـة الهـادي
ولا بـرا الله خـلقـاً مـن بَـرِيّـتـه أوفـى بـذمّـة جـارٍ أو بـمـيـعـاد
منَ الـذي كـان فينـا يُستضـاءُ بـه مبـاركَ الأمـر ذا عـدلٍ وإرشـاد
أمسى نسـاؤك عـطّلْن البيـوت فمـا يضـربْن فوق قَفَـا سِتْـرٍ بـأوتـاد
مثـل الـرواهِب يَلبسن المبـاذلَ قـد أيقنّ بـالبؤس بعد النعمـة البـادي[4]
يـا أفضـل النـاس إنّي كنت في نَهَـر أصبحت منه كمثل المفرد الصادي[5]

قال ابن هشام: عجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق.

---

(١) نبّ: نبيء: سهّل فعل الأمر بحذف الهمزة ثم بناه على حذف حرف العلّة كما يبنى المُعْتلّ.
(٢) الجنادع: أوائل الشرّ.
(٣) الألية: اليمين. الإفناد: الخطأ والعيب.
(٤) المباذل: الأثواب التي تُستعمل يومياً أو الأثواب الخَلِقة.
(٥) الصادي: الشذيد العطش.

(بعون الله تعالى وتوفيقه، فقد تمّ تحقيق السيرة النبويّة لابن هشام، والتعليق عليها، وتخريج أحاديثها، وضبط نصّها، وصنعة فهارسها، على يد طالب العلم العبد الفقير إلى الله تعالى «عمر عبد السلام تدمري» الأستاذ الدكتور في الجامعة اللبنانية، الطرابلسيّ مولداً وموطناً، بمنزله بساحة النجمة بطرابلس الشام ـ حرسها الله ـ وكان البدء في التحقيق يوم الجمعة ٢٥ شوّال ١٤٠٧ هـ. الموافق ٢٢حزيران ١٩٨٧ وكان الفراغ من التحقيق مساء الأربعاء ٢٥ من ذي الحجّة ١٤٠٧ هـ. الموافق ١٩ من آب ١٩٨٧، والحمد لله وحده).

١ ـ فهرس الآيات الكريمة
حسب ورودها في الجزء

٢ ـ فهرس أوائل الأحاديث الشريفة

٣ ـ فهرس
قوافي الأشعار والأراجيز

٤ ـ فهرس الأعلام

خ

د

ذ

س

ش

ص

ض

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

٥ ـ فهرس الأماكن والبلدان

ـ ٦ ـ

فهرس المصادر والمراجع المعتمدة في التحقيق

أ

١ ـ **أخبار مكة** ـ للأزرقي.

٢ ـ **أدب الدنيا والدين** ـ للماوردي.

٣ ـ **إرشاد الساري**، شرح البخاري.

٤ ـ **الإستبصار** ـ للمراكشي.

٥ ـ **الإستيعاب** ـ لابن عبد البَرّ.

٦ ـ **أُسد الغابة** ـ لابن الأثير.

٧ ـ **الإشتقاق** ـ لابن دُرَيد.

٨ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة** ـ لابن حجر.

٩ ـ **الأصنام** ـ للكلبي.

١٠ ـ **الأعلام** ـ لخير الدين الزركلي.

١١ ـ **الأغاني** ـ لأبي الفرج الأصبهاني.

١٢ ـ **الإكتفاء** ـ للكلاعي.

١٣ ـ **الأمّ** ـ للإمام الشافعي.

١٤ ـ **الأمالي** ـ لأبي علي القالي.

١٥ ـ **أمالي المرتضى** ـ للشريف المرتضى.

١٦ ـ **الإمتاع والمؤآنسة** ـ للمقريزي.
١٧ ـ **الأموال** ـ لأبي عبيد بن سلام.
١٨ ـ **أنساب الأشراف** ـ للبلاذُري.
١٩ ـ **أنساب الخيل** ـ للكلبي.
٢٠ ـ **إنسان العيون** ـ لنور الدين الحلبي.

ب

٢١ ـ **البداية والنهاية في التاريخ** ـ لابن كثير.
٢٢ ـ **البدء والتاريخ** ـ للمطهّر المقدسي.
٢٣ ـ **بصائر ذوي التمييز** ـ للفيروز ابادي.
٢٤ ـ **البصائر والذخائر** ـ للتوحيدي.
٢٥ ـ **بلوغ الأرب في أحوال العرب** ـ للآلوسي.
٢٦ ـ **البيان والتبيين** ـ للجاحظ.

ت

٢٧ ـ **تأويل مشكل القرآن** ـ للبيضاوي.
٢٨ ـ **تاج العروس** ـ للزَّبيدي.
٢٩ ـ **تاريخ الآداب العربية** ـ لبروكلمان.
٣٠ ـ **التاريخ** ـ لابن مَعِين.
٣١ ـ **التاريخ** ـ لأبي زُرْعة.
٣٢ ـ **تاريخ الإسلام (السيرة النبوية)** للذهبي، (بتحقيقنا).
٣٣ ـ **تاريخ الإسلام (المغازي)** ـ للذهبي، (بتحقيقنا).
٣٤ ـ **تاريخ بغداد** ـ للخطيب البغدادي.
٣٥ ـ **تاريخ خليفة** ـ لخليفة بن خيّاط.
٣٦ ـ **تاريخ الخميس** ـ للديار بكري.
٣٧ ـ **تاريخ دمشق** ـ (السيرة النبوية) ـ لابن عساكر.
٣٨ ـ **تاريخ الرسل والملوك** ـ للطبري.

٣٩ ـ **التاريخ الكبير** ـ للإمام البخاري.

٤٠ ـ **تاريخ اليعقوبي** ـ لابن واضح اليعقوبي.

٤١ ـ **تذكرة الحُفّاظ** ـ للذهبي.

٤٢ ـ **التذكرة الحمدونية** ـ لابن حمدون.

٤٣ ـ **التذكرة السعدّية** ـ للعبيدي.

٤٤ ـ **التذكرة الفخرية** ـ للإرْبليّ.

٤٥ ـ **تسديد القوس** ـ لابن حجر.

٤٦ ـ **تسمية أزواج النبيّ وأولاده** ـ لأبي عبيدة.

٤٧ ـ **تفسير ابن كثير**.

٤٨ ـ **تفسير البغوي**.

٤٩ ـ **تفسير الطبري**.

٥٠ ـ **تفسير القرطبي**.

٥١ ـ **تفسير مجاهد**.

٥٢ ـ **تقريب التهذيب** ـ لابن حجر.

٥٣ ـ **تلخيص المستدرك** ـ للذهبي.

٥٤ ـ **تلقيح فهوم الأثر** ـ ابن حجر.

٥٥ ـ **تهذيب الأسماء واللغات** ـ للنووي.

٥٦ ـ **تهذيب تاريخ دمشق** ـ لابن عساكر.

٥٧ ـ **تهذيب التهذيب** ـ لابن حجر.

٥٨ ـ **تهذيب سيرة ابن هشام** ـ لعبد السلام هارون.

٥٩ ـ **تهذيب الكمال** ـ للمِزّي.

ث

٦٠ ـ **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب** ـ للثعالبي.

ج

٦١ ـ **جامع الأصول** ـ ابن الأثير.

٦٢ ـ **الجامع الصحيح** ـ للترمذي .
٦٣ ـ **الجرح والتعديل** ـ لابن أبي حاتم الرازي .
٦٤ ـ **جمهرة الأمثال** ـ لأبي هلال العسكري .
٦٥ ـ **جمهرة أنساب العرب** ـ لابن حزم .
٦٦ ـ **جمهرة اللغة** ـ لابن دُرَيد .
٦٧ ـ **جمهرة النسب** ـ لابن الكلبي .
٦٨ ـ **جوامع السيرة** ـ لابن حزم .

ح

٦٩ ـ **حاشية على تفسير الجلالين** ـ للصاوي .
٧٠ ـ **حلبة الفرسان وشعار الشجعان** ـ لابن هُذَيل الأندلسي .
٧١ ـ **الحلبة في أسماء الخيل** ـ للتاجي الصاحبي .
٧٢ ـ **حلية الأولياء** ـ لأبي نُعيم الأصبهاني .
٧٣ ـ **حياة الحيوان** ـ للدُمَيْري .

خ

٧٤ ـ **خزانة الأدب** ـ للبغدادي .
٧٥ ـ **الخصائص الكبرى** ـ للسيوطي .
٧٦ ـ **خلاصة تذهيب التهذيب** ـ للخزرجي .

د

٧٧ ـ **الدُرَر في المغازي والسير** ـ لابن عبد البَرّ.
٧٨ ـ **الدُّرّ المنثور** ـ للسيوطي .
٧٩ ـ **دلائل النُّبُوَّة** ـ لأبي نُعيم .
٨٠ ـ **دلائل النُّبُوَّة** ـ للبَيْهَقي .
٨١ ـ **دُوَل الإسلام** ـ للذهبي .
٨٢ ـ **ديوان الأعشى** ـ ميمون بن قيس .
٨٣ ـ **ديوان أُميّة بن أبي الصَّلْت**.

٨٤ ـ ديوان حسّان بن العجّاج .
٨٦ ـ ديوان زهير بن أبي سلمى .
٨٧ ـ ديوان كعب بن زهير .
٨٨ ـ ديوان لَبِيد بن ربيعة .

د

٨٩ ـ ذِكْر أخبار أصبهان ـ لأبي نُعَيم .

ر

٩٠ ـ ربيع الأبرار ـ للزمخشري .
٩١ ـ الروض الأُنُف ـ للسُهَيلي .

ز

٩٢ ـ زاد المعاد ـ لابن قيّم الجوزيّة .
٩٣ ـ الزاهر ـ لابن الأنباري .

س

٩٤ ـ سُبُل الهدى والرشاد ـ للصالحي .
٩٥ ـ السِّمْط الثمين ـ للمُحبّ الطبري .
٩٦ ـ السُنَن ـ لابن ماجه .
٩٧ ـ السُنَن ـ لأبي داود .
٩٨ ـ السُنَن ـ للدارقُطْني .
٩٩ ـ السُنَن ـ للدارمي .
١٠٠ ـ السُنَن ـ لسعيد بن منصور .
١٠١ ـ السُنَن الكبرى ـ للبَيْهَقي .
١٠٢ ـ سِيَر أعلام النُبلاء ـ للذهبي .
١٠٣ ـ السِيَر والمغازي ـ لابن إسحاق .
١٠٤ ـ السِيرة النبوية ـ لابن كثير .

١٠٥ ـ **السيرة النبوية** ـ للحلبي .

١٠٦ ـ **السيرة النبوية** ـ للدكتور عبد المهدي بن عبد الهادي .

ش

١٠٧ ـ **شذَرات الذهب** ـ لابن العماد الحنبلي .

١٠٨ ـ **شرح ديوان الحماسة** .

١٠٩ ـ **شرح السُّنَّة** ـ للبَغَوي .

١١٠ ـ **شرح السيرة** ـ لأبي ذَرّ الخشني .

١١١ ـ **شرح شواهد المغني** ـ للسيوطي .

١١٢ ـ **شرح القصائد العشر** ـ للتبريزي .

١١٣ ـ **شرح قصيدة الأعشى** .

١١٤ ـ **شرح قصيدة كعب بن زهير** ـ للتبريزي .

١١٥ ـ **شرح معاني الآثار** ـ للطحاوي .

١١٦ ـ **شرح المواهب اللَّدُنّية** ـ للزُرقاني .

١١٧ ـ **شرح نهج البلاغة** ـ لابن أبي الحديد .

١١٨ ـ **الشعر والشعراء** ـ لابن قُتيبة .

١١٩ ـ **الشفاء** ـ للقاضي عِياض .

١٢٠ ـ **شفاء الغرام** ـ للقاضي الفاسي ، (بتحقيقنا) .

ص

١٢١ ـ **صُبْح الأعشى** ـ للقلقشندي .

١٢٢ ـ **الصِّحاح في اللغة** ـ للجوهري .

١٢٣ ـ **الصحيح** ـ للإمام البخاري .

١٢٤ ـ **الصحيح** ـ للإمام مسلم .

١٢٥ ـ **صفة الصفوة** ـ لابن الجوزي .

ض

١٢٦ ـ **ضعيف الجامع** ـ للألباني .

ط

١٢٧ ـ **الطبقات** ـ لخليفة بن خيّاط .

١٢٨ ـ **طبقات الشعراء** ـ لابن سلاّم .

١٢٩ ـ **طبقات فحول الشعراء** ـ للجُمَحي .

١٣٠ ـ **الطبقات الكبرى** ـ لابن سعد .

ع

١٣١ ـ **العِبَر في خبر من غَبَر** ـ الذهبي .

١٣٢ ـ **العِبَر في المبتدأ والخبر** ـ لابن خلدون .

١٣٣ ـ **عِقْد الأجياد** ـ للأمير الجزائري .

١٣٤ ـ **العِقْد الثمين** ـ للقاضي الفاسي .

١٣٥ ـ **العِقْد الفريد** ـ لابن عبد ربّه .

١٣٦ ـ **عيون الأثر** ـ لابن سيّد الناس .

١٣٧ ـ **عيون التواريخ** ـ لابن شاكر الكُتَبي .

ف

١٣٨ ـ **فتح الباري** ـ لابن حجر .

١٣٩ ـ **فتوح البلدان** ـ للبلاذري .

١٤٠ ـ **فردوس الأخبار** ـ للديلمي .

١٤١ ـ **فضل الخيل** ـ للدمياطي .

ك

١٤٢ ـ **الكاشف في أسماء الرجال** ـ للذهبي .

١٤٣ ـ **الكامل في الأدب** ـ للمبرّد .

١٤٤ ـ **الكامل في التاريخ** ـ لابن الأثير .

١٤٥ ـ **الكامل في ضعفاء الرجال** ـ لابن عَدِيّ .

١٤٦ ـ **الكُتّاب والشعراء** .

١٤٧ ـ **كشف الخفاء** ـ للجراحي .

١٤٨ ـ **كشف الظنون** ـ لحاجي خليفة.
١٤٩ ـ **كنز العمّال** ـ للمتّقي الهندي.
١٥٠ ـ **الكُنَى والأسماء** ـ للدولابي.

ل

١٥١ ـ **لُباب الآداب** ـ لأسامة بن منقذ.
١٥٢ ـ **اللُّباب في تهذيب الأنساب** ـ لابن الأثير.
١٥٣ ـ **لسان العرب** ـ لابن منظور.

م

١٥٤ ـ **مجاز القرآن** ـ لأبي عبيدة.
١٥٥ ـ **مجمع الأمثال** ـ للمَيْداني.
١٥٦ ـ **مجمع الزوائد** ـ للهيثمي.
١٥٧ ـ **مجموعة الوثائق السياسية** ـ للدكتور محمد حميد الله.
١٥٨ ـ **محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر** ـ لعلي دده.
١٥٩ ـ **المحبَّر** ـ لابن حبيب البغدادي.
١٦٠ ـ **المحتسب** ـ لابن جني.
١٦١ ـ **المختصر في أخبار البشر** ـ لأبي الفِداء.
١٦٢ ـ **المخصّص** ـ لابن سيده.
١٦٣ ـ **مِرْآة الجِنان** ـ لليافعي.
١٦٤ ـ **مروج الذهب** ـ للمسعودي.
١٦٥ ـ **المستَخْرَج من كتاب التاريخ** ـ لابن مَنْده ـ (مخطوطة كوبريللي ٢٤٢).
١٦٦ ـ **المستدرك على الصحيحين** ـ للحاكم النيسابوري.
١٦٧ ـ **المُسْنَد** ـ لأبي يَعْلَى.
١٦٨ ـ **المُسْنَد** ـ للإمام أحمد.
١٦٩ ـ **المُسْنَد** ـ للبزّار.

١٧٠ ـ **المُسْنَد** ـ للشافعي .
١٧١ ـ **المُسْنَد** ـ لعبد الوهاب الكلابي .
١٧٢ ـ **مشاهير علماءه الأمِصَاء** ـ لابن حبّان .
١٧٣ ـ **المشترك وضعاً والمفترق صقعاً** ـ لياقوت الحموي .
١٧٤ ـ **المصنَّف** ـ لابن أبي شيبة .
١٧٥ ـ **المصنَّف** ـ لعبد الرزّاق .
١٧٦ ـ **المعارف** ـ لابن قُتَيبة .
١٧٧ ـ **معجم الأدباء** ـ لياقوت الحموي .
١٧٨ ـ **معجم ألفاظ الحديث** ـ للمستشرقين .
١٧٩ ـ **معجم البلدان** ـ لياقوت الحموي .
١٨٠ ـ **معجم الخيل العربية** ـ للدكتور عبد الله الجبوري .
١٨١ ـ **معجم الشعراء** ـ للمرزباني .
١٨٢ ـ **معجم الشعراء في لسان العرب** ـ للدكتور ياسين الأيّوبي .
١٨٣ ـ **معجم الشيوخ** ـ لابن جُمَيْع الصيداوي (بتحقيقنا) .
١٨٤ ـ **المعجم الصغير** ـ للطبراني .
١٨٥ ـ **المعجم الكبير** ـ للطبراني .
١٨٦ ـ **معجم ما أستعجم** ـ للبكري .
١٨٧ ـ **معجم المؤلّفين** ـ لكحّالة .
١٨٨ ـ **المعربِ** ـ للجواليقي .
١٨٩ ـ **المعرفة والتاريخ** ـ للفَسَوي .
١٩٠ ـ **المعلَّقات السبْع** ـ للزَوْزني .
١٩١ ـ **المعمَّرين** ـ للسجستاني .
١٩٢ ـ **المعين في طبقات المحدّثين** ـ للذهبي .
١٩٣ ـ **المغازي** ـ لعُروة بن الزُبير .
١٩٤ ـ **المغازي** ـ للواقدي .

١٩٥ ـ **المغني في الضعفاء** ـ للذهبي .

١٩٦ ـ **المفردات** ـ للراغب الأصبهاني .

١٩٧ ـ **مقاتل الطالبيّين** ـ لأبي نعيم .

١٩٨ ـ **مقدّمة مُسْنَد بَقِيّ بن مَخْلَد** ـ للدكتور أكرم ضياء العمري .

١٩٩ ـ **مناقب عليّ** ـ للواسطي .

٢٠٠ ـ **مناقب عمر بن الخطّاب** ـ لابن الجوزي .

٢٠١ ـ **المنتخب من ذيل المذيّل** ـ للطبري .

٢٠٢ ـ **المنمَّق** ـ لابن حبيب البغدادي .

٢٠٣ ـ **موارد الظمآن** ـ للهيثمي .

٢٠٤ ـ **موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي** (من تأليفنا) .

٢٠٥ ـ **ميزان الإعتدال في نقد الرجال** ـ للذهبي .

ن

٢٠٦ ـ **نسب قريش** ـ لمُصْعَب الزبيري .

٢٠٧ ـ **النقائض، لجرير والفرزدق** ـ لأبي عبيدة .

٢٠٨ ـ **نهاية الأرب في فنون الأدب** ـ للنويري .

٢٠٩ ـ **النهاية في غريب الحديث** ـ لابن الأثير .

هـ

٢١٠ ـ **هدْي الساري في مقدّمة فتح الباري** ـ لابن حجر .

٢١١ ـ **هديّة العارفين** ـ للبغدادي .

و

٢١٢ ـ **الوافي بالوَفَيات** ـ للصفدي .

٢١٣ ـ **الوفا بأخبار المصطفى** ـ لابن الجوزي .

٢١٤ ـ **وفاء الوفا** ـ **للسمهودي** .

٢١٥ ـ **الوَفَيَات** ـ لابن قُنْفذ .

٢١٦ ـ **وَفَيات الأعيان** ـ لابن خلّكان .

٧ ـ فهرس مواضيع
الجزء الرابع من سيرة ابن هشام